

القسم الأول

من شرح نهج البلاغة

بحوث وآراء

ببني الواقع والخضرة الزينية

مركز تقيتكم أو علوم رسولي

نهج البلاغة في معارفه وفنونه

تأليف المفتقر إلى رحمة مولاه العنق محمد الكرمي

عن عنده

١٣٨٧

المطبعة الغيلية بقم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة على انبيائه

مركز بحوث وتطوير علوم مكة المكرمة

المرسلين لاسيما محمد واهل بيته الطاهرين :

على في مجارى التاريخ

التاريخ ظاهرة من ظواهر الحياة العامة ، و ايس هو كاحد الفنون التى تفرض على الوجود فرضاً ، بل هو لمسايرته الاجيال ضبط الاحياء بلا مشورة منهم ، وقيد الاموات بالادعوة من ذويهم ، وتعرض للحوادث ليجعلها عبرة ، و للملابسات الزمنية ليعرضها على الفكرة ، فعم المتحدث هو عن الغابر والحاضر والحى والميت .
والتاريخ قسماً قسم ، استخدم لسان الزمان فجعله هو المتحدث عنه ، وقسم استخدمه اهل اللسان ليجعلوه اداة تعبير لمقاصدهم : والقسم الاول هو التاريخ الذى لا يمتري فيه ولا يعتربه تحريف وتشويه وهو الذى ضبط الاحداث العامة وتحدث عن ابطال الرجال ومضامير الاجيال .

واما القسم الثانى فقيه الفث والسمن والدخيل والاصيل والزور الذى لا اثر له و الواقع الذى لا محيص عنه ؛ وهذا القسم لاقيمة لاصيله ودخيله الابد البحت والتفتيش والتحرى و النمحيص : ذلك لان خونة الدنيا و عفاريت بنى آدم لم يألوا جهداً فى استعمال هذه الحربة لك مناوئهم ولو كانوا اطهر من ماء السماء عرضاً و سجية ، وفرض انفسهم على الوجود بعنوان انها نفائس وان كانت فى الواقع من سقط المتاع ، فكم تقرأ فى كتب التراجم والرجال القاباً وعناوين وهى مختلقة لاصل لها ، وكم تقف فى الهوامش على منسيين وهم عند التحقيق لباب كل من ترجم فى هذا الكتاب .
اذن فلاغرابة اذا شكك جملة من المنورين قديماً وحديثاً فى وجود جملة من الاشياء لاننا هانحن انفسنا نرى فى كل فريق من جماعات البشر من ادرع التدليس ظاهرة والصلافة وجهاً ومشى يغذ بلسانه وبيانه وبكل ما أوتى من حول ووطول لتثبيت هدف يحاول تثبيته فلا يمر زمان الا وتجد ما كنت تحسبه من الاضاليل اشد تر كزأمن الحقائق تتداوله الالسنه بالذكر والاقلام بالتحريرو ساحت العيان بالنجسيم ، فكم من حديث لاصل له ، وكم من متحدث عنه لا وجود له ، وكم من حادثة لم يحتضنها العيان ، وكم من مظاهر بالقدس هو الدجال فى دخيلة قلبه ونخيلة صدره .

و لكم حورت الميول النفسية والافراض الشخصية و السياسات الزمنية و النزعات التعصبية حقائق ذات بال ولعبت بالرجال والاجيال جهد مقدورها فاختلفت ما ليس له وجود و انكرت الشاخص المشهود وليس بمقدور القلم ان يحيط بالقليل من ذلك في هذه العجالة فضلا عن الكثير .

لكن الذين سخروا الوجود ببطولاتهم واقاموا في الوجود شهوداً على كمالاتهم في امان من تقاضى قلم النقد لهم ، و من اعظم هؤلاء الشخصية الفذة التي ضربت بجرانها على طول الوجود و عرضه ، و فرضت نفسها على الكون بدون ان تخايره او تشاوره تلك هي الشخصية القائمة بشخص امير المؤمنين على بن ابي طالب سلام الله عليه . ولا بدع اذا قلت ذلك فان شخصية هذا البطل المتأله المفضل شقت اكثف الحجب التي وضعها الماجورون لامائة شخصيات العالم وطلعت بعنقها المديد لترى الدهر و ابناء الدهر ان الحق الراهن و مهم ما قاومته القوى الهدامة حتى لا يموت . و ناهيك بعلى في كل صفة من اوصاف الخير المطلق و في كل سجية من سجايا الانسان الكامل وليس بمقدورى ان اعدد مآثره و مزاياه و احصى فضائله و جلائل اعماله : ولكنى قصدت في هذا الكتاب ان اشرح ناحية من نواحي فضله و عقله ، و اعرض للقراء ثمرة من ثمرات غرسه و نفسه الاوهى ناحية فصاحته و بلاغته في طرف قليل من علمه و عمله و عساني اوفق لما اتوخاه و الله من وراء القصد وهو المستعان .

(اللغة العربية و انتشارها من طريق الاسلام)

نحن محصلوا العلوم الدينية قبل كل شيء مسلمون ، و من طريق اعتناقنا للدين الاسلامي يجب علينا ان ننسى كل نزعة تعصبية ، و ان نعتبر الدين نقطة التلاقى بين كافة العناصر المسلمة فلا فرق عندنا بين المسلم العربي و الاخر الهندي و الثالث الاندونوزى و الرابع الايراني و الخامس الافغانى و هلم دواليك

لان الوحدة الاسلامية يهدفها الانسانى العام الفت بين هذا الشتات و جعلته العنصر الحاشد لجامعة افراد بنى آدم ؛ واللغات كلها سواسية في ان اصل وضعها

للافهام والتفهم بين المتخاطبين ، غايتها ان السيرا لزمنى واعتناء فريق دون فريق من الناس ببعض اللغات قدم اللغة المعنى بها وكون لها حيثية عالمية وان لم تكن لغة الناس جميعاً ولالغة الاكثرين منهم : وفي الطليعة من هاته اللغات اللغة العربية لغة القرآن والحديث النبوى وسنة الائمة المعصومين واداة رواة الاسلام و فقهاءهم ومحدثهم و مفسريهم و متكلمهم و خطباءهم و شعرائهم وسائر اهل الفضل منهم . لم يكن للغة العربية قبل الاسلام شأن عالمى لانه لم يكن للعرب فى انفسهم الا بعض الشأن من الشؤون العالمية ولان جامعة العرب قبل الاسلام لم يكن فيها عالم خريت ولافنان شهير ولاشاعر واسع الشعور ولاخطيب خصب الخيال ولا كاتب يهتم له .

نعم كانت اللغة العربية و كان المتكلمون بها يملكون مبن الكنايات والاستعارات والمجازات المرسلة والالفاظ المترادفة والكلمات الفصيحة الشئ الكثير وهذا المعنى بدوره هو الذى وسعها وكثر مفرداتها ، لكن القرآن الكريم لما هبط من عالم الملكوت الاعلا الى الجزيرة العربية قبل كل مكان واتخذ اللغة المزبورة اداة تعبير شقق جوانب الكلمة العربية تشقيقا ما عليه مزيد : فترك الكلمات الوحشية بالمره وانتخب من مانوسها كل لفظ دقيق واكثر من التشبيهات والتراكيب الجليلة والاستعارات المليحة والكنايات الاخاذة والمجازات القوية ، وجاء بسبك لم يكن له ند ولا نظير فى لغة اقحاح العرب و بذلك تحداهم وافصحهم ، و اضاف على ذلك استخدامه لهذه اللغة فى سرد القصص والعبير وتاريخ الامم السالفة و انبيائهم وضرب الامثال وصوغ الادلة على احقاق الحق وابطال الباطل وبيان الشرائع والوظائف و الاخلاق الانسانية ، وتنوع ماشاء فى صياغة ذلك بشتى الاساليب والاشكال الفاتنة ، ومن هذا وذاك لايزال القرآن محل اعجاب كافة الاجيال وفحول الرجال حتى الذين يشككون انفسهم بسماويته .

ولقد اعتنى نبي الاسلام بهذه اللغة فكان فيها قطب رحى الناطقين فصاحة وبلاغة ومثانة وسلاسة وفخامة ونظرة واحدة فيما اثر عنه من صحاح الآثار تكفى للبرهنه والتدليل على ذلك .

ومندسنى الطفولة استن* على هذا المدرج نابغة الاسلام امير المؤمنين على عليه السلام فكان في فصاحته وبلاغته آية يملك الاسماع و الابصار و القلوب اذا نطق او حاول الافصاح عن غرض مهم وهذا قرآن بلاغته نهج البلاغة من اعظم الادلة على هذه الدعوى التي لم يختلف فيها اثنان من الناس : وهكذا امتلك بنوه ازمة القول فكان الناطق منهم اذا نطق لا يدع محلا لغيره لهيئته على الحضار ونفوذ في ارواحهم : و على هؤلاء الناطقين الا فذاذ تلمذ اهل التحصيل من المسلمين بلا فرق بين العربي منهم و الفارسي والتركي الى ماشئت ان تعدد من العناصر التي تشرفت بالاسلام و ساهمت في ترويجه و الخدمة له و تكفينا نظرة واحدة الى ما كان عليه حصلوا اليهود القديمة من المسلمين فاننا نجد الهندي و الأفغاني و الفارسي والتركي في مصاف العرب الاصحاح تكلماً و كتابة حتى ليخيل للسامع و الناظر في حديثهم و كتبهم ان جميعهم عرب بلا شوب لكن الوقوف على تراجمهم هو الذي يميزهم الى عناصر تبعد عن العنصر العربي بعداً شاسعاً .

غير ان الادوار الحاضرة مع مزيد الاسف لمشيها مع العنصرية و التعصب البغيضين اخذت تنحيز لتفسها فلا تدع للغة الآخرين منقداً في افرادها فمن اللازم المحتم ان نحطم عن انفسنا و نحن مسلمون كافة هذه الحواجز و نلتحق باسلافنا الماضين الذين مارسوا لغة القرآن فكانوا من خير زملائها نطقاً و كتابة .

(مقدمة الورود في البحث)

اللغة العربية مفردات و تراكيب و يراد من المفردات المواد التي يكون بها التركيب ، و البحث عن المفردات يتكلم علم اللغة ، و دراسته تكون بمزاولة الكتب اللغوية المتقنة مزاولة عن امعان و تدبر ، و اذا كان من يحاول الاستفادة رأساً من الاجانب عن اللغة و جب عليه ان يكون تحت اشراف استاذ .

و يراد من التراكيب ما تألف من المفردات ، و بما ان التأليف بينها تارة يكون غلطا من الوجهة اللسانية و اخرى يكون صحيحاً ، و مرة يكون غثا لعدم

مراعات المؤهلات فيه واخرى يكون سبباً للمراعاة ذلك تخصص علماء اللسان للبحث عن كل وجهة بفن خاص يتناول تلك الوجهة فقط ، فعلم النحو و الصرف يتناول التراكيب من حيث الصياغة اللفظية في مفرداتها ، وصف الكلمة مع ما يجوز اولاً يجوزان تصف اليه وحر كات اواخر الكلم ، وعلم المعاني والبيان يتناولها من حيث السبك و مراعاة الخصوصيات و المزايا التي تشرف الكلام وتعطيه وزناً وقيمة .

ونحن في در استنا هذه لسنا نحويين صرفين خالصين و لا بيانين اختصاصيين بل نحن في ذلك اعم مما ذكر ، فكما نتعرض للنكتة النحوية و الصرفية و البيانية نتعرض للفلسفة و الكلام و علوم الاجتماع و كل مامت التي موضوعنا الذي بايدينا من جميع جوانبه .

ومقدمة يجب علينا ان نعرف سند و تاريخ (نهج البلاغة) هذه المجموعة التي قام بتأليفها وضم شواردها السيد الشريف الرضى رضى الله عنه فان كلام امير المؤمنين على عليه السلام لم يجمع بهذه الصورة قبل السيد الشريف في كتاب خاص على الظاهر ، واما تناولته كتب الحديث و الامالي و الادب منشتاً طبق المناسبات التي عرضت للمؤلفين اما السيد الرضى فقد اعنى بذلك عناية خاصة وهدف ان يجمع كلام امير المؤمنين في كتاب خاص مخافة ان يبقى مبثراً في بطون عشرات الكتب : وللشريف الرضى اعتناء كثير بالفصاحة على الاخص ما كان منها في القرآن الكريم و الحديث النبوي الشريف و ما جاء من كلام عن امير المؤمنين عليه السلام وله في كل ذلك كتب خاصة حافلة بمضامينها العالية .

و ان من شيم العصر الالحادي الحاضر تشككه في كل شيء خصوصاً اذا كان مبعوثاً عن دواعي رمزية ، و خصوصاً بالنسبة الى عالم الاديان و ما وراء الطبيعة ، و احياناً يسرى شكه الى ما هو وجداني حاضر لكل حي "حساس مدرك" ، فكم شكك فيما قبل زمانه و اعتبر قضية آدم و حواء و هود و صالح و يعقوب و يوسف و المسيح بن مريم و ما الى ذلك من الاساطير : لعزوب نفسه عن هذه القضايا و لموقفه بالمادة الجافة الحاضرة بين يديه ، لكنه لم يتشكك في اقوال الماديين و خرافاتهم التي يمر عليك

شيء منها فيما سيجىء لحسن ظنه بممارسة الاحاد و الدعاة الى الطبيعة بما جعله مؤمناً بهم على كل حال .

و من نعرات التعصب البغيض هي محاولة فريق مخذول من بعض المسلمين للتشكك في نسبة نهج البلاغة الى علي امير المؤمنين و ان واضح هذه المجموعة هو السيد المرتضى علي قول بعضهم او السيد الرضى علي قول آخرين وانه بعد وضعها نسبها لجده علي عليه السلام خدمة له و ابرازاً لشخصيته : مع ان قاطبة من درس الاسلام و عرف مشاهير رجاله لا يتشككون في ان علياً من افصح العرب والمسلمين و ان صيت بلاغته و فصاحته لا يقل عن صيت شجاعته و عبادته .

ونحن اصحاراً بالحقيقة و قمعاً لنوايا السوء نستعرض هذا البحث ناقلين للشبه التي القاها المشككون والتي هي كسر اب ببيعة يحسبه الظمآن ماء بل و لا سواء فان شبه القوم او هن من كل البيوت : و رادين عليها من عدة جهات .

قال محمد محبي الدين عبدالحميد - من علماء مصر - في تقديمه لنهج البلاغة شرح الشيخ محمد عبده : ليس من شك عند احد من ادباء العصر و لا عند احد ممن تقدمهم في ان اكثر ما تضمنه نهج البلاغة من كلام امير المؤمنين عليه السلام : نعم ليس من شك عند احد في ذلك : و ليس من شك عند احد في ان ما تضمنه الكتاب جار علي النهج المعروف عن امير المؤمنين موافق للاسلوب الذي يحفظه الادباء و العلماء من كلامه الموثوق بنسبته اليه : ولكن بعض المعروفين من ادباء عصرنا يميلون الى ان بعض ما في الكتاب من خطب و رسائل لم يصدر عن غير الشريف الرضى جامع الكتاب هو منشؤه و مدعى نسبته الى الامام : وهم في ذلك يترسمون خطوات بعض المتقدمين ممن قرب من عهد الرضى و من بعد عنه فقد سبق الى التشكك في شأن الكتاب و استبعاد نسبة جميع ما فيه الى الامام عليه السلام قاضي القضاة ابن خلكان و لعل ابن خلكان اول من اثار الشكوك في قلوب الباحثين بنسبته الكتاب الى الشريف الرضى تأليفاً ثم جاء من بعده الصفدي و غيره من كتاب التراجم فتابعوه على ذلك و حينئذ قوى الشك و تمكن .

و اهم ما يجده باحثوا الاداب العربية في هذا العصر من اسباب يدعمون بها

القول بان الكتاب من صنع جامعه و تأليفه ذلك الذى نوجزه لك فى الاسباب الاربعة الاتية .

(الاول) ان فى الكتاب من التعريض بصحابة رسول الله (ص) ما لا يصح ان يسلم صدوره عن مثل الامام على كما تراه فى ثنايا الكتاب من سباب معاوية وطلحوا الزبير وعمرو بن العاص ومن ذهب الى تأييدهم والدفاع عن سياستهم .

(الثانى) ان فيه من السجع والتنميق اللفظى وآثار الصنعة مالم يعهده عصر على عليه السلام ولا عرفه وانما ذلك شىء طراً على العربية بعد العصر الجاهلى وصدرا الاسلام وافتتن به ادباء العصر العباسى والشريف جاء من بعد ذلك على ما ألفوه فصنف الكتاب على نهجهم وطريقتهم .

(الثالث) ان فيه من دقة الوصف واستغراق صفات الموصوف واحكام الفكرة وبلوغ النهاية فى التدقيق كما تراه فى وصف الخفاش والطاووس و النملة و كل ذلك لم يلتفت اليه علماء الصدر الاول و انما عرف بعد تعريب كتب اليونان و الفرس و يدخل فى هذا السبب استعمال الالفاظ الاصطلاحية كالابن والكيف و كذلك استعمال الطريقة العددية نظير قوله الاستفزاز على ستة معانى .

(الرابع) ان فى عبارات الكتاب ما يشم منه ريح ادعاء صاحبه علم الغيب وهذا امر يجل عن مثله مقام على .

ثم قال ولسنا علم الله ممن يرى فى هذه الاسباب مجتمعة او منفردة دليلا او شبه دليل على ما ذهب اليه انصار هذه الفكرة ثم اجاب من عنده باجوبة تشاكل اصل الاشكال فى السقوط والانحطاط .

وقبل كل شىء يجب ان يعلم ان هذا كله من نتائج التعصب البغيض والحسد الفاضح على حد قول القائل .

حسدوا الفنى اذ لم ينالوا سعيه فالقوم اعداء له و خصوم

والافاين خلكان اولالم يذكر شخصاً معلوماً نسب اليه التشكك فى نهج البلاغة

وانما قال فى ترجمة السيد المرتضى من تاريخه : و قد قيل انه - اى مجموع نهج

البلاغة - ليس من كلام علي بن ابي طالب و انما الذي جمعه و نسبه اليه هو الذي وضعه ، فليس بعيداً ان يكون (قوله وقد قيل) من اختلافاته هو ولم ينسبه الي نفسه تكثيراً لايجاد الشبه والشكوك وهذا بمجرد لاقيمة له :
واما ابن خلكان في نفسه فانسان معروف بحب الصبيان ومن شواهد ذلك قوله في غلام اشهر في حبه .

لولا اكن في رتبة ارضي لها	العهد القديم صيانة للمنصب
لهتكت سرى في هواك ولدلي	خلع العذار ولو ألح مؤنبي
لكن خشيت بان تقول عواذلي	قد جن هذا الشيخ في هذا الصبي

وقوله فيه ايضاً

انا والله هالك	آيس من سلامتي
اوارى القامة التي	قدا قامت قيامتي

ومن احب التوسع في حاله فليراجع ترجمته في ذيل تاريخه المعروف وفيات الاعيان وفي غيره من الكتب : ومثل هذا الانسان ساقط الحيشة من وجهة الورع و التقوى ولو كان ثقة لحجزه الاحتياط عن ملاسة ما يقوده الى الضلال : فلا قيمة لقوله ولا حجة فيه .

واما ثالثاً فكون نهج البلاغة ليس من كلام علي عليه السلام وانما هو من كلام المرتضى او الرضى فشيء يكابر الضرورة من حال امير المؤمنين ومن حال من رواه عنه قبل ان يخلق الشريفان كما سيجيء .

واما رابعاً فان النفس الدافع لمضامين ما هو مبثوث في خطب نهج البلاغة و كتبه ووصاياه و مواعظه و حكمه قاطع بالضرورة انه لم يندفع الاعن حنجرة علي ذلك الديان الذي لم يتشكك في قدسيته وجميع مؤهلات الفضيلة فيه حتى اعداؤه .

فهذا السنا الواضح من ذلك السنا وهذا الشذا الفياح من ذلك الوادي

واما الاسباب التي ذكرها محمد يحيى الدين فهي على تفاهتها مردودة بان تعرض على معاوية وابن العاص وطلحة والزبير باللون الذي نجده في نهج البلاغة يعد من الادلة

القائمة على متانة على ﷺ وحلمه ومضغه للحوادث واهل الاحداث والهدع ولو كان غير على مكان على لجا من ماتهد له الجبال .

وقد سن الله سبحانه شريعة اللعن لمن يصد عن سبيل الله ويبغيها عوجاً حيث قال تعالى (الاية ٤٣ و ٤٤ من سورة الاعراف) لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجاً : وقال سبحانه (الاية ٢٧ من سورة الرعد) والذين يتقضون عهد الله من بعد ميثاقه ويقطعون ما امر الله به ان يوصل ويفسدون في الارض اولئك لهم اللعنة ولهم سوء الدار : وغير ذلك من الايات الكثيرة الواردة في مثل هذا المضمون : وكل هؤلاء المذكورين اخف جرائمهم الصد عن سبيل الله وشق عصا المسلمين ونقض العهد من بعد ميثاقه وقطع ما امر الله به ان يوصل والافساد في الارض واثارة الفتن والتعدى على حقوق الحاكم العادل .

واما ان فيه من آثار الصنعة كالسجع والجناس وما الى ذلك من المحسنات البديعية فهو قبل كل شيء وارد على كتاب الله وسنة نبيه فان فيهما من كافة الانواع المحسنة التي يذكرها البيانون ما يفوت حد الاستقصاء وقل ما يذكرون في ابواب المعاني والبيان والبديع مطلباً من المحسنات الا ويشعرونه بالاستشهاد عليه من الكتاب والسنة النبوية والشعر الجاهلي وصدر الاسلام فأحر به على تلميذ محمد وخريج مدرسة القرآن وابن الفصحاء البلغاء ان يجيء بكلامه على آخر مقياس فهمه ومرن عليه من كلام الله وحديث النبي ﷺ وما طرق سمعهم منذ نعومة اظفاره من نشر وشرع جديدين وما اوهبه من نبوغ ولسن وفصاحة : و بمثل هذا يقال عما فيه من دقة الوصف واستفراغ صفات الموصوف فان آيات القرآن الكريم و فقرات الحديث النبوي الشريف مملوءة بذلك :

واما ما فيه مما يشعر بعلمه ﷺ بالمغيبات فذلك يحال به الى ما صح عن رسول الله في هذا الباب فان علياً باب مدينة علم النبي وخريجه اللصيق به وموضع سره ومحل امانته وبعدها كله فمن وراء هذه الجمل تفاصيل تقرأها فيما يلي .
اما بالنسبة الى الصحابة - فنحن وفقاً للحق لا يجوز لنا ان نعترف لكل من

ادرك النبي ﷺ مسلماً ورآه لمجرد هذه السمة - بفضيلة : وانما نعترف بالفضل لمن آمن عن ايقان ودان للرسول باذعان وواساه في الشدائد واخذعنه علماً عمل به - وهذا هو ميزان فضيلة الصحابي .

اما الذي ادركه وصحبه ولم يتخلق بخلقه ولم يواسه ويهتد بهداه و لم تؤثر دعوته في قلبه ولاعلى اعضاءه فذلك هو المجرم حقاً البعيد عن مرضاة الله و الرسول قطعاً وفي جملة من ادركوه و رأوه كثير من هؤلاء المجرمين و لو اردنا ان نتوسع بذكرهم لضاقت بنا المقامولكننا نختصر شيئاً مما دون في هذا الموضوع تشبيهاً للاستدلال على هذه الدعوى .

قال ابن حجر في الاصابة (ج ١ ص ١٧ تحت عنوان الفصل الثالث في بيان حال الصحابة من العدالة) اتفق اهل السنة على ان الجميع عدول ولم يخالف في ذلك الاشدوذ من المبتدعة : ومع هذا فقد روى مسلم في الصحيح (ج ٧ ص ٦٥ وما بعدها) تحت عنوان باب اثبات حوض نبينا وصفاته عن ابي حازم عن سهل : و ابي سعيد الخدري : وعبدالله بن عمرو بن العاص : واسماء بنت ابي بكر : وعائشة : وام سلمة : و انس بن مالك : و اللفظ الذي نقله لانس ان النبي ﷺ قال ليردن على الحوض رجال ممن صاحبنى حتى اذا رايتهم ورفعوا الى اختلجوا دونى فلا قولن اى رب اصحابى اصحابى فليقالن لى انك لا تدري ما احدثوا بعدك : وفي رواية اخرى : فيقال اما شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا بعدك يرجعون على اعقابهم : الى نظير ذلك من العبارات : وقد سردنا هذه الروايات في ج ٤ ص ٣٨ وما بعدها من نتائج الفكر) وذكر ابن حجر في الاصابة و ابن عبد البر في الاستيعاب و ابن ابي الحديد في شرحه على النهج و الحاكم في المستدرک و ابن كثير في البداية و النهاية و غير هؤلاء مساوى و جرائم كثيرة لجملة من الصحابة تعرضنا لها في (ج ٤ من ص ٣٩ الى ص ٩٠ من نتائج الفكر ايضاً).

و مع هذا هل يستكثر على على انه ذكر جملة ممن يطلق عليهم لفظ الصحابة كما وية و ابن العاص و ابي موسى الاشعري و من الى ذلك بسوء و انه لهذه العلة يتشكك ابن

خلكان ومن كان على رويته في نسبة ما فيه تعريض بهؤلاء من نهج البلاغة الى على ع:
 - ملحوظة - لعل قائل يقول ما نضع بقوله تعالى (سورة التوبة الاية ١٠١) والسابقون
 الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه
 واعد لهم جنات تجري تحتها الانهار خالدين فيها ابداً ذلك الفوز العظيم .
 وبقوله تعالى (سورة الفتح الاية ٢٩) محمد رسول الله والذين معه اشداء على
 الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً ينتفون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في
 وجوههم من اثر السجود :

قلنا لادلالة في ذلك على شمول المفادين المزبورين لكل من ادرك النبي ص
 مسلماً وراة بل المفاد يعطى خلاف ذلك فان في جملة من تظاهر بالاسلام وقيل له
 صحابي من ثبت انه من المؤلفة قلوبهم وانه من المنافقين وانه مرتكب للمعاصي الكبار
 والجرائم العظام و مثل هؤلاء خارجون بالوجدان عن كل ملاك يوجب الاحترام
 في دين الاسلام فان قوله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعاً سجداً
 ينتفون فضلاً من الله ورضوانا سيماهم في وجوههم من اثر السجود لا يشمل بطرف
 خفي او جلي امثال ابي سفيان وولده معاوية والمغيرة بن شعبة وعمرو بن العاص الذين
 تظاهروا بكلمة الاسلام واجبلوا عليه بكل ما يستطيعون من تخريب لمبانيه وتحطيم
 لاتعاب محمد وذويه .

فضلا عن ان الكثير من الحديث النبوي الشريف والضروري من مجارى التاريخ
 وملاحظة كتاب الله فيما تعرض له من التنديد بالفاسقين ومرتكبي المعاصي والمنحرفين
 عن الجادة الموصى بها من ناحيته تعالى مما يصح بجلاء ان المنظور - بالذين
 مع محمد ص - و - بالسابقين الاولين - امر وراء ما يلوح من هاتين الفقرتين : وان
 الوجدان الصريح من حال الافراد هو الذى يحدد موقف المصداق من انطباق
 بعض العناوين عليه .

كيف يرضى الله عن الفاسقين امثال الوليد بن عقبة : وعن الخميرين السكيرين
 الزناة امثال المغيرة بن شعبة وضار بن الازور وقدامة بن مظعون ونعيان وخالد :

وعن الذين اراقوا دماء الاخيار الابرار بدون ادنى مجوز شرعى سوى ارضاء الشهوة
ونيل مرضاة الفسقة الذين استعملوهم امثال بسر بن ارطاة وحبيب بن مسلمة الفهري
وعن الذين اصرروا على السخرية والاستهزاء بالرسول امثال الحكم بن ابى العاص ونظير
هؤلاء كثير كالخريت بن راشد الناجي وربيعه بن يزيد السلمى و سفيان بن عوف
الغامدى وعمر بن العاص .

و كيف يرضى الله عن تعمد الكذب على رسول الله وقد صح عنه ﷺ انه قال
من تعمد الكذب على فليتبوء مقعده من النار امثال ابى هريرة الدوسى وسمرة
بن جندب : و كيف يرضى الله عن نصب العدا لآل رسول الله ﷺ و قرباه و قد
جعل تعالى محبة ذوى القربى اجر رسالة النبى وفي طليعة كل هؤلاء المجرمين معاوية
بن ابى سفيان العدو الالد لقربى رسول الله والقاتل للاخيار الاجلاء من صحابة و
تابعين عمداً من غير حق وصبراً بلا ادنى مجوز .

اذن فبالوجدان الذى لا تتخالجه ادنى شبهة يقطع بان من عناء من سبق
المهاجرين والانصار ومن الذين مع محمد رسول الله هم الذين صحبوا محمداً وكانوا
على وتيرته فى الدين والتقوى والورع وسائر صفات الخير : و شهدت لهم التجارب
بالاستقامة على حدود الله و شريعة رسول الله منذ اسلموا الى ان ماتوا : و ملاحظة
برامج الدين وسيرة الصالحاء من المتدينين وكلمات النبى ﷺ وامير المؤمنين و
الطريقة المثلى التى عليها اخيار المسلمين دليل قاطع على ذلك - فلينتفت الى
هذه النقطة جيداً ..

واما بالنسبة الى ما فيه من السجع والتنميق وسائر الانواع البديعية - فنقول
ان كل ما يذكره المحدثون فى شتات ابواب المعانى و البيان و البديع مما يعد
صنعته وجود منتشر فى شعرونثر الجاهليين والقدامى من المسلمين جاء الى خواطرهم
بالبديعية وعقوا خاطر وليس المحدث من كل ذلك الا الاصطلاح المعض حيث اخترع
المتأخرون اسم الاحتراس والتكميل و الالتفات و الارصاد ورد العجز على الصدر و
المنهب الكلامى والتجريد وما الى ذلك : ودونك فاستعرض من كتب البيان اى كتاب
شئت تجده يذكر قول علقمة الفحل :

طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب
يكلفني ليلي وقد شط و ليها وعادت عواد بيننا و خطوط
في مقام الاستشهاد على صنعة الالتفات و هو هنا من الخطاب الى التكلم : و
قول الخنساء .

و ان صخرأ لتأتم الهداة به كانه علم في راسه نار
وكذلك قول امرء القيس ،
كان عيون الوحش حول خباءنا
في مقام الاستشهاد على صنعة الايغال وهو ختم البيت بما يفيد نكتة في بيت الخنساء
هو قولها - في رأسه نار - وفي بيت امرء القيس هو قوله - لم تثقب .

و كلمة القبعثري - مثل الامير يحمل على الادمم والاشهب - في قول الحجاج
له : لاحملىك على الادمم : في مقام الاستشهاد على حمل الكلام على خلاف المراد
وهو من خلاف مقتضى الظاهر من فن المعاني : وقول النابغة الذبياني .

و لست بمستبق اخا لا تلمه على شعث اى الرجال المهذب
في الاستشهاد على صنعة التذييل وهو تعقيب جملة بجملة اخرى تشتمل على
معناها للتأكيد وهو هنا تعقيب لا تلمه على شعث بقواه اى الرجال المهذب فان الجملتين
بمعنى واحد : وقول طرفة بن العبد :

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع و ديمة تهى
لصنعة التكميل وهو ان يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه وهو هنا
قوله غير مفسدها . وقول امرء القيس .

كأن قلوب الطير رطباً و يابسا لذي وكرها العناب والحشف البالى
لصنعة التشبيه الملفوف وهو ان يؤتى اولاً بالمشبهات على طريق العطف او غيره
ثم بالمشبه به كذلك : وقول المرقش العبدى .

النشرمسك والوجوه دنانير و اطراف الاكف غم
لما فيه من التشبيه المفروق وهو ان يؤتى بـمشبه و مشبه به ثم بآخر و آخر . وقول

فاطمة بنت الخرشب الانمارية لمن سأله عن بنيتها - هم كالحلقة المفرغة لا يدري اين طرفاها - لمافيه من التشبيه المجمل وهو ما لم يذكر وجه الشبه فيه : وقول يزيد بن مسلمة بن عبد الملك .

و اذا احتبى قربوسه بعنانه
وكذلك قول كثير عزة .

اخذنا باطرف الاحاديث بيننا
وكذلك قول طفيل الغنوي .

وجعلت كورى فوق ناجية
للاستعارة الغريبة و هي فى الاول قوله : واذا احتبى قربوسه : وفى الثانى و
الثالث مصراعها الاخير : وقول زهير بن ابى سلمى .

لدى اسدشاكى السلاح مقذف
لمافيه من الاستعارتين التجريدية والترشيفية : وقول زهير ايضاً .

صحنا القلب عن سلمى واقصر باطله
لاشتماله على الاستعارتين الكنائية والتخييلية : وقول ابى ذؤيب الهذلى .

واذا المنية انشبت اظفارها
لاشتماله على الاستعارتين المزبورتين : وقول عمرو بن معديكرب .

اذا لم تستطع شيئاً فدعه
و جاوزه الى ما تستطيع

لما فيه من صنعة الارصاد وهوان يؤتى قبل العجز بما يدل عليه : وقول زهير ايضاً .

قف بالديار التى لم يعفها القدم
بلى وغيرها الارواح والديم

لما فيه من صنعة الرجوع و هو العود الى الكلام السابق بالنقض لنكته :

وقول المتلمس .

ولا يقيم على ضيم يراد به
الا الاذلان غير الحى والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته
وذا يشج فلا يرثى له احد

لمافيه من صنعة التقسيم : وقول امرىء القيس .

- وشوهاء تعدوني الى صارخ الوغى
بمستلثم مثل الغنيق المرحل
لما فيه من صنعة التجريد : وقول الاعشى .
ياخير من ير كب المطى ولا
لصنعة التجريد والكناية معاً : وقول النابغة الذبياني .
حلقت فلم اترك لنفسك ربية
وليس وراء الله للمرء مطلب
لئن كنت قد بلغت عنى جناية
لمبلغك الواشى اغش واكذب
ولكننى كنت امرء لى جانب
من الارض فيه مستراد ومذهب
ملوك واخوان اذا مامدحتهم
احكم فى اموالهم واقرب
كفعلك فى قوم اراك اصطنعتهم
فلم ترهم فى مدحهم لك اذنبوا
لما فيه من صنعة المذهب الكلامى : وقول الكميت .
احلامكم لسقام الجهل شافية
كما دماؤكم تشفى من الكلب
لما فيه من صنعة التفريع وهوان يثبت لمتعلق امر حكم بعداياته لمتعلق له آخر :
وقول النابغة الذبياني .
ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم
بين فلول من قراع الكتاب
لما فيه من تأكيد المدح بما يشبه الذم : وقول الحسين بن عبدالله العرجي
بالله يا ظبيات القاع قلن لنا
ليلاى منكن ام ليلي من البشر
لما فيه من صنعة تجاهل العارف : وقول الشاعر الجاهلي .
ان يقتلوك فقد ثلثت عروشم
بعتيبة بن الحارث بن شهاب
لما فيه من صنعة الامزاد وهوان تأتى باسم الممدوح او غيره واسماء آباءه على
ترتيب الولادة ، وقول النعمان بن بشير الانصارى .
الم تبتدركم يوم بدر سيوفنا
وليك عماناب قومك نائم
للجناس المطلق : وقول حسان بن ثابت .
وكنا متى يفرز النبي قبيلة
نصل جانيه بالقنا والقنابل
للجناس المذيل : وكذلك قول النابغة :

- لها نارجن بعد انس تحولوا
وقول عبدالله بن رواحة .
و زال بهم صرف النوى والنواب
- تحمل الناقة الادماء معنجراً
للجناس المقلوب : وقول النابغة الذبياني .
بالبرد كالبرد جلي نوره الظلما
- فتى تم فيه ما يسر صديقه
لصنعة المقابلة وهو ان يؤتى بمعنيين او اكثر ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب
وقول جرير .
على ان فيه ما يسوء الاعاديا
- اذ انزل السماء بارض قوم
لصنعة الاستخدام وهو ان يراد بلفظ له معنيان احدهما ثم يراد بضميره معناه
الآخر : وقول زهير .
رعيناه و ان كانوا غضايا
- اخو ثقة لا يهلك الخمر ماله
لصنعة الاستدراك : وقول ابي صخر الهذلي .
اما والذي ابكى واضحك والذي
أماات واحيي والذي امره الامر
- اذا المرء لم يخزن عليه لسانه
لصنعة الطباق وهي الجمع بين المعنيين المتقابلين : وقول امرئ القيس .
فليس على شيء سواه بخزان
- لصنعة ارسال المثل : وقول ليلي الاخيلية .
اذا نزل الحجاج ارضاً مريضة
شفاها من الداء العضال الذي بها
سقاها دماء المارقين و علها
- لصنعة تشابه الاطراف وهو ان يكون آخر البيت اولاً في البيت الذي يليه : و
قول الحماسي .
رمى الحدثان نسوة آل حرب
فرد شعورهن السود بيضاً
- بمقدار سمدن له سمودا
ورد وجوهن البيض سودا
- لصنعة العكس وهو ان تقدم في الكلام جزء تم تعكس فتقدم ما اخرت وتؤخر ما

قدمت : وقول الفرزدق :

لقد جئت قوماً لو لجأت اليهم طريد دم او حاملا ثقل مفرم
لا لقيت فيهم معطياً او مطاعنا وراءك شزراً بالوشيح المقوم

لصنعة التفسير: الى غير ذلك مما لا يحصى الا في أسفار .

و اما بالنسبة الى دقة الوصف و استعمال الطريقة العددية و التعبير بالايين و

الكيف و نظير ذلك فهو قبل كل شيء موجود بكثرة في كتاب الله و لاجل اعطاء النموذج

نذكر قوله تعالى في بيان التفات و شرح حال المنافقين (سورة البقرة الاية ١٧ و ما

بعدها) مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً فلما اضاءت ما حوله ذهب الله بنورهم و تركهم

في ظلمات لا يبصرون صم بكم عمى فهم لا يرجعون او كصيب من السماء فيه ظلمات

و رعد و برق يجعلون اصا بعمهم في آذانهم من الصواعق حذر الموت و الله محيط

بالكافرين يكاد البرق يخطف ابصارهم كلما اضاء لهم مشوا فيه و اذا اظلم عليهم قاموا .

وقوله تعالى في استفراغ صفات الموصوف (سورة البقرة الاية ٦٧ - وما بعدها)

واذ قال موسى لقومه ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزوا قال اعوذ

بالله ان اكون من الجاهلين قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي قال انه يقول انها

بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون قالوا ادع لنا ربك يبين لنا

مالونها قال انه يقول انها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين قالوا ادع لنا ربك

يبين لنا ما هي ان البقر تشابه علينا وانا ان شاء الله لمهتدون قال انه يقول انها بقرة

لاذلول تثير الارض و لاتسقى الحرث مسلمة لاشية فيها .

و قوله تعالى في مقام السبر و الاستقصاء للانتقال منه الى تثبيت اصل اولي

(سورة البقرة الاية ١٦٤ و ما بعدها) ان في خلق السموات و الارض و اختلاف الليل

و النهار و الفلك التي تجري في البحر بما يتقع الناس و ما انزل الله من السماء من ماء

فأحى به الارض بعد موتها و بث فيها من كل دابة و تصرف الرياح و السحاب المسخر

بين السماء و الارض آيات لقوم يعقلون .

بين السماء و الارض آيات لقوم يعقلون .

وقوله تعالى في مقام التقسيم و استعمال الطريقة العددية (سورة البقرة الاية ٢٢٩)

الطلاق مرتان فأمسك بمعروف أو تسريح باحسان .
 وقوله في نظير ذلك (سورة آل عمران الآية ١٤) زين للناس حب الشهوات
 من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام
 والحراث .

وقوله في مثل ذلك ايضاً (سورة آل عمران الآية ١٠٦) يوم تبيض وجوه و
 تسود وجوه فاما الذين اسودت وجوههم اكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما
 كنتم تكفرون واما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون .

وقوله في نظير مامر (سورة الانعام الآية ١٤٣) ثمانية ازواج من الضان اثنين
 ومن المعز اثنين - الى ان يقول - ومن الابل اثنين ومن البقر اثنين : الخ .

وقوله في طراز ما سلف (سورة الاعراف الآية ١٤١) واعدنا موسى ثلاثين
 ليلة واتممناها بعشر فتم ميقات ربه اربعين ليلة .

وقوله تعالى في مقام وصف واجب الوجود بطور فلسفي (سورة الانعام الآية ١٠٣)
 لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير .

وفي القرآن من هذا القبيل ونظيره شيء كثير غير قابل للاستقصاء في مثل هذا
 الموضوع : ويوجد ايضاً في حديث النبي ص بكثرة فقي التاج للاصول في احاديث
 الرسول (ج ١ ص ١٤ و ما بعدها) عن انس بن مالك عن النبي ص قال ثلاث من كن
 فيه وجد حلوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء
 لا يحبه الله تعالى وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار .

وعنه ص انه قال الايمان بضع وسبعون او بضع وستون شعبة فأفضلها قول لا اله
 الا الله وادناها امانة الاذي عن الطريق والحياء شعبة من الايمان وفي الامثال واستغراغ
 صفات الموصوف ما رواه (في التاج ج ١ ص ٣٥ وما بعدها) عن ابي موسى عن النبي
 ص انه قال ان مثلي ومثل ما بعثنى الله به كمثل رجل اتى قومه فقال يا قوم اني رأيت
 الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا
 فانطلقوا على مهلتهم وكذبت طائفة منهم فأصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم

واجتاحهم فذلك مثل من أطاعني واتبع ماجئت به ومثل من عصاني وكنب ما جئت به من الحق: وعن جابر عن النبي ص انه قال ان اصدق الحديث كتاب الله واحسن الهدى هدى محمد و شر الامور محدثاتها و كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و كل ضلالة في النار .

وعيناً نحاول الاكثار من هذا ونظيره فهو اكثر من الكثير في الحديث النبوي الشريف : هذا وليت شعري ما ارتباط وصف الخفاس و الطاووس و النملة بالفلسفة المصطلحة وهكذا عالم الالهيات الذي هوورد السنة الانبياء والاصياء بفلسفة اليونان والفرس وهل عرف المتكلمون والفلاسفة الاسلاميون مباحث الالهيات على محور الدين الاسلامي الامن طريق اسياده وسنته وكتابه و كلمات رؤساء الامائل وفي طليعتهم النبي محمد والوصي علي والاطايب الاطهار من ذريته ولقد شاع عام الكلام بين المسلمين في نفس التابعين و تابعيهم ومن تلمذ عليهم قبل ان يعرف المسلمون فلسفة اليونان وغيرها من الفلسفات الاصطلاحية وهذا كتاب الله وما اثر عن النبي ﷺ وعلي والحسين والسجاد في صحيفته المشهورة والصادقين من العلم الكثير الذي ضبط عنهما اقوى شاهد على ذلك و كفى

واما بالنسبة الى ما يشم في بعض فصوله من علم الغيب والاخبار عن مستقبل الامور - فما يبعد بعلي عن ذلك بعد صحة صدوره عن الرسول ﷺ وهو باب مدينة علمه و الخسيس به و موضع سره و افضل من تخرج عليه و الصق الناس به : و قد تواتر عن النبي ﷺ مضمون اعلميته و افضليته و عمق مكاتته و اعترف بذلك احرار الافاضل من الناس فقد قال ابو نعيم الاصفهاني (ج ١ ص ٦١ من حلية الاولياء) هو باب مدينة العلم والعلوم ورأس المخاطبات و مستنبط الاشارات راية المهتدين و نور المطيعين و ولي المتقين و امام العادلين اقدمهم اجابة و ايماناً و اقومهم قضية و ايقاناً و اعظمهم حلماً و اوفرهم علماً علي بن ابي طالب : و روى في حقه - حديث : انا دار الحكمة و علي بابها : و عن النبي ﷺ انه سئل عن علي فقال قسمت الحكم عشرة اجزاء فاعطى علي تسعة اجزاء و الناس جزء واحداً : و انه صلى الله عليه و آله قال :

يا على اخصمك بالنبوة ولانبوة بعدى وتخصم الناس بسبع ولا يحاجك فيما احد من قريش انت اولهم ايماناً بالله واوفاهم بعهده الله واقومهم بامر الله واقسمهم بالسويقوا عدلهم فى الرعية وابصرهم بالقضية واعظمهم عند الله مزية - وانه صلى الله عليه وسلم قال - يا على ان الله امرنى ان ادنيك واعلمك لتعى وانزلت هذه الاية وتعيها اذن واعية فانت اذن واعية لعلمى : وقال ابن عباس كنا نتحدث ان النبى صلى الله عليه وسلم عهد الى على سبعين عهداً لم يعهد الى غيره .

راجع لامثال هذه المضامين مما يعود للعلم والفضيلة واللصوق بالنبى صلى الله عليه وسلم طبقات ابن سعد (ج ٤ ص ١٥٤ وما بعدها) والاستيعاب فى ترجمة على : والمحب الطبرى فى ذخائر العقبى (ص ٧٦ - وما بعدها) : والمتقى الهندى فى منتخب كنز العمال (ج ٢ ص ٣٤٥ وج ٥ ص ٣٠ وما بعدها) : والكنجى فى كفاية الطالب ص ٨٤ و ما بعدها : والنسائى فى خصائصه ص ٥٨ وما قبلها وبعدها : والفصول المهمة ص ١٦ : وتذكرة الخواص ص ٥٣ : والمستدرك للحاكم ج ١ ص ٢٥٨ و ص ٤٧٢ وج ٣ ص ١٢٢ وما بعدها وج ٤ ص ٣٨٨ وما بعدها : والاغانى لآبى الفرج (ج ١ ص ٣٣٠) : والمعتصر (ج ٢ ص ٣٠١) : ومنايع العوده (ج ١ ص ٦٨ وج ٢ ص ٢ و ما بعدها) واسعاف الراغبين ص ١٥٦ : و تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٦٦ : و ابا الفرج ابن الجوزى فى موضوعاته ج ١ ص ١٢٠ : وتعقبنا له فى نتائج الفكر ج ٤ ص ١٦٧ و ما بعدها : والشرح الحديدى على نهج البلاغة ج ١ ص ٦ و ما بعدها : الى غير ذلك مما لا يسعنا التعرض له فعلاً . وزاجع له حد الاقل ما دونناه فى مرحلة العلم والفهم والفضيلة من كتابنا نتائج الفكر (ج ٤ من ص ١٥٢ الى ص ١٨١) .

على ان امير المؤمنين عليه السلام اسند جملة من اخباره عن الغيب الى نفس رسول الله صلى الله عليه وسلم : فمن ذلك قوله (النهج الحديدى ج ٢ ص ١٩٣) ايها الناس لا يجر منكم شقاقى ولا يستهوينكم عياني ولا تتراموا بالابصار عند ما تسمعونه منى فوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة ان الذى اُنبتكم به عن النبى الامى ص والله ما كذب المبلغ ولا جهل السامع لكاني انظر الى ضليل قد نعق بالشام وفحص براياته فى ضواحي كوفان - الخ - .

وقوله أيضاً (النهج الحديدى ج ٢ ص ٣٦١) فى وصف الاتراك : كانى اراهم قوماً كان وجوههم المجان المطرقة - الى ان يقول - فقال له بعض اصحابه لقد أعطيت يا امير المؤمنين علم الغيب فضحك عليه السلام وقال للرجل وكان كليباً يا اخا كلب ليس هو بعلم غيب وانما هو تعلم من ذى علم وانما علم الغيب علم الساعة وما عدده سبحانه بقوله ان الله عنده علم الساعة الآية - حتى يقول - فهذا علم الغيب الذى لا يعلمه احد الا الله وما سوى ذلك فعلم علمه الله نبيهص فعلمنيه ودعالى بأن يعيه صدرى وتضطم عليه جوانحى : الى غير ذلك .

هذا وقد قال المسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ للهجرة اى قبل أن يولد الشريف الرضى بثلاثة عشر عاماً فان الشريف الرضى ولد سنة ٣٥٩ للهجرة وتوفى سنة ٤٠٦ فى كتابه مروج الذهب عند تعرضه لفصول من كلامه ع فى مقام ترجمته (ج ٢ ص ٤٣١) و الذى حفظ الناس عنه من خطبه فى سائر مقاماته اربعاً خطبة و نيف و ثمانون خطبة يورد ها على البديهة تداول الناس ذلك عنه قولاً وعملاً .

وقال الشارح المعتزلى فى مقدمة شرحه على النهج (ج ١ ص ٨) واما الفصاحة فهو (ع) امام الفصحاء وسيد البلغاء وعن كلامه قيل دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوق و منه تعلم الناس الخطابة والكتابة : قال عبدالحميد بن يحيى حفظت سبعين خطبة من خطب الاصلح ففاضت ثم فاضت : وقال ابن نباتة حفظت من الخطابة كنزاً لا يزيد الانفاق الا سعة و كثرة حفظت مائة فصل من مواعظ على بن ابي طالب : ولما قال محض بن ابي محضن لمعاوية جئتكم من عند اعبي الناس قال له : ويحك كيف يكون اعيا الناس فوالله ما سن الفصاحة لقريش غيره : ويكفى هذا الكتاب الذى نحن شارحوه دلالة على انه لا يجارى فى الفصاحة ولا يبارى فى البلاغة وحسبك انه لم يدون لاحد من فصحاء الصحابة العشر ولا نصف العشر مما دون له وكفاك فى هذا الباب ما يقوله ابو عثمان الجاحظ فى مدحه فى كتابه البيان والتبيين وفى غيره من كتبه - اهـ - وقال الشارح المعتزلى ايضاً فى شرحه على الخطبة الشقشقية (ج ١ ص ٦٩) واما قول ابن عباس ما اسفت على كلام - الخ - فحدثنى شيخى ابو الخير مصدق بن

شبيب الواسطي في سنة ثلاث وستمائة قال قرأت على الشيخ ابي محمد عبدالله بن احمد المعروف بابن الخشاب هذه الخطبة - الى ان يقول - فقلت له اتقول انها منحولة فقال لا والله وانى لاعلم انها كلامه كما اعلم انك مصدق قال فقلت له ان كثيراً من الناس يقولون انها من كلام الرضى ره فقال انى للرضى ولغير الرضى هذا النفس وهذا الاسلوب : قد وقفنا على رسائل الرضى وعرفنا طريقته وفنه في الكلام المشهور وما يقع مع هذا الكلام في خل ولاخمر ثم قال والله لقد وقفت على هذه الخطبة في كتب صنعت قبل ان يخلق الرضى بمائتي سنة ولقد وجدت ما مسطورة بخطوط اعرفها واعرف خطوط من هومن العلماء واهل الادب قبل ان يخلق النقيب ابو احمد والد الرضى - قلت - وقد وجدت انا كثيراً من هذه الخطبة في تصانيف شيخنا ابي القاسم البلخي امام البغداديين من المعتزلة وكان في دولة المقتدر قبل ان يخلق الرضى بمدة طويلة ووجدت ايضاً كثيراً منها في كتاب ابي جعفر بن قبة احد متكلمي الامامية وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب الانصاف وكان ابو جعفر هذا من تلامذة الشيخ ابي القاسم البلخي ومات في ذلك العصر قبل ان يكون الرضى موجوداً . وقال ابن ميثم البحراني في (ج ١ ص ١٠٢ من شرحه على النهج) قال قطب الدين الراوندي رحمه الله سمعت بعض العلماء بالحجاز يقول انى وجدت بمصر مجعوعاً من كلام علي في نيف وعشرين مجلداً - اهـ .

هذا وقد ذكر الشيخ المفيد في الارشاد والكليني في الكافي والجاحظ في البيان والتبيين والمبرد في الكامل وغير هؤلاء فصولاً جمة في مواضع شتى لامير المؤمنين علي عليه السلام فراجع حد الاقل ص ١٠٧ الى ص ١٤٤ من الارشاد للمفيد وكل هؤلاء سابقون في الزمان على الشريف الرضى : ولو اردنا التوسع في ذكر الكتب والمؤلفين الذين سبقوا الشريف زماناً وتناولوا قليلاً او كثيراً مما اثر عن علي عليه السلام من خطبة او كتاب او وصية او موعظة او حكمة بليغة لضاقت بنا المجال وخرجنا عن حدود الموضوع : هذا مع ان الشريف الرضى قد تعرض في جملة من المقامات لنسبة الخطبة الى كتاب وجدناه فيه واخذها منه وهكذا ابن ابي الحديد في كثير من موارد شرحه :

على ان النفس الذى يلمسه القارىء من مضامين مواعظه وزواجره وارشاداته ووصاياه وما يبيته عن ذات نفسه وما واجهه من الخطوب والحوادث وغير الزمان وعلل الاشخاص دليل قاطع على ان قائله ممن تأثر بالدواعى المومأ اليها تأثراً لا مزيد عليه لمستزيد ولم يوجد بعد رسول الله فى كافة المسلمين سابقاً ولا حقاً من طلع بهذه الطلعة سوى على وقد شهدت له الدنيا وافاضل اهلها بكل ذلك .

وفى خاتمة المطاف يكفيننا اعتراف العلامة الشيخ محمد عبده بكتاب نهج البلاغة على جملته وتفصيله واطرائه اياه باللون الذى تقرأه حيث يقول
وبعد فقد اوفى لى حكم القدر بالاطلاع على كتاب نهج البلاغة مصادفة بلا تعمل أصبته على تغير حال وتبلبل بال وتزاحم اشغال وعطلة من أعمال فحسبته تسليّة وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته وتأملت جملاً من عباراته من مواضع مختلفة ومواضع متفرقات فكان يخيل لى فى كل مقام ان حروباً شبت و غارات شنت و ان للبلاغة دولة وللصاحبة صولة وان للاوهام عرامة وللريب دعاة وان جحافل الخطابة وكتائب الذرابة فى عقود النظام و صفوف الانتظام تنافح بالصفيح الابلج والقويم الاملج و تمتلج المهج برواضع الحجج فنقل من دعاة الوسوس و تصيب مقاتل الخوانس فما انا الا : والحق منتصرو الباطل منكرو ومرج الشك فى خمود و هرج الريب فى ركود .

وان مدير تلك الدولة وباسل تلك الصولة هو حامل لوائها الغالب امير المؤمنين على بن ابي طالب بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع احس بتغير المشاهد و تحول المعاهد فتارة كنت اجدى فى عالم يعمره من المعانى ارواح عالية فى حلال من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية وتدنو من القلوب الصافية توحى اليها رشادها وتقوم منها مرادها وتتقربها عن مداحض المزال الى جواد الفضل و الكمال : الى ان يقول بغد فصول : ذلك الكتاب الجليل هو جملة ما اختاره السيد الشريف الرضى - رحمه الله - من كلام سيدنا ومولانا امير المؤمنين على بن ابي طالب - كرم الله وجهه - جمع متفرقه وسماه هذا الاسم (نهج البلاغة) ولا اعلم اسماً اليق بالدلالة

على معناه منه وليس في وسعي ان اصف هذا الكتاب بما زيد مما دل عليه اسمه - الى آخر مقال -

وبعد هذا فاننا ندرس نهج البلاغة دراسة موضوعية على عناوين شتى .

(١) نهج البلاغة والتوحيد وتحليل العقائد .

(٢) نهج البلاغة وتعريفه للاسلام .

(٣) نهج البلاغة في المواعظ والزواجر .

(٤) نهج البلاغة في العلوم والفنون .

(٥) نهج البلاغة في التقود والردود .

(٦) نهج البلاغة في السياسة وادارة امور الناس .

(٧) نهج البلاغة في الحكم والامثال .

(٨) نهج البلاغة في الجهاد ومناجزة الاعداء لاحقاق الحق وابطال الباطل فيها

فصول ثمانية تتكلم على الفصل منها تلوا الفصل على الترتيب الذي اسلفناه .

(١- نهج البلاغة والتوحيد وتحليل العقائد)

قال عليه السلام (ج ١ ص ٢٩٢ من الشرح الحديدي الطبعة الاولى بمصر) الحمد لله الذي بطن خفيات الامور ، ودلت عليه اعلام الظهور ، وامتنع على عين البصير فلا عين من لم يره تنكره ، ولا قلب من اثبته يبصره ، سبق في العلو فلا شيء اعلا منه ، وقرب في الدنو فلا شيء اقرب منه ، فلا استعلاؤه باعده عن شيء من خلقه ، ولا قرب به ساواهم في المكان به ، لم يطلع العقول على تحديد صفته ، ولم يحجبها عن واجب معرفته فهو الذي تشهد له اعلام الوجود على اقرار قلب ذي الجحود تعالى الله عما يقول المشبهون به والجاحدون له علواً كبيراً .

يجب ان يلتفت الدارس لهذه الفصول الى ان ما نستقبله بالبحث نقاط ثلاثة

ونقطة البحث عن مبدأ المبادئ واصل كل الاصول .

ونقطة تكون العوالم وتنوعها الى انواعها المتكثرة .

ونقطة الحكمة في تسيير المخلوقات على ما هي عليه سابقاً ولاحقاً .
 وانه لا ربط لكل نقطة من هاته النقاط الثلاثة بالنقطة الاخرى: وفي بحثنا هذا
 انما نتعرض للكلام على النقطة الاولى فحسب : فنقول .
 نحن مشياً مع ذوق العصر الحاضر يلزمنا ان نبحث عن وجود الصانع بحثاً يواكب
 الفلسفة الدارجة في الغرب المأخوذ بها في الشرق لتقند علماء المادة وننقذ اخواننا
 الشرقيين - حداً الاقل - من هوة الالحاد الماحق فنقول قبل كل شيء: نحن نعلم بالقطع
 ان في افراد النوع الانساني اناساً بلغوا الغاية في المثالية و كانوا معجزة الدهر في
 بني آدم قدساً وايماناً وعبادة مع تبجرهم العميق في الكون والكونيات ولانكاد العقول
 تستريب في ان عبادتهم كانت عبادة مر كزة على واقع مكشوف لهم لاشان المتعبدين من
 طغمة الناس .

مثلاى انسان من البشر المتنور لا يعرف على بن ابي طالب ولا يعتقد بمثاليته
 وقدسه وتقواه ولم يقف من كلامه في منشآت مواضعه على تعريفه و تمجيده للمبدء
 الاعلا تمجيداً يأخذ بالاسماع والقلوب ، على ما صادفه على في دنياه من اذى وبلاء
 استمر معه من لدن أن شب واخذاً يزداد ان الى جانبه كل ما كبرنا وزاد معنوية
 الى ان قتل ونراه كل ما ازداد بلاء ازداد عبادة وتفويضاً وشكراً .

واذا قارنا بين هذه المقدمات يحصل لنا القطع بان امثال هذه الذوات وقفاً من
 ناحية المبدأ الاعلا على اسرار غمضت على غيرهم ومن طريق غموضها نراهم يفتشون عن
 هذا المبدأ العظيم من طريق الدليل العقلي او هذه الاثار الشاخصة في عرصة الوجود
 من شمس و اعمار و انسان وحيوان : و بما ان اغلب الناس من اهل هذه الطبقة
 القائمة في الحياة على ما توحى اليها عقولها او تلمسه حواسها لزمنا ان نبحت عن
 الصانع من طرق هؤلاء لا من الطريق الذي سلكه المثاليون العظام : لان الطرق
 الاولى يمكننا ان نعالجها بسهولة : و طريق المكاشفة طريق و عرو لم يسلكه من
 مجموعة بني الانسان الضخمة العدد الا افراد منزورون جداً وهم من ثبتت مثاليتهن
 باليقين الصادق للناس : ولذلك نقول .

ان الانسان من ست جهاته يرى بعينه المسلحة والمجردة عوالم ذخارة بالعجائب اخاذة بالعقول خلاية للافكار غير متناهية في عجائبها وغرائبها و لاتزال على مرور الزمان تنكشف عن خبايا تقهر القلوب والعقول في بدائعها وروائعها سواء في منظومات الشمس والاقمار والكواكب ام في ذخائر الارض وكنوزها ام في البحار وما يسبح فيها ويقر في قعودها من ملايين الحيوانات المختلفة الشكول والحقائق ام في الانسان والحيوان و النبات القائم على وجه الارض المتنوع الى حدود لا تحصى و المختلف جوهرها ومعنى : ولانراه يسيغ له لبه وغقله او ضميره ووجدانه بان يعتبر كل ما في هذه الاكوان وجد عفواً لا عن قصد وحصل صدفة لامن طريق حكمة وكان لا عن مكون فان هذه الخاطرة لاتجول في اى ذهن يفرض : وان ادعاها المادى الملحد فـ و يقولها لفظاً بادىء الامر ويعجز عن تثبيتها لاول مرة من وروده في البحث .

كيف لا يعجز وهو يرى بأحداقه المفتحة ملايين الملايين من الخلايا الحية في جسم حيوان واحد و كل فصيلة منها تشكل جهازاً خاصاً ذاشب و نقرعات واعدادات يقل الشرح ومهما طال عن بيان خصوصياتها ووظائفها واعمالها الجبارة : فـجهاز المخ والمخيق وجهاز السمع والبصر وجهاز الشم والذوق و اللمس : و جهاز المضغ و البلع : وجهاز القلب والرئة : وجهاز الكبدو الكليتين : وجهاز الطحال والدورة الدموية : وجهاز الهضم والترشح والدفع و البول : وجهاز التباضع والتناسل : وجهاز الاعصاب والعروق وجهاز العضلات والغضاريف : واجهزة الغدد و العظام : و مالكل جهاز من اتصالات وفوائد وآثار .

وقد اثبت علماء الطبيعة والتشريح في بنيان الانسان مجموعات خطيرة لخلاياه تعمل كل مجموعة منها لمنظور واحد مشخص واهم المجموعات عبارة عن : المجموعة الغشائية : الغددية : التركيبية : الغضروفية : العظمية : الدموية : العضلانية : العصبية : الدهنية : وأطالوا البحوث القيمة القائمة على اساس التجزئة والتحليل في الدم والدورة الدموية وعمل القلب والشرايين حمرها وسودها صغارها وكبارها : وفي عمل التغذية والمضغ والهضم الشامل للقم والحلق والمرى والمعدة والمعائين الضيق والواسع

وفي غدد الهضم وغدد المعدة وغدد الامعاء وغدد لوز المعدة وغدد الكبد : و في الاعمال الميكانيكية للمضغ والبلع والمعدة والمعائين والاعمال الكيميائية لهذه الجهازات ايضاً : وفي خواص الكبد ولوز المعدة بالنظر الى هضمها : وفي الجذب وما في عوالمه من غرائب : و في عمل التنفس و الاكياس الهوائية التي يقرب تعدادها في الرئتين من مليوني كيس و وجود هذه البيوت هو الذي يوسع سطح تبادل الغازات حتى ان سطح التبادل في مجموع الرئتين قد يصل الى ١٥٠ بل الى ٢٠٠ متر مربع : وهذا هو الذي يجعل مركزية بيوت الرئتين مهمة عظيمة .

وفي جهاز دفع الادرار الشامل للكليتين و للمجاري من الطشت و الحالب والمثانة ومجرى الخروج : وما في انايب الادرار من غرائب تبهر العقل وتحير العاقل حتى انهم ذكروا ان الا نايب المزبورة تتراوح بين المليونين و الاربعة ملايين انبوب : و ان هذه الانايب الدقيقة جداً لا جل تصفية الدم تعمل في محيط واسع : و في الاعمال الارتباطية من غدد لها فعالية مهمة كا لتيروئيد : مسامير التيروئيد : التيموس : غدد الكلية : الهيبوفيز : لوز المعدة : الكبد : غدد التناسل . و غير غدد .

وفي جهاز الارتباط من البنية العظمية المركبة من ٢٠٨ عظام والقائمة باعمال واجهزة جبارة وفي الطحال وعمل الارتباطات العصبية في شبكة الاعصاب المهمة وفي اعمال المخ والمخيخ والنخاع وانشعاباتها ومراكزها المنظمة المعظمة : وفي جهاز اللمس الجبار ذي الخواص والانشعابات الكثيرة : فقد ذكروا من بعض خواص الجلد ان التقاط الجلدية اللاقطة للبرودة في البدن تبلغ ٢٥٠/٠٠٠ الفأ و ان اللاقطة للحرارة تبلغ ٣٠/٠٠٠ الفأ و ان اللاقطة للالام فيه تبلغ ٣/٥٠٠/٠٠٠ الف الى غير ذلك : و في جهاز الذوق والشم المهمين : وجهاز السمع و البصر العظيمين : الى ما سوى ذلك من جهاز يقوم في محيطه بعمل حيوي جبار يقف امامه ذو البصيرة في حيرة وبهت لانهاية لهما .

أترى ان الانسان يأخذه مديد العجب من مضخة الماء ووسائل توليد الكهرباء

وسفينة الفضاء لانه يرى في ذلك صنعة ودقة وفنا وعملا جباراً و لا يتخالجه الشك في نسبتها الى الافذاذ الذين قاموا با شادتها و وجوب تعظيمهم و الخضوع لهم ثم تراء بالنسبة الى عوالم الارض والسماء ذات العظمة القهارة والاثار الجبارة يدعى الصدفة في وجودها والاتفاقات غير المحسبة في كينونتها ويشك او يقطع بعدم وجود ما هو اعظم منها قد صورها ودبرها وسيرها لمقاصد حكيمة هذا ما لا يجيزه العقل منسوباً الى عاقل اصلا : اذن فهناك مبدء قهار ونقطة انبعاث جبارة هي التي كبست هذه العوالم بهذه الذخائر الدالة بآثارها المنظمة وصنعتها المحكمة و سلطانها القهار على ان هذه الصنعة قد صفي حسابها وعدل نظامها و اوقع كل شيء منها في نصابه اللائق به بدقة عميقة حتى تؤتى عوائدها المتوخاة وفوائدها المرادة لمقصد من المقاصد الغامضة او الجلية من الحياة .

و عدم وصول الافكار و الحواس الى صميم هذا المبدأ و مركز هذه النقطة و غموض هويتها لا يبرر لها الوجود والانكار كما لا يجيز لها التفاضل عن وجودهما : و هذا الذي امليناه يعد في طبيعة مدركات العقول : ولم اربدورى فيما قرأت وطالعتو رأيت من اقوال الماديين ما ينفي هذا اصلا : وانما قرأت ورأيت شروحا مبسوطة في مباحث النشوء والنماء وتنازع البقاء وانتخاب الطبيعة للفرد الاصلح و ما الى ذلك من نظيرو هذه كلها بعد تسليمها - وهيئات - لانتهى هذا المبدأ ولا تزاحمه على قدسه بل لا ترتبط به في مطافها وانما تستعرض امورا وراء ذلك .

لكن هذا المعنى وحده بنحوه الجملى لا يكفي المكلف بنظر الشرع في معرفة الصانع بل يحتاج الى توسع فيه و ان كان يكفي في طرد المادى عن مزاعمه التي يحاولها من طريق دراساته التي آتقنا فهرسها : اذن فهلم بنا الى قول امير المؤمنين عليه السلام في هذا المجال .

فان قوله ، دلت عليه اعلام الظهور ، فصل قصير جامع لما او عيناه من التفصيل فان جميع ما فى الكوائن ادلة ظاهرة على اثباته ولزوم الاعتراف به والاعلام جمع علم وهو الشاخص الذى يستدل به ، وامتنع ، لرقيق لطافته، على عين البصير، و مهما كان

شديد البصر قوى الحاسة لانه ليس من المادة والماديات ومع ذلك، فلا عين من لم يره تنكره ، لانها بحا كمية العقل عليها تراه كالمحس بين يديها ، ولا قلب من اثبتته يبصره . لبعده هويته الاعن الادراك الجملى ، سبق فى العلو فلا شىء اعلامنه ، لانه فى صانعيه لكل شىء فوق كل شىء رفعة وشأنا ، وقرب فى الدنو فلا شىء اقرب منه ، لان اتصال العلة بالمعلول يعطيها من القرب ما لاشىء اقرب وصلة منها اليه ، فلا استعلاؤه باعده عن شىء من خلقه ، لان العلو المعنوى لا يقتضى بعداً بين العالى والدانى ، ولا يقربه ساواهم فى المكان به ، فانهم وان كانوا ذوى مكان وجيز الا ان قربه لما كان معنوياً كبعده لم يستدع اى مكان يفرض فهو فى قربه اليهم و علوه عليهم لم يقتض ما يحصل منه التناقى و التضاد بخلاف علو المكان ما بين شىء و شىء فانه يقتضى عدم القرب قطعاً وهكذا القرب المكانى يقتضى عدم العلو فيه ، لم يطلع العقول على تحديد صفته ، الا بما ادركته حسب مقدورها من اثره وصنفته ، و لم يحجبها عن واجب معرفته ، بما تكون به معترفة بصانع الكون وموجده ، فهو الذى تشهد له ، بالضرورة القاطعة ، اعلام الوجود ، ومظاهره البينة الواضحة ، على اقرار قلب ذى الجحود ، بلسانه فان العاقل لا يستطيع ان يخادع عقله و ان استطاع ان يتذنب بلسانه ، تعالى الله عما يقوله المشبهون به ، لانهم لما جهلوا حقيقته حكموا اوهاهم فى استطلاعهم فجاء كل وهم بما انتج ومن هنا فشت الخرافات بين الناس قديماً و حديثاً ، و الجاحدون له علواً كبيراً ، ولا جاحد فى مجموعة العقلاء من البشر الا و قلبه مطمئن بالايمان نعم من انظمت عليه مجارى عقله و التهى عن كل معقول بما بين يديه صارفاً كل همه وهمته الى اشباع نهمته واطفاء شهوته قديقال فى حقه انه جاحد قلباً ولساناً لبعده عن عالم المعنويات بالمره : والمنظور بقوله **عَلَّمَ** ، بطن خفيات الامور ، انه علم بمستورها ووقف على كوا منها لانها خلقتة الا يعلم من خلق وما انشأ ثم ان المنطق الصحيح قاض بان الاعدادات القوية والاثار الفعلية الموجودة فى المعلول حاكمة بلزوم وجود ما هو من نسخها واعلافى العلة المؤثرة فان فاقد الشىء لا يسطيه : لذلك فكل ما يوجد فى المعلول من حياة وادراك وعلم وقدرة يجب وجود

ما هو من ملاك في العلة : فذاك المبدأ القهار الذي علل به وجود العوالم الظاهرة والخفية يجب ان يكون وراء اصل وجوده حياً مدركاً عالماً قادراً اذلياً اذلاً مجيئاً لفرص وجود قهار قبله لان الكلام في مبدأ كل المبادئ واصل كل الاصول وما وجب وجوده من نفسه لتعليل كافة الكوائن به وجب استمرار وجوده اهدأ بمقتضى وجوب الوجود الذي لا يجتمع مع امكان التلاشي : وهذا كله ما لا ريب فيه ويلتئم حتى مع القول بالنشوء والنماء وتنازع البقاء وانتخاب الطبيعة لاصلاح الافراد .

وعلى الملاك الذي ذكرناه يطبق قوله **تَعَالَى** (في خطبة اخرى ج ١ ص ١٨ وما بعدها من نهج الحديدى) الحمد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلون ، ولا يحصى نعماءه العادون ، ولا يؤدي حقه المجتهدون ، الذي لا يدركه بعد الهمم ولا يناله غوص الغطن الذي ليس لصفته حد محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا اجل ممدود فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته ووتد بالصخور ميدان ارضه .

الحمد لله الذي لا يبلغ اى لا يصل الى الغاية ومهما حاول الوصول اليها ، مدحته القائلون ولا يحصى نعماءه ، بحيث لا يرى مزيداً على ما احصاه ، العادون ، وذلك لان الاعم الاغلب مما يدركه الانسان من كافة الموجودات الظاهرة والخفية في الكوائن العلوية والسفلية هو في خدمة البشر وما لا يدرك فيه نعمان جملة الكوائن فامر خلقته مو كول الى من خلقه لعجز العقول عن اكتناه كل ما في الكون من اسرار وستأتى الاشارة الى هذا المطلب في بحث مستقل ، ولا يؤدي حقه ، اى حق فواضله . المجتهدون ، في طاعته وشكره فضلا عن المتساهلين او المتمردين يقال اجتهد في الشيء اذا بذل فيه جهده وطاقته ، الذي لا يدركه بعد الهمم ، المبذولة في طريق التعرف به لان الطرق اليه مسدودة على العقل الامن ناحية الاثار المدركة وما اشد محدودية ادراك الانسان للآثار الشاخصة في الوجود لقصر افقه عن امتداد آفاقها الواسعة . ولا يناله غوص الغطن ، فان غوص الفطنة يجب ان يكون في مجارى يمكن من طريقها الاستطلاع على الخفايا والاسرار فاذا فقدت جملة من الخفايا والاسرار تلك الطرق عقم غوص الفطنة عن الانتاج ومهما طال الغوص واعقب من جهد ومشقة ، الذي ليس

لصفته حد محدود ، لأن الموصوف متى لم يكن طريق لمحدوديته لم يكن لصفته طريق كذلك بحكم تابعة الصفة للموصوف ، ولانعت موجود ، يقوم بنمام كشفه والوقوف على كنهه ، ولا وقت محدود ولا اجل محدود ، تزييف للوهميين من المسلمين الذين يدعون جواز رؤية الله في الآخرة محدوداً من كافة جوانبه . فطر. اى ابتداء خلق ، الخلائق ، جميعها ، بقدرته ، غير المحدودة اذ تحديد القدرة يمنع من ذلك قطعاً ، ونشر الرياح ، اى اجراها لتقوم باعمالها النافعة ، برحمته ، على الناس ولطفه بهم ، ووتد ، اى اثبت ، بالصخور ، ومنظوره الجبال الصماء ، ميدان ارضه ، اذلاشبهة فى ان وجود الجبال الثقيلة من الاوتاد المانعة من التموج الكثير للارض وسيأتى فى بحث العلوم والفنون من هذا الشرح ما يتعرض فيه للرياح والجبال وغيرها :

١٠ اول الدين معرفته ، وكمال معرفته التصديق به ، وكمال التصديق به توحيد ، وكمال توحيد الاخلاص له ، وكمال الاخلاص له نفي الصفات عنه ، لشهادة كل صفة انها غير الموصوف وشهادة كل موصوف انه غير الصفة ، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ، ومن قرنه فقد ثناه ، ومن ثناه فقد جزاه ، ومن جزاه فقد جهله ، ومن جهله فقد اشار اليه ، ومن اشار اليه فقد حده ، ومن حده فقد عده ، ومن قال فيم فقد ضمنه ، ومن قال علام فقد اخلامنه : ١١

اول الدين معرفته ، دان يدين للشئ اذا خضع له والمنظور بالدين اصطلاحاً هو اعتقاد الانسان بنظام خاص يحدد موقفه من حياته فى افعاله وترو كهو يعين مصيره فى نشأته الثانية كل ذلك من طريق انتسابه لله مشرع الدين فعليه لا يكون معنى للدين بدون معرفة الخالق المشرع فالمعرفة فى المرحلة الاولى فى النظام الدينى العام ، وكمال معرفته التصديق به ، فان المعرفة الناقصة المشوبة بشئ من التردد والتشكك والتحير لا تصديق معها ، وكمال التصديق به تويده ، لان التصديق يجتمع مع الشرك لكن كمال التصديق وهو المبني على التحرر الكامل فى واجب الوجود ينافى الاعتراف بالشركاء للمحاذير العلمية التى يأتى التعرض لها لذلك كان التوحيد نتيجة لكمال التصديق به ، وكمال تويده الاخلاص له ، لان الاعتقاد بوحدية الرب

مع تمايل النفس لمؤثرات اخرى ولومع اعتقاد تنزل درجتها عن المبدأ الاعلانوع من الشرك وهو ينافي الاخلاص قطعاً اذن فالتوحيد الكامل ما كان عن اخلاص العبد في توجهه الى منبع الفيوضات و محور خلق الكائنات ، وكمال الاخلاص له نفى الصفات عنه ، اى نفى الصفات الزائدة على عين الذات فكمال الاخلاص معناه العقيدة بان صفات الواجب عين ذاته لانه ذات منحازة و صفات مجلوبة ، لشهادة كل صفة ، مجلوبة ، انها غير الموصوف ، و ان قامت به ، و شهادة كل موصوف ، منحاذا ، انه غير الصفة ، و ان تلبس بها ، فمن وصف الله سبحانه ، بوصف زائد على ذاته ، فقد قرنه ، بشيء آخر واخرجه عن البساطة ، ومن قرنه ، بشيء آخر ، فقد ثناه ، لانه راح يعتقد بموصوف منحاذا و صفة طارئة ، ومن ثناه فقد جزئه ، لانه اعتدفيه التركيب من موصوف منحاذا و صفة مجلوبة ، و من جزئه فقد جهله ، لان الاعتقاد بان واجب الوجود ذو أجزاء معناه الجهل بحقيقة واجب الوجود واقعاً لان معرفة حقيقته من لازمها اعتقاد وحدته وبساطته معاً ، ومن جهله فقد اشار اليه ، اى ومن لوازم الجاهل بحقيقة واجب الوجود تذبذبه في معتقده فجاؤز عليه ان يجسمو يحدد هويته في مكان خاص فيكون حينذاك محللاً للإشارة الحسية ، ومن اشار اليه فقد حده ، لان الإشارة الحسية لا تكون الا الى محدود بالحس . ومن حده فقد حده لان تحديد الشيء يوجب ان يكون المحدود قابلاً للعد والواحد المحدد بالإشارة الحسية معدود لان الواحد الحسى من الاعداد ، و من قال فيم فقد ضمنه ، لان الاطراف يقتضى المظروفية ومعناها وقوع شيء في ضمن شيء آخر ، ومن قال علام فقد اخلأ منه ، لان معنى علام هو الاستفسار عن انه على اى شيء من الاشياء هو وهذا معناه قراره في مكان خاص دون مكان آخر و لازم ذلك خلو غير مكانه عنه و واجب الوجود لتجرده لامكان له لكن فيضه لا يخلو منه مكان .

” كائن لاعن حدث ، موجود لاعن عدم ، مع كل شيء لا بمقارنة ، وغير كل شيء لا بمزايلة ، فاعل لا بمعنى الحركات والالة ، بصيرادلا منظور اليه من خلقه ، متوحد اذ لا سكن يستانس به ولا يستوحش لفقده ، انشأ الخلق انشاء . و ابتداء ابتداء ، بلا

روية اجالها ، ولا تجربة استفادها ، ولا حركة احدثها ، ولا همامة نفس اضطرب فيها ،
احال الاشياء لاقواتها ، ولاءم بين مختلفاتها ، وغرز غرائزها ، والزماها أشباحها ،
عالمها بها قبل ابتدائها ، محيطاً بحدودها وانتهائها ، عارفاً بقرائنها واحنائها .
كائن ، اى حاصل موجود ولولا ان الدليل القاطع حاكم باستحالة العدم
على مبدأ المبادئ واصل كل الاصول ازلا وابدأ لكان كل كائن وكل متلبس بالوجود
دالا من نفسه على نفسه انه لم يكن ثم كان وان وجوده حاصل بعد عدمه . ولو ان هذه
الكوائن لم تقطع من نفسها على نفسها بلزوم مكون كونها وصورها وابدع صنعها و
كبسها من القوى ما يعجز البيان واللسان عن سرده وعده وان هذه القوة المبدئية
الجبارة لا يجوز فيها فرض الكون بعد العدم لان الكلام اصولا في مبدأ المبادئ وعلّة
العلل واصل كل الاصول ولا مجال للتسلسل مع هذا الفرض: لكان فهم الوجود الازلى
من اشكل المشكلات على عقولنا .

لا عن حدث ، اى ان كونه لم يحصل عن تكوين فيحتاج الى مجدد وموجد
بل هو ازلى لاحد لاوليته في القدم ، موجود لا عن عدم ، لان وجوده واجب لذاته و
كل ما يكون وجوده مسبقاً بالعدم لا يكون واجب وجوده مع كل شيء ، في قيامه
عليه وتدييره اياه ، لا بمقارنة ، لان المقارنة انما تنصور في الاجسام واما في المجردات
فلا ، وغير كل شيء لا بمزايلة ، بل هو غيره في الهوية لافى سنخية العلية والمعلولية ،
فاعل لا بمعنى الحركات والالة ، اى انه يفعل لا كسائر الفاعلين الذين يستحيل عليهم
الفعل بدون الاستعانة بالحركات والالات بل فعله بالارادة الصرفة ، بصيراذ لا منظور
اليه من خلقه ، يريدان معنى البصر فيه غيره فيما سواء فان البصر في الغير معناه وجود
منظور اليه حتى يتعلق به البصر واما ابصاره هو تعالى فعله الكاشف لكل شيء المحيط
بكل شيء ، متوحد ، اى لا قرين له ، اذلا ، حاجة تدعوه الى . سكن يستأنس به
ولا يستوحش لفقده ، لان كل ذلك من لوازم نقصان المخلوق و واجب الوجود لا
نقصان فيه . انشاء الخلق انشاء وابتداء ابتداء ، الانشاء والاختراع والابداع كلها
بمعنى واحد وهو الايجاب بعد السلب المحض والايجاد بعد العدم الخالص وتصوير

ذلك في الافعال بسيط العقل جداً كاحداث التكلم بعد السكوت والحركة بعد السكون ونظير هذين .

و اما ابداع المادة فتصويره مستغرق على العقول : ولكننا نضرب مثلاً واقعياً ونبحث عنه لنرى مدى ما يوصل اليه البحث فنقول نجد فيما نباشره من الاراضى الزراعية بكثرة ان مساحة الهكتار الواحد يبذر فيها من البر مقدار ٧٥ كيلواً وفي مقام العائد ينتج هذا الهكتار بنسبة كل حبة ١٠٠ حبة فيبلغ المجموع ٧٥٠٠ كيلو ويعطى من التبن بهذه النسبة ٧٥٠٠ كيلو فيكون مجموع ما انتجه الهكتار الواحد من بذر ٧٥ كيلواً مبلغ ١٥٠٠٠ كيلو وهو مبلغ خطير ثم نعود الى المواد التى يمكن ان يتغذى منها البذر المذكور ونباتاته فتراها منحصراً بالارض التى ينبت فيها والماء الذى يصل اليه و الهواء الذى يستنشقه ويمر عليه اما الارض التى تتحدث عنها فاننا نجدها على مرور مآت السنين هى الاولى كما كانت ولا يظهر منها للحس زيادة او نقصان وكل محصولاتها يصرف خارجاً عنها كما لا يضاف اليها من الخارج شىء تدمن به واما رطوبة الماء التى تقارب الحصاد فتجف تبخر قبل الحصاد ومهما كان فى الهواء فان المحسوس لانمته محدود جداً وهذا كله ليس به ان يستهلك مقدار ١٥٠٠٠ كيلو من بذر ٧٥ كيلواً فى مساحة هكتار واحد خال من التدمين ونظير هذا المثال ملايين الامثلة من هذا القبيل وملايين اخرى من اسناخه و لانستطيع ان تتعقل بعد التدبير التام فى الموجودات المادية التى نشهدها فى عصورنا ان موادها بلازيادة او نقصان كانت من الازل وستبقى الى الابد وان التحولات التى نشهدها هى فى الصور والاشكال فقط . ان هضم هذه الدعوى من اشكل الامور على العقل بعد ان يرى الانسان ان نوعه كان محدوداً جداً وهو اليوم الوف الملايين وسيعود على مرور الزمان ملايين الملايين وان ادخاء عنان التناسل مما يخاف منه عجز الكرة الارضية عن قيامها بواجب النسل فى المستقبل : وهكذا يرى الانسان النبات وسائر انواع الحيوانات مما هو ظاهر لحسه وفى عرض هذه الرؤية لا يشهد نقصاً فى ارضه ولا جباله و بحاره فان تكن تيك الكثرات المهولة مادتها الارض والماء لبان على هذين العنصرين نقص محسوس :

ولا يشكل بتلاشى ما يتلاشى منها ويعود الى الارض فان المواليدي في قبال المتلاشيات رقم واسع جداً وبعد تثبيت هذا التصوير يثبت معنى واضح للابداع في المادة .

ولمزيد التوضيح نقول ايضاً : يتشكل الموجود الحي من واحد او عدة خلايا وهو لاجل ادامة الحياة وفعاليتها في حاجة ماسة الى الغذاء والماء والاكسيجن وفي نتيجة هذه التغذية يستحيل الغذاء الى خلايا : وفي ضمن التغذية المستمرة لا تبقى الموجودات الحية على قدر واحد بل تزداد وزناً وحجماً الى أن تصل الى حدها النهائي وذلك ما يعبر عنه بالنمو : والموجود الحي في طيه لدورته الخاصة وتحت شرائط معينة يلد مثله : والخلية هي اصغر جزء في بدن الموجود الحي حيواناً كان ام نباتاً وهي لاجل ادامة حياتها تحتاج الى الغذاء والاكسيجن ومن طريق جذبها تستطيع ان تولد مثلها : والموجود الحي من ناحية تأمين غذاءه ودفع المواد الزائدة تراه في مبادلة دائمة مع محيطه فعلى هذا يكون وجود الماء المحتوى على الاملاح اللازمة ووجود الاوكسيجن والمواد الغذائية من اهم الشرائط الكيميائية للمحيط . اذن يلزم ان يكون المحيط واجيداً للماء ذي الاملاح لان الماء المقطر لا حياة معه وللغذاء القائم بكل احتياجات الموجود الحي وللواوكسيجن الذي هو نوع غذاء غازي .

فهاهم علماء الطبيعة يصرون بلزوم كون محيط الموجود الحي واجيداً للغذاء القائم بكل احتياجات الموجود الحي وللماء ذي الاملاح وللواوكسيجن وان الموجود الحي دائماً هو في مبادلة مع محيطه منه يأخذ غذاءه واليه يدفع زوائده : ومع مقارنة هذا بما اسلفناه يتضح ان في مواليدي الطبيعة ابداعاً مادياً وبسوى ذلك لا يعقل تكررها الهائل مع بقاء المواد الطبيعية على حالها : وان قال قائل انها تتمون من مواد نجعلها تحقيقاً قلنا له لا يجوز لنا ان نعطي محسناً من ايدينا لاجتمالات لم نقف على تقررها : وعلى كل حال فالتكرار الفاحش في المواليدي الحية لا يكاد ينكرو كون ان هذا التكرار مما لم يولد كسراً واضحاً في المواد المحسوسة لنا من ماء وتراب ونظير ذلك مما هو محط انظارنا فامر مسلم للجميع وادعاء ان اهم التغذية يكون من اشعة الشمس او الهواء او الاوكسيجن مما لا يرتبط بالمواد المطروحة امام النظر المعتاد ادعاء لا يعلم مبلغ

صحته : اذن فالتكثر المادى افي المواليد مع عدم نقص محسوس في المحيط المادى من ماء و تراب وشبيه ذلك قطعى الحصول و كون مادته من امور اخرى خفية ادعاء مجرد وهو لا يقاوم ما حصل بالقطع وسيجىء في البحوث القادمة خصوصاً في بحثنا عن النبات في الفصل الرابع من هذا الشرح ما يعين على ما ارتئيناه هنا من الابداع المادى : ومع هذا كله فلا غرابة من محدودية العقل ان يقف امام الظواهر الكونية موقف البهت والحيرة ومهما سلح نفسه :

والماديون الذين - من دون تصور - يقولون باولية وابدية المادة اشد حيرة من المبدئين و دونك نبذة مما جاء عنهم لتعلم ان العلم مهما بلغ رشده فهو قاصر عن ان يلم بالقليل مما طفح على وجه الوجود واما كوامن الكوائن فأمرها فى الخفاء جد عظيم .

و لقد اعترف اكابر الماديين و اعظم الفلاسفة الحسين بالقصور عن درك ما فى مشهد الكائنات و اظهروا الخضوع امام عظمتها القهارة و مظاهرها الجبارة فقد قال العلامة (بيو) فى كتابه شذرات علمية و اديية (و جدى مادة اله ٥٢٥) بقدر ما اتدبر فى نظام هذا الوجود وسعته و فى جميع عجائبه اعجب من هذا الابداع المدهش و ارانى فى حالة عجز عن تفسيرها و تعليها و انى لا تجاسر بأن اقول انى جربت ذلك بنفسى فان تلك التفسيرات الناقصة و التعليقات الكاذبة او المبهمة التى يريدان يقنعنا بها بعض الكتاب العصريين بصفة مدركات سامية لا تظهر مجحفة و تافهة الا اذا قورنت بالطبيعة نفسها : و ان الذين تشرفوا بمعرفة بعض جمال الطبيعة و احسوا بها وجدوا انفسهم مرغمين لان يعتبروا الذين يريدون ان يشوهوا هذا الجمال بتدليسهم القبيح كغافراً ملحدين فان كل الكائنات العضوية متمتع بوسائل حياتها الذاتية المتنوعة فى اختلاف اجهزتها مثل تنوع الكواكب الزواهر فى القبة الزرقاء و زيادة على هذا فاننا لانشاهد الا ما يظهر لنا من ذلك فى الخارج و قد حجب عنا ما هو اعجب و اغرب بعيشك قل لى من هذا الذى استطاع ان يفهم الاعمال الكيمائية الخاصة بالاعضاء الحية لهذه الكائنات و التى هى السبب فى حركتها الارادية و غير الارادية - ما ذا

اقول - من هذا الذى استطاع ان يفهم سر طيران الذبابة قوسر الاعيب القراش اذا وصل بنا ادراكنا الى معرفة القابليات الخارجية لهذه التراكيب الجسمانية والى تحديد العلاقات المقصودة الموجودة بين الاجزاء التى تتألف هى منها قلنا اذا وصل ادراكنا الى هذا ثم عمينا عن رؤية الحكمة التى امرت بها ونظمتها وعشينا عن تنورها فى صميم هذا المجموع نكون قد ناقضنا ضمائرنا مناقضة تامة : اما انا فاريد على الاقل ان اتعلم من هذا المشهد العظيم بانى جاهل لا ادري شيئاً - ا - وسأتى تنمة لهذا البحث فى الكلام على خلق آدم من هذه الخطبة .

بلا روية أجالها - لان الروية معناها التفكير والتأمل وضرب الصور الذهنية بعضاً ببعض لاجل الاستطلاع على ما هو الاقرب الى الصواب والعالم بحقائق الاشياء بل المحيط بكل امر قابل لان ينيره العلم فى غنى عن ذلك لانه بالنسبة اليه تحصيل حاصل : واجالة الشئ هى تقليبه من كافة وجوهه ، ولا تجربة استفادها فان التجارب انما تنفع الجاهلين . ولا حركة احداثها ، ليستعين بها على الصنعة فانه فوق الاستعانة لاستغنائه المطلق عن كل شئ سوى ذاته البسيطة الواجدة لكل كمال ، ولا همامة نفس مؤنثة الهمام بالفتح يقال لاهمام لى اى لاهم بالشئ نص على ذلك اهل اللغة اضطرب فيها ، اى لم يمه انشاء هذا الخلق العظيم لانه فوق كل ذلك والاضطراب فى الشئ هو الذهاب والاياب فيه لتحصيل النتيجة منه ، احوال الاشياء لاوقاتها ، بمعنى انه احوال خلقة كل شئ لوقته الخاص الذى يراه تعالى من المصلحة او انه تعالى بعد ان خلق الاشياء على طبائع خاصة احوال كل شئ منها لوقته الخاص بنضجه او باتجاهه او بفعله وانكماشه وما الى ذلك من شؤون طبيعة الشئ فى قبال شئ آخر ، ولاء م اى اوجد الالتئام ، بين مختلفاتها ، اى بين مختلفات الاشياء والطبائع فغدا كل منها يعمل عمله الخاص به من دون ان يصطدم بمخالفة ففى نوع الطبائع المتعددة القائمة بتشكيل وجود واحد اختلاف فى التأثير ولكن الكسرو الانكسار الذى يحصل فى افعالها وتأثيراتها هو الذى يجعلها قابلة لاستمرار العمل على ما فيها من اختلاف وهذا هو معنى الملائمة بين المختلفات . وغرز غرائزها ، اى جعل غرائزها نظير مصر الامصار اى جعلها امصاراً والفريزة هى السجية والمنظورانه

جعل في الاشياء الاستعدادات التي تيمت الفرائض من عالم التقدير والكمون الى عالم الفعلية والظهور ، والزمها ، الضمير يعود للفرائض واما ضمير ، اشباحها ، فيجوز ان يعود الى الفرائض كما يجوز ان يعود الى الاشياء وطبعاً لا تعمل الفريضة خارج الشبح الذي هو آلة لابرآثارها من انكماش الجبان واندفاع الشجاع وما هو من هذا القبيل اذا الفريضة نفسها كيف تقسني لا يستقل في وجوده الا بجمهور يقوم به ، عالمها قبل ابتدائها ، لحضور علمه له بكل معلوم وكل ما في الوجود من شيء فانه معلوم له في الازل وعن علمه في الخارج تعين وحصل ، محيطاً بحدودها ، اى باطراف طبائعها من لوازم وذاتيات ، وانتهائها ، اى قنائها وتلاشيها حسب ما تقرر لطبائعها من بقاء وانتهاء ، عارفاً بقرائنها ، جمع قرينة مؤنثة القرين وهو ما يقترن بالشيء ، واحنائها ، جمع حنوو هو ما يضطم على الشئ هو يكون له كالسور نظير تسور القاب والكبد والرءتين باحناء الضلوع والمراد بالقرائن والاحناء هنا هو ما اقترن بالاشياء التي خلقها واضطم عليها من غرائض ووسجايها ولوازم وهياكل تحيط بها .

(ومنها في صفة خلق آدم)

ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها ، وعذبها وسبخها ، تربة ستمها بالماء حتى خلصت ، ولاطها بالبلة حتى لزبت ، فجبل منها صورة ذات أحناء ووصول ، واعضاء و فصول ، أجمدها حتى استمسكت ، وأصلدها حتى صلصت ، لوقت معدود ، وامتد معلوم ، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت انساناً ذا أذهان يجيلها ، وفكر يتصرف بها ، وجوارح يستخدمها ، وادوات يقلبها ، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل ، والاذواق والمشام ، والالوان و الاجناس ، معجوناً بطينه الالوان المختلفة ، والاشباه المؤتلفة ، و الاضداد المتعادية والاخلاط المتباينة ، من الحر والبرد ، والبلة والجمود ، والمساءة والسرور .

(الكلام على كون العالم ووجوده)

قد اسلفنا طرفاً من القول عن لزوم الصانع للكون بصفات خاصة ؛ ولنتعرض الآن الى نبذة مما يراه الماديون في بنور وجود العالم واصوله - فقد قال ديموقريط -

وهو فيلسوف يوناني قديم كان عائشاً في القرن الرابع قبل المسيح ويعتبر شيخ الماديين وامام الفلاسفة الحسين : بدوران ذرات الاجسام حول نفسها في الفراغ في آحاد طويلة لا تدخل تحت حساب تكونت كل هذه الكائنات على اختلاف انواعها واشكالها (دائرة معارف وجدى مادة ألهس ٥٢٣) .

ونحن اذا لاحظنا هذا الكلام وجدناه تكريراً للدعوى بنفسها اذا الدعوى التي نريد تثبيتها من القوم ان الاجسام وموادها الاولية كيف وجدت ولا يفترق في الدعوى تعبيرنا عن المواد الاولية بانها أجزاء او مواد او ذرات او جواهر فردة وما الى ذلك فان هذا الاختلاف في التعبير لا ينتج للمدعى نتيجة يقتنع هو بها وجدانا او يقتنع بها طرفه اذا كان من العقلاء .

ولا يكاد يدرك العقل ان دوران الذرات حول نفسها مما ينتج جسماً داخلها واغصانها واجهزة وكل خلية وعضو وجهازه فعل خاص لهدف موزون يحس به ذو الحس من نفسه وتأتي عنه ثمرات كبار ومحصولات عالية الآثار : واحالة ذلك الى الآحاد الطويلة فسطة وتعمية على البسطاء : ويأتي في تكلمنا عن الذرة في فصل العلوم والفنون وغيره ما ينتج في المقام .

وقال شبلي شميل (بحكاية انوار الهدى ص ٥٢) ان الماديين وعلماء الطبيعة ذهبوا الى ان العوالم مؤلفة من اجزاء صغيرة لا تقبل القسمة سموها الجواهر الفردة وهي المادة الازلية الابدية التي لا تلاشى ويستحيل ايجادها بعدالعدم .

وهذا القول اخو القول السابق وتكريره فلا قيمة له : ودعوى الازلية للموجود مستحيلة التحقق من دون مدرك فان قيل انتم الموحدون تدعون الازلية للمبدأ الاعلا ايضاً فما مدرككم قلنا نحن انما ندعيها للمبدأ الاعلا من طريق ان الآثار الملحجة الى وجود المؤثر قاضية من طريق العقل ان وجود هذا المؤثر لا يجوز ان يكون مفاداً والاخرج عن كونه مبدأ اعلا و صار واحداً من هذه الآثار التي استغادت وجودها من غيرها واذا لم يكن مفاداً لزم بالضرورة ان يكون ذاتياً له واذا كان وجوده ذاتياً له غير مفاد لزم ان يذلت بالقيهر : فان قيل فليكن ما أجبتم به جواباً للماديين انفسهم حيث اعتبروا

الجوهر الفرد مبدءاً أعلا لكل المبادئ و الأصول قلنا الجوهر الفرد ليس به ان يقوم بمستدعيات الآثار الشاخصة التي نلمسها فان الجوهر الفرد لا يستطيع ان يعلل الحياة و العلم و الإدراك العقلاني و القصد و الاختيار و القدرة الموجودة في الانسان الذي هو بعض الآثار الشاخصة كما لا يستطيع ان يعلل الحكمة الدقيقة المنبثة في انواع الحيوان كلها و هكذا البدائع الموجودة في عالم النباتات و هكذا القوى المودعة في اطباق الطبيعة المحيرة للعقول بل هذه المعلولات في حاجة ملجئة الى مبدءاً جامع لاسناخ هذه الكمالات بصورة قوية يستطيع ان يكون واهباً لهذه الهبات العظيمة و معطياً لهذه البضائع الضخمة اذ فاقد الشيء لا يعطيه و لما لم يكن الجوهر الفرد كذلك لم يكن مبدءاً أعلا و اذا لم يكن كذلك كان هو بنفسه من الآثار اذا كان له وجود رهن اذ كل ما سوى المبدء الاعلا مما تلبس بالوجود فانه معلول له فلم يحصل ما يدعو الى ازليته بل هناك ما يقضى بعد تحقق وجوده بان وجوده مفاد من غيره فهو حادث لا ازلي كما لا يقتضى لان يكون ابدياً فان وجوده لا يقتضى ذلك من نفسه والقوة التي ابدعته بعد العدم تستطيع ان تدعمه و لو لم نعرف انها كيف تدعمه كما لم نعرف انها كيف اوجدته و جهلنا بكيفية كل ذلك لا يضر بشيء مما اسلفناه اذا الجميع من موحد و ملحد معترف بهذا الجهل لاعترافه بمحدودية العقل الانساني في قبال هذه العوالم القهارة: وعن طمس (انوار الهدى ص ٥٢) ان الجواهر الفردة انما هي حلقات زوبعية في الاثير او الهولي فالعالم مؤلف من سائل تام الاتصال مالىء للخلا و هذا ايضاً تفنن في التعبير عما قاله ديموقريط فان الحلقات الزوبعية معناها حركة الشيء على نحو الاستدارة و الاثير هو الذرات الصغيرة و لم يبين لنا ما هو السائل التام الاتصال و لا كيف وجد فما قاله دعوى مبتورة تحتاج الى ما يثبتها .

وذكر الـدكتور شبلى (انوار الهدى ص ٥٢) عن غوستاف لبون ان كل الابحاث النظرية لمعرفة تكون الجواهر الفردة متفقة على التسليم بان الاثير مصدرها و هو وان كان فرضاً مزعوماً الا ان القول به يظهر للبعض انه أثبت من القول بالمادة نفسها: وهذا الانسان انصف نفسه و اراح طرفه حيث اعترف بان الاثير فرض مزعوم و انما

صور باللفظ ليجعل اساساً لغيره و ما كان اساسه فرضاً مزعوماً كان هو فرضاً مزعوماً مثله اذا الفرض الخالي لا ينتج شيئاً .

وعلى وتيرته ذكر بخنر (انوار الهدى ص ٥٠) ان جواهر ديموقريط تصويرية بمعنى انها افترضت افتراضاً لتسهيل التعليل عن احوال الكون وان جواهرهم اصغر من جواهره جداً وهي تصويرية ايضاً .

لكن الظريف قوله ان جواهرهم اصغر من جواهره بعد الاعتراف بان الجميع تصوير فرضي والفرض مهما بلغ لا يفرق صغيره عن كبيره في كون الجميع لاشيئاً .

هذه تنف من اقوالهم في اصل و كيفية تكون العوالم وهي باسرها هراء ليس باستطاعتها ان تثبت مطلوبهم : ومن آرائهم في بعض المخلوقات : ان طمس قال بمجيء بذور عالم الارض من كرات اخرى محمولة على ظهور النيازك والشهب (نقد دارون ج ١ ص ٢١٦) وهو لعمرى لفظ لا يعرف مامعناه فهل ان هذه البذور التي يشير اليها كبنور البقول فيقال انها كانت ملقاة على سطوح بعض الكرات فالقى بها الهواء العاصف من تلك السطوح فصادفت في هويها شهاباً لقت بها الى كرة الارض فنبتت على ترابها فكان كل ما في الارض مما هب ودب من اثر ذلك : أليس هذا سخرية لا ينبغي ان يتفوه بها ذو شعور وكم في ذلك من مؤاخذات لاتحد .

و بمثله قال (اغا سنر) انه يظهر من احافير الدور الاول ان انواع الحيوان كانها ظهرت كلها في برهة وجيزة لان تلك الطبقة رقيقة لم يقتض تكونها زمناً طويلاً (نقد ج ١ ص ٢١٧) .

ومنظوره من رقة تلك الطبقة ان قشرة الارض كانت رقيقة جداً لكن ما ربط ذلك بظهور انواع الحيوان كلها دفعة واحدة فهل معناه ان انواع الحيوان كلها كانت مخزونة تحت الارض فشقت قشرتها لرققتها وأطلعت رؤسها منها فهذا أمر لا يفهم لعراقته في السقوط : ولا نعرف للفظ الذي ساقه مفهومه ما أخر حتى نحمله عليه .

ثم كيف دلته احافير الدور الاول على ذلك الذي يدعيه فان استطاع ان يتوصل به الحفر حتى يتصل بعمود رقة قشرة الارض فيعثر باجسام حيوانية متحجرة فان ذلك

إنما يكشف له جسم حيوان او حيوانات متعددة لانواع الحيوان كلها فان تصوير جمع انواع الحيوان كلها في رقعة ومهما اتسعت من الارض غريب على الذهن بل مستحيل التصور لان انواع الحيوان كلها ومهما فرضنا في عدد جزئياتها قلة فان هذه الانواع بنفسها خارجة عن حدود الاحصاء وفيما بينها من التعادى الطبيعي ما لا ينكر وذلك مما يمنع تجمعها في رقعة واحدة وعلى فرض تصوير هذا فكيف تسنى له تصوير حفر شقة واسعة من اعلا الارض الى تخومها بحيث تسع كشف المكتشف لمتحجرات هذه الكثرات فما ارتآه هذا الانسان راى لم يصدر عن عقل ناضج اصلا : واغنية الاحافير لا تزل الورد افواه هولاء المتحكمين فكم حكموا ان الاحافير اوقفتم على وسائط توسطت في انتقال نوع الى نوع وان هذه الوسائط برازخ بين النوعين ونحن على تسلمنا لصدق ما يدعونه عن هذه الاحافير نقول لهم من اين علمتم انها وسائط في التحول من نوع الى نوع آخر ولم تكن هي بنفسها نوعاً مستقلاً من الخلقة انشأ ابتداء على هذه الصورة فهل تملكون في الجواب غير الاحتمال المجرد .

وهذا نظير ما يقولون ان بعض الامراض في الالباء يظهر من طريق الوراثة في الابناء ولوفى الحفيد الرابع او الخامس ومن هو ابعد من ذلك فمن اين علموا فحكموا ان مرض الحفيد بالسل مثلاً جاء من طريق الارث عن الجد الذى كان مبتلى به و ما الذى يمنع ان يكون مرض الحفيد مرضاً ابتدائياً جاءه من طريق الاسباب التى سببت لجدده هذا المرض الابتدائى اليس كل هذا من التخربات والاحتمالات المجردة وهكذا يقال فيما يدعونهم ان النبات الكذائى من فصيلة النبات الكذائى الاخر لا اشتراكهما فى بعض الخصوصيات و الصور الشكلية : و من ان الحيوان الكذائى من فصيلة الحيوان الكذائى الاخر للعللة المزبورة فمن اين احرزوا ما ذكروه وكيف لا يصح ان يكون كل نبات و كل حيوان اصلاً برأسه كما هو مستقل بالفعل وان اشترك مع نبات آخر او حيوان آخر فى جملة من الخصوصيات اف ليست هذه الاحكام قائمة على تخربات محضة واحتمالات مجردة .

وهكذا قول (هويت الامريكى) ان انواع النبات ظهرت دفعة واحدة فى العصر

الكاربوني (نقد ج ١ ص ٢١٧) وهكذا قول (ليل) ان تولد الانواع حتى العليا رأساً كان تولداً ذاتياً في كل الادوار بطرق غير معروفة من طرق الطبيعة (نقد ج ١ ص ١٠) واذا كان ليل يعترف بان تولدها كان من طرق غير معروفة فكيف قال انها من طرق الطبيعة لاغيرها .

ونحن يكفيننا في تضليل هؤلاء فضلا عما اسلفناه ما يورده عليهم ابناء جلدتهم هازئين بهم (ففى نقد دارون ج ١ ص ٢٢٠ وما بعدها) ان بعض علماء العصر وكتابه قال في هؤلاء الماديين انهم يوردون من الحقائق ما يؤيد رأيهم بحسب الظاهر ويتغاضون عما ينتفيه ويتخذون المفروض كامر مثبت ويفسرون الحقائق على ما يوافق آرائهم: وقال شبلى في كتاب الحقيقة : و الحق يقال ان منذهب الانتقال و ان كان تعلق به اشياء كثيرة لاتفهم بدونه لكن لاينكر انه ناقص كما بسطه دارون : ومن مضايقة خصوم هؤلاء لهم التجأ بعض منهم الى القول بالنحول الفجائى (نقد ج ١ ص ٢٠٥) وقال (كروبتكن) فى تضعيف دارون ان دارون لم تبق آراؤه على ما كانت عليه بل تساهل فيها عندما اخذ يبحث فى تنوع النباتات و الحيوان بحثاً مسهباً و ارتاب فى كفاية الانتخاب الطبيعى . وقال كروبتكن فى موضع آخر ما هو ادهى من ذلك وهو ان دارون لم يكن يعتقد الانتخاب الطبيعى وانما اراد ان يسد به باب القصد على القائلين به وذلك حيث رأى دارون ان (لامرك) ذهب الى ان فى الاحياء عميلاً الى التقدم من نفسها و ان عند الحيوانات شيئاً من الارادة يساعدها على الارتقاء فحشى ان يفتح بذلك باباً للقائلين بالقصد فيقفوا فى سبيل العلم (نقد ج ١ ص ٢٠٦) ولما قال طمس ان يبس قشرة الارض لايمكن ان يكون قدتم فى اقل من عشرين مليون سنة ولا اكثر من اربعمائة مليون سنة وانه يقتضى ان يكون بين ثمانية وتسعين مليون سنة و بين مائى مليون سنة قال دارون فى ملاحظته على هذا الكلام ان الفرق بين هذه الحدود يدلنا كم هي الا دلة الضعيفة (نقد ج ١ ص ٢٠٤ وما بعدها) .

وقد انصف من اعترف بالعجز امام من تورط و اتخذ المباحثة طريقاً للوصول

الى مقاصده ولكنه لم يصل : فقد قال العلامة الفرنسي (لوجيل) فى كتابه العلم والفلسفة نحن لانعلم ولا نرى الا الظواهر و القشور اما الحقيقة والعلة فتأبى ان تنكشف لنا (وجدى مادة مدد ص ٥٠٦) .

وقال العلامة الانجلىزى - استوارميل - كما نقله عنه الاستاذ جون لبوك : تبدو لنا الحياة الانسانية محاطة بفواض الاسرار فترى دائرة تجاربنا الضيقة كأنها جزيرة صغيرة ضالة فى بحر لانهاية له يرفع احساساتنا ويساعد قوتنا الخيالية بعظمه و ظلامه ومما يزيد ذلك السرغموضاً ان مجال حياتنا الدنيا ليس كجزيرة فى فضاء غير متناه فقط بل فى زمان غير متناه ايضاً - ١ - (وجدى مادة أله ص ٥٦٥ وما بعدها) .

وقال شبلى شميل : ليس فى طاقة الطبيعى ان يعلم الحقائق والماهيات : وقال بخبرانه ليصعب علينا اوستحيل ان نعرف كم يخص كلا من هذه الاسباب ويظن دارون انا غالباً لانعرف النواميس : وفى اصول الانواع لدارون كثيراً ما تستغلق دوننا وجوه الرشد فى اكتناء دستور محكم نستر شد بهديه فى ظلمات هذه الابحاث (انوار الهدى ص ٢٦) .

وقال (سبنسر) وهو الذى يطريه اهل التعطيل غاية الاطراء ان الوجود على قسمين ما لا يمكن معرفته وما يمكن و خلاصة رأيه فى القسم الاول ان ادراك الانسان محدود فاذا بلغ حده استحال عليه معرفة ما وراء ذلك وان فى الطبيعة قوة يستحيل على العقل البشرى ادراكها ويرد "كل المسائل المتعلقة بواجب الوجود وعلة العلل او العلة الاولى والغاية الاخيرة الى الدين او الى ما لا يدرك بالعقل البشرى او الى ما هو وراء الطبيعة لان العقل مقيد فى بحثه بقيود لا يستطيع حلها فلا يستطيع الوصول الى كل الموجودات ولذلك فما يستطيع العقل ادراكه محصور فى العلة الثانوية والغايات الثانوية التى نراها تنتج عنها (نقد ج ١ ص ٢٨ وما بعدها) .

هذا واذا كانت الضرورة الجأت الماديين الى ان يفترضوا الاثير والجواهر الفردة ليجعلوها اصلاً يبنون عليه المادة وانشعاباتها الوفيرة فقد كان الاخرى بهم ان يفترضوا علة العلل بالسهولة التى يقول بها الموحدون من كونها مبدء حياً مقتدرأ

عالمًا ازليًا ابدياً مجرداً حكيمًا فان فرضهم الاثير والجوهر الفرد لا يصححان لهم ما في هذه الاكوان من موجودات عظمتها باهرة واجهزتها وافرة واتاجاتها عظيمة : الاثير لا يصحح الحياة ولا الادراك العقلاني الجبار : والجوهر الفرد لا يستطيع ان يعلل الاجهزة القهارة في الانسان والحيوان العاملة لمقاصد حكيمة واغراض عقلائية : فلم يستقم للماديين كل ما حاولوا من طريقه اثبات اصل بغيتهم بالنسبة الى ما يقول به الموحدون وطريق الموحدين بالانتقال من الاثر الى المؤثر طريق لامعز فيه وهو طريق طبيعي خالص بقيومة العلم عليه .

فالحق ان هذه المعلومات التي فاقت كل وصف وعز ادراكها على اعظم الادراكات تستوجب لنفسها مبدء يستطيع ان يقوم بها فهو اذن لابد وان يكون حياً عالمًا حكيمًا مقتدرًا مختارًا ازليًا ابدياً مجرداً لان معلولاته واجدة لسنخ اغلب هذه الاوصاف والباقي من تجرد وازلية وابدية فقد اقتضاه البرهان القاطع وقد اسلفنا كلمتنا عن هذا الموضوع فلانعيد :

وهناك امر يجب الاشارة به لاثبات كون المبدأ الاعلامباشراً لخلق المخلوقات باسرها فرداً فرداً وجزئياً جزئياً وانتمستمر القيمة عليها باعتبار حدوثها وتجددها في اجزاء الانات القصيرة فضلا عن الاحيان الطويلة وان ما يعتبر سبباً في التوالد ليس الا اعداداً محضاً - وذلك هو ان انرى افراد النوع الواحد متفاوتة فيما بينها تفاوتاً عميقاً لالتقى معه الا في اصل عام فاذا كان توالدها طبيعياً محضاً لادخل فيه لتدخل اي امر آخر بحكم ارث الفرع ما في الاصل وجب ان يكون الولد عين ابيه في كافة اشكاله وصوره في حين ان الامر بخلاف ذلك حتى اننا مع فرض كمال المشابهة بينهم ما نرى بين ذلك وهذا من الفروق الهامة ما تلمسه حاسة كل انسان واما ما حصل بكثرة ساحة من انشمار الولد عن ابيه شكلاً وصوراً وسجية وصفة و احتفافات اخلاقية فهو مشهود كل بصير من تولد القصير من الطويل والطويل من القصير والاسود من الابيض والدميم من الوسيم والجبان من الشجاع والبخيل من الكريم والعى من المنطيق والبليد من الذكى والعقيم من الولود الى ما سوى ذلك مما لا يحصى ولا يعد بل حتى ان العيان ترقي

بنافا ثبت انك لا تكاد تجد ورقتين في غصن واحد من شجرة واحدة متماثلتين في الشكول و الخطوط : وهكذا يقال في تخاطيط اصابع الانسان فانك لا تجد اثنتين من الناس متفقين في خطوط اصابعهما : فيعلم بالقطع ان كل واحد من هذه الانشعاعات له خلقه خاصة وقد صنعه منشؤه صنعة مستقلة وهذا معنى استقلال الخالق بالمباشرة لمخلوقاته وانها باستمرار حدوثها وتجددها وشخصها الى العيان تستلزم استمرار وجوده .

وقد يتبدل بعض الحمقى فيقول ما هذه الصرخات المزعجة حول الخلقة وتحويل امر الكائنات الحية ونحن بطور عادي نرى انخلاق ملايين الحشرات خلقة ابتدائية من غير توالد في الآفات القصيرة من طريق المياه المتعفنة والهذرات والقاذورات وما الى ذلك ولكنه لا يشعر ان ما ابتدله يعود بعد الدقة والتأمل فيه من اغرب الغرائب على العقل فان ظاهرة الحياة ومالها من آثار امر وراء ذرات العذرة والقذارة والماء المتعفن وما كان من هذا القبيل نعم هذه المواد تحت شرائطها الخاصة التي حصلت لها صارت مستعدة لطروء الحياة عليها لاستتمامها قابلية الطروء والحياة ظاهرة بسيطة وراء المادة وليست هي في نفسها امراً مادياً بالمرّة فكل جزء من اجزاء المادة بانضمامه الى الجزء الاخر ووجدان الجميع للشرائط الخاصة يهباً نفسه لقبول طروء الحياة عليه وهو في حد ذاته لا يملك سوى الاستعداد المحض لقبول ذلك : وليست الحياة في ظاهرها مما تقبل التبويض حتى يكون كل بعض منها موجوداً في كل جزء على سبيل الاندكاك حتى اذا التثمت الاجزاء تجمعت الابعاض وظهرت الى الوجود المكشوف بل هي كما اسلفنا ظاهرة واحدة غير قابلة للتوزع فاما موجودة واما مفقودة كما انها ليست من وادي الماديات .

غاية ما في الباب ان يسأل الانسان عن الحكمة في هذه المخلوقات واعطائها ظاهرة الحياة و جوابه عجز العقل عن ادراك ذلك وعن ملايين سواء : و بعين هذا الجواب يجاب من يقول ان علماء الطبيعة في صددها تباهت للخلايا الحية من طريق جمعهم لمواد خلقتها فاذا توفقوا لجمع هذه القوابل وطرات عليها الحياة كان ذلك مغنياً عن الاحتياج الى الخالق .

واما حديث النشوء والنماء ، وتنازع البقاء و انتخاب الطبيعة لبقاء الاصلح و ان هذا البرنامج هو الذى احوال القرد الى انسان فهو اضحوكة لعقمة فى كل فقرة من فقراته فكم تنازع البقاء ضعف وقوة فتلاشى الاقوياء عوبقى الضعفاء و كم ساير الشذوذ فى الخلقة والعيوب والهيات والنقص فعل الطبيعة واقترن بها - ولا يزال - فلم تؤثر عليه :ومنذ عهد البشر نفسه رأى فى افراده كاملا و ناقصاً قوياً وضعيفاً معيباً وسالماً شاذاً و تاماً ولم ير الطبيعة بحكم انتخابها للاصلح نزعت عنها هذا العار فابقت المخلوق الصالح ونفت الشاذ المعيب كماله يعهد البشر منذ اقدم عهده الى اليوم ان قرداً تحول الى انسان او سمكة تحولت الى طير .

او ان الضرورة الملحة خلقت للنقص ما يرفع به نقصه الشاق عليه : أفيحال بكل هذا الى ما قبل العهد البشرى فقط فيقال ان الطبيعة كانت تفعل هذه الافعال وتلزمها هذه الاحكام حين لا دار ولا ديار سوى الخلائق ودوران ذرات الاثير فيه .

وبعد فهذا الكلام من القوم بعد اثره لاجكمة وجنوناً مطبقاً لا عقلاً ومنطقاً والاكثر من هذا القبيل تطويل بلاطائل قامت به سمسارة الدجل والتدليس لرموز خاصة اهابت بها لتحصيل سلطان لامنسولية معه وهو ارسال الافراد الى تيه الضلال والقوات على كل قيد وابطال كل ناموس حتى ناموس العقل فان القوم الذين تسلخوا به فى قمع الموحدين جاؤا بعد ذلك ينكرونه بالمره ويحسبون الانسان كواحد من هاته الحيوانات التى تسرح وتمرح وتتسافد فى الشوارع والمشارع ويتكالب القوى منها على الضعيف والحاكم على المحكوم و المدلس المتلون على الطاهر البسيط وانه لامننى للوفاء والحياء والاباء والورع والاحتياط و لا حرمة للمهود و الموثيق و لا مجال للعدل و احقاق الحق و كل هذه الانحرافات التى تشاهدها دنيا البشرية منذ جاءت هذه الفلسفات الى عرصة الوجود وحتى اليوم نتيجة هذا الالحاد الظالم ومنبعث عن هذه الروحيات المنحطة العابثة بكرامة النوع الانسانى .

ولم ير انسان هذه القرون المتمدنة الا اعصاراً فيه نار قد عصف بكل الدنيا فاحالها الى بر كان نائراً قد سمج العيش معه وقلت الاحترامات فيه ودرثت من طريقه اصول

العدالة الاجتماعية وانك لا ترى الشعوب الضعيفة والامم المحكومة والافراد المستضعفين الا بحالة يرثى لها حقاً ولقد اصبحت الحياة على ضعفاء بني آدم من اثقل الاحمال المجهددة فياقتل الله دارون وبخرومار كس ولنين و كل زعماء عهد الذرة والصاروخ

(ودونك تمة الفصل السابق في صفة خلق آدم)

واستأدى الله سبحانه الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم في الاذعان بالسجود له والخنوع لتكريمه فقال سبحانه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس اعترته الحمية و غلبت عليه الشقوة و تعزز بخلقة النار و استوهن خلق الصلصال فاعطاه الله النظرة استحقاقاً للسخطه واستتماماً للبلية و انجازاً للعدة فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم .

ليس المنظور بقوله **﴿سبحانه﴾** ثم جمع سبحانه ، انه فعل ذلك بنفسه لان مباشرة العمل الخارجى تنافى بالذات هوية المجردات فاذن امر هذا الجمع يدور بين الابداع مرة واحدة ولا ينافيه ماذ كرم من التفصيل في عبارة الامام **عليه السلام** فانه تفصيل للمجموع الصادر مرة واحدة وشرح لما قامت به هذه الهوية و بين امر الامورين بالتفاصيل الموما اليها وقد يكون الهدف من ذلك - مع انه تعالى اذا اراد شيئاً قال له كن فيكون على حد تعبير القرآن المجيد - تعليم من به القيام بنظير هذه الصنعة من حيث تركيب الاجزاء المتفكك قول شعنها وجمع متفرقاتها ان يعمل على طريقة هذا العمل كما يعلم الاستاذ تلميذه الناشء ما يخصه من الدروس عملاً حرصاً على تثقيفه ورياضة انهنه وجوارحه وكلا الاحتمالين صحيح معقول ، من حزن الارض ، وهو ما صعب منها وغلظ ، وسهلبا ، وهو ما لان منها وسهل ، وعذبها ، وهو ما خلا منها وخلص ، وسبخها ، بالتحريك وهو ماملح منها ، تربة سنها بالماء ، اى من كثير ما ضربها بعضاً ببعض نعمت و ملست ، حتى خلصت ، اى اعطت كل زوائدها غير القابلة للذوبان والاختلاط ، ولاطها بالبلية حتى لزبت ، اى خلطها بالرطوبة وضربها حتى تلاصقت وتجمعت ، فجبل ، اى خلق ، منها . اى عن التربة المزبورة ، صورة ذات احشاء ووصول ، اى ذات جوانب وواصل

واعضاء وعين هذا المعنى يقال في قوله **لَقَدْ خَلَقْنَا** ، واعضاء وفصول أجمدها حتى استمسكت واصلدها حتى صلصلت ، اى ايسبها حتى صارت كالحجارة و من شأن كل وجود صلد أن يدوى بمرور ريح عليه او قرع له ودويه هو معنى صلصلته ، لوقت محدود و أمد معلوم. الجار يجوز تعلقه بواحد من قوله اجمدها واصلدها : وانما فصل تعالى بين تمام اجمادها ونفخ الروح فيها لغاية هو يعلمها ، ثم نفخ فيها من روحه ، اى وهبها الحياة والعبارة كناية صرفة عما ذكرناه ، فمثلت ، اى شخصت بعد هبتها الحياة وسائر القوى والجهازات ، انساناً ذا اذنان ، اى قوى دراية فى باطنه ، يجليها ، اى يقلبها ، و فكر ، جمع فكر ، يتصرف بها ، لمصالحه ومضاره ، وجوارح يستخدمها ، الجوارح جمع الجارحة وهى الاعضاء و استخدمه و استخدمه بمعنى واحد ، وادوات وهى بمعنى الجهازات و الاعضاء ايضاً ، يقلبها ، فى شؤنه واغراضه . ومعرفة . اعم من ان تكون ناشئة من العقل ام من المدارك الاخر ، يفرق ، ويميز بها ، بين الحق والباطل . مما يرجع لعالم المعقولات ، والاذواق والمشام و الالوان والاجناس ، مما يرجع لعالم الحواس الظاهرية ، معجوناً بطيبته ، اى مبثوثاً فيها بنياً ، الالوان المختلفة والاشياء المؤلفة والاصداد المتعادية والاخلاط ، جمع خلط ، المتباينة ، والمنظور بذلك الاعدادات والفرائز والطبائع ، من الحرو البرد والبله والجمود ، اى اليبوسة ، والمسائق والسرور ، الحسين والعقلين واستأدى الله سبحانه ، اى بعدان تمت خلقه آدم من جميع ما يريد الله له ومعنى استأدى طلب التادية ، الملائكة وديعته لديهم وعهد وصيته اليهم ، حيث قال تعالى لهم (الاية ٧١ و ٧٢ من سورة ص) انى خالق بشر آمن طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ، فى الاذعان بالسجود له ، اى لادم امثال الامر الله حيث زوى بذلك مقصداً لم يظهره لهم وان فهموا منه انه لتعظيم هذا المخلوق ، والخنوع ، وهو الخضوع ، لتكرمه فقال سبحانه اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس اعترته الحمية ، اى الغيرة لنفسه ومنشؤها نوعاً هو الحسد والتعاضم بالنفس ، وغلبت عليه الشقوة ، وهى الشقاء الناشء من التمرد على الوظيفة ، وتعزز بخلق النار ، اى انه مخلوق من نار وفيما حسب لتقسه ان النار

خير من الطين فأمره بالسجود لمن هو بزعمه دونه اذلال له وتخفيض لمقامه على ان زعمه لو تم لكان من وظيفته الامتثال لامر مولاه على كل حال، واستوهن ' اى استضعف، خلق الصلصال ، وهو ما خلق من الطين والله سبحانه امهالا واستدراجا له لم يعاقبه فى حينه ' فأعطاه النظرة ' بفتح النون و كسر الظاء المشالة وهى التأجيل والتأخير ، استحقاقا للسخطه ' مؤنثة السخط وهو الغضب اى انما فعل الله ذلك ليستحق ابليس سخطه من طريق اصراره واستمراره على المعصية ، و استتماما للبلية ، وهى الامتحان والاختبار . وانجاز اللعدة ' وهى الانظار الذى هو عبارة عن امهال المكلف واستدراجه ، فقال انك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم ، وهو يوم الحساب الذى انذر الله به المكلفين من ملائكة وانس وجن :

وتفصيل هذه البحوث يقع فى فصول - الفصل الاول - ما ذكره **عَلَيْكُمْ** فى خلقه

آدم وارد فى القرآن على صور شتى متحدة المآل من السور المومأ اليها تالياً .

- فى سورة البقرة من آية ٣٠ الى آخر آية ٣٧
 وفى سورة الاعراف من آية ١٠ الى آخر آية ٢٣
 وفى سورة الحجر من آية ٢٦ الى آخر آية ٤١
 وفى سورة بنى اسرائيل من آية ٦١ الى آخر آية ٦٦
 وفى سورة الكهف من آية ٥١ الى آخر آية ٥٣
 وفى سورة طه من آية ١١٥ الى آخر آية ١٢٤
 وفى سورة ص من آية ٧١ الى آخر آية ٨٥

(الفصل الثانى) فى خلاصة ما جاء فى هذه الايات بحسب ظواهرها : فى آيات

سورة الاعراف المومأ اليها ، ولقد خلقناكم ، خطاب لعموم بنى آدم وخلقتمهم وان لم تكن فى عرض واحد الا انها لما كانت متفرعة عن خلقه آدم وكان آدم هو رأس السلسلة وكانت حلقات السلسلة فى الظواهر العامة واحدة صح خطاب الجميع بكلمة خلقناكم والمراد بهذه اللفظة هنا خلقه اصل مادة الانسان ، ثم صورناكم ، اى صورنا موادكم بالصور الفعلية التى اتم عليها ، ثم قلنا للملائكة ، وهم نوع من المخلوقات العاقلة ،

اسجدوا لادم ، ليس في القرآن ما يعطى جهة هذا السجود على الحقيقة وان لادم اوله غايته ان الظواهر المستجلاة تعطى كون السجود لادم من باب التكرمة له 'فسجدوا' امثال الامر المولى ، الا ابليس لم يكن من الساجدين . تعنتا وتمردا ، قال ، له الله حينذاك ، ما منعك الا تسجد اذا امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين . لم يعلم ابليس انه مخلوق من نار من طريق خلقته الفعلية التي كان عليها اذ يستحيل ان تكون حينذاك ناراً بحقيقة النار المعهودة بل علم ذلك من اخبار الله اياه بان اصل المادة التي تقومت منها حقيقة كانت من الاجسام النارية المتهافة كما اخبر بنى آدم ان خلقتهم كانت من تراب ، وفي القرآن ما يعطى ان خلقه الجن كانت من النار وان ابليس كان منهم وسيأتي بعض الحديث عن ذلك والذي اغرى ابليس بهذه المفاخرة بين النار و الطين ما يراه من كون النار لها فعل واثر قوي ومن كون الطين جسماً هامداً يتأثر بالنار وغير النار: قال فاهبط منها الهبوط حقيقة في النزول من عال الى سافل ولو كان النزول نسبياً حتى لو كان من مكان الى مكان آخر غير محسوس الانخفاض وقد يستعمل في النزول المعنوي و ضمير منها بقرينة الايات الاخر الواردة في قصة آدم يشعر بان أمره بالهبوط كان بلحاظ الناحيتين الحسية والمعنوية وان الناحية الحسية هي الجنقوياتي الكلام عليها في مكان آخر ، فما يكون لك ان تتكبر فيها ، على مولاك الذي خلقك ، فاخرج ، عن ساحة عز الحضور ، انك من الصاغرين ، الاذلاء بعدها ، قال انظرنى ، اى اخرنى من الانظار فى الاجل ، الى يوم يبعثون ، اى يبعث المكلفون من مراقدهم لحساب يوم القيامة ، قال انك من المنظرين ، اى من الذين انسا نأعمارهم واخرنا الفناء عليهم ، قال فيما اغويتنى ، اغواء الله اياه بنظره حصل من طريق انه طلب من الله الامهال الطويل فأجابه اليه ولحن طلب الامهال منه كان مشعراً بالتهديد فهذا وذلك بزعمهما أغراء بجهلوا الاغراء بالجهل اغواء قطعاً لكن امهال العاقل ليس اغراء له بل هو فى الحقيقة مجال سباق يستطيع من طريقه ان يأتى من احسن المهديين : اما امهال الجاهل فيه من البلاء على نفسه وعلى غيره ما لا يعلمه الا الله ، لا قعدن لهم صراطك المستقيم ، اى لا تعرضن لهم سبل الخير وارحف بهم مهما استنطمت ولا ريب ان الانحراف نوعاً

منسب عن الارجيف ، ثم لأتينهم من بين ايديهم و من خلفهم و عن ايمانهم و عن شمائلهم ، اى أثنى اليهم من كافة جهاتهم فأوسوس لهم من اى متخذ استطاعت النفوذ منه اليهم ، و ، حينذاك ، لاتجد اكثرهم شاكرين ، لانعمك السابقة بل اجعلهم بما ارجف به مشككين حتى فى الحقائق الواضحة ولازم تأثرهم بذلك هو كقران النعمة قطعاً ، قال اخرج منها ، اى من الجنة السابقة الذكر ، مذؤماً ، المذؤم جاء بمعنى المذموم والمعيب واللعين والمهان وهى متقاربة المعانى ، مدحوراً ، اى مطروداً ، لمن تبعك منهم لاملان جهنم منكم ، اى منك انت ومن تبعك ، اجمعين ، فان المنحرف بالارجوفة تلقى عليه يستحق التنكيل والتعزير لمكان عقله منه ، ويا آدم ، هذا النفات تحذير وتنبه لادم من اغواء هذا العدو الجديد الذى اقترن باول حياته وسيبقى مقترناً به وباولاده الى آخر حياة الجميع ، اسكن انت و زوجك ، حواء ، الجنة فكلا من حيث شئتما ، لكن الاختبار وضع قدمه هنا لينكشف للطرفين من آدم وابليس موقفهما امام المعبود اما ابليس فمن طريق ما هدد به و اما آدم فمن طريق ما حذر منه ، ولاتقربا هذه الشجرة ، وستأتى الاشارة الى ما ورد فى شأنها ، فتكونا من الظالمين لا نفسكم بالمخالفة لربكم و ما يتصل بكم من نتائج هذه المخالفة ، فوسوس لهما الشيطان ، طبق ما اسلفه من التهديد ، ليبدى لهما ما وورى عنهما من سوأتهم ، السوأة هى العورة و نحن لا نتميز من هذه الاية كيفية ارتباط ظهور عورتهم لهما باكلهما من الشجرة التى نها عن الاكل منها ويأتى ما يفيد فى المقام ، وقال ، فى وسوسته لهما ، مانها كما ربكا عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين ، كانهما كانا يجدان فى انفسهما انهما دون الملائكة قدراً ، او تكونا من الخالدين ، فى الحياة ، وقاسمهما ، اى اقسما لهما ليتأكد من نفوذ قوله فى نفسيهما ، انى لكما لمن الناصحين ، فيما اشرت به فدلاهما ، اى اوقعهما فى المكروه ، بفرور ، منه لهما واغترار منهما به فلما ذاقا الشجرة ، المنهى عنها ، بدت لهما سوأتهم وطفقا ، اى شرعا ، يخصفان ، الخصف هو وصل الشيء بالشيء او هو الترقيع ، عليهما من ورق الجنة ، كانا قبل ان يطعما من الشجرة عارين لكنهما لم يستقدرا ذلك من انفسهما فلما ان طعما منها وتميزا ظهور سوأتهم لهما ووجدا فى نفسيهما قدراً من ذلك اسرعافى

التغيش عما يوارى عورتها فلم يجدوا غير ورق الشجر فأخذوا يقطعانه ويصلان ورقة بورقة ويضعان ذلك على عورتها رجاء سترهما به او انهما كانا كاسيين فانتهك سترهما عندما اكلامن الشجرة . وناداهما ، عند ذلك ، ربهما الم انهكما عن تلكما الشجرة واقل لكما ان الشيطان لكما عدوميين ، قد رصد بعداوته عندما امرته بالسجود فأبى متعاضماً ، قالا ، عندما عرفنا خطيئتهما وان ابليس لم يرد بهما فى نصيحته الا الاغواء والاضلال ، ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين . قد ساقهما الى هذا الكلام المعقول عقلمما حين التفتا اليه التفات محتاج مقهور ولا ريب ان البعيد عن رحمة مولاة خاسر اشد الخسران ، قال ، بعد التوبة عنهما ، اهبطوا ، من هذه الساحة العزيزة التى لم تعرف فاقد الراحة والعزة فيها ، بعضكم لبعض عدو ، بسوء اختياره لعداوة صاحبه ، ولكم فى الارض ، التى تهبطون اليها ، مستقر ومناخ ، ولكن الى حين ، هوقت ومن قوله تعالى ولكم فى الارض مستقر يظهر انهما كانا فى مكان آخر وسيأتى بعض الكلام على ذلك .

وجاء فى آيات سورة الحجر : ولقد خلقنا الانسان من صلصال ، هو الطين اليابس الذى تسمع له عند النقر صلصلة ، من حمأ ، هو الطين الاسود المتغير ، مسنون ، هو الطين الرطب المهيأ للخلق والتركيب ، والجان خلقناه من قبل ، اى قبل خلقه آدم فكان له وجود منتشر ، من نار السموم . اى ان مادته الاولى كانت من ذلك ؛ و جاء فى آيات سورة بنى اسرائيل ، قال ارايتك هذا الذى كرمت على ، حيث امرتنى بالسجود له ضمن من أمرت ، لئن اخرتنى الى يوم القيامة لاحننكن ، اى استولى على ، ذريته ، بالاغواء و الاغراء ، الا قليلا ، ممن يلتفت الى نفسه فلا يقع فى شرك المصانعة :

وجاء فى آيات سورة الكهف ، و اذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا الا ابليس كان من الجن . فى هذه الاية تصريح بان ابليس جنى وان شمله الامر مع الملائكة بالسجود لادم ، ففسق ، اى تعدى ، عن امر ربه .

وجاء فى آيات سورة طه ، ولقد عهدنا الى آدم من قبل ، حيث حذرناه مما

يوجب شقاه ، ففسى ولم نجد له عزماً ، ثابتاً ومن هنا يفهم ان مخالفة آدم فى الاكل من الشجرة لم تكن عن استحضار لنهى الله حتى توجب له العصيان وان اطلاق العصيان عليه باعتبار اهماله العهد الذى كان من لازمه ان يراعه بالتذ كر دائماً ، واذ قلنا للملائكة اسجدوا لادم فسجدوا الا ابليس ابى فقلنا يا آدم ان هذا عدوك و لزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فنشقى ، فى الحياة ، ان لك ، علينا فى الجنة ، الاتجوع فيها ولا تعرى . ومن هنا يظهر ان آدم فى الجنة كان من اهل اللباس ولم يكن عرياناً الا ان يقال ان ضمان الله تعالى باللباس له مشروط باستمراره الحياة فيها وانه كان قبل ان ياكل من الشجرة عارياً لداع آخر ، وانك لاتظماً فيها ولا تضحى ، اى لاتعطش ولا تعيش فى حرارة الشمس بل فى ظل كريم ، فوسوس اليه الشيطان قال يا آدم هل ادلك على شجرة الخلد ، وهو البقاء الى لانهاية ، وملك لايبلى ، اى مقرونأ خلودك بالسيادة والرئاسة وهو اغواء من موجود متصرف الذهن قوى المعارضة لموجود غير بسيط لم يتعرف بشؤون الحياة بعد و كذلك كان ابليس و كان آدم .

وجاء فى آيات سورة ص ، فاذا سويتة ، اى صنعته وصيرته سوياً لاتقص فيه ونفخت فيه من روحى ، كناية عن اعطاء الحياة ، فقعوا له ، الى الارض ، ساجدين فسجد الملائكة كلهم اجمعون الا ابليس استكبر ، اى اظهر التكبر على امر الله ، وكان من الكافرين ، لاستكباره و كل مكلف اذا استكبر على الوظيفة المولوية فهو مستحل كافر ، فان الفاسق هو من لا يقوم بالوظيفة ولكن لا يتكبر عليها بحيث يرى نفسه فوق ذلك ، قال يا ابليس مامنك ان تسجد لما خلقت بيدي ، و امراد بهذه الكلمة شدة الاعناء بهذه الخلقة ، استكبرت على مولاك ، ام كنت من العالين ، فيما ترى لنفسك على هذه الخلقة التى خلقت .

وجاء فى آيات سورة البقرة ، واذ قال ربك للملائكة انى جاعل فى الارض خليفة ، انما قال الله ذلك ليكشف لهم ما ينظرون عليه ومعنى الجعل هنا هو الخلق اى انى منشأ جيلاً جديداً يخلف من مضى فى الحياة ، قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء ، انما حكموا بذلك وهم لم يروا هذا الخلق الجديد لانهم وجدوا من

عاصروه قد انتهى به الامر الى الافساد وسفك الدماء فاستبعدوا ان يجيء الخلف على غير روية السلف ، ونحن نسبح بحمدك وتقدس لك ، اى والحال انا نحن الملائكة ننزهك ونظرك ونخضع لك بالعبودية ، قال انى اعلم ، من حقائق الغيب ، مالا تعلمون ، وبعد ان خلق آدم وصوره ونفخ فيه من روحه فصار بشراً سوياً من حيث الخلقة عمد الى تثقيفه فقال ، وعلم آدم الاسماء كلها ، اى اسماء المسميات من ارض وسماء وخبز و ماء وما الى ذلك مما لا يحصى كثرة وانما فعل ذلك به ليهاً له وسيلة حياته فان الحياة من دون ذلك تثقل على صاحبها ولان بين للملائكة ايضا ان الذى يريد ان يجعله خليفة واجد للكمال من ناحية ربه الذى اعد له حياة فضلى ، ثم عرض مسميات تلك الاسماء التى علمها آدم ، على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين ، فى تفضيل انفسكم على من استخلفته ، قالوا ، مع كمال اظهار الأدب ، سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت العليم الحكيم ، تعلم مالا يعلم غيرك و كل ما تفعله عن حكمة ومصحة ، قال يا آدم انبئهم باسمائهم ، ليعرفوا مقامك ، فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى اعلم غيب السموات و الارض و اعلم ما تبءون و ما كنتم تكتمون ، انما قال لهم ذلك اظهاراً لمقام عظمته الذى لا يجهلونه ولكن جلباً لاستحضار ذهنياتهم بالنسبة الى مقام ربهم المعبود لهم .

(الفصل الثالث) فى ما جاء من التاريخ والحديث بمناسبة هذه القصة فمن ذلك

ما ذكره الطبرى فى تاريخه (ج ١ ص ٤٤ وما بعدها) محدثاً ومؤرخاً فقال : ان ابليس كان من بقايا الجن الذين كانوا فى الارض فسفكوا فيها الدماء و افسدوا فيها وعصوا ربهم فقاتلتهم الملائكة فصار ابليس مع الملائكة يتعبد معهم فلما امروا ان يسجدوا لادم اى ابليس وان الملائكة انما قالوا الله سبحانه اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء لما كانوا عهدوا من امر الجن الذين كانوا سكان الارض قبل ذلك وان الله تعالى امر بترية آدم فرفعت فخلق آدم من طين لازب : وعن سعيد بن جبيرة عن ابن عباس قال بعث الله ابليس فأخذ من اديم الارض من عذبيها وملحها فخلق منه آدم ومن ثم سمي بذلك لانه خلق من اديم الارض .

وروى عن النبي ﷺ انه قال خلق الله آدم من قبضة قبضها من جميع الارض فجاء بنو آدم على قدر الارض منهم الاحمر والاسود والابيض وبين ذلك والسهل والحزن والخبيث والطيب ثم بليت طينته حتى صارت طيناً لازباً ثم تركزت حتى صارت حمئاً مسنوناً ثم تركزت حتى صارت صلصالاً : قيل فمكث اربعين ليلة جسداً ملقى وقيل اربعين سنة حتى عاد صلصالاً كالفضة فلما اراد الله ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح من ناحية رأسه عطس فقالت الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله :

ثم علم الله آدم الاسماء كلها اى اسم كل شىء من الخيل والابل والبغال والجن والوحش ولما أمر آدم بأنباء الملائكة باسماء هذه المسميات جعل يسمى كل شىء باسمه وعرضت عليه امة امة ولما ظهر للملائكة استكبار ابليس وخلافه لاسرربه واقامته على غيبه وطفيانه لعنه الله فأخرجه من الجنة واسكن تعالى آدم جنتاً فكان يمشى فيها وحشاً ليس له زوج يسكن اليه فنام نومة فاستيقظ فاذا عند رأسه امرءة قاعدة خلقها الله من ضلعه فسألها ما انت قالت امرءة قال ولم خلقت قالت لتسكن الى فزوجها الله منه و جعلها سكناله وقال لهما يا آدم اسكن أنت وروجك الجنة وكلامها رغداً ولا تقربا هذه الشجرة فنكونا من الظالمين .

وجاء الشيطان فدخل فى جوف الحية فكلم حواء ووسوس الى آدم وحاكم عليهما بالهبوط من الجنة فاهبط آدم بالهند وحواء بجدة فجاء فى طلبها حتى اجتمعا فازدلفت اليه حواء فلذلك سميت المزدلفة وتعارفا بعرفات فلذلك سميت عرفات واجتمعا بجمع فلذلك سميت جمعاً .

وعن ابن عباس فى قوله تعالى واذا اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ان الله لما خلق آدم مسح ظهره فاخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال الست بربكم قالوا بلى قال فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائن : ا ه : ملخصاً مجوداً وسيجىء فى بحث العلوم والفنون من هذا الكتاب ما ينتفع فى المقام .

وجاء فى تفاسير الشيعة انما سمي الله تعالى آدم خليفة لانه جعل آدم و ذريته

خلفاء للملائكة لان الملائكة كانوا من سكان الارض وقيل كان في الارض الجن فافسدوا فيها وسفكوا الدماء فاهلكوا فجعل آدم وذريته بدلهم وعلى هذه الساطعة قالت الملائكة اتجعل فيها من يفسد فيها :

والمنظور بقوله تعالى علم آدم الاسماء كلها على ما قاله الاكثر انه سبحانه علمه جميع الاسماء والصناعات وعمارة الارض وصنع الاطعمة والادوية واستخراج المعادن وغرس الاشجار وجميع ما يتعلق بعمارة الدين والدنيا وقيل في كيفية تعليمه الاسماء انه اودع قلبه معرفة الاسماء وفتح لسانه بها فكان يتكلم بتلك الاسماء كلها كما قيل في كيفية العرض على الملائكة انه تعالى خلق معاني الاسماء التي علمها آدم حتى شاهدها وقيل بل صور ذلك في قلوبهم حتى صارت كالمشاهدة لهم بابصارهم . وقيل ان الظاهر من الامر بالسجود لادم كان لجميع الملائكة حتى لجبرئيل و ميكايل لقوله تعالى فسجد الملائكة كلهم اجمعون وقيل كان خاصاً بطائفة من الملائكة كانوا مع ابليس حين طهر الله بهم الارض من الجن : وروى عن الائمة (ع) ان سجودهم لادم كان على وجه التكرمة والتعظيم لشأنه ومن هنا استعظم ابليس ذلك : واختلف فيه هل انه كان من الملائكة كما قال به جماعة منهم الشيخ الطوسي و قال هو المروي عن الصادق عليه السلام انه كان من الجن كما عليه المفيد (ره) وغيره قال المفيد وقد جاءت الاخبار بذلك متواترة عن ائمة الهدى وهو من مذهب الامامية واستدلوا على ما ذهبوا بقوله تعالى الا ابليس كان من الجن وهو جنس معروف لاخفاء فيه وبأن ابليس له نسل وذرية لقوله تعالى أفتتخذونه وذريته اولياء و الملائكة روحانيون لا يتناسلون وبقوله تعالى في حق الملائكة لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون فلو كان ابليس منهم لكان على وصفهم واستثناؤه منهم لا يدل على كونه من جملتهم بل لانه كان مأموراً بالسجود معهم فلما دخل في الامر جاز استثناؤه من بين المأمورين بالسجود لادم .

واختلف في الجنة التي اسكن فيها آدم فقيل هي جنة من جنات السماء غير جنة الخلد لان هذه كلها دائم ولا تكليف فيها وقيل هي جنة من جنات الارض وقوله

تعالى اهبطوا منها لا يفتنى كونها فى السماء مثل قوله اهبطوا مصراً و قيل انها جنة الخلد لان الالف و اللام فيها تشعربالعهد الذهنى : و يجىء فى بحث المعاد ما يوضح ذلك :

واختلف فى الشجرة المنهى عنها فقيل هى السنبلة و قيل هى الكرمة و قيل هى النينة و قيل شجرة الكافور : و اختلف فى كيفية وصول ابليس مع انه خارج الجنة قد اُبعد عنها الى آدم و حواء و هما فيها حتى و سوس اليهما فقيل ان آدم كان يخرج الى باب الجنة و ابليس لم يكن ممنوعاً من الدنومنه فكان يكلمه و قيل انه تلبس فى الحية فكلمه من فيها و قيل غير ذلك : و اختلف فى الكلمات التى تلقاها آدم من ربه فقيل هى قوله ربنا ظلمنا انفسنا و قيل هى اسماء الخمسة اهل الكساء و قيل غير ذلك :

و قيل فى معنى بدت لهم اسواتهم انهما لما اكلتا منها تهاقت عنهما لبا سهما فأبصر كل واحد منهما سواة صاحبه فاستحى ، و طفقوا يخصفان عليهما من ورق الجنة اى اخذا يجعلان ورقة على ورقة ليستراسوا آتتهما حتى صار كهيئة الثوب و قيل فى الورق انه ورق النين .

(الفصل الرابع) ان ماجاء فى بعض الاثار تفريماً على جمع تربة آدم من الحزن و السهل و العذب و السبخ و ما الى ذلك من قولهم فجاء منهم الاحمر و الابيض و الاسود و الخبيث و الطيب لابدوان يراد منه استعداد هذه البنى لان تجىء على الوان شتى و روحيات متعددة لأن الشقاء و السعادة من ذاتيات هذه الخلقة و هكذا لو نيسة اللون للاعتبار القاطع بان الشقاء و السعادة تابعان لمحيط التربية و المعاشرة و ناشئان ايضاً عن تأثر الروح بمجارى الفكر و اما اللونية فهى تقريباً ناشئة من طبيعة المحيط و لامجال هنا لاستقصاء ذلك .

(ما للداعي الى لزوم العصمة فى الانبياء)

و جوب العصمة معناه لطف الله بعبده بحيث يقربه الى الطاعة بما يعلم معناه

لا يقدم على المعصية من غير ان يكون في اليقين الجاه والعصمة من غير وجوب حصلت
لجملة من بنى آدم على التحقيق اولئك الذين جاهدوا أنفسهم وتغلبوا عليها حتى
طاوعتهم الى كل ما يريدون منها : وأما وجوب العصمة فانما يلزم به الدليل لامناء الله
ورسله القائمين بالوساطة الشرعية بينه تعالى وبين عباده لاجل حصول اليقين للنفوس
بان ما يخبرون به حتمى الصدور عن المبدأ وأن افعالهم و تروكهم من الحجج
الشرعية لوجوب التأسي بهم فكل بعث من الله وقائم بايضاح ما استغلق من شرائعه و
توضيح ما أبهم لدواعي خاصة في حينه يجب ان يكون معصوماً اذ وجوب العصمة من
اللوازم غير المنفكة عن الملاك الذى اشعرنا به ووقوع الخلاف في ذلك بين متكلمي
المسلمين ناشىء عن عدم التدبر اللازم في الموضوع المتحدث عنه ولذلك نرى من
التطويل بلا طائل ذكر اقوال النفاة والمثبتين وما لكل طرف من حجة ودليل : و
اهم ما دعاهم الى التفرق في وجوب العصمة وعدم وجوبها ما يلاحظونه بدواً من
نسبة الذنب الى الانبياء في بعض ظواهر الكتاب العزيز و ما أثر عن الشرائع السابقة
واللاحقة : اما المأثور عن الشرائع فكله تزوير وتدليس من رواة السوء لاجل الاطاحة
بمقامات اكابر الدين و الغاية تصعيف الدين نفسه لدواعي رمزية لا مجال للتعرض
لها هنا : واما ما يلوح من بعض ظواهر القرآن مثل (وعصى آدم ربه فغوى) فباء تبارانه
يصادم المنطق كما يصادم ما نجده في ظواهر اخرى من القرآن نفسه مثل ما اسلفنا
ذكره من الاية (٢٠) وما بعدها من سورة البقرة : واذ قال ربك للملائكة انى جاعل
في الارض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك
وتقدس لك قال انى اعلم ما لاتعلمون : وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة
فقال انبؤنى باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين قالوا سبحانك لا علم لنا الا ما علمتنا انك انت
العليم الحكيم : قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال الم اقل لكم انى
اعلم غيب السموات والارض واعلم ما تبدون وما كنتم تكتمون : واذ قلنا للملائكة اسجدوا
لادم فسجدوا الا ابليس وكان من الكافرين : فلا بد من صرفه عما يلوح
منه الى ما سواه فان ظواهر هذه الايات تصحح بجلاء ان آدم له خصوصية ومقام عند الله

ومثل هذا لا يصح فيه ان يكون من العصاة للثنا في المنزلتين قطعاً فلا بد وان يكون المراد من معصية آدم ارتكابه لما لا يسقطه عن مقامه المومناً اليه وقد ثبت في العرف والشرع ان ارتكاب جملة من المباحات بالنسبة الى بعض الاشخاص يعد ذنباً ويلام عليه صاحبه ويقال له انك فعلت ما لا يليق بمقامك وعلى هذا المعنى جملة علماء الامامية والملاكات العلمية والمذاهب العرفية تساعد على بلا تمحل وهو الحق : وما اسلفناه تقدمه لقوله ﷺ :

ثم اسكن سبحانه آدم داراً ارغد فيها معيشته وآمن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته فاغتره عدوه نقاسة عليه بدار المقام ومرافقة الابرار فباع اليقين بشكه والعزيمة بوهنه واستبدل بالجدل وجلال وبالاعتزاز ندماً ثم بسط الله سبحانه له في توبته ولقاء كلمة رحمته ووعدته المرد الى جنته واهبطه الى دار البلية وتنازل الذرية .

ثم اسكن سبحانه آدم ، اي بعد ما خلقه وعلمه واكرمه اسكنه داراً ، اي مكاناً موصوفاً بالامن والهناء والرخاوة والمنظور بذلك هو الجنة التي يؤل اليها امر الناس بعد تلاشى هذه الحياة او المنظور ما اسلفناه من المكان الامن الرغيد وهو من ناحية الملاك لا يختلف في جوهره عن الجنة الموعود بها فان المراد بالجنة حينما اطلقت هو النعيم الخالي عن شوائب الالم غايته ان ما وصفه الله للجنة الموعودة هو اعلا ما يمكن تهيأته لمستحق النعيم من لدنه تعالى ، ارغد فيها معيشته ، الرغد هو سعة المعاش وترفه ، وآمن فيها محلته وحذره ابليس وعداوته ، لان العدو بطبيعة حاله يسمى لاضرار عدوه ما تمكن . فاغتره عدوه ، اي اوقعه في الغرور ، نقاسة عليه ، اي حسدأله ، بدار المقام ، التي اسكنه الله اياها ، ومرافقة الابرار ، من الملائكة الذين جاورهم فباع اليقين بشكه ، اي باع يقينه في ان ما نهاه الله عنه انما كان لمصلحته وانه اذا آمن غوائل عدوه وانما تزلزل يقينه منزلاً الى درجة الشك لغواية ابليس اياه بانه يكون ملكاً مجداً او يقترن بالبقاء مؤبداً او ان ما نهى عنه لم يكن نهى تحريم حتى يسقط بارتكابه وانما هو نهى تنزيه وارشاد ونظير ذلك من المهنات التي صرح القرآن ببعضها والعزيمة ، وهي الثبات والاستقامة ، بوهنه ، اي بضعف نفسه وانخدالها ، واستبدل

بالجذل ، وهو الفرح والنشاط ، وجلا ، حيث اخرج من دار المقام والارتياح ، و
بالاغترار ند ما ثم بسط الله سبحانه له في توبته . لانه تعالى يقبل التوب من عباده ، ولقاء
اي اعطاء ، كلمة رحمة . لان الله لطيف بمن يستمد منه اذا علم منه خلوص النية كما
قال في شأن اهل الكهف انهم فتية آمنوا بربهم وزدناهم هدى ، ووعدناهم المرد الى جنته
التي وعد بها المتقون بعد يوم القيامة ، واهبطه . هو نظير قوله اهبطوا مصراً او انه
كان في السماء فاهبط الى الارض ، الى دار البلية ، اي دار الاختبار و الابتلاء ،
وتناسل الذرية ، اي التوالد والتناسل .

(لزوم بعثة لرسول لاصلاح الجوامع)

بطبيعة الحال نرى الانسان مخلوقاً بين عاملين قويين احدهما شهوته وميوله
وثانيهما عقله وفكرته و كل منهما في ميدانه له عمل جبار الا ان الشهوة لما كانت
من غرائز الجسم لصيقة بالنفس محط النظر ومد البصر كان محيطها الذي تعمل فيه
واسعاً للغاية و خطراً جداً ؛ و قد يلتهى الانسان عن عقله وينشمر عن لبه طوال عمره
او اكثره فلا يكاد يعد او يحشر في زمرة العقلاء ؛ وما اقل في ادوار بني آدم من
التفت الى عقله وتقرب من لبه واستنصح هداه وقاوم ميوله واهوائه .

والانسان اذا ركن الى شهوته واستغل ميوله لاتراء الاوحشاً ضارياً وفاتكاً
بعيد الرحمة وفي تناول القسوة يشب الحروب لاول فتنة ويغصب النواميس لاقول
شهوة ويريق الدماء المحترمة لادنى بادرة فمسير هذا المخلوق بروحيته هذه مسير مكتنف
بالاخطار محن بالافات فلا بد من القيام عليه والتحديد لحر كاته .

وليس التحديد كله لحكومة السيف فان السيف اذا جمع لنفسه بين القوى
التقنينية والقضائية والاجراء كان افسد آلة استعملت في نظام الحياة وما هتك الاجتماع
البشرى قديماً وحديثاً الا اعماله بهذه الصورة : سل عن ذلك حروب الجاهلية
الرعاء وغارات المفول والوقائع الصليبية والحربين العالميتين الاولى والثانية بل و
كل حكومة استبدادية قامت على وجه الارض منذ اول خلقه هذا المخلوق العنيف الى

يوم البشرية هذا :

بل التحديد اولا وبالذات للعقل الوزين والمنطق الرزين فالعقل هو الذى يشخص الجريمة من غيرها وهو الذى يوزن مقدار ما تستحق من عقوبة وهو الذى يقضى بين المتخاصمين وبالاخرة هو الذى يستطيع لم الجوامع وتقنين ما يضبطها ويحفظ لها أمنها واستقرارها وجريان امورها وتعديل جنباث معيشتها و بسواه لا يكون شىء من ذلك : والسيف فى كل هذه المراحل مأمور اجراء فقط ليس به ان يشهر او يغمد الامن طريق حكم القانون عليه .

هذا وان العقول لاتستطيع الحاكمة على الناس اذا لم يكن لها قانون يجمعها ويطلع بها من الخمود والسكون الى عالم الفعل والظهور فلا بد لدنيا البشرية على طول الخط من مثاليين كبارهمهم وورد ألسنتهم تنبيه العقول وتوجيه القلوب و التبشير و الانذار والوعظ والارشاد والتحذير عن نتائج الانحراف وبيان وجوه المصالح والمفاسد والمساوى والمحاسن حتى يكون الفرد الانسانى دائماً من طريق هذه التوجيهات على ذكر مما يصلحه ويفسده وبما ان المبدأ الاعلا أعلم من حاز على علم وادرى بالحق من كل من عرف الحق واتصل به كان اسناد موضوعية التوجيه اليه محتملاً لاجل ان يكون الموجه من جنس الناس للزوم اتصاله بهم وانحشاره معهم وجب ان يكون الرسول انساناً بشرائط خاصة اهمها العصمة وقد آتقنا الحديث عنها، وجامع بقية شرائطه ان يكون دياناً كبيراً ومقدساً معروفاً ومثالياً تعنوله النفوس وتخضع له القلوب لطهارته وايمانه وورعه وتقواه وحبه للخير المطلق وبغضه لمطلق الشر وان لاتكون فيه موجبات النقرة العرفية لافى نسبه او حسبه ولا فى خلقته واخلاقه ومزاياه . ومتى كان على رأس الجوامع انسان بهذا الملاك كان له تأثيره المهم فى رفع مستوى المعرفة ودك الرذيلة وتقدم الفضيلة لولا وجود هذه المناورات الايمانية والمبارزات بنفع الانسانى من القديم السابق لكان الوجود و كل ما فيه ميداناً للشرور والاشرار والفسقة والفجار والمخربين والمنحرفين بلون لاترى فيه اثرأ لفضيلة ولا وجوداً لانسان .

ولكن تيك المبارزات التي قام بها انبياء الله من نوح وهود وصالح و ابراهيم و موسى وعيسى ومحمد و غيرهم اثرت اثرها الواضح و جرفت اليها القلوب والعقول و خلقت من الناس مثاليين لهم موقعيتهم الاجتماعية وصيتهم الطائر .
وعلى ان هذه القرون المتأخرة قرون اضلال وتشويه و جهل و عنجهية و انحراف قد احدثت الحيوانية المغتلمة فيها مكان الانسانية لكن مع ذلك نرى لتعاليم اولئك الافذاذ بقاء علمياً واثراً نفسياً في جملة من القلوب والعقول : اذن فبعثة الرسل واستمرار رسالتهم و بقاء دعوتهم من الشرائط الاولية لنشكيل حياة فضلى و بدون ذلك تعود الحياة من الموبقات : - فہلم بنا الى مقاله الامام في هذا المقام -

واصطفى سبحانه من ولده انبياء اخذ على الوحي ميثاقهم ، وعلى تبليغ الرسالة أمانتهم ، لما بدل اكثر خلقه عهد الله اليهم ، فجهلوا حقه و اتخذوا الانداد معه و اجتالتهم الشياطين عن معرفته ، و اقتطعتهم عن عبادته فبعث فيهم رسله و اتر اليهم انبياءه ليستأدوهم ميثاق فطرته ، و يذكروهم منسى نعمته ، و يحتجوا عليهم بالتبليغ ويشيروا لهم دفائن العقول ، و يروهم الايات المقدرة ، من سقف فوقهم مرفوع ومهاد تحتهم موضوع و معاش تحبيهم و آجال تفسيهم و اوصاب تهرمهم و أحداث تتابع عليهم ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب منزل او حجة لازمة او حجة قائمة رسل لا تقصر بهم قلة عددهم ولا كثرة المكذبين لهم من سابق سمي لعن بعده او غاب عرفه من قبله .

واصطفى ، اى انتخب و اختار ، سبحانه من ولده ، اى من ولد آدم ، انبياء جمع نبيء مهموزاً و يخفف بحذف الهمزة منه وهو المخبر ، اخذ على الوحي ، اى على ايصاله للمكلفين ، ميثاقهم ، الميثاق هو العهد و القرار و قد جاء في جملة من الايات و طوائف من الاخبار اخذ الله العهد و القرار من كافة بنى آدم انبياء كانوا ام غير انبياء في عالم الند او قل في عالم الارواح عند ما خلق آدم على الاعتراف برؤيته و القيام بوظائفه كل على قدر ما حمل و القى على عاتقه من وظيفة فمن ذلك قوله (سورة المائدة الاية ٨) واذكروا ، خطاب لكافة الذين آمنوا ، نعم الله عليكم و ميثاقه الذي واثقكم به

اذقلتم سمعنا وأطعنا (والاية ٨ من سورة الحديد) و مالكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد اخذ ميثاقكم ان كنتم مؤمنين : وعن ابن عباس في قوله تعالى واذاخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ان الله لما خلق آدم مسح على ظهره فأخرج منه كل نسمة هو خالقها الى يوم القيامة فقال ألتست بربكم قالوا بلى فنودى يومئذ جف القلم بما هو كائن : الى غير ذلك ، وعلى تبليغ الرسالة ، اى رسالة الله الى عباده بما يقوم بنظام معاشهم و معادهم وما هم مسؤولون به قبال الرب تعالى نظير قوله (الآية ٧ من سورة الاحزاب) واذا اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى بن مريم واخذنا منهم ميثاقاً غليظاً : (الآية ٧٠ من سورة المائدة) يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك من ربك ، امانتهم ، اى ائمتهم على ذلك ، لما بسدل اكثر خلقه عهد الله اليهم فجهلوا حقه ، بعد الاعتراف له بالربوبية ، ألتست بربكم قالوا بلى ، واتخذوا الانداد ، اى الاشياء والنظائر لله على ما يزعمون ، معه و اجنالهم الشياطين ، اى صرفتهم الشياطين من هنا الى هناك وعبثت بهم ، عن معرفته واقتطعتهم عن عبادته ، اى فصلتهم عنه تعالى ، فبعث فيهم رسله ، الفاء تفريع على قوله آنفالما بدلا اكثر خلقه الى ما بعدها من فقرات اى ان بعثة الرسل كانت ناشئة عن التغيير والتبديل المزبورين ولا ريب فان كل انسان لو مشى بفطرته على ما هي عليه لكانت الجوامع كلها فى غنى عن المبشر والمنذر لان الفطرة هى الدين الذى دعا اليه الانبياء ، و اتراليهم انبياءه ، تواترت المطالب اذا تتابعت مع فترات بينها فمعنى و اتر انبياءه انه بعثهم فى الفترة بعد الفترة ، ليستأدوهم ميثاق فطرته ، التى فطرهم عليها وهى الاعتراف به و الانبعاث الى محاسن الامور فان كل انسان لولا الطوارىء المشوهة لخلقته و أخلاقه مؤمن بطبيعة حاله انسان كما تريد العقول منه و معنى استأدوهم طلبوا منهم الوفاء بما اعطته فطرتهم من عهد وميثاق ، و يذكروهم منسى نعمته ، اى نعمه السابقة التى لاتعد ولا تحصى حيث اغفلوها وحسبوا شيئا طبيعياً لهم ، ويحتجوا عليهم بالتبليغ ، وقد أشعر القرآن بذلك فى الايات ١٦٢ و ١٦٣ و ١٦٤ من سورة النساء : حيث قال تعالى : انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح والنبيين من بعده و اوحينا

الى ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والاسباط وعيسى وايوب ويونس وهارون
وسليمان وآتينا داود زبوراً ، ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم
عليك وكلم الله موسى تكليماً ، رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة
بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً ، ويشيروا لهم دفائن العقول . الموجوده فيهم
المغفول عنها فان كل مبلغ وناصح وواعظ انما يشرفى قبيله كوا من فطرته وعقله ولا
يخلق له عقلا بوعظه ولا فطره مستجدة بتبليغه ، ويروهم الايات المقدره ، اى التى
وقع عليها التقدير فحصلت وصارت ، من سقف فوقهم مرفوع ، ويريد به السماء ،
ومهاد ، وهو ما تمهد وتوطأ ، تحتهم موضوع ، اى يجعلون مبسوط ، ومعايش ، جمع
معيشة ، تحييمهم اى تمسك حياتهم وتستمر بها ، وآجال ، جمع اجل وهو الوقت المقرر
والمنظور به هنا الوقت المقرر لانتهاء حياتهم ، تفنيهم واوصاب ، جمع وصب وهو الاذية
والمشقة والتعب ، تهرمهم ، اى تعجزهم وتنجر بشبابهم و كحولتهم الى الشيخوخة والاضطراب
والوهن واحداث ، جمع حدث وهى الحوادث والخطوب والكوارث ، تتابع عليهم ، وتقدير
الاصاب التى تهرمهم والاحداث التى تعجزهم وتلاشيهم بعد ذلك جملة منه للاختبار وجملة
للانتقام وجملة مجهولة السر لا يعلمها الا هو ، ولم يخل سبحانه خلقه من نبي مرسل او كتاب
منزل او حجة لازمة ، وحتماً يراد بها غير النبي المرسل والكتاب المنزل واولئك هم
خلفاء الانبياء واوصياء الرسل الذين يقومون بتثبيت الشريعة وتوضيح ما استغلق
منها وادامة الوعظ والابلاغ وفى درجة ثانية العلماء الربانيون والمقدسون الصالحون
الها دون المهديون ، او حجة ، وهى الطريق الواضح من كل علامات الله التى يريد
بها هداية الخلق ، قائمة ، اى ظاهرة يشهد بها الجميع كالعبر المتواترة على طول
خط الزمان ، رسل لاتقصربهم قلة عددهم ، حتى لا يستطيعوا ابلاغ ما انتشر فى جميع
الاصقاع ، ولا كثرة المكذبين لهم ، لاستمرارهم على التبليغ فى كل حال واجهوها ،
من سابق سمى له من بعده ، كما سمى نبي الاسلام للسابقين عليه من الرسل الكرام ،
او غاير ، اى مستقبل وجوده ، عرفه ، للناس ، من قبله كما عرف بنبي الاسلام ايضاً
من سبقه من الانبياء سلام الله عليهم اجمعين .

(جزيرة العرب وبعثة النبي محمد ص)

كانت الجزيرة العربية يومذاك و قبله دون مجاوريتها في كل شيء فلا علم ولا حلم ولا فضيلة ولا حسن خليقة اعرايية خالصة ووحشية ظاهرة تستعبد فيها الاحرار بالتغلب وتملك فيها النساء بالمكابرة و تراق على بوغائها الدماء لادنى شهوة عيشها غليظ ومشر بها قدر كدر وأمنها مفقود بالمرّة وويلاتها لاتعد ولا تحصى .

فكانت لها السبقة على كافة الامم والعناصر في الاحتياج الى مرب يربها وهاذ يهديها ومنقذ من الضلالة يرشدها و كم كان في لازم ذلك الاستاذ المربي والحكيم الهادي والمنقذ المرشد من قوة شكيمة ومثابرة على عمل وهدوء نفس وثروة في المعنويات و شجاعة في المبارزة حتى يستطيع احالة ذلك المحيط الجاف الغليظ الى محيط تتصرف فيه المثل الراقية تصرف المالك المختار فيما يملك .

عرفنا الجزيرة العربية في بؤسها وشقائها فمن ذلك المتقذ الاعظم ذلك محمد بن عبدالله الصادق الامين والعالم المجاهد والكمال الذي اربى على كل كامل والمثالي الذي بذ كافة المثالين .

وانما جعل الله نقطة انطلاقه من هذا المكان المظلم ليكون من دلائل اعجازه على الباقي انه سخر من طريق التبليغ بين عناصر معرفة في الشقاء امة انتجت الزاهد العابد والمتقى الورع والعالم العامل والفاضل الكامل والديان المقدس و اللودعي الالهي والوفى الصادق والامين النجيب ومن الى هذا الرديف من الاخيار الابرار و حتى تكون نقطة انطلاقه هذه عبرة واضحة ومقياساً جلياً للاخيار : وعن هذا السر الدقيق انبعث من رافقه وتلمذ عليه من بدء بعثته - بل قبلها - و الى آخر ساعة من حياته فقال : على ذلك نسلت القرون ، ومضت الدهور ، وسلفت الاباء وخلفت الابناء الى ان بعث الله سبحانه محمداً رسول الله ﷺ لانجاز عدته وتمام نبوته مأخوذاً على النبيين ميثاق مشهورة سماته كريماً ميلاده واهل الارض يومئذ ملل متفرقوا واءة منتشرة وطوائف متشتتة بين مشبهه الله بخلقه او ملحد في اسمه او مشير الى غيره فهداهم به من

الضلالة و اتقدم بمكانه من الجهالة ثم اختار سبحانه لمحمد ﷺ لقاءه و رضى له ما عنده و اكزمه عن دار الدنيا و رغب به عن مقارنة البلوى فقبضه اليه كريماً ﷺ ونحن توطيداً للبحث عن فقرات هذا الفصل نذكر موجزاً من حالات النبي ﷺ عن الخاصة و العامة .

(١) قال الكليني في باب تاريخ مولد النبي ووفاته من اصول الكافي ولد النبي لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الاول في عام الفيل يوم الجمعة مع الزوال وروى ايضاً قبل طلوع الفجر قبل ان يبعث باربعين سنة وبقى في مكة بعد مبعثه ثلاث عشرة سنة ثم هاجر الى المدينة و مكث بها عشرين سنة ثم قبض لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الاول يوم الاثنين وهو ابن ثلاث وستين سنة - وفيما ارجع به ولادته ﷺ ووفاته خلاف بين العلماء .

(٢) سادس البحار في فصل بعثته ﷺ ان العامة قد اختلفوا في زمان بعثته على خمسة اقوال خامسها انه لسبع وعشرين من رجب و عليه اتفاق الامامية ثم قال ارسله الله بعد اربعين سنة من عمره وبعثته درجات اولها - الرؤيا الصادقة - ثانيها - مارواه الشعبي وداود بن عامر ان الله قرن جبرئيل بنبوة رسوله ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه و يعلمه الشيء بعد الشيء ولا ينزل عليه القرآن فكان في هذه المدة مبشراً غير مبعوث الى الامة - ثالثها - حديث خديجة وورقة بن نوفل اى ما حدثهما النبي به كما سيجيء - رابعها - امره بالتجديت بالنعم حيث قال واما بنعمة ربك فحدث اى بما جاءك من النبوة - خامسها : حين نزل عليه القرآن بالامر و النهى فصار به مبعوثاً و لم يؤمر بالجهر و نزل يا ايها المدثر فأسلم على و خديجة ثم زيد ثم جعفر - سادسها - امره بأن يعم بالانذار بعد خصوصه وأن يجهر بذلك و نزل فاصدع بما تؤمر قال ابن اسحاق وذلك بعد ثلاث سنين من مبعثه و نزل و انذر عشيرتك الاقربين فنادى يا صباحاه - سابعها - ان العبادات لم يشرع منها مدة مقامه بمكة الا الطهارة و الصلاة و قد كانتا فرضاً عليه و سنة لامته ثم فرضت الصلوات الخمس بعد اسراءه و ذلك في السنة التاسعة من نبوته فلما تحول الى المدينة فرض صيام شهر رمضان في السنة الثانية

وحولت القبلة وفرضت زكوة العطر وصلاة العيد و كان فرض الجمعة بدلا من صلاة الظهر ثم زكوة الاموال ثم الحج والعمرة والتحليل والتحرير والحظر و الاباحة و الاستحباب والكراهة وفرض الجهاد - ٥١ - وفي جملة مما ذكره بعض الاختلاف بين كتاب السيرة .

(٣) ذكر المؤرخون ومن جعلتهم ابن سعد في الطبقات الكبرى (ج ١ ص ٩٩) ان ام النبي ص لما توفيت بعد ابيه قبضه اليه جده عبدالمطلب وضمه ورق عليه وكان يقربه منه وقال مرة لام أيمن وكانت تحضن رسول الله يا بركة لا تغفلي عن ابني فاني وجدته مع غلمان قريبا من السدرة وان اهل الكتاب يزعمون ان ابني هذا نبي هذه الامة ومات عبدالمطلب والنبي ابن ثمان سنين فخلفه علي تربيته ابوطالب : و عمل لخديجة بنت خويلد فرأت منه انسانا جم المحاسن فرضيت به زوجا و تقدم للخطبة ابوطالب فقال الحمد لله الذي جعلنا من ذرية ابراهيم وزرع اسماعيل ورضي معد وعصر مضرو جعلنا حضنة بيته وسواس حرمة وجعله لنا بيتا محجوجا وحرما آمنا و جعلنا حكام الناس ثم ان ابن اخي هذا محمد بن عبدالله : لا يوزن به رجل شرفا و نبلا وفضلا وان كان في المال قل فان المال ظل زائل وامر حائل وعارية مستردة وهو والله بعد هذا له نبأ عظيم وخطر جليل وقد خطب اليكم رغبة في كرمتمكم خديجة وقد بذل لها من الصداق كذا : وتزوج رسول الله ص منها وهو ابن خمس و عشرين وهي بنت اربعين سنة و كانت خير زوج له من بين كافة نسائه .

(٤) الزهري عن عروة عن عائشة انها قالت كان اول ما ابتد به رسول الله ص من الوحي الرؤيا الصادقة كانت تجيء مثل فلق الصبح ثم حبب اليه الخلاء فكان بغار حراء ينحسث فيه الليالي ذوات العدد قبل ان يرجع الى اهله ثم يرجع الى اهله فيتزود لمثلها حتى فجأه الحق فأتاه فقال يا محمد انت رسول الله قال ص فجنوت لر كبتى وانا قائم ثم زحفت ترجف بوادري ثم دخلت علي خديجة فقلت زملوني زملوني حتى ذهب عنى الروح ثم اتاني فقال يا محمد انت رسول الله قال فلقد هممت ان اطرح نفسي من حلق من جبل فنبذني لي حين هممت بذلك فقال يا محمد انا

جبرئيل وانت رسول الله ثم قال اقرأ اقل ما اقرأ قال فاخذني ففتنى (اي عصرتني عصرا شديدا) ثلاث مرات حتى بلغ بي الجهد ثم قال اقرأ باسم ربك الذي خلق فقرات فأتيت خديجة فقلت لقد اشغقت على نفسي فأخبرتها خبري فقالت ابشر فوالله لا يخزيك الله ابداً ووالله انك لتصل الرحم وتصدق في الحديث وتؤدي الامانة و تحمل الكل وتقرى الضيف وتعين على نوائب الحق ثم انطلقت بي الى ورقة بن نوفل بن اسد فقالت اسمع من ابن اخيك فسألني فأخبرته خبري فقال هذا الناموس الذي انزل على موسى بن عمران ليتنى فيها جذع ليتنى اكون حياً حين يخرجك قومك (الطبري ج ٢ ص ٢٠٥ و ٢٠٦) ٥١ .

وهنا يشكل جملة من اهل الفضل على جملة من محتويات هذا الفصل فيقولون (١) لاريب ان محمد بن عبد الله كان قبل بعثته من الكمل في نفسه العارفين بربه وذلك هو الذي قاده الى التحنث والاختلاء بنفسه ومع هذا كيف يصح ان يجثو و لركبته من الفرع حين جاءه الحق وقال له يا محمد انت رسول الله : والجواب عن ذلك ان الفرع انما اخذه لانه قد يكون شاهد ظاهرة لم يسبق بها قط و كلف بأمر عظيم فان القيام باعباء رسالة دينية عامة فيه من المشاق ما تذهل أمامه النفس ومهما كانت حازمة عظيمة المنة .

(٢) ان الوسيط بين الله وانبيائه يجب ان يكون من الثقافة والادب والمرونة بمكان عظيم جداً وما يتقل عن جبرئيل في هذا الخبر انه قال له اقرأ ابتداء بساكن فقال له مستفهماً ما اقرأ فأخذه فعصره عصر أشديداً فيه من الخشونة والجفاء ما يستنكر على آحاد الناس : والحق انه اشكال في محله .

(٣) ان محمداً مع هذه السابقة كلها كيف لم يتوجه الى وظيفته و ما اريد به حتى تذهب به خديجة الى ورقة بن نوفل لتستفهم منه سر الحادثة وما هو مضمونها وهل بعد قول الوسيط لمحمد انا جبرئيل وانت رسول الله وانه اقرأ قول اقرأ باسم ربك الذي خلق وانه تابعه على هذه القراءة مقام لاستفسار واستفهام : وهذا كالسابق اشكال في محله : والذي يهون الخطبان هذه الرواية لم تستند الى النبي وانما هي عن لسان عائشة فقط .

(٥) اول مجتمع اسلامي في الدنيا تشكل في بيت خديجة منها و من على ابن ابي طالب وزيد بن حارثة اما هي فكانت اعظم مؤازر للنبي قبل بعثته وبعدها و اما على فقد اطبق المؤرخون على انه ربي في حجر النبي و لم يفارقه فقد قال ابن حجر في الاصابة انه ولد قبل البعثة بعشرين سنين على الصحيح فربي في حجر النبي ﷺ و لم يفارقه وقال ابن كثير في تاريخه (ج ٣ ص ٣٥) واخذ رسول الله علياً فضمه اليه فلم يزل معه حتى بعثه الله نبياً - الى غير ذلك - واما زيد بن حارثة فقد كان في حوزة خديجة ووهبته خديجة لرسول الله عاش معها في بيت واحد وتبناه رسول الله بمكة قبل النبوة : راجع ابن عبد البر في ترجمة زيد : وغيره من المؤرخين .

(٦) اطبق كتاب السيرة على ان الفاصلة بين بدء النبوة و اظهار الدعوة كانت ثلاث سنين وان النبي كان قبل ان يكلف بالمجاهرة و الاصحاح بالدعوة يدعو الناس الى الاسلام سراً و كل من انس منه لطفاً مشى اليه وبلغه وما كان كفار قريش قبل ان ينال النبي من اصنامهم متحاملين عليه و على من اتبعه و كان المسلم و غير المسلم جميعاً يسرون مع الحياة بوضع اعتيادي و اسلم في هذه الفاصلة كثير من الناس الا ان الوضع كان وثنياً صرفاً و الاسلام عقيدة فردية لم تزاخم اية ظاهرة من مظاهر الشرك فلم يكن للدين عز و لا لشرف التوحيد جلوة :

(٧) و بعد مرور ثلاث سنين من البعثة كلف الله نبيه بانذار عشيرته الاقربين فدعاهم للاجتماع عنده فما اجتمعوا منصنين لقوله لا بعد لأى فقال يا بنى عبد المطلب انى قد جئتكم بخير الدنيا و الاخرة و قد امرنى الله ان ادعوكم اليه فايكم يوازرنى على امرى هذا و يكون اخى و وصيى و خليفتى فيكم فاحجم القوم عن ذلك و كان على احدتهم سنا فقال انا يا رسول الله اكون و زيرك عليه فأخذ برقبته ثم قال هذا اخى و وصيى و خليفتى فيكم فاسمعوا له و اطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لعلى و تطيعه : راجع تفسير الخازن عند تفسيره لقوله تعالى و انذر عشيرتك الاقربين : وغيره من كتب التفسير و السيرة و التاريخ .

(٨) و ذكر اهل السيرة ان النبي بعد ذلك دعا جميع قريش بدعوة عامة وهو

قائم على الصفا وقال ان اخبرتكم ان خيلا تخرج من سفح هذا الجبل تريد ان تغير عليكم اكنتم تكذبوني قالوا ماجر بنا عليك كذباً فقال يامشر قریش اتقنوا انفسكم من النار فاني لا اغنى عنكم من الله شيئاً انى لكم نذير مبين بين يدي عذاب شديد امثلى و مثلكم الا كمثل رجل رأى العدو فانطلق يريد اهله فخشى ان يسبقوه الى اهله فجعل يصيح يا صباحاه يا صباحاه اتيتم اتيتم : و لما ذكر رسول الله آلهم و عابها اعظموا ذلك منه و ناكروه و اجمعوا على خلافه و عداوته و حذب على رسول الله عمه ابو طالب و منعه و قام دونه و مضى رسول الله مظهر الامر الله لا يردده عن شيء :

قال ابن اسحاق ثم ان قريشاً تأمروا بينهم على من فى القبائل منهم من اصحاب رسول الله الذين اسلموا معه فوثبت كل قبيلة على من فيهم من المسلمين يعذبونهم و يفتنونهم عن دينهم و منع الله رسوله منهم بعمه ابي طالب : ثم قال ابن اسحاق فلما طال البلاء على المسلمين و ارتد كثير عن الدين باللسان لا بالقلب ولم تتمكن قريش من الوصول الى محمد لقيام عمه ابي طالب دونه اجتمعوا على ان يكتبوا بينهم و بين بنى هاشم صحيفة يتعاقدون فيها على ان لا يبايعوهم ولا يجالسوهم فكتبوها و علقوها فى جوف الكعبة فلما فعلوا ذلك اتى بنو هاشم و المطلب فدخلوا كلهم مع ابي طالب فى الشعب فاجتمعوا اليه و خرج منهم ابو لهب الى قريش فظاهاها على قومه فاقاموا فى الشعب على ذلك سنتين او ثلاثاً حتى جهدوا لا يصل اليهم شيء الا القليل سراً :

قال ابن اسحاق فلم يزل ابو طالب ثابتاً صابراً مستمراً على نصر رسول الله و حمايته و القيام دونه حتى مات فى اول السنة الحادية عشرة من بعث رسول الله فطمعت فيه قريش حينئذ و نالت منه فخرج عن مكة خائفاً يطلب احياء العرب يعرض عليهم نفسه فلم يزل كذلك حتى دخل مكة فى جوار المطعم بن عدى ثم كان من امره مع الخزرج ما كان ليلة العقبة :

(٩) قال ابن اسحاق فلما رأى رسول الله : ما يصيب اصحابه من البلاء و ما هو فيه من العافية لمكانه من الله و من عمه ابي طالب و انه لا يقدر على ان يمنعهم مما هم فيه من

البلاء قال لهم لو خرجتم الى ارض الحبشة فان فيها ملكاً لا يظلم عنده احد وهى ارض
صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما اتم فيه فخرج عند ذلك المسلمون من اصحاب
رسول الله الى ارض الحبشة مخافة الفتنة وفراراً الى الله بدينهم فكانت اول هجرة فى
الاسلام : وقبل الهجرة بما يقرب من ثمانية عشر شهراً أخرج برسول الله وأسرى به وافترضت
الطهارة و الصلاة :

(١٠) العقبتان الاولى والثانية : روى ابن سعد فى الطبقات (ج ١ ص ٢٠١)
وما بعدها) عن رجاله قالوا أقام رسول الله ﷺ بمكة ما أقام يدعو القبائل الى الله و
يعرض نفسه عليهم كل سنة بمجنة وعكاظ ومنى أن يؤووه حتى يبلغ رسالة ربه ولهم
الجنة فليست قبيلة من العرب تستجيب له حتى اراد الله اظهار دينه فساقه الى هذا الحى
من الانصار فانتهى الى نفر منهم وهم يحلقون رؤسهم فجلس اليهم فدعاهم الى الله
فاستجابوا لله ولرسوله - قالوا - ولما كان العام المقبل من العام الذى لقي فيه رسول الله
النفر الستة لقيه اثنا عشر رجلاً بعد ذلك بعام وهى العقبة الاولى : قالوا : ولما حضر
الحج مشى اصحاب رسول الله ﷺ الذين اسلموا بعضهم الى بعض يتواعدون المسير
الى الحج و موافاة رسول الله و الاسلام يومئذ فاش فى المدينة فخرجوا وهم سبعون
يزيدون رجلاً او رجلين حتى قدموا على رسول الله مكة فسلموا عليه و وعدهم منى
وسط ايام التشريق ليلة التفر الاول اذا هدت الرجل فخرج القوم على الموعد
يتسللون وقد سبقهم رسول الله الى ذلك الموضع معه العباس بن عبدالمطلب ليس معه
احد غيره فبايعوا رسول الله على نصرته والقيام دونه و اعلان دينه :

(١١) ونزل من القرآن فى مكة ما يقرب من ٩٥ سورة على خلاف فى بعضها
واغلب محتويات هذه السور الدعوة الى التوحيد ونبذ الشركاء وترك الاخلاق المرذولة
والاخذ بشرائف الاخلاق و سرد قصص الانبياء السابقين مع اممهم و الاستدلال على
اثبات الصانع والمعاد الجسماني وما يلقاه المؤمن من نعيم مقيم والكافر من عذاب مهين
وما الى ذلك :

(١٢) ولما صدر السبعون من اهل العقبة الثانية من عند رسول الله طابت نفسه

وقد جعل الله له قوماً أهل حرب وعدت ولكن البلاء أخذ يشند على المسلمين من المشركين فاستأذنوا رسول الله في الهجرة فقال قد أخبرت بدار هجرتكم هي يثرب فمن أراد الخروج فليخرج فجعل القوم يخرجون ويخفون فنزلوا على الأنصار في دورهم فأوهم ونصروهم وآسوهم فلما علم المشركون بذلك اجتمع رأيهم على قتل رسول الله حتى تبطل هذه الاحدثة من أصلها فبات على فراش النبي وخرج النبي مختفياً في طريقه إلى المدينة وورد إليها كأعز قادم وأول عمل قام به هو أن اختط مسجداً للصلاة المسلمين يعبدون الله فيه ويذاكرهم فيه العلم ويطارحهم فيه الحديث اللازم وخطبهم أول خطبة خطبها في المدينة وآخا بينهم ليحرزهم وودتهم بعضاً لبعض فكان ما قام به با كورة اعمال جبارة : وصرف عن استقبال بيت المقدس إلى الكعبة بعد مكثه سنة عشر شهراً في المدينة كما فرض بعد ذلك بقليل صوم شهر رمضان وصلاة العيد و زكاة الفطرة والجهاد فكانت غزوة بدر :

(١٣) قال الطبري (ج ٢ ص ٢٧٢ من تاريخه) وخرج رسول الله فيما بلغني لثلاث ليال خلون من شهر رمضان في ثلاث مائة وبضعة عشر رجلاً من اصحابه - اه - وقد ابدى المسلمون في هذه الغزوة كل جلد واستبسال حتى احرزوا الفتح لانفسهم ووقعوا بقريش ايقاعات في اعضادهم حيث قتل منهم سبعون و اسر سبعون رجلاً .
وقال ابن سعد في الطبقات (ج ٣ ص ٧٨) ثم غزا رسول الله احداً على رأس اثنين وثلاثين شهراً من الهجرة : اه : وكانت هذه الحرب في اولها على قریش حتى آل الامر بهم إلى الهزيمة ولكن تفاقل بعض المسلمين عن القيام بواجبهم في هذه الفترة اعاد كربة المشركين عليهم فكانت هذه الواقعة في نهاية المطاف على المسلمين ف خسروا فيها كل ربحهم الاول وتضرروا وأضراراً واضحة : وعلى رأس سبعة وثلاثين شهراً من الهجرة أجلا النبي ﷺ بنى النصير عن مواطنهم لتأمرهم على الغدربوا الغدربوا لليهود شيمة .
قال الطبري (ج ٣ ص ٤٣ من تاريخه) وفي السنة الخامسة للهجرة كانت غزوة رسول الله الخندق - اه - وهذه الغزوة يمين على امير المؤمنين تمت بتفع المسلمين :
و بعد منصرفه من الخندق غزا بني قريظة وكان الفتح له : و في سنة ست غزا بني

المصطلق ففتحهم وفي هذه السنة نفسها كانت قصة الحديدية : وفي سنة سبع كانت غزوة خيبر وتمت بتفجع المسلمين : وفي سنة ثمان كانت غزوة مؤتة وخسر فيها المسلمون جعفرأ وزيدأ وعبدالله بن رواحة وجملة آخرين ولم يظفروا بالضر وفي هذه السنة افتتح رسول الله مكة ودخلت قريش في الاسلام كرهاً وطوعاً ، وبعدها غزا النبي ﷺ حنين فانتصر انتصاراً باهراً : وفي سنة تسع غزا النبي ﷺ تبوك واقام فيها بضع عشرة ليلة ثم انصرف قافلاً من دون حرب : وفي هذه السنة تكاثرت وفود القبائل على رسول الله ايضاً : و في سنة عشر كانت حجة الوداع وفي منصرفه من مكة الى المدينة صار الى موضع بالقرب من الجحفة يقال له غدير خم لثمانى عشرة ليلة خلت من ذى الحجة وقام خطيباً واخذ بيد على بن ابي طالب فقال ألسنت اولى بالمؤمنين من انفسهم قالوا بلى يا رسول الله قال فمن كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه : وتوفى النبي ﷺ في اوائل السنة الحادية عشرة للهجرة بعد سلسلة مبارزات قام بها فدك في غضون عروش الوثنية واخلاق الجاهلية وخلق من طريقها امة ذات حول و طول كثر فيها العالم العامل والزاهد العابد ومن الى ذلك من الاخيار :

على ذلك ، اى على بعث الله تعالى رسله الى خلقه ليستأدوهم ميثاق فطرته و يذكروهم منسى نعمته ، نسلت القرون ، اى تعاقبت واخذ قرن بعقب قرن آخر و كذلك معنى قوله ﷺ : ومضت الذهور وسلفت الاباء وخلفت الابناء الى ان بعث الله سبحانه محمداً رسول الله ﷺ لانجاز عده ، اى لاجل ان ينجز تعالى ما وعد به خلقه ببعثة هذا الرسول على لسان انبيائه السابقين ، وتمام نبوته ، اى تمام نبوة الله لانبيائه بمحمد خاتم الانبياء والمرسلين حيث تستجمع رسالته كل كمال يقوم بسعادة الناس على طول الاجيال ، مأخوذاً على النبيين ميثاقه ، حيث يقول الله تعالى بالنسبة الى ذلك فى الاية (٨١ من سورة آل عمران) واذأخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جائكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، مشهورة سماته ، بين السابقين من الانبياء الذين عرف الله محمداً اليهم وبين معاصريه بانه الصادق الامين ، كريماً ميلاده ، فانه تولد فى اسرة عريقة فى الشرف والكمال ، واهل الارض يؤمنون

ملا متفرقة ، من يهودى ونهرانى ومجوسى وصابئى ومعتل وعابد وثنوما الى ذلك من شتات العقائد المتوزعة بين الناس فى شرق الارض وغربها ، واهواء ، جمع هوى هو الميل والرغبة ، منتشرة وطوائف متشعبة بين مشبه الله بخلقه ، اى بواحد من مخلوقاته الكونية ، او ملحد فى اسمه ، الالحاد هو الميلان عن الدين والحياد عنه والظن فيه ومعنى الحد فى اسمه انه مال عن اسمه اللائق بذاته من واجب الوجود والخالق و المعبود وما الى ذلك من الاسماء التى لا تطلق على غيره لنقصانه عنها وجاء يسميه تعالى بما تنزع اليه شهواته الجاهلة من انه الشمس والقمر او اللات والعزى ونظير ذلك مما حسبه رباً و نافعاً وضاراً ومدبراً لامور العالم ، او مشيراً الى غيره ، سبحانه بانه الرب الخالق ولو اعطى التدبير حقه لعرف ان كل ما يشير اليه مخلوق عاجز عن تدبير نفسه فضلا عن خلقته لغيره وتدييره اياه ، فهداهم به من الضلالة ، اى كان محمد ﷺ واسطة فى هدايتهم من الضلالة والافالها دى الاول هو الله الذى خلق عقولهم و ذراً قواهم ، وانقذهم بمكانه ، بين اظهرهم من الجهالة ، التى اخلدوا اليها واغرقوا فيها ، ثم ، بعدما قضى ﷺ واجبه تجاه ربه و ارشاد عباده ، اختار سبحانه لمحمد ﷺ لقائه ورضى له ما عنده ، من الرضوان العميم ، واكرمه عن دار الدنيا ، الملوثة بالانحرافات والمشوهة بالهينات التى خلقها الناس لانفسهم ، ودرغبه ، اى استأثر به ، عن مقارنة البلوى ، المائلة لارجاء البسيط ، فقبضه اليه كريماً ، اى غير ملوث بأدران الطبيعة ، ﷺ .

ومن خطبة له ﷺ : النهج الحديدى ج ١ ص ٤٧١ . الحمد لله الذى لم تسبق له حال حالا فيكون اولا قبل ان يكون آخر ، ويكون ظاهراً قبل ان يكون باطناً كل مسمى بالوحدة غيره قليل ، وكل عزيز غيره ذليل ، وكل قوى غيره ضعيف ، وكل مالك غيره مملوك ، وكل عالم غيره متعلم ، وكل قادر غيره يقدر ويعجز ، وكل كل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها ويذهب عنه ما بعد منها ، وكل بصير غيره يعمى عن خفى الالوان ولطيف الاجسام ، وكل ظاهر غيره غير باطن ، وكل باطن غيره غير ظاهر لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ، ولا تخوف من عواقب

الزمان ولا استعانة على ندّ مئاور ولا شريك مكائر ولا ضد منافر ، ولكن خلائـسق
مربوبون وعباد داخرون لم يحلل في الاشياء فيقال هوفيا كائن ، ولم يناعنها فيقال
هومنها بائن ، لم يؤده خلق ما ابتدأ ولا تدبير ماذراً ولا وقف به عجز عما خلق ولا ولجت
عليه شبهة فيما قضى وقدر بل قضاء متقن وعلم محكم وامر مبرم المأمول مع النعم
المرهوب مع النعم .

الحمد لله الذي لم تسبق له حال حالا ، اى لم تكن له شؤون مما يخص ذاته
فيكون بعض شؤنه الذاتية سابقاً في الوجود والشأن الاخر لاحقاً بل هومن الازل الى
الابد ذات واحدة مستجمعة لصفات الازمة فهو اول لازلته و آخر بعين اوليته لو وحدته
البسيطة المتمحضة في البساطة ولان الازلية وصف ما كان وجوده لذاته وهذا الوجود
لا يكون الا ابدياً ولذلك تكون آخريته بعين اوليته واما افاضاته وظهور تقديراته فهما
متدرجان في الان بعد الان حسب المصالح التي يعلمها ويجريها في مخلوقاته وهذا هو معنى
كونه كل يوم في شأن ، فيكون ، اى لا يكون ، اولا قبل ان يكون آخرا ويكون
ظاهراً قبل ان يكون باطناً ، بل هو ازلا وابدأ اول و آخر وظاهر وباطن كل من ذلك
في عرض الاخر وان اختلف المنشأ الداعي لوصفه بالاولية و الآخرية و الظاهرية و
الباطنية ، كل مسمى بالوحدة غيره قليل ، اى ان الله سبحانه واحد بالوحدة الحقيقية
التي لا يشوبها اقل تجزأ و تركيب و اما غيره فلو صدق في حقه انه واحد من كل
جهاته فقليل اى لاقيمة له لضوالة هويته فهو قليل الاثر او معدومه ، و كل عزيز غيره
ذليل ، فانه ما من سلطان الا وقدر كثر سلطنته على تحببه الى جملة من الناس يحفظونه
ويذبون عنه ويؤيدونه لعلمه انه اذا تخلى عن اولئك او امثالهم سقط هذا اذا استمر
به زمانه سلطاناً ذاتاج وصولجان واما اذا طاحت به الظروف فلا تسل عند ذلك وحقارة
وكل قوى غيره ضعيف ، لان غير الله يستمد قوته من غيره من رجال ومال وسلاح
و كراع وليس له من نفسه شيء سوى قوة اعضائه اذا كان واجداً لذلك على ان هذه
القوة انما حصلها من طريق خلقه وخلق ما يوجب التقوية من ما كول ومشروب ،
وكل مالك غيره مملوك ، لالمن خلقه فقط وان موته وحياته وشقائه وسعاده ليس

منها شيء اليه بل هو مملوك حتى في دنياه لكل من يحتاج اليه و كل ما يتوسل به لحفظ مالكته على ما يملك ، و كل عالم غيره متعلم ، اذ لا علم ذاتياً في الكائنات العالمة الا من طريق الكسب والنحصيل او من طريق الالهام والافاضة والجميع علم طاره وجوده بعد عدمه مفاد من عالم غنى بعلمه وهو المبدأ الا علا و اما علم المبدأ تعالى فهو اذلى غير مفاد لانه عين ذاته ، و كل قادر غيره يقدر و يعجز ، اى ان قدرته ليست منه و انما هي في كل الاحوال تستمد من الظروف المساعدة فاذا تخلت الظروف المؤاتية عن القادر عجز ووهن واما مبدأ الكائنات الذى صدر عنه كل ما فى الوجود من خطير وحقير فلان قدرته هذه ان لا تقاربها قدرة ، و كل سميع غيره يصم عن لطيف الاصوات ويصمه كبيرها وينهب عنه ما بعد منها ؛ ذلك لان سمعه هو علمه المحيط بكل شيء واما غيره فسمعه بحاسة محدودة يشذ عنها لطيف الاصوات ويقطعها عن الحس المطلوب كبيرها ولا تكاد تدرك ما بعد عنها ، و كل بصير غيره يعمى عن خفى الالوان ولطيف الاجسام ، لان بصره تعالى كسمعه هو علمه الواسع ولا يشذ عن العلم ما خفى و لطف اما الحاسة فيشذ عنها الخفى اللطيف لمحدودية قواها الدراكة ويمثل لخفى الالوان بالهواء المذاب الى هواء مائع فان الهواء قبل ميعانه غاز فاقد للرائحة وللطعم وللون ولا يرى بالبصر وبعد الميعان يكون مائماً شفافاً ولونه يميل الى الزرقة ؛ ولخفى الاجسام بمثل الطاقة الذرية وما يتألف منها الى حد تنصر عنه الرؤية ، و كل ظاهر غيره غير باطن و كل باطن غيره غير ظاهر ، لان كل ما ظهر من الموجودات فهو بطبيعته لا يكون مستوراً و كل ما باطن منها فهو غير ظاهر اما ظهوره سبحانه فمن طريق تجلياته فى كائناته المائلة لكل حس واما خفاؤه فمن طريق عراقه هويته فى العظمة التى تعجز العقول والقوى الدراكة عن الاحاطة بها ، لم يخلق ما خلقه لتشديد سلطان ، اى لتقوية سلطانه كما يفعل ارباب السلطات ذلك فان تكالب الدول على اختراع القوى المتنوعة واستنماء الاموال من شتى جهاتها انما هو لتقوية سلطانها وتفوقها على غيرها لتحرز شهوتها من النفوذ والعظمة ، ولا تخوف من عواقب الزمان ، بأن يكون انما خلق ذلك ليدخره فى دفع النوائب والحوادث كما يفعل خزائن

السلاح والمال تحفظاً من الحوادث الطارئة ، ولا استعانة على ندمثاور، الندهو النظير والمثاور هو الذي يترتبس الوثبات على قبيله ليثور عليه حتى يضعفه او يحوز سلطانة لنفسه، ولا شريك مكاتر، المكاتر هو الذي يدعى انه اكثر مادة من شريكه، ولا ضد مناقر، وهو الذي يقالب طرفه في حسبه و محاسنه ليرفع عليه والمبدأ الاعلا في معزل عن كل ذلك اذ لا شركة في المبدأية لبساطة المبدأ الا اول من جميع وجوهه كما انه لا ضد له يقابله لان هويته با متيازاتها الخاصة لا يكاد يتصور لها ضد خاص ، و لكن خلائق مربوبون وعباد داخرون ، مربوبون اي لهم رب فوقهم وداخرون اي خاضعون والمنظور انه تعالى خلقهم ونظم خلقتهم واعطاهم من القوى ما يحوز لهم السعادة لو اطاعوا وخضعوا للقانون ليكونوا مربوبين لرب لا يريد منهم تشديد سلطان ولا ذخيرة لعواقب الزمان ولا استعانة بهم على الانداد و لامكاثرة من طريقهم على الشركاء و لامفاخرة على الاضداد وانما يريد خيرهم لانفسهم وسعادتهم لحياتهم وخضوعهم تجاه اوامر الرب ونواهيهم لمصلحتهم حتى يعيشوا وادعين راضين وينقلبوا الى ربهم مرضيين وهذه الغاية من اشرف الغايات ، لم يحلل في الاشياء فيقال هو فيها كائن ، ذلك لان المجرد عن المادة بطبيعة حاله لا يحل فيها ولا تحل فيه ، ولم ينأ عنها ، في تدبيره لها والنظارة عليها ، فيقال هو منها بائن ، لان البينونة تقطع التدبير والقيمومة التامة يقال نأى عنه اذا بعد ، لم يؤده خلق ما ابتدأ ، اي لم يعجزه خلقه الا بتدائي غير المأخوذ عن طراح طرح لهصنعتة ففسج على منواله بل خلقه على انه ابتدائي ابداعى صدر عنه بلا مؤنة عليه وهذا يدل على سعة علمه وعظيم قدرته ، ولا تدبير ما ذراً ، فان جملة من المؤسسين يؤسسون و لكن يعجزهم التدبير على طول المسير فيحيلون به الى غيرهم ليكسبوا راحتهم من ناحية و يحققوا مقاصدهم من ناحية ثانية اما هو تعالى فمؤسس بلا مساعد ومدبر احسن تدبير بلا مؤازر اذ لا حاجة به الى كل ذلك يقال ذرأه اذا خلقه والتدبير حسن سياسة الشيء بما يستفاد من طريقه المقصد المتوخى ، ولا وقف به عجز عما خلق ، على طول مسير الخلائق وكثرتها وتشعبها في نفسها واهمية كل منها في عالمه ، ولا ولجت عليه شبهة فيما قضى و قدر ، بل قضاؤه و تقديره

نتيجة علمه بمصالح عباده ومفاسدهم و كل قضاء وتقدير يكون كذلك فانه مأمون من ولوج الشبهة عليه فان الشبهة والبداء انما يعرضان لمن يدخل باب المستقبل من طريق حدسه وتخرصه وما يقوم بنظره وهذا قد يواجهه في طريقه شهباً و تشكيكات بل قد تتقلب به الحال الى ندم : و اما النسخ و البداء الذي بمعناه فداعيها انما يكون مراعاة المصالح المؤقتة لامصلحة الشيء بالنظر الى ذاته ، بل قضاء متقن ، لاخلل فيه ، وعلم محكم ، لا تبدل يطرأ عليه ، وامر مبرم ، لا ناقض له من تغير رأى ، المأمول مع النقم فلا يجوز حتى للمنتقم منه ان ييأس من لطف ربه به ، المرهوب مع النعم فلا يجوز للمتعم بنعم الله ان يمضى على غلوائه ذاهلاً عن مؤاخذه ربه له اذا انحرف و انجرف مع المعاصي بل يجب عليه دائماً ان يحذر بطش ربه و يرهب سلطانه و يخاف مؤاخذته .

هذا ويليق بنا ان نذكر هنا ما يشكك به الماديون في الحكمة الداعية الى خلقه جملة من الاشياء والى ما يراه النوع الانساني في مضامير حياته من ابتلاآت هي خارجة عن تسبيبه ونحن نذكر شبههم اولا ونجيب عنها بعد ذلك :

قالوا اذا كان هناك صانع وكان حكيماً في صنفته ولم يخلق ما خلق الاعن حكمة ولم يقدر شيئاً الا وهو بمصلحة من قدر عليه الشيء فما الحكمة في خلق الصحارى الجرداء الفاقدة لكل وسائل العمران والسكنى والا سكان وما الحكمة في خلق العقارب والحيات والحيوانات الضارية المفترسة التي لا يجيء منها غير الضرر وما الحكمة في خلق البراكين و الاعاصير المدمرة وكيف جاز للصانع ان يثني الموسادة على طول الزمان للحكام المتمردين والولاة المنحرفين والعمال المخربين الذين لا هم لهم سوى تعذيب مخلوقاته والاعنات بالانسان والحيوان بصورة لا يستطاع هضمها ولا التفاؤل عنها بل يلوح لنا من مظاهر الحياة وسير الزمان باهله ان كافة هذه المخلوقات مسيبة مهملة لاوازع يزع قوتها عن ضعيفها وخبيثها عن طيبها يعيش القوى عاتياً والضعيف مخذولاً أفىكتفى من هذا وذاك أن يعاقب الله الظالم في آخرته ويأخذ في ذلك اليوم للمظلوم بظلامته وتكون الحياة على القسم الاوفر من الاحياء كالعبأ

الثقيل سمجاً منظرها مرّاً طعمها شديداً و قعها وقد تلجأ الحوادث المؤلمة ببعض
البؤساء الى ان يقطع على نفسه طريق حياته بالانتحار ليستريح من ويلاتها : و هذه
النبتة خلاصة ما اطالوا فيه الكلام عن هذه الشبه .

والجواب عن ذلك - اما اولاً - فانه يجب ان يعلم ان قوى البشر ومهما ضخمت
وعظمت محدودة وماهى فى جنب كل مادب وهب وتحرك وسكن وظهرو بطن فى عالم
علوى اوسفلى الارقم ضئيل فى قبال اعداد لاتتناهى : الفكر الذى يعجز عن تحليل
الفراشة والذبابة وانهما كيف صارتا وبأى جهاز تجهزتا ولم كانتا ولاى مقصد طارتا
ومن اين جائهما هذا الهدى الذى به تهتديان ومن طريقه تذهبان وتجيئان وتعملان
لحياتهما وتوليد امثالهما الى غير ذلك من الاسرار التى يعجز اللسان والبيان عن
سردها فضلاً عن تحليلها وتفصيلها - أجدربه - ان يعجز عن الاحاطة بكل ما فى الكون وانه
لاى شىء خلق والى اية غاية به قصد : وان يكن ادرك شيئاً من هذه الظواهر فانما
هو استعراض لظواهر ادرك وجهها المكشوف واستعصى باطنها عن الظهور : ترى العين
الشمس والقمر وجملة الكواكب ويفسرهما العقل بانها خلقت لتنوير الكائنات و
ما يدرينا ان لها من الخواص ما يفوت حد الحساب ونجهل القليل والكثير منها : قللى
بربك من وقف على كنوز الطبيعة الملقاة بين ايدينا حتى يستطيع ان يعرف البحر
وما فيه والعالم العلوى وما يحتويه كل ذلك حتى الذبابة والفراشة من الطلسم و
رعونة الجاهل المركب تدفع به الى تيه مظلمة و اجواء معتمة و هومع ذلك نراه
يتشدد ويدعى علم ما هو اجهل الناس به .

وهاته الطبيعة التى يدعى الماديون ان لها من نفسها نظاماً خاصة و نواميس
محكمة لا يشذ عنها من مواليدها القليل والكثير كم لها من مد وجزر وافراط وتقرير
ان تكن الطبيعة تسرى فى مواليدها من طريق الوراثة فلم لا يلتقى مولود و والد
على نقطة واحدة فى الصور والغرائز والهويات : وان تكن الضرورات الملاحظة تخلق
للمضطر حاجته كما خلقت للزرافة طولاً فى يديها وامتداداً فى عنقها - حسبما يزعمون -
فاين آثار الاضرار فى كل ضعيف امام كل قوى وفقير مدقع تجاه متمول ثرى و ما

الى ذلك مما لا يعد ولا يحصى : وان تكن الطبيعة تنتخب اصلح الافراد للبقاء فعلام نرانا على طول الخط نلمس الشذوذ في الخلقة مستمراً مع المخلوقات منذ كانت والى ان تتلاشى و علام نرانا نر كس في عقولنا الاجتماعية الحيوية و تتدهور في اخلاقنا الانسانية من عال الى دان ومن كمال الى نقص حيث الحياة مقرونة بالعقول الاجتماعية والاخلاق الفاضلة الانسانية ولا اثر من دون ذلك للمجوامع البشرية قومها كثرت فيها سفن الفضاء ووسائل توليد الكهرباء والذرة والصواريخ الى ما سوى ذلك مما تمتاز به عقول البشر في عصر حضارتها كما يقال :

ان تكن انتجت العقول هذا الكمال لترفيه الاحياء وادامة الحياة فقد ادهقت البشرية ارهاقاً حتى جعلتها في محيط بر كاني لا يزال ثائراً هائجاً ولا كهباج الحيوان المغتلم والاخر الضارى المفترس : دنيا تعج بصخبها وزعازعها قد احاط بها الانساف من كل مكان و الاستبداد بشتى الصور و الالوان و الفساد الماحق و التبذل الشائن و الحيونة الجافة و كل تسيب و اهمال : فمن زم بالطبيعة عن انتخابها لبقاء الصالح من مواليدها ، هذا كله هذيان وهذر ، واصل المقصود من كل ذلك وهذا لعلماء المادة والطبيعة هو تقطيع اوصال البشرية والقائها بين اشداق الفناء ليس غير .

وعليه فالعوالم كلها طلاس : و العقول البشرية مهما بلغ اوجها قاصرة عن حلها فمن ادراها ان الصحارى الجرداء بسطت لالغاية وان العقارب والحيات تجرى لاي نهاية وهل يجب على الصانع ان يفهمنا كل حكمة ويوقفنا على غامض اسرارها وهل تحكمنا عليه بذلك يكون الزاماً له .

- واما ثانياً. فهذا الانسان الذى يهوى العدل والقوي يحبها ويريد الخير ويطلبه ويحب الترفيه على نفسه ويريده و ينتصر للحق بلسانه فيما يدعى ما الذى دفع به الى تأييد القراعنة حتى صار جندياً لهم يقذف بنفسه فى لهوات المنايا لبقاء سلطانهم و ما الذى دعاه ان يكتب موسى بن عمران وهو يريد للحرية وللعبودية وما الذى طحاه ان يبارز عيسى بن مريم المعلم الاخلاقى المنقطع النظر ولم قام فى وجه محمد بن عبدالله و هو يريد له العلم مكان الجهل والتواضع الصحيح بدل التجبر الفارغ والمساواة امام التبعض

الطبقاتي ولم خذل علياً هذا المثالي العظيم واتجه صوب كل مؤف مأفون : والى ما شئت من هذه المقارنات منذ بدء الخلقة الى يومنا هذا اذن فالانسـان هو بلاء نفسه : نعم فى اطباق بنى آدم قد يوجد فى الحين بعد الحين من صدق وجدانه وارضى ضميره وايمانه وعاش قلقاً مضطرباً ولم ير لنفسه منجاة يلاجأ اليها ولا ندرى بحكمة ماشاء الله له من المحنة والبلاء : كما لا ندرى بحكمة ماسوى ذلك .

هذا وقد اعترف الطبيعى الملحد بجهله لاكثر ما يعانيه من الطبيعة ونواميسها : فقال العلامة الانجليزى استوارميل كما نقله عنه الاستاذ جون لبوك : تبدوا الينا الحياة الانسانية محاطة بغوامض الاسرار فترى دائرة تجاربنا الضيقة كأنها جزيرة صغيرة ضالة فى بحر لا نهاية له يرفع احساساتنا و يساعد قوتنا الخيالية بعظمه و ظلامه ومما يزيد ذلك السرغموضاً ان مجال حياتنا الدنيا كيس كجزيرة فى فضاء غير متناه فقط بل فى زمان غير متناه ايضاً - اهـ - دائرة معارف وجدى مادة أله ص ٥٢٥ و ٥٢٦ . وقال شبلى شميل ليس فى طاقة الطبيعى ان يعلم الحقائق والماهيات : وقال بخنر انه ليصعب اويستحيل علينا ان نعرف كم يخص كلا من هذه الاسباب ويظن دارون انا غالباً لانعرف النواميس .

وقال دارون فى اصول الانواع وكثيراً ماتستغلق دوننا وجوه الرشد فى اكتناه دستور محكم نسترشد بهديه فى ظلمات هذه الابحاث : بحكاية انوار الهدى ص ٢٦ . ومن كلمة للعلامة الفرنسى لوجيل نحن لانعلم ولا نرى الا الظواهر والقشوراما الحقيقة والعلة فتأبين ان تنكشفا لنا . وجدى مادة مدد ص ٥٠٦ : كما اعترف الموحد بذلك ايضاً وما احسن ما قال الفيلسوف الشهير فخر الدين الرازى .

نهاية اقدام العقول عقال واكثر سعى العالمين ضلال

ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا

و فى طليعة كافة الموحدين قال امير المؤمنين على عليه السلام للرجل الذى سأل

ان يصف له الله كاحد الاعيان المشهودة (خطبة الاشباح : ج ٢ ص ١٣٨ من النهج الحديدى)

فانظر ايها السائل فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به واستضىء بنور هدايته وما

كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه ولا في سنة النبي ﷺ وأئمة الهدى اثره فكل علمه الى الله سبحانه فان ذلك منتهى حق الله عليك واعلم ان الراسخين في العلم هم الذين اغناهم عن اقتحام السدد المضروبة دون الغيوب الاقرار بجملته ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب فمدح الله اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علماً وسمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخاً فاقنصر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين .

وقال ﷺ (من خطبة الاشباح : ج ٢ ص ١٤٢) في مقام الصانع عز وجل: هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته و حاول الفكر المبرأ من خطرات الوسوس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته وتولت القلوب اليه لتجربى في كيفية صفاته و غمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ردعها فهي تجوب مهاوى سدف الغيوب متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذجهت معترفة بانها لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ولا تخطر ببال اولى الرويات خاطرة من تقدير جلال عزته الذي ابتدع الخلق على غير مثال امثله ولا مقدار احتذى عليه من خالق معبود كان قبله و ارانا من ملكوت قدرته و عجائب ما نطقت به آثار حكمته واعتراف الحاجة من الخلق الى أن يقيمها بمسك قوته ماد لنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته و ظهرت في البدائع التي أحدثها آثار صنعته و اعلام حكمته فصار كل ما خلق حجة له ودليلاً عليه و ان كان خلقاً صامتاً فحجته بالتدبير قاطعة و دلالة على المبدع قائمة .

هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطع قدرته ، ارتمى الوهم اذا أصد في تفكيره وتغلغل في حقيقة الشيء ليقف على مداها ويقال ارتمى ايضاً للمفاعلة من الرمي والمنظور هنا ان الاوهام اذا تسابقت في التفكير لتبلغ نهاية قدرة الله المنقطع هنا بزنة اسم المفعول و معناه مكان الاقطاع و الانتهاء ، و حاول الفكر المبرأ من خطرات الوسوس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته، المحاولة هي اداة الوصول الى الغرض من بين حجبه و موانعه والفكر المبرأ هو السالم والخطرات جمع خطر و

هي خطوط الشئ، في الخاطر والوساوس هي الاعتلاجات النفسية والمراد بعميقات الغيوب هي بطون الغيب والملكوت تفخيم للملك والمنظور بالوقوع عليه هو تحصيله والعثورية ، و تولبت القلوب اليه لتجرى في كيفية صفاته ، الوله بالتحريك شدة العشق المؤدية الى الحيرة والمنظور ان القلوب احبت من صميمها ان تجرى في طريق يوفى بها على معرفة صفاته وانه ما معنى كونه عالماً بصير أسمياً ازلياً ابدياً حياً قيوماً اذا تعرفه القلوب من السمع والبصر والحياة والقيومة في غيره امر وراء ما يستسيغه الوجود المجرد لنفسه ووراء ما تجيزه العقول عليه لذلك لما رأت القلوب ضرورة اتصافه تعالى بهذه الاوصاف ولم تكن تعرف منها في حقه شيئاً اخذها الوله في تحسس الطريق الى معرفته لو وجدت اليه سبيلاً ، وغمضت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ، غمض المدخل اذا انستروجه على من يريد السير فيه فالسائر حائر: في حيث لا تبلغه : اى في مطلب لا تناول من التعرف به لو تمكنت منه حصول العلم لها بذاته وانها ماهى ولا يعلمه وانه ما هو ردها فهي تجوب مهاوى سدف الغيوب ، ردها جواب اذا الشرطية في قوله اذا ارتمت الاوهام : فاذا منعت الافكار والعقول والقلوب عن ولوج تلك المداخل الغامضة فلا تراها تتردد الا في اودية ملتوية مظلمة مغممة ومن يكن كذلك فهيها منه الوصول الى مقصده الذى ينوى وغايته التى يزوى : جاب المسافة قطعها والمهاوى جمع مهواة وهى المكان الذى يتردى فيه ماشيه لوجود الانخفاضات العميقة فيه كالودية والحفائر والسدف جمع سدفة وهى الظلمة ، متخلصة اليه سبحانه فرجعت اذجهت ، متخلصة حال من قوله فهي تجوب اى انها فى حال تجشمها فى المهاوى تقصد الوصول من ذلك اليه سبحانه فترجع خائبة حين تردعها المشكلات المتظافرة عن ذلك و معنى جبهت انها ردت عن مقصدها بالتواء الطرق عليها وعدم الاهتداء الى ما تحاول الوصول اليه ، معترفة بانه لا ينال بجور الاعتساف كنه معرفته ، معترفة حال من قوله رجعت اى انها لما حاولت الوصول الى مقصدها الذى كانت تزويجوردت عنه بالقواهر المانعة آبت من سفرها معترفة بانه لا ينال من طريق التردد فى التيه المظلمة والودية الملتوية و المداخل الغامضة ما يحاول من

التدقيق في معرفته يقال جاز فلان عن قصد السبيل اذا انحرف عن الجادة الشارعية الاعتراف هو التكلف ، ولا تخطر ببال اولى الرويات ، والتأملات بعد طویل التروی والتأمل ، خاطرة من تقدير جلال عزته . اى انها فضلا عن اظهارها العجز فى مقام معرفته نراها عاجزة ايضا عن القيام بواجب تقديره و تجليله لان من يكون بهذه العظمة الخارقة لا يوجد لا يفاء حق التعظيم من مخلوقاته اى طريق سوى ما يتيسر دفعا لمحدور الجفاء ، الذى ابتدع الخلق على غير مثال امثله ، يقال امثله اذا اتخذ مثله والابتداع والاختراع بمعنى وهو الايمان بالشىء على غير سابقة كانت له ومعنى ذلك ان كل ما خلقه فقد صدر منه عن ارتجال محض فهو لم يحتد فيه حدو غيره اذ هو اصل كل الاصول فلا مجال للغير وعلمه لا يعزب عنه حتى يحتاج الى تهيئة لائحة سابقة يتخذها طريقاً مريحاً لتطبيق ما يريد ابداعه ، ولا مقدار احتدى عليه من خالق معبود كان قبله . لانك عرفت انه لا مجال للغير فى التحدث عن مبدأ كل المبادئ ، واراننا من ملكوت قدرته ، اى من طريق الملك الواسع الذى ملكته قدرته ، وعجائب ما نطقت به آثار حكمته ، بلسان حالها الذى هو ابلغ من لسان مقالها لو كان بها ان تنطق . واعتراف الحاجة من الخلق الى ان يقيمها بمسك قوته ، كل المخلوقات تظهر من نفسها الاحتياج فى كينوتها وفى استمرارها فى البقاء الى مسك يمسكها وقيم يشرف عليها ومباشر يقوم بملاحظتها فى اطوار تغيرها وتحويلها و المسك بكسر الميم ما يمسك به ، مادلتنا باضطرار قيام الحجة له على معرفته ، مادلتنا مفعول لقوله واراننا اى ما ارانا من هذه البدائع والعجائب الكونية فى العوالم السفلية والعلوية قد اضطرنا من نفسه على قيام الحجة له تعالى فى لزوم معرفته وهل اقوى حجة من آثار الشىء عليه وهل هناك دليل اوفى منها فى الايصال اليه ، وظهرت فى البدائع التى أحدثها آثار صنعه واعلام حكمته . قوله وظهرت عطف على قوله آنفاً - الذى ابتدع الخلق - نعم لاحكمة اعلا ولاصنعة ارقى مما يراه الانسان فى خلقة البعوضة فضلا عما هو اجل خلقة منها واجمل ، فصار كل ما خلق حجة له ، على خلقه فى وجوب تقديسه وتعظيمه ، ودليلا عليه ، فى طريق معرفته ، وان كان خلقاً صامتاً . بلسانه ،

فحجته بالتدبير العظيم الذي صرف فيه ، ناطقة ودلائله على المبدع قائمة ، واضحة ما بأحد ان ينكرها ومهما كابر .

وقال **عليه السلام** من خطبة له (ج ٢ ص ٤٤٢ من النهج الحديدى).

الحمد لله الدال على وجوده بخلقه وبمحدث خلقه على ازيلته و باشباههم على أن لا شبه له لا تستلمه المشاعر ولا تحجبه السواتر لا افتراق الصانع والمصنوع والحادث والمحدود والرب والمربوب الاحد بلا تأويل عدد والخالق لا بمعنى حركة و نصب و السميع لا اباداة و البصير لا بتفريق آلة والشاهد لا بماسة و البائن لا بشرأخي مسافة و الظاهر لا بروية والباطن لا بلطافة بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها وبانت الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه من وصفه فقد حده ومن حده فقد عدده ومن عدده فقد ابطال اذله ومن قال كيف فقد استوصفه ومن قال أين فقد حيزه عالم اذ لا معلوم ورب اذ لا مربوب وقادر اذ لا مقدر .

الحمد لله الدال على وجوده بخلقه ، اذ لولا هذه المخلوقات المنتشرة الظاهرة للعين الطالعة بالاسرار المهمة فيها لكل ذى بصر و نظر لما توجهت الفطن الى ان وراء هذه المشاهدات امرأ له تحقق في الوجود وعراقة في التأصل فالوسيلة الوحيدة لدرك ذلك هي اعلام الوجود وقد اسلفنا ان بعض النفوس المتجافية عن المادة الذائبة في القدس والطهارة قد تفذت الى ما وراء الطبيعة نفوذاً روحياً واتصلت بمعرفة المبدأ اتصالاً معنوياً فان من يقول ما عبدتك خوفاً من نارك ولا طمعاً فى جنتك ولكن رأيتك اهلاً للعبادة فعبدتك وكان فى مثاليتموضع يقين غير مشوب لا يشك فى انه عرف المبدأ من غير الطريق الذى عرفه به سائر المخلوقين ولا طريق و راء المشاهدات الحسية الا المكشفات المعنوية ، وبمحدث خلقه على ازيلته ، لان احداث الكوائن يحتاج الى مبدأ اولى قهار و كل مبدأ لا يكون ازلياً لا يكون مبدأ لكل المبادئ اذ لا يتصور فى مبدأ الكل الا الازلية وهى الوجود بلا سبق عدم ، و باشباههم على ان لا شبه له، يقال اشبه هذا بذاك اى حصل بينهما تشابه فان المخلوقات لا تعدم المشابهة فى العناصر الاولية و الكيفيات العمومية و ان انفرز بعض عن بعض فى الخواص

الجوهرية و التخطيطات الشكلية والصفات النفسية والاثار الطبيعية ومبدأ المبادئ في جوهرية الخاصة به لو كان له شبهه لكان احد هذه الموجودات التي احتواها الوجود اذ ليس في الوجود وراء موجوداته شيء و اذا كان احدها كان جامعها ما به الشبه بينهما وحيث ان مبدأ المبادئ يقتضى من نفسه لتعليل وجود الكوائن به ان يكون بعيداً عما يوجب حدوثه بعد أن لم يكن و يجب فيه ان لا يكون في عنصره ما يستدعى الحدوث بعد عدم الحصول و كل ما في الوجود المنتشر مستدع لذلك فلا جامع اذن ما بين الاصل وما يتأصل به و اذا اتفقت وجه الشبه انتفت المشابهة - وبعبارة اخصر - ان الموجودات لمالم تجدد فيما بينهما ما يجمعها بمبدأها في العنصر والجوهر ولا تعرف لما سواها في الوجود وجوداً حكمت لمكونها بانه لا شبه له ما بين الموجودات واما هي فمتشابهة فيما بينها ضمن جوامع تشتمل عليها جميعاً ، لا تستلمه المشاعر ، يقال استلمه منه وتسلمه اذا تناوله فالمشاعر وهي الحواس ليس بها ان تناوله من طريق ادراكها الظاهري بالمرّة ولامن طريق ادراكها الباطني الابدراك مجمل ، ولا تحجبه السواتر ، عن ادراك العقول له بمقدار ما تزيج به العلة عن نفسها من مصاتيقة وجود هذه الكوائن لها بانه من حصلها وكونها ووجد فيها هذه القوى الجبارة حيث لا تسيع العقول في جواب ذلك ان تقول حصلت من دون محصل و كانت بلا مكنون ووجدت هذه القوى الجبارة من غير موجد ، لا افتراق الصانع والمصنوع والحاد والمحدود والرب والمربوب ، هذا تعليل منه **تعالى** لقوله انه لا شبه له وان المشاعر لا تستلمه : وافتراق الصانع عن المصنوع والحاد وهو الذي يحدد الشيء ويجعل له حدوداً بها يمتاز عن غيره عن المحدود والرب وهو القيم على الشيء عن الربوب وهو الواقع تحت قيمومته من الواضحات غايته انه بين مبدأ المبادئ وسائر هذه الكوائن يكون بمرحلة اشد ، الاحد بلا تأويل عدد ، اذا المنظور بوصف الاحدية للمبدأ الاعلا ليس هو انه واحد في مقابل اثنين واكثر بل المنظور به البساطة في مقابل التركيب والتجزأ اي ان جوهره وعنصره متممضان في الوحدة لا تعدد فيهما ولا تركيب ولا تجزأ ، والخالق لا بمعنى حركة ونصب ، وتعب واجهاد نفس لان الحركة وما اليها من لوازم الاجسام ومبدأ

المبادئ بعيد عن ذلك ، والسميع لأبداة ، اى بوسيلة ، والبصير لابتفريق آله ، و معنى تفريقها تمويجها فى شتى الجهات كما هو شأن كل ناظر بحدقة بل سمع الله وبصره علمه المحيط بكل شيء ، والشاهد ، اى الحاضر لكل مدرك او الناظر لكل مدرك ، لايمامة ، ناظر لمنظور او لامس لملموس بل بحضور مكاشفة ، والبائن ، اى المبتعد ، لا تراخى مسافة ، بين المتباعد وما بعد عنه بل هو بائن بحقيقته عن سائر الحقائق جوهرأ وهوية . والظاهر لا برؤية ، تقع عليه فتكشفه بل ظهوره انما هو للعقل حيث يدركه وللنفوس المترقية حيث تكاشفه ، والباطن لا بلطافة ، بل بالتجرد الخالص فان جملة من الاجسام اللطيفة يستولى عليها الخفاء للطافتها والمبدأ الاعلا لطيف لكن بمعنى التجرد وعليه يصح أن يقال فيه انه بطن للطافته بهذا المعنى وقد سلف فى كلام الامام ع نظيره كما عبر الله سبحانه عن نفسه بذلك حيث قال وهو اللطيف الخبير ، بان من الاشياء بالقهر لها والقدرة عليها ، لان القاهر لشيء ليس من ذلك الشيء المقهور فالذى حصل كينونة الاشياء وسبقها وجوداً والزمتنا الضرورات العلمية ان نعرفه بالتجرد والبساطة يستحيل عليه اختلاطها بها او حصول أية نسبة تقوم بينها سوى نسبة القهر لها والقدرة عليها وتدير شؤونها ، وبالملازمة باننا الاشياء منه بالخضوع له والرجوع اليه ، فى تدير شؤونها والغبومة عليها ، من وصفه ، بأوصاف زائدة على عين ذاته او مخرجة له من التجرد والبساطة ، فقد حده ، اى صير له حدوداً تقتضى خروجه الى عالم المادة ، ومن حده ، بهذا المعنى ، فقد حده ، بتجزأته اياه ، ومن حده ، باللون الآنف ، فقد ابطال اذله ، لان اذليته وليدة تجرده وبساطته ووجوب الوجود لذاته و كونه المبدأ الاعلا لكل شيء ، ومن قال ، فى حقه ، كيف هو ، فقد استوصفه ، بما يقتضيه السؤال بكيفية اى انما يسال بها عن تجدد الاحوال وطروء العوارض والمبدأ الاعلى نزيه عن ذلك ، ومن قال اين فقد حيزه ، لان اين يسال بها عن المكان والمجرد فى غنى عنه ، عالم اذلا معلوم ، اى لا متعلق خارجياً لعلمه وهكذا معنى ، ورب اذلام ربوب ، اى خارجياً كما اسلفناه ، وقادر اذلا مقدور ، قد ظهر الى عرصة الوجود ومعنى ذلك ان علمه وصانعيته وقادريته سبقت كل الكوائن بمعنى ان هذه الاوصاف وغيرها بالنسبة اليه تعالى

مناطها وجود ملاكات هافيه بعين وجود ذاته .

ومن كلام له عليه السلام (ج ٢ ص ٥٣٤ من النهج الحديدى) وقد سأله ذعبل اليماني فقال هل رأيت ربك يا امير المؤمنين فقال (ع) أفاعبد ما لا ارى فقال وكيف تراه : قال : لا تدركه العيون بمشاهدة العيان : ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان قريب من الاشياء غير ملامس ؛ بعيد منها غير مبين ؛ متكلم بلا روية . مريد لا بهمة ، صانع لا بجارحة ؛ لطيف لا يوصف بالخفاء ، كبير لا يوصف بالجفاء ؛ بصير لا يوصف بالحاسة ؛ رحيم لا يوصف بالرقة ، تمنو الوجوه لعظمته ، وتجب القلوب من مخافته .

لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ، اى ان حقيقته لما كانت صرف التجرد و البساطة كانت بالنسبة الى العيون كالبعيد المتوغل فى بعده بحيث لا تدركه الحاسة ومهما احدث النظر اليه ، ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان ، اى من طريق الايمان المتحقق به فالمكاشفة من طريق الايمان به تدركه ادراكا شريفاً لا العقل بما هو ولا الحاسة بما هي حاسة ، قريب من الاشياء ؛ لقيمومته عليها ، غير ملامس ، لها لان قربه معنى ليس من شأنه الملامسة ، بعيد منها ، فى هويته وهويتها و لكنه غير مبين لها ؛ لتدبيره اياها وقيامه عليها ؛ متكلم بلا روية ، واما غيره فانما يتكلم بعد التروى والتأمل مخافة السقطة والعرثة ، مريد لا بهمة ؛ اى احداث عزيمة نحو فعل الشىء فان ذلك من صفات من يفتر احياناً ويثور اخرى ويضعف حيناً ويتماسك حيناً آخر وكل هذا بعيد عن ساحة قدسه : يقال له ؛ صانع ، كما يطلق هذا اللفظ على غيره من الصانع لكن صانعيته تعالى ، لا بجارحة ، يستعملها كما يفعل غيره ؛ لطيف لا يوصف بالخفاء ، لان المنظور بلطافته هنا بساطته القائمة بالتجرد ، وغيره قد يلفظ على عدم تجرده حتى يخفى عن الحواس الظاهرة فلا يرى لكنه مع ذلك لا يوصف باللفظ المطلق ولكن باللفظ الخفى وهو لا يمتنع عن ملائمة المحسوسات ؛ كبير ، وهو على عظمته ، لا يوصف بالجفاء ، كما يوصف به كل الكبراء الذين لا يفارقهم التكبر ؛ بصير ؛ هو تعالى ولكن ، لا يوصف ؛ ابصاره ؛ بالحاسة ، بل لعلمه المحيط ، رحيم لا يوصف بالرقة ، لان الرقة والقساوة من اوضاع القلوب الحيوانية والانسانية والله رحيم

على كل حال لكل من يراه مستحقاً للرحمة، تمنوا لوجوه، اى تخضع وتذل ، لعظمته ،
وجليل مقامه، وتجب، اى تخفق وتضطرب ، القلوب من مخافته ، وشدة مؤاخذته على
فصل الباطل والانحراف عن الحق .

وقال عليه السلام من خطبة له (ج ٢ ص ٢٢٧ من النهج الحديدى) كلشئ خاشع لهو
كلشئ قائم به غنى كل فقير وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف و مفزع كل ملهوف من
تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ومن عاش فعليه رزقه ومن مات فاليه منقلبه لم
ترك العيون فتخبر عنك بل كنت قبل الواصفين من خلقك لم تخلق الخلق لو حشوا
استعملتهم لمنفعة ولا يسبقك من طلبت، ولا يفلتك من اخذت ولا ينقص سلطانك من عصاك
ولا يزيد فى ملكك من اطاعك ولا يرد امرك من سخط قضاءك ولا يستغنى عنك من
تولى عن امرك كل سر عندك علانية و كل غيب عندك شهادة انت الابد فلا أمداك و
انت المنتهى فلا محيص عنك وانت الموعد فلا منجى منك الا اليك بيدك ناصية كل دابة
واليك مصير كل نسمة سبحانك ما اعظم شأنك سبحانك ما اعظم ما ترى من خلقك وما
اصغر عظيمه فى جنب قدرتك وما أهون ما ترى من ملكوتك وما احقر ذلك فيما غاب عنان
سلطانك وما اسبع نعمك فى الدنيا وما اصغرها فى نعم الاخرة .

كلشئ خاشع له ، بذاته لمخلوقيته له وان تمرد فى حر كاته و سكناته على
وظائفه فان العقوق كثير فى جهلة البشر، و كلشئ قائم به ، بمعنى وقوعه تحت تدبيره
وقيومته . غنى كل فقير ، اى هو ذخر الفقير ولا يأس الفقير من تغير حاله الى الغنى
وهو به معتقدو عليه متكل ولا يستولى عليه القنوط وهو يعتقد ان هناك رباً ينظر اليه
ويحذب عليه طبق المصلحة اللازمة ، وعز كل ذليل وقوة كل ضعيف و مفزع كل
ملهوف ، فان من يعتقد بوجود الله سبحانه من عباده وان الكون كله من خلقته وتحت
تسخيره ويستمد جريانه من تدبيره كان من اللازم عليه ان يعتقد بانه ولو كان الآن ذليلاً قد
سخره غيره من طريق عزته اوضعيماً قد استولى عليه القوى لقوته او ملهوفاً قد اعينته
الحوادث منزعاً الا انه يرقب فى كل آن و آخر انفتاح باب رحمة من ربه عليه فيعز بعد
ذله ويقوى بعد ضعفه وقلته ويطمئن الى ركن وثيق بعد لفته وانه سيخزى من استذله

ويهن من استضعفه واستقله و كل هذه المعاني وجدانيات في المعتقدين بها يعيشون و عليها يموتون : والمفزع هو الملجأ واللمهة هي حرارة في الباطن تدفع بصاحبها الى تحقيق ما يحاول من قصد جهد المستطاع ، من تكلم سمع نطقه ومن سكت علم سره ، لان ملاك كل ذلك بالنسبة اليه هو العلم المحيط فالسر والجهر عنده سيات و انما ندب العبد الى الدعاء بلسانه ورفع يديه وتضرعه اظهاراً لادب العبودية ، ومن عاش فعليه رزقه ، لانه هو المدير للعالم كله ومن بعض تديره ادرار رزقه على الاحياء ، ومن مات فاليه منقلبه ، المنقلب هو المرجع فال موجودات حيا و ميتها في حاجة اليه حيا لاستمداد رزقه منه وميتها بالوفود عليه والرجوع اليه ، لم ترك العيون ، هذا الثفات من الغيبة الى الخطاب ، فتخبر عنك ، لان ما تسلمت به عاجز عن ان يلم بك لترفعك عن المادة والماديات بشرائها ، بل كنت قبل الواصفين من خلقك ، فانت بمنزلة المتقدم الذي تقادم عهده وبقي في العيان اثره فان ادعى الرائي رؤيته فمن طريق بصيرته و استدلاله بالاثار على موثره وان وصفه الواصف فباعتبار ما يرى من عميم فضله وشخص اثاره ومحاسنه الطالعة على وجه الوجود لم تخلق الخلق لوحشة ، الانفراد لجلالك عن موجبات الفرح والترح واللذة والالم والانشراح و الانقباض ، ولا استعملتهم ، فيما امرت ونهيت وحذرت وبشرت ، لمنفعة ، تعود اليك ، لاستغناءك عن كل شيء و حاجة كل شيء اليك بل كل ذلك من اصل خلقتهم واستعمالهم كان لصالح انفسهم التي قدرت لها السعادة مامشت على الجادة وركبت الصراط السوي ، ولا يسبقك من طلبت ، لان الكون وما في الكون تحت قبضتك فالهارب منك راد اليك ، ولا يفلتك ، الاصل يفلت منك لانه لازم غير متعدى وقد يعدى اللازم احياناً بحذف الواسطة مثل قوله :

﴿ استغفر الله ذنباً لست محصيه ﴾

و الاصل ان يقول استغفره من ذنب و على كل حال فمثله موجود ومستعمل في كلام العرب و من جملة ذلك ما استشهدنا به ، من اخذت ، اي من وقع في قبضتك يقال أفلت من يده اذا تملص منها و هرب و هذه التعبيرات قد سيقت بأسرها لظهار حقائق يمكن للبشر ان يدركها من طريق المقارنة بين ما يلمسه ويراه ويمارسه

و بين المقام الذى يتحدث عن واجب الوجود الذى لا يرتبط بذلك فى جوهره و
شؤن ذاته فلا يتصور فى مخلوقات واجب الوجود ان تهرب منه فيطلبها فلا تعجزه
او انها بعد لئى تقع فى قبضتهولا تستطيع الافلات منه اذ الكون و ما فيه من اول
خلقته الى ما لانهاية له تجت قبضته بلا مجال معه لغيره ، ولا ينقص سلطانك من عصاك
، اى ان سيطرتك و نفوذك الواسعين غير قابلين للنقلص بتمرد المتمردين و عصيان
العصاة كما يتقلص سلطان السلاطين مرة بانسكات امورهم بين رعاياهم ويعتدل او يمتد
اخرى متى عززتهم القوى وخدمتهم الجيوش ، و لا يزيد فى ملكك من اطاعك ،
فانت سلطان قهار على كل حال سواء اعصاك مخلوقوك و حلمت عليهم ام اطاعوك
فلطفت بهم كل ذلك لا يؤثر فى سلطانك ضعة و لارفعة بل هو كما كان فى عظمته مستمر
الى غير نهاية ، ولا يرد امرك ، عن نفوذه و مضيه ، من سخط قضاءك و لم يرض به لان
تقديرك قائم على مصلحة لازمة التحقق وان جهلها المخلوقون ، ولا يستغنى عنك من
تولى ، معرضاً ، عن امرك ، فان انقراج الامور امامه احياناً قد يغره و يغريه ولكنه
اذا ضايقته المهمات لم يريد ا من الرجوع اليك والاستخذاء بين يديك ، كل سر فيما
بين خلقك ، هو ، عندك علانية ، اى ظاهر مكشوف ، و كل غيب ، كتموه فيما بينهم
هو ، عندك شهادة ، لان الكون و ما فى تخومه و اعماقه كالذى فى مظاهره و مجاله
منكشف لك اتم انكشاف كيف لا وانت فاطر سره و جهره و ظاهره و باطنه ، فانت
الابد ، كما يقال زيد عدل اى فانت الواحد للابدية كالازلية مستمر وجودك بلا بداية
ولانهاية ، فلا مد لك ، اى لانهاية لك تنتهى اليها ، وانت المنتهى ، اى غاية الجميع ،
فلا محيص عنك ، الى ما سواك يقال حاص يحيص اذا تذبذب الانسان فى باطنه
فاخذ يفتش له عن طريق انجياز و فرار من مكان الى آخر و من انسان الى غيره
، وانت الموعد ، اى محل الوعد والمنظور به هنا نقطة التلاقى واجتماع المخلوقات
لانه الخالق للجميع ، فلانجى ، بمعنى المصدر اى لانجاة منك ، الآ ، باللجوء ، اليك
بيدك ناصية كل دابة ، الناصية هى مقدم الرأس الذى يلم عليه شعر الرأس فيكون
القاibus عليه من الانسان والحيوان كالقاibus على ما هو اشد من الزمام والعنان لانه

يملك الرأس والانسان والحيوان اذا ملك رأسهما بطلت حر كاتهما ووقفا مستسلمين متقادين والمنظور هنا انه لا حراك للمخلوق بيد الخالق ، واليك مصير ، اى مرجع ومعاد ، كل نسمة ، ومن يكون بهذه العظمة يليق بجلال مجده ان يقال له سبحانك ما أعظم شأنك سبحانك ما أعظم ما نرى من خلقك الذى به قدورنا ان ندركه وما يفوت عن ادراكنا ما لانعه ولا نحصيه ، و ' مع ذلك ، ما أصغر عظيمه فى جنب قدرتك ، الواسعة التى تصرف الملك والملكوت بالارادة الصرفة ، وما أهول ، يقال هاله هذا المنظر اذا استغرق تعجبه وأدهشه ، ما نرى من ملكوتك و ' مع هذا ، ما احقر ذلك فيما غاب عن ان سلطانك وما اسبح نعمك فى الدنيا ' يقال درع سابغة اذا كانت واسعة فائضة والنعمة السابغة هى الوافية و ، مع ذلك ، ما اصغر هافى نعم الآخرة ' اى ما اقلها مقيسة الى نعم الآخرة التى اعدت للمتقين .

ومن خطبة له عليه السلام (ج ٣ ص ١٩٤ من النهج الحديدى) الحمد لله الذى لا تدركه الشواهد ولا تحويه المشاهد ولا تراها التواظر ولا تحجبه السواتر الدال على قدمه بحدوث خلقه و بحدوث خلقه على وجوده وباشتباهم على ان لا شبه له الذى صدق فى ميعاده وارتفع عن ظلم عباده وقام بالقسط فى خلقه و عدل عليهم فى حكمه مستشهد بحدوث الاشياء على ازيلته وبما وسما به من العجز على قدرته وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه واحد لا بعدد ودائم لا بامد وقائم لا بعدد تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة و تشهد له المرأى لا بمحاضرة لم تحط به الاوهام بل تجلى لها وبها امتنع منها واليها حاكمها ليس بنذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسما ولا بنذى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا بل كبر شأناً وعظم سلطاناً .

الحمد لله الذى لا تدركه الشواهد ، الشواهد يكون جمع شاهد وشاهدة وكلاهما هنا بمعنى واحد وهو الشهود الحسى المتأتى من طريق الحواس الظاهرية وكل ما ليس بمادى لا يدرك بالحاسة ' ولا تحويه ' اى تتضمنه ، المشاهد ، جمع مشهد وهى المحافل والمجالس التى من لازمها الطبيعى ان يشهد بعض الحاضرين بعضا والمنظور بها هنا مطلق الامكنة وما ليس بمادى لا مكان له بل ليس من شأنه المكان

ولاتراه النواظر، جمع ناظرة وهي الحاسة المبصرة، و، على انه ليس بمادى بل هو عريق في التجرد والبساطة واللطافة، لان حجبه السواتر، ولا الحجب والحواجز المادية عن اتصال العقول به بمقدار ما يتيسر لها، الدال على قدمه بحدوث خلقه، والمراد بالحدوث في هذه الفقرة ما يقابل القدم بماهما مفهومان متقابلان. وبحدوث خلقه على وجوده، ويراد بالحدوث هنا معنى الوجود لأن الحدوث معناه الوجود بعد العدم والمنظوران وجود المعلول من الأدلة القاطعة على وجود العلة فالفقرتان هذه وسابقتها مفترقتان مفاداً فالاولى تفيد الحدوث في مقابل القدم و الثانية تفيد استلزام وجود المعلول لوجود العلة، و، الدال، باشتباههم على ان لا شبه له، قد تقدم منا شرح هذه الفقرة في خطبة سألقة ومضمون ما تقدم ان الكوائن ما سواه على تشتت عناصرها لها جوامع تجمعها فتكون هي وجه الشبه بينها فلو كان هو تعالى كائناً مثلها لشابهته لكنه لما كان بحكم العقل هو المبدأ الاول لكل كائن و انه سواها ذاتاً و صفة لم يكن له مع اي كائن يفرض اقل شبه فمشابهة الكوائن بعضها لبعض في اصل الكون والحدوث والاحتياج الى المكون هي التي اوجبت ان لا يكون لمكونها مشابه اذا المشابهة تدعو الى وجوب الاشتراك في شيء والامتياز في آخر و ذلك ينافي مبدأية المبدأ الاعلا لكل المبادئ و اصله لكل الاصول واحتياج الجميع اليه واستغنائاه عن الجميع المانع من حاجته الى ما يميزه عن غيره المشارك له في جوامع متواصل بينهما، الذي صدق في ميعاده، اي في اوعاده التي وعد بها انبيائه ورسله وعباده ونجزها لوقتها وانما وصفه بذلك وبما بعده لان الجميع من الصدق والعدل والتجافي عن الظلم من صفات الكمال وليس احد اولى بذلك منه تعالى، وارتفع عن ظلم عباده، اي جل وعظم عن ذلك، وقام بالقسط، وهو العدل، في خلقه وعدل عليهم في حكمه، وان كان في جملة من احكامه التكوينية قديراً ائى لهم انه تعالى اجحف بحقهم ولم يلفظ بهم ولكن ذلك كله انما اندمج في اوامهم لعدم وقوفهم على المصالح الخفية التي اريدت بهم، مستشهد بحدوث الاشياء على ازلته، حدوث الكائن في نفسه لا يستدعي ازالة المكون الامن طريق ان مبدأ المبادئ لمالم يجز فيه الا الوجود الذاتي في مقابل الوجود المفاد لزم ان

يكون اذلياً من هذه الناحية لان الوجود الذاتى لا يلىنثم مع العدم السابق ولا مع امكان التلاشى وهو عبارة اخرى عن وجوب الوجود وواجب الوجود واجب ازاله وأيده ، وبما وسمها به من العجز على قدرته ، وسمه بكذا اى جعل عليه سمة وعلامة وعجز المخلوق لازم لمحدوديته والتكوين يدل على قدرة المكون واتساع الكائنات واختلاف هوياتها يدلان على واسع القدرة وعظيم البسطة والقوة ، وبما اضطرها اليه من الفناء على دوامه ، كثير من الموجودات الحية حياتها فصلية وكثير منها لا يقتضى من طريق الطبيعة تلاشيها وفناءه الا للموارض تهدمه وفي الجميع نشهد تغير الصور و تبدل الهويات وتحقق التلاشى وكل ذلك وليد امكان البقاء والفناء فيها ذاتاً وهو يستوجب على طول الخط وجود مدير مشرف بل قيم مباشر فالدوام من هذه الناحية تنقضاء الكائنات فى المكون واما الابدية فهى من مستدعيات وجوب الوجود كما اسلفناه ، واحد لا يبعد ، اى انه ليس فى قبالة اثنين وثلاثة بل باعتبار امتيازاته الخاصة المفقودة فى كل ماسواه من وجوب الوجود وبساطة الذات الى غير ذلك وهذا معنى واحديته اذ لا مساهم له فى ذلك ، ودائم لا يأمد ، ولا تحديد مدة بل دوام ابدى ذاتى قائم لا يبعد ، لتجرده وبساطته وفيه ايماء الى تهجين من يعتقد ان الله قائم على عرشه وهم المجسمة من المسلمين ، تتلقاه الاذهان لا بمشاعرة ، تقول تلقيت الدرس اذا فهمته وادركته اى ان الاذهان تدركه جهد مقدورها لكن من غير طريق المشاعر والحواس بل من طريق عقلى خالص وان كان باعث الذهن الى التجول فى تفهمه هو الوجود المادى المدرك بالحواس اذن فالمشاعرة هى اعمال المشاعر ، وتشهد له المرئى ، جمع المرئى وهو ما تقع عليه الرؤية ، لا بمحاضرة ، يقال حضره محاضرة اذا اشتمل الحضور على الطرفين فمشاهد الكون اذا شهدت بوجود المكون لها فانما تشهد بذلك عن لسان حالها لا انها حاضرت مكوناتها وواجهته وجاهلوجه فشهدت عليه بالوجود لذلك ، لم تحط به الاوهام بل تجلى لها ، احاط بالشىء اذا وقف على تمام ما يحيط به ومعنى ذلك انه وقف على تمام هويته والاوهام بالنسبة الى مبدأ المبادئ أعجز من ذلك اذ لا طريق لها الى الغيب المتمحض بل المكون تجلى لها من نفسه من طريق

آثاره فحسب نعم اهل المكاشفة من الاولياء قد يجتلونه من طريق الفناء فيه وان كانت معرفة الاثار دافعة لهم الى ذلك ، وبها امتنع منها ، اى بوسيلة العقول التى لاتعرف طريقاً اليه الامن جبة شخص آثاره امتنع من ان تقف عليه وقوفاً تاماً لمحدودية الطريق الذى يراد منه الايصال ، واليه حاكماً ، اى جعل العقول انفسها هى الحكم فى انها هل باستطاعتها ان تدركه كمال الادراك اولا تستطيع ذلك ، ليس بذى كبر امتدت به النهايات فكبرته تجسيمياً ، اى هو تعالى يقال فى حقه انه كبير لكن ليس المنظور بذلك انه كبير لكبر النهايات التى تحتويه وتتضمنه حتى يكون كبيراً فى جسمه بل هو كبير فى معناه ، ولا بذى عظم تناهت به الغايات فعظمته تجسيدا ، اى و كذلك يقال انه عظيم وليس المنظور بعظمته انه لاتنبيه الا الغايات البعيدة والمسافات السحيقة فيكون عظيماً فى جسده بل هو عظيم فى شؤنه وهو مفاد قوله ع ، بل كبرشانا وعظم سلطاناً ، وقدرة :

ومن خطبة له ع فى التوحيد (ج ٣ ص ٢٠٣ من النهج الحديدى) ما وحده من كيفه ولا حقيقته اصاب من مثله ولا اياه عنى من شبهه ولا صمده من اشارة اليه و توهمه كل معروف بنفسه مصنوع و كل قائم فى سواء معلول فاعل لا باضطراب آلة مقدر لا بجول فكرة غنى لا باستفادة لاتصعبه الاوقات ولا ترفده الادوات سبق الاوقات كونه والعدم وجوده والابتداء ازاله .

، ما وحده ، بالوحدة الحقيقية ، من كيفه ، فان كل مكيف فاقد للبساطة و متى فقد البساطة لم يكن واحداً حقيقياً ولا حقيقته اصاب من مثله ، فان اتيان المثال له معناه بنظر الممثل وجود مشاكلة بينه وبين غيره وواجب الوجود بخواصه المنفرد بها لامشاكل له اذن فمن مثله لم يعرف حقيقته وانما عرف شيئاً صاغه له وهمه ليس هو الله وعين هذا المعنى يقال فى قوله ، ولا اياه عنى من شبهه ، بشىء من الاشياء بل يكون قصده مصروفاً الى مانحته خياله وهو امر وراء حقيقة الله ، ولا صمده ، بمعنى قصده ، من اشارة اليه ، بالاشارة الحسية ، و ، هكذا لم يقصده واقعاً من ' توهمه ' محاطاً بفكره فان العقول لاتحيط به لقصورها عن دركه من ناحية فقدان الطريق

اليه نعم من ناحية آثاره الشاخصة في عرصة العيان يمكن التعرف به وهذه الآثار لا تدل عليه الأدللة الجمالية اذ غاية ما ينطق به لسانها هو ذلك لا أكثر ، كل معروف بنفسه مصنوع ، اى كل ما عرف من طريق الوقوف عليه نفسه و تشخيص هويته فهو مصنوع ولا يجوز عليه ان يكون صانعاً لان صانع الكون لا طريق الى معرفته من نفسه و الوقوف على هويته بل ان عرف اجمالاً فمن طريق آثاره فقط كما ورد في الآثار كنت كنزاً مخفياً فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق لكى اعرف ، و كل قائم فى سواء معلول ليس المراد بالقائم فى سواء خصوص الاعراض بالنسبة الى قيامها بالجواهر كما ادعاه بعض الشراح بل المنظور ان كل ما كان وجوده مرتباً بغيره لضعفه وقوة الغير اولعجزه و قدرة غيره وما الى ذلك فهو معلول لان الضعف والعجزو نظائرهما امارات كونه محتاجاً الى من يرمم احتياجه والمحتاج لا يكون اصل الكفاة الاصول ، فاعل ، لاشك فى فاعليته وصانعته لكن ، لا باضطراب آلة . بل بالارادة الصرفة ، مقدر لا يجوز فكرة ، يقال قد مر مقاصده يقدرها تقديراً اذا امعن النظر فيها ليراعا كيف تتحقق وتأخذ نصيبها من الثبوت وهذا المعنى فى غير واجب الوجود لازم الحصول لان العاقل اذا لم يقدر مقاصده يفشل لأول مرة اما البارى فلا حاطة علمه بكل شىء لا يكون فى حاجة لذلك و كل من احاط علمه بحقائق الاشياء استغنى عن اجالة الفكرة فى مقاصده ، غنى ' بالضرورة من ذاته ، لا باستفادة من غيره ، نظير كافة الاغيار فان غناهم مكتسب ولو من طريق الارث او الاتهاب ، لاتصحبه الاوقات ، بمعنى لا تؤثر فيه ولا تغيره ولا تحدد وجوده بحدود خاصة كما تؤثر فى سائر الموجودات وتحدد وجوداتها بالفواصل والحدود نظير ما يقال مر على هذا الشىء كذا سنة و كذا جيل واما واجب الوجود فلا يقال مر عليه كذا زمان و كذا جيل لانه ازلى ولا تحديد للازل ، ولا ترافده الأدوات ، يقال زفده بهذا الشىء اذا ساعده به والبارى تعالى فى غنى عن كل اداة لانه هو خالق الأدوات و كل ما توصل الاداة اليه فان الاسباب بالنظر اليه اعدادات فى ايجاد المسببات والجميع مخلوق له رأساً والاداة هى الوسيلة التى يتوصل بها للوصول الى شىء آخر ، سبق الاوقات كونه ' ليس للوقت حد حتى يكون من

طريقه سابقاً او مسبقاً لكن الازل والابد لما كان مفهومهما بعيداً عن شائبة التحديد اذ كل تحديد هادم للازلية والابدية وكان وجود الباري ازلياً ايدياً صدق ان وجوده تعالى سبق كل تحديد ، والعدم وجوده ، ليس المعدم مع حفظ عنوانه حدود وفواصل حتى يصح من هذا الطريق ان يقال سبق وجود الله العدم ولكن منظور الامام عليه السلام من هذه العبارة ان خاطرة نسبة الوجود الى الباري تسبق خاطرة نسبة العدم اليه حتى في التصور لان العقل الحاكم بازليته لا يسيغ لنفسه ان يتصور له عدماً بالمرّة واذا طغى على الفكرة تصور نسبة العدم اليه سبقت نسبة الوجود اليه في هذا التصور نفسه ، و الابتداء اذله ، لان الابتداء محدود بطبيعة كونه ابتداءً اما الازل فهو وراء كل حد يتصور ؛ وحقاً ان في هذه الفقرات معاني شريفة بعيدة الغور .

بتشعيره المشاعر عرف ان لامشعر له ، وبمضادته بين الامور عرف ان لاضدله ، وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لاقربين له ، ضاد النور بالظلمة ، و الوضوح بالبهمة ، والجمود بالبلل والحرور بالبرد ، مؤلف بين متعادياتها مقارن بين متبايناتها مقرب بين متباعداتها مفرق بين متدانياتها ليشمل بحد ولا يحسب بعد وانما تحدد الادوات أنفسها وتشير الآلات الى نظائرها .

بتشعيره المشاعر عرف ان لامشعر له ، المشعرا سم آلة الشعور وجمعه مشاعرو هي الحواس وشعر له المشاعر بالتشديد جعلها له و المنظور ان المشاعر المجعلولة من ناحيته هي التي حكمت عليه تعالى انه ليس محلاً للمشاعر لبساطته اولا ولانها آلات لا يستطيع من غير طريقها التعرف بالاشياء والباري غنى غير محتاج لاسنجماعه من ذاته كل كمال ؛ وبمضادته بين الامور عرف ان لاضدله ، المضادة هي وقوع التضاد ويراد به التقابل المؤدى الى التمانع في الاجتماع عرضاً على محل واحد والحاكم الذي عرف انه لاضدله من طريق وقوفه على معنى التضاد والمتضادات هو العقل و ذلك ان العقل لما ادرك ان المتضادين يتمانعان وجوداً في عرض واحد على مورد واحد عرف ان مبدأ المبادئ يستحيل عليه ان يكون ضد الشيء اوله ضد من الاشياء بالمعنى المزبور وهو التعاند العرضي في التأثير اذ لازم هذا التعاند هو انتفاء كل اثر يفرض لحصول

التمايز بين العلتين اويقال انه لاضدله بمعنى عدم المقابل له بالهوية الخاصة بحيث يكون في افقه من ناحية التقابل واما المتضادات الاخرى في متقابلة الهويات ، وبمقارنته بين الاشياء عرف ان لاقرين له ، المقارنة بين الاشياء هي ايفاع الصحة والالفة بينها ولابدان يكون ذلك من طريق تقارب اسماخها والاستحجال ايفاع الالفة بينها والعقل لما ادرك ان المقارنة بين الشئيين وليدة التقارب السخى حكم ان لاقرين للمبدأ الاعلا لاستحالة وجود ما يسانخه : هذا وليس منظوره **تفصيل** من قوله بين الامور وبين الاشياء الامور كلها والاشياء كلها اذ ليست الامور كلها متضادة ولا الاشياء كلها متقاربة ثم مثل **تفصيل** لفريق المتضادات بقوله ، ضاد النور بالظلمة و الوضوح بالبهمة ، و البهمة هي السواد والظلمة يقال هذا مبهم اى غير واضح والوضوح هو الانكشاف ، والجمود ، و هو اليبوسة ، بالبلل ، وهو الرطوبة ، والحرور ، و هو الحرارة ، بالبرد ، و هو البرودة ، مؤلف ، اى موجد للالفة ، بين متعادياتها ، والضمير يرجع للامور والاشياء ومعنى ايجاد الالفة بين المتعاديات هو جمعها فى اطار واحد وان كان كل فرد منها له مفعوله الخاص غير انه سبحانه بتعديله بين الاثار من طريق الكسر والانكسار اوجد مزاجاً واحداً لا يظهر منه اثر كل واحد من المؤثرات على حدة بل مندمجاً بغيره كاستفادة الماء الفاتر من بين الحار والبارد؛ وقوله . مقارن بين متبائنائها مقرب بين متباعداتاها ، نظير لما اسلفنا شرحه من قوله مؤلف بين متعادياتها جاء به لمزيد التوضيح و ايفاء المطلوب حقه من البيان : ثم بعد ان ذكر **تفصيل** قدرته الباهرة فى التأليف بين المتعاديات افاد نوعاً آخر من القدرة الشامخة فقال ، مفرق بين متدانياتها ، فان ايجاد التفرقة بعد ايجاد التدانى صعب فى صعب لكن ذلك على قدرته سهل يسير و ايجاده التفرقة بين المتدانيات هو توزيعها بقضاء القضاء عليها او تشييت عناصرها بعد اجتماعها ، لا يشمل بحد ، لغموض حقيقته فليس باستطاعة حد من الحدود ان يقوم بتحقيق ذاته ، ولا يحسب بعد ، لبساطته وخلوصه عن كل ما يوجب التركيب ، وانما تجد الادوات ، اى الوسائل التى يتوسل بها فى تحديد الاشياء وتحقيق هوياتها ، انفسها ، اى ما كان من قبيلها فالحيوان الناطق انما يحدد الانسان لانه من قبيله وعلى مثل هذا ، وتشير الالات ، من حواس

ومشاعر، الى نظائرها ، فى السنجية فالحواس انما تشير الى ما يقع عليه الحس لانه نظيرها فى المادة .

منعتها منذ القدمة ، وحميتها قد الازلية وجنبتها لولا التكملة بها تجلى صانعها للعقول وبها امتنع عن نظر العيون ولا يجرى عليه السكون والحركة و كيف يجرى عليه ما هو أجراه ويعود فيه ما هو ابداه ويحدث فيه ما هو أحدثه اذا لتفاوتت ذاته و لتجزأ كنهه ولا تمنع من الازل معناه ولكان له وراء اذ وجد له امام ولا لمس التمام اذ لزمه النقصان واذا قامت آية المصنوع فيه ولتجول دليلا بعد ان كان مدلولاً عليه وخرج بسطان الامتناع من ان يؤثر فيه ما يؤثر فى غيره .

منذ كلمة تستعمل لتحديد الزمان فيقال حدث هذا الامر منذ كذا سنة: والقدر المتيقن من معانى قد تحقق الماضى و احتمال وقوع الامر فى المستقبل فيقال قد حدث هذا الامر بمعنى قد تحقق حصوله وقد يكون هذا الامر بمعنى قد يوجد و اضاف علماء اللغة ان قد التحقيقية وراء افادتها تحقيق الوقوع تفيد تقريبه من زمن الحال فومنى قد قام زيد عندهم ان قيامه المتحقق فى الماضى كان قريباً من زمن التكلم: ولولا معناها امتناع أمر لوقوف أمر آخر فى طريق تحققه فيقال لولا زيد لا كرمنى عمرو: و الامام عليه السلام فى صدر هذا الفصل يريدان يبين بعض الفوازيق بين الصانع و المصنوع فقال 'منعتها، الضمير يرجع للادوات والآلات والمراد بها كل وسيلة يتذرع بها للوصول الى امر آخر كالحواس والتحديدات وما الى ذلك : كلمة منذ، فى دخولها عليها ، القدمة 'وهى القدم لان منذ تحدد زمان حصولها ووجودها فيقال وجدت الآلة الكذائية منذ كذا سنة والموجود المحدود زمان وجوده لا يكون قديماً ذاتياً وان جازان يكون قديماً زمانياً اما وجود البارى فلما لم يكن محدوداً لاستحالة التحديد عليه لم يكن لدخول منذ عليه اى مجال 'وحميتها من الحماية وهى المنع كلمة ' قد الازلية لان الازلية معناها عدم تحديد الوجود من اوله وقد بد دخولها على الشئ تفيد انه قريب التحقق فى الوجود من زمان التكلم فكيف يلتزم ما يفيد مدخولها مع مفهوم الازل، و جنبتها ، كلمة ، لولا ، الامتناعية فى دخولها عليها ، التكملة ، لانها تفيد النقصان و

الممنوعة بالغير ومبدأ المبادئ كامل ، لانقص فيه و هو في حد ذاته اقدر القادرين فلا يمنع شيء عن تحقيق ارادته ، بها ، اي بالادوات والآلات من كونها مصنوعة ومن كونها طريقاً للدراك ، تجلى صانعها للعقول ، فأدركت منها ما تستطيع ادراكه ، وبها ، اي ومن طريق الادوات والآلات المزبورة واستلزام حصولها المبدأ أعلا ليس من المادة والماديات اذ المادى ذاتاً قاصر عن المبدأية المزبورة ، امتنع عن نظر العيون ، لان العيون لا تدرك ما ليس بمادى ، ولا يجرى عليه السكون والحركة ، لانهما من خواص الماديات فان الحركة هي انتقال الجسم من مكان الى آخر و السكون ر كوده في مكانه الذى هو فيه و كلاهذين الامرين فى بعد شاسع عن هوية المجردات ، و كيف يجرى عليه ما هو أجراه ، اجراء المبدأ للحركة و السكون انما هو بالتبع لاجراء المادة والماديات فى الوجود اذ هما من خواصها ومضافاتها، ويعود فيه ما هو ابداء ويحدث فيه ما هو أحدثه ، اي كيف يرجع الحادث ويكون وصفاً للتقديم وما هو مخلوق كيف يكون من شؤن الازلى ، اذ التفاوت ذاته ، فكان قديماً واحداثاً ومجرداً ومادياً ومخلوقاً وخالقا ، ولتجزأ كنهه ، الى أجزاء وهو بالضرورة يجب ان يكون بسيطاً ، ولا يمنع من الازل معناه ، لان الحدوث والازل على طرفى تقيض وقد عرفت ان ذاته اذلية وان الحركة والسكون حادثان ، ولكان له وراءه اذ وجد له امام ، لان الحركة من لوازمها خلق الجهات للمتحرك فيكون ما يستقبله امامه و ما يدبر عنه وراء له وهلم جرا ، و لا لمس التمام اذ لزمه النقصان ، لان تفاوت ذاته وتجزأ كنهه يوجبان احتياجه والاحتياج نقص ومن لازم المبدأ الأعلا التمام والكمال فيكون من واجبه التماس التمام و الخروج عما يوجب النقصان والحال ان مبدأيته تامة منذ الازل والتماس التمام فى نفسه نقصان فكيف يلتزمان ، واذاً لقامت آية المصنوع فيه ، لان من علامة المصنوع كونه مادياً وناقصاً ومحتاجاً ، و لتحول دليلاً ، على لزوم وجود مبدأ تام العيار فى الكمال والتمام والتجرد والبساطة ، بعد أن كان مدلولاً عليه ، من طريق آثاره التى أوجدها ومصنوعاته التى صنعها ، وخرج بسطان الامتناع ، هذا كلام مستأنف وليس تابعاً للجمل التى قبله اذ لا يلتزم معها بل له استقلاله فى الدليلية ، من أن يؤثر فيه ما

يؤثر في غيره ، من الجادة متعلقة بقوله خرج و معنى الجملة انه سبحانه خرج عن أن
يؤثر فيه ما يؤثر في غيره اى أثر يفرض من طريق سلطان امتناعه عن ان تنوشه الحوادث
والمؤثرات لكونه مبدأ المبادئ وعلة العلال وه سبب الاسباب وخالق القوى .
الذى لا يحول ولا يزول ولا يجوز عليه الا قول لم يلد فيكون مولوداً ولم يولد
فيصير محدوداً جل عن اتخاذ الابناء وطهر عن ملامسة النساء لاتناله الاوهام فتقدره ولا
تتوهمه الفطن فتصوره ولا تدر كه الحواس فتحسه ولا تلمسه الايدى فتمسه ولا يتغير
بحال ولا يتبدل فى الاحوال ولا تبليه الليالى والايام ولا يغيره الضياء والظلام .
الذى لا يحول ، يقال حال لونه اذا تغير من حال الى حال والتغير شأن الحوادث
لتأثرها بالطوارى وواجب الوجود نزيه عن ذلك ، ولا يزول اى لا يفنى وهو معنى الابدية ،
ولا يجوز عليه الا قول ، وهو الغياب بعد الظهور ، لم يلد فيكون مولوداً ، لاتلازم عقلياً
ولا طبيعياً بين ان يلد وبين ان يولد ولكن المنظور انه ليس من سنخ يحصل فيه التوالد
فان المعمول فى الطبائع التى تشبح الامثال ان تكون ناتجة من هذا الطريق ، ولم
يولد ، فيكون من افراد الطبيعة ، فيصير محدوداً ، لان كل طبيعى محدود ، جل عن
اتخاذ الابناء ، ولو من طريق التبنى وجلاله عن ذلك لان حياز كنهه عن عوالم المادة
والماديات ولو ازمها ، وطهر ، بتجرده ، عن ملامسة النساء ، وفيه ايماء ، الى ان ملامسة
النساء بماهى لا تخلو من قذروالواقع كذلك ، لاتناله ، اى لاتستطيع الوصول اليه ،
الاوهام فتقدره ، اى فتحيط به احاطة واقف على جميع حدود الشئ ، ولا تتوهمه
الفطن ، بحق ، فتصوره ، نعم الاوهام الزائفة توهمته بحسبانها فصورته طبق ما توحيه
خيالاتها ، ولا تدر كه الحواس ، الظاهرة بالمره . فتحسه ولا تلمسه الايدى اى تصل
اليه وتتصل به ، فتمسه ولا يتغير بحال ، من الاحوال ، ولا يتبدل فى ، تصاريف ، الاحوال ،
والاطوار كما يتغير ويتبدل غيره ، ولا تبليه الليالى والايام ، بكرها ومرها ، ولا يغيره
الضياء والظلام ، كما تفعل هذه المؤثرات بالطبائع كلها وذلك لانه مجرد متمحض
فى التجرد وكل هذه العوامل مخلوقة له وبعيدة فى كل اسناخها عنه ، ونختتم بحثنا
عن التوحيد فى درسنا نهج البلاغة بفصل رائع تكون بحوثه خاتمة مسك لما سلف موزعاً

في شتات الابواب السابقة فنقول والله هو المأمول .

- البراهين في دحض شبه الماديين -

يعيش البشر اليوم في القرن العشرين بعد ما نسلت على أسلافه احقاب وقرون تتفاير مبادئها وعقائدها وفلسفاتها مع مبادئ وعقائد وفلسفات هذا القرن تفائراً محسوساً ادى بيحوثهما الى التضاد بل التناقض في الاعم الاغلب ومن اجل كشف الجديد اغلاطاً حمة في مبادئ القديم وفلسفته لم يقرب به قرار في التنديد بما كان عليه الاولون من جميع اشياءهم الحقير منها والخطير الراجع لامور الدنيا ام الدين في الاجتماع والاقتصاد او في المادة والمعنى على الاطلاق وان الحق معه في كافة مراحل وشؤون وان الانسان قبل هذا الدور عاش وقطع عمره في ضلال وبني معلوماته على اشتباه وان كافة مبادئه واولاقل الاكثر منها لم تكن متركرة على المنطق بل على ما يظن منطقاً وان المقاييس العلمية في الاخير برهنت على ما كان عليه من اشتباه وانحراف في عدة امور رئيسية فضلا عن شتات المطالب الجزئية .

فمنها عالم الخلقه وانه بشر اشرف ابداع من خالق مجرد حتى عليم حكيم مقتدر مختار اذلى ابدى وان ليس للطبيعة اثر في خلقته واخراجه واتجاهه بالمره وهذه الدعوى يصر على تكذيبها جملة من المنجدين بما اثار الشكوك والاهام حتى في من لم يصح لهم بالاعتراف بكل ما ذكره ونحن قبل ان نذكر مزاعمهم في هذا الباب وقبل ان نرد عليهم نهد مقدمة تتناول درس الحيوان من حيث تركيبه واجهزته وما هي عليه بطور ملخص ثم نفيض بمذلك بذكر آرائهم في الخلقه ونقد كل مزاعمهم بطور متوسط بين الايجاز والاطناب وبعرض صحيح على موازين العلم الحديث ووساطة العقل المركز والوجدان الذي لا يستطيع احد خدشه او التعلل فيه : فنقول في المقدمة التمهيدية عن لسان علماء الطبيعة والحيوان واعترافهم .

ان الموجودات الحية مع انها تظهر للنظر متنوعة و متوزعة في الخلقه تشترك

عمرماً في خواص ومميزات تمازجها عن الموجودات الها مدة الفاقدة للحياة

والخواص الأصلية في الموجودات الحية : هي وجدانها للبنيان الخلوي : العمل الحياتي : البنيان الكيميائي المخصوص : اما البنيان الخلوي فهو ان الموجودات الحية تتشكل من واحد او اكثر من الخلايا : و اما العمل الحياتي فهو ان خلايا البدن في طول أعمارها دائماً تكون عمالة فعالة وان فعاليتها الاجتماعية تظهر في بدن الموجود الحي بصور مختلفة ولتسم هذه الظواهر بآثار الحياة فعلى هذا يمكن ان يعبرو يقال ان الاعمال الحياتية للموجودات الحية هي نتيجة فعالية الخلايا المتشكل منها بدن الموجودات الموماً اليها : واهم آثار الحياة عبارة عن التغذية وقابلية التأثر والنمو و توليد المثل : اذ كل موجود حي لاجل ادامة فعالته الحيوية في حاجة ملجئة الى المواد الغذائية و الاوكسيجن ومن طريق التغذية تتحول المواد المزبورة الى خلايا .

وكل موجود حي ايضاً بالنسبة الى اثر عوامل محيطه يعود متأثراً بها وهذا التأثير الذي يريه من نفسه في مقابل العوامل المزبورة من أبرز آثار حياته . كما ان كل موجود حي لا يبقى على هويته الاولى بل بالتدريج ضمن التغذية الدائمة يترقى وزناً وحجماً الى أن يصل الى حده النهائي وهذا ما يعبر عنه بالنمو كما ان كل موجود حي في طريق نموه وفي دورة خاصة من حياته وتحت شرائط معينة ينتج من نفسه نظيراً لها وهو ما يعبر عنه بتوليد المثل .

واما البنيان الكيميائي في الموجودات الحية فهو لتوفر الكم والكيف في موادها والتأثيرات الناتجة عن ذلك غير قابل للضبط في هذه السطور لاحتياج تقسيماته وتركيباته الى توسع في البيان وتبسط في المقال .

والخلية تعد من أصغر اجزاء بدن الموجود الحي وانها حجر واحد من احجار وفيرة يتقوم منها بنيان الموجود الحي وبنيته الكلية تتكون من اقسام ثلاثة (سيتو بلاسم) او المادة الفاقدة للون اللزجة الشفافة غير المنحلة في الماء (النواة) وهي بصورة جسم كروي الشكل واقع وسط (البيتيو بلاسم) : الغشاء وهو سجاج ظريف يحيط بالخلية من خارجها : ولهذه الاقسام الثلاثة تنظيمات وتشكيلات .

شرائط البقاء : الاعمال الحياتية لكل خلية ولاى نوع من انواع الموجودات الحية لا بد وان تكون فى محيط خاص وشرائط معينة و مع ان شرائط حياة ذوات الارواح بحسب الظاهر مختلفة الا ان هناك شرائط عامة ومشاركة فى الجميع يمكن حصرها وتقسيمها الى نوعين : الشرائط الخارجية : بطور كلى تكون الموجودات الحية بلحاظ تأمين احتياج الغذاء ودفع المواد الزائدة فى مبادلة دائمة مع محيطها فهى تأخذ الغذاء والاكسجين وتدفع المواد الزائدة وبما انها تقع تحت تأثير العوامل الخارجية للمحيط يلزم ان يكون محيط وجودها واجداً لشرائط مساعدة للحياة : الشرائط الداخلية : وهذه الشرائط مربوطة ببدن الموجود الحى فيلزم فى الموجود الحى ذى الخلية الواحدة ان تكون اقسام الخلية الاصلية فيها سالمة و على وضعها الطبيعى وان يكون الارتباط الكامل بين (النواة) و (السيتوبلازم) موجوداً : و اما الموجودات الحية ذات الخلايا الكثيرة على الاخص الحيوانات العالية فيلزم فيها فضلاً عن الشرائط الأنفة تضامنها الاجتماعى ومعاونة بعضها لبعض فى العمل هذا فضلاً عن لزوم كون البنية وتركيبات المحيط كاملة وواجدة للوضع الطبيعى .

المجموعات الخلوية : تقال المجموعة الخلوية لكل طائفة منها تعمل لمنظور واحد مشخص و يكون بنائها على نمط واحد وأهم المجموعات الخلوية فى بدن الانسان عبارة عن : المجموعة الغشائية : الغدية : التركيبية : الغضروفية : العظمية : الدموية : العضلانية : العصبية : الدهنية .

(١) المجموعة الغشائية : بما ان هذه المجموعة تستر سطح البدن وداخل حفر

الاعضاء سميت بالغشائية ولها اقسام عديدة متنوعة .

(٢) المجموعة الغدية : وهى فى الواقع مجموعة غشائية سوى انها ترشحية

بمعنى ان المجموعة الغشائية تحصل فيها انخفاضات بصورة الغدد فتقوم بوظيفة الترشح

وكل خلية ترشحية معمولاً لاجل الترشح تأخذ موادها الاولية من الشبكة الدموية

المحيطة بالغدد وبعد طى مراحل تحويلية فى نفس الخلية تأتى بصورة مادة ترشحية

تدفعها الخلية من نفسها : والغدد من حيث البنية وطرز الترشح تنقسم الى اقسام ثلاثة :

الغدد المفتحة : وبما ان هذا القسم ذو مجارى ترشحية الى الخارج قيل له غدد مفتحة : الغدد المطبقة : وبما ان هذا القسم فاقد للمجارى وترشحه يكون الى المحيط الداخلى وهو الدم سمي مطبقاً : الغدد المختلطة : وبما انها ذات نوعين من الترشح الى الخارج والداخل سميت مختلطة .

(٣) المجموعة التركيبية : وهى الخلايا الرابطة التى تصل بعضاً ببعض وهى تكون باشكال نجومية ذات اذنان طرفية تربط بعضها ببعض ولها اقسام وانواع عديدة .
(٤) المجموعة الدهنية . وهى نوع من الخلايا التركيبية تكون فى داخلها مواد دهنية و الدهن ابتداء يكون بصورة ذرات فى الخلية و بالتدرج يكثر و يتصل بعضه ببعض حتى انه بالآخرة يدفع (السينو بلاسم) و (النواة) الى جانب ويملاء فضاء الخلية بنفسه : ومن فوائد الخلايا الدهنية انها تكون بمنزلة العائق تصون من البرد مهما اشتد .

(٥) المجموعة الغضروفية : الخلية الغضروفية كبيرة بالنسبة و كرية الشكل و بطور منفردة و مجتمعة تكون فى الحفر الداخلية ولهذه الخلية اقسام وانواع .
(٦) المجموعة العظمية : تتركز هذه الخلايا فى الحفر الداخلية و تملأ الفضاء الواقع بين هذه الحفر بمادة تدعى بالمادة العظمية وتشتمل هذه المادة على مواد وفيرة من النورة بها تكون ذات استحكام وصلابة : وهذه المجموعة ذات انواع و اقسام كثيرة كسوابقها .

(٧) المجموعة الدموية : نوع من الخلايا الرابطة وهى تكون حمراً و بيضا وفاقدة للون .

(٨) المجموعة العضلانية : تتشكل هذه المجموعة من اجتماع خلايا طوال عضلانية تسمى بالاتواد العضلانية ولها اقسام وانواع وخصائص .

(٩) المجموعة العصبية : خلايا تكون بشكل النجوم كرية هرمية وذات نواة مركزية كرية شفاقة وفيها بحوث خجمة .

توليد المثل : منشأ تشكيل بدن الانسان و كلية ذوات الارواح الكثيرة الخلايا

خليقوا وحدة أصلية تسمى بخلية البذرة وهذه الخلية كائنة عن خليتين مذكرة ومؤنثة وكل من هاتين الخليتين غير قادرة على ادامة الحياة بمفردها واتحادهما ينجر الى تشكيل خلية البذرة: والخلية المذكرة طويلة واجدة في طولها لرأس ورقبة وذنب: والمؤنثة كرية الشكل واجدة لنواة كبيرة: عمل اللقاح: تقرب الخلية المذكرة من المؤنثة وتخلط بها فينجر ذلك الى تشكيل خلية البذرة وهذا التقارب والاختلاط يقال له لقاح: مراحل اللقاح: تتحرك الخلية المذكرة الى طرف الخلية المؤنثة ومقارن هذه الحركة يحدث في الخلية المؤنثة تحذب في بعض جوانبها يجرب به المذكرة اليه و بمجرد تماسهما يرد المذكرة في دائرة انثناء فينقطع عنه ذنبه وبلافاصلة تأخذ الاثني بترشح مادة لزجة تسمى شامة اللقاح وهي من العوامل المانعة لورود اى مذكرة اخرى الى هذه الخلية المؤنثة: ونواة الخليتين بعد اختلاطهما تأخذان بالدنو بعضاً من بعض حتى تلتقيا وتتركبا وتوجدا من انفسهما نواة واحدة كاملة قابلة للانقسام ثم في هذا الانقسام وكيفية ترقى البذرة كلام واسع لايسعه هذا المختصر:

المحيط الطبيعى لحياة الخلية: جميع خلايا البدن تسبح في مائع مالى للفضاء المحيط بها وواجد لجميع شرائط حياتها وهذا المائع يسمى بالمائع المالى للخلايا ويحصل بترشح الدم من جدران العروق الدموية الى فضاء ما بين الخلايا وهو الرابط بينها وبين الدم والموصل اليها الغذاء والاكسجين والاذمنها المواد الزائدة وهذا المائع ليس بساكن بل هو دائما يجرى مع الدم ولذلك يمكن ان يقال ان خلايا البدن تعيش في مائع جارى .

الدم: له خواص فيزيائية وكيميائية اما خواصه الفيزيائية فهي ان الدم مائع احمر دائم الجريان فى القلب والشرايين باستثناء البشرة والشعر والاذن والفرو يشتمل على جميع خلايا البدن وهو فى العروق الاحمر - باستثناء العرق الاحمر الرئوى - يكون على لون احمر كاشف: وفى العروق السود - باستثناء العرق الاسود الرئوى - يكون - احمر معتماً على انه فى المراكز الفعالة فى البدن نظير الغدد والكلا يكون فى العروق السود منها احمر كاشفا .

طعم الدم مالح وله رائحة خاصة وزنه في الرجال ٦١ / ١ وفي النساء ٥٨ / ١
هو بالنظر الى التركيب الكيميائي يحتوى على ٥٠٠ غرام من الخلايا الحمراء
البيضاء و ٥٠٠ غرام من الفاقدة لثون وفي المجموع المكور يوجد في كل لتر من
الدم ٢٠٠ غرام مواد جامدة و ٨٠٠ غرام ماء : ومقدار الدم في كل انسان تقريباً
 $\frac{1}{13}$ الى $\frac{1}{10}$ بالنسبة الى وزن البدن الذي يبلغ ٦٠ كيلوا فتقرب كمية وجوده
في الانسان المزبور من ٥ لترات .

الاعمال العامة للدم : الدم يشكل المحيط الداخلي للبدن كما انه من عوامل
ارتباطه لانه يجري في جميع مراكزه واجهزته وهو المحيط الطبيعي لوجود
خلاياه وبوسيلة اجزائه التركيبية مساوية للبيضاء منها يأخذ الاوكسيجن من الرئة و
يبثه في المجموعات الخلوية وبواسطة البيضاء منها يجعل البدن قابلاً للدفاع جراثيمه
وعفوناته : الاجزاء الحمراء منه خلايا بشكل العدس وتكون في الانسان بلا نواة وفي
جملة من غيره ذات نواة : وحمرة الدم تكسون من وجود مادة ملونة فيه تدعى
(هيموكلوبين) ولوجود هذه المادة فيه تكون له فعالية قوية في نقل غازات التنفس
معه لان الهيموكلوبين اذا جاور الاوكسيجن الكافي تركب معه بسهولة : و من
خواص هذه الاجزاء الحمراء انها قابلة للانقباض والامتداد فهي تجري في العروق
الضيقة جداً واذا عبرتها الى ما هو اوسع تجمعت وتكاثفت : والاجزاء البيضاء من الدم
خلايا فاقدة للون شفافة كرية الشكل او غير منظمة ذات نواة واحدة او متعددة و
من خواصها انها لظرافة غشائها وبوسيلة ايجاد ارجل كاذبة فيها دائمة الحركة
وباتكائها على جدران العروق الدموية تقوم بالحركة ويمكن ان تضبط سرعة
حركتها في الساعة الواحدة بميل متر واحد وهي بالنسبة الى المواد الكيميائية
حساسة جداً فبعض المواد كترشحات الميكروبات والاوكسيجن تجلبها اليها وبعضها
نظير الكحول الالكلي تطردها عنها : وهي لاتزال ذات حملات عنيفة على الجراثيم
والمواد الخارجية تحاصرهما وتبتلعها وتهضمها مثلاً على اثر انغماس ابرة في البدن لو
تسربت اليه عدة ميكروبات اخذت هذه الميكروبات تتغذى بالمائع المالىء لفضاء

ما بين الخلايا وبوسيلة تحركها تبعث بسمومها اليه فيحصل من ترشح السموم ورم وألم وتعفن في المزاج في هذا الموقع تتنبه الاجزاء البيض وتخرج من عروقها الضيقة لتبارز الجراثيم فهنا يحصل هجوم من الميكروبات ودفاع من الخلايا المزبورة بترشح السم من الاولى وترشح ضده من الثانية فاذا قاومت هذه الخلايا مقاومة تامة انتهت المنازعة بينها وبين الميكروبات بالقضاء على هذا العدو فتجف الجراحة و يهت الورم وكل ما اصاب الخلايا من نقص وجهد يترمم سريعاً واذا عجزت عن دفاعها اخذت الميكروبات يتكاثر والورم يزداد وتقرب الحالة من الخطر .

الدورة الدموية : نعلم ان المحيط الداخلى دائماً في تجدد وجريان حتى يتمكن ان يأخذ من الامعاء والرئتين المواد الغذائية والاوكسيجن ويدفع المواد الزائدة الى جهاز الدفع وبالنتيجة يحفظ تركيبه ويجعله ثابتاً : وجريان الدم دائماً منوط بضربان القلب وعلى اساسه يندفع في الشرايين الحمر والسود والعروق الصفار .

عمل القلب : القلب في ضرباته المتعاقب يجرى الدم في الشرايين والدم له دورتان كبيرة مفصلة وصغيرة مختصرة والمفصلة تشرع من البطن اليسر للقلب وبعد طي طريق الشرايين الحمر والعروق الصفار والشرايين السود يرد الى الدهليز الايمن من القلب توسط شريانين اسودين خشنين تحتانيين ، والمختصرة تشرع من البطن الايمن ومن طريق الشريان الاحمر الرئوي تتصل بالرئتين وبتوسط اربعة شرايين سودرئوية ترجع الى الدهليز اليسر من القلب : والقلب في ضرباته المنظمة من ناحية يأخذ الدم من الشرايين السود ومن ناحية ثانية يدفع الدم بضغطة في الشرايين الحمر ومن هذا الطريق وبهذا اللون يوجد جريانه : والقلب له في انقباضه وانبساطه تغيرات ففي انقباضه يكشف لونه ويقل حجمه ويصير كريا ويتحرك من اليسار الى اليمين ويتصل طرفه بقفص الصدر فيوجد ضربة وفي انبساطه يحمر لونه و يكبر حجمه ويستطيل ويتحرك من اليمين الى اليسار حتى يرجع الى محله الاول : ويضرب قلب الانسان في كل دقيقة ٧٠ مرة لكنه في مختلف السنين تحصل فيه فروق ففي الطفل في السنة الواحدة يضرب ١٣٠ وفي ذى الثلاث سنين ١٠٠ وفي العشر سنين ٩٠ ومن

العشرة للخمسين سنة ٧٠ وفي سن الشيخوخة يزيد ويكثر في الثمانين يبلغ ٨٠ مرة وفي النساء والقصار القامات يزيد على الحد المتداول: تعداد ضربات القلب في التمرينات العضلانية والاضطراب والوحشة والحمى يكثر ولكن في الاستراحة والنوم يقل.

جريان الدم في الشرايين الحمراء مع ان ضربات القلب متناوبة فان الدم معمولا يجري بسرعة في الشرايين المزبورة وعلة اتصال جريانه فيها هي وجود الاوتار القابلة للارتجاع في جدرانها وهذه الخاصية فيها هي التي تسهل العمل على القلب و لذلك عند انحراف المزاج تتصلب الشرايين وبالنبع تتصلب جدرانها فلا تعود قابلة للارتجاع ومن اجله يزداد شغل القلب ويكبر حجمه: وجريان الدم في العروق الصفار دائمي وعلى نحو واحد وفيها خاصية الانقباض و الانبساط : انقباضها مربوط بسيتوبلاسم الخلايا القائمة في جدرانها فانها هي التي تضيق العرق حتى لا يجري فيدم كثير ولكن في الاعمال الشاقة تنفتح هذه العروق فيسترسل فيها دم كثير: في كبار هذه العروق نجد الخلايا الحمراء الدموية متصلة بعضاً ببعض في العبور منها ولكن في العروق الضيقة المجري نجدها متفرقة ومتعاقبة في العبور اما الخلايا البيضاء الدموية لاجل ان لا تتحرك في العروق بسرعة نراها تتعلق بجدرانها وتتحرك حركة خفيفة جداً جريان الدم في الشرايين السود دائماً يكون الى طرف القلب وهو في جريانه متصل و على السوية سرعة سير الدم فيها قليلة الا انها اكثر من سيره في العروق الصفار والعامل الاصل في رجوع دمها الى القلب هو ببقية الضغط الحاصل من البطن الايسر له فانه معين على جريان الدم فيها ومؤثر فيه .

عمل التغذية : قدمنا في بحثنا عن الخلية والاعمال الحياتية مختصراً يرجع لعمل التغذية وعلما هناك ان التغذية باعثة لادامة حياة الموجودات الحية اذن فالقسم الظاهري والمقدماني للتغذية يشمل الاعمال التي توجد المبادلة بين الخلايا والمحيط الداخلي وهذه الاعمال شاملة لمراحل مختلفة من قبيل المضغ والهضم والجذب وجريان الدم والالياف المخاطية والتبغض و الدفع و يتحقق كل من هذه توسط جهاز مخصوص بمعنى ان عمل المضغ والهضم يجعل المواد الغذائية قابلة للورود في المحيط

الداخلي وجريان الدم والالياف المخاطية يجددان المحيط الحيوي للخلايا والتنفس يوصل ما به الحاجت من الاوكسيجن الى الداخل والدفع يخرج المواد الزائدة الى الخارج ونحن في هذا الفصل نبحث عن الغذاء وعن جهاز المضغ والهضم : الغذاء يطلق على المواد المؤمّنة لاحتياجات البدن من توليد القوة فيه و ترميم السواد النالفة منه وتأمين النمو : والاعذية المعمولة نظير الخبز واللحم والبيض واللبن مع انها بحسب الظاهر اعذية بسيطة لكنها في النجزة والتحليل متركبة من مواد متعددة والاعذية البسيطة مشتملة على اعذية معدنية واعذية آلية والاعذية المعدنية شاملة للماء والاملاح المعدنية والماء يقوم بتشكيل $\frac{2}{3}$ من وزن البدن والانسان معمولا في الحر المعتدل يدفع في اليوم من طريق الادرار والعرق والتنفس والمدفوع ما يقرب من لتر ونصف ماء وهذا المقدار يؤمنه بوسيلة شرب الماء والمشروبات المختلفة والاعذية فان في الخبز ما يقرب من $\frac{35}{100}$ ماء وفي اللحم ما يقرب من $\frac{65}{100}$ وفي الفواكه ما يقرب من $\frac{75}{100}$ وان للماء دخلا قويا في تمام فعل وانفعالات داخل البدن : و الاملاح المعدنية تقوم بتشكيل $\frac{4}{100}$ من وزن البدن : والانسان يدفع في اليوم واللييلة ما يقرب من ٢٥ غرام ملح ولا بد من جبرائها ضمن الاعذية التي يتناولها فالاملاح الماء كولة تقريبا تجبر من ذلك عشرة غرامات والاعذية النباتية تجبر الباقي منه : والبحث في تحقيق هذه الاملاح والاعذية الالية طويل لايسعه هذا المختصر : ولا يجهل لزوم الغذاء لترميم النقص وتوليد القوة لعلمنا دائما بان دفاع مواد مختلفة ضمن الادرار والعرق والصفراء ونستنتج من ترميم ما يؤخذ من الشعرو الاظافر وما يسقط من بشرة الجلد وما ينمو به الطفل الى سنين معينة ان ذلك كله من نتائج ايراد الغذاء الى المحيط الداخلي .

المضغ والهضم : يقالان على مجموعة الاعمال التي تغير شكل المواد الغذائية وتجعلها قابلة للتصريف في المحيط الداخلي وهذا الجهاز شامل لانيوب المضغ والهضم وغدهما : اما الانبوب فهو مفتوح الطرفين يشرع من الفم وينتهي بالمخرج وهو بالترتيب شامل : للفم : الحلق : المرى : المعدة : المعائين الضيق والواسع .

الغم : هو الحفرة المحدودة من الامام بالشفاه ومن الورا بالحلوق ومن الاعلا باللهاة ومن الاسفل بسطح الغم ومن الطرفين بالعارضين ويستردا داخل الغم مخاط احمر يكون في نهاية اللهاة سجافاً باسم شراع الحنك ينتهي باللسان القصير ويوجد في داخل الغم اللسان والاسنان : اما اللسان فيبحث عنه في حس الذوق واما الاسنان فهي قائمة في حفر على محاذاة الفكين الاعلا والاسفل وتنقسم الى اربعة انواع الثنايا والانياب والطواحن الكبار والطواحن الصغار ويقال للقسم الخارج عن اللثة منها - تاج - وللداخل في اللثة - جذر - وللحد الفاصل بينهما مجز .

(١) الثنايا - وهي واجدة لتيجان حادة الطرف قاطعة ولجذرو واحد وتعدادها اربعة في كل فك وموقعها القسم الامامي من الغم .

(٢) الانياب - وهي واجدة لتيجان محدبة حادة ولجذرو واحد وتعدادها اثنان في كل فك وموقعها في طرفي الثنايا .

(٣) الطواحن الصغار : وهي واجدة لتيجان عريضة ذات حدين وتكون ذات جذر واحد او اثنين ويوجد منها في كل فك اربعة اعداد وموقعها في طرفي الانياب .

(٤) الطواحن الكبار : وهي واجدة لتيجان عريضة ذات اربع حدين والطواحن الفوقية منها معمولاً تكون ذات جذر ذي ثلاث شعب و السفلى منها ذات جذرين و تعدادها في كل فك ستة موقعها بعد الطواحن الصغار : فمجموع اسنان الانسان البالغ ٣٢ سنناً .

اسكلت الاسنان من العاج وفي ضخامته مجاري منشعبة لتغفل الاعصاب وتيجانها مطلاة بالمينا وجذورها بالساروج ويشتمل العاج على ٧٢٪ من النورة و ٢٨٪ من المواد الآلية ويشتمل الساروج على ٧٠٪ من مواد النورة و ٣٠٪ مواد آلية ويرد الشريان الدموي الاحمر من الجذور اليها وبعد وروده يتبدل الى شبكة عروق صغيرة ويرجع خارجاً منها بصورة شريان دهوي اسود وهكذا ترد الاعصاب الى الاسنان من الجذور وحدان شعابها الى المينا .

الحلق : فضاء واقع خلف الغم من ناحية شراع الحنك وهو بصورة مفترق اربعة

طزق فمن الامام الفم ومن الاعلا حفر الانف ومن الاسفل قصبه التنفس والمرى وتقع فى طرفيه اللوزتان ، يسترباطن الحلق غشاء مخاطى ومن وراء هذا الغشاء عضلات بعضها طولى وبعضها حلقوى .

(٣) المرى : انبوب بطول ٢٠ الى ٣٠ سانتيمترو بقطر ٢/٥ الى ٣ سانتيمتر وموقعه وراء قصبه التنفس وفى مقابل الخرزة ١١ من فقار الظهر يرتبط بالمعدة و يحتوى جداره من الداخل الى الخارج على طبقة مخاطية و طبقة عضلية تشتمل على اوتار طولية من الخارج واوتار حلقوية من الداخل و اكثر عضلات مبتدأ المرى مخطط و لكن باقى عضلاته مطلس وعلى طبقة تركيبية وفيها تكون مجارى عروق الدم و الاعصاب .

(٤) المعدة كيس بسعة ١٢٠٠ سانتيمتر مكعب يقع فى الطرف الايسر من البطن ويتكأ قسم من الكبد عليه مدخله يسمى فم المعدة و محل اتصاله بالاثنى عشر يسمى باب المعدة وفى المعدة انخفاضان كبير و صغير و ضخامة جدارها ٢ الى ٣ ميل مترو من الداخل الى الخارج تشتمل على طبقات طبقة مخاطية تحتوى على غدد الهضم و غدد المخاط : طبقة عضلانية : طبقة تركيبية وفيها تكون مجارى الدم و الاعصاب .

(٥) المعاء الضيق وهو بطول ٨ أمتار تقريباً و بقطر ٢/٥ الى ٣ سانتيمتر شروعه من باب المعدة وينتهى الى المعاء الواسع و لاجل ان يمكن وجوده فى محيط البطن يكثر فيه الالتواء و التطوى و كل ما قرب الى النهاية يضيق اكثر حتى ان قطره لا يعود يساوى اكثر من ١/٥ الى ٢ سانتيمترو هذا المعاء يحتوى على ثلاثة اقسام : الاثنى عشر بطول ١٥ الى ٢٥ سانت و موقعه بعد المعدة بلافاصلة : المعاء الاسفل وهو المعدة فى المعاء الضيق و الاكثر التواء و تطويأ : المعاء الطويل وهو منتهى المعاء الضيق و يتصل بوسيلة بويب صغير بالمعاء الواسع : ويشتمل جدار المعاء الضيق من الخارج الى الداخل على طبقات : الطبقة التركيبية وفيها مجارى الدم : الطبقة العضلانية المطلسه لكن العضلات من خارجها طولية و من داخلها حلقوية : الطبقة المخاطية و تشتمل على غدد الهضم و غدد المخاط و مخاط هذا المعاء ليس بمطلس بل فيه اسنان عرضية تدعى

بطيات المعاء وهي بتعداد ٨٠٠ الى ١٠٠٠ طبقة يتضرس بها سطح المعاء المزبور و يستولى على السطح الداخلى للمعاء وحتى على السطح المنطوى منه حبيبات بارترفاع $\frac{1}{4}$ ميل متر تدعى بالخممل ويرتقى تعدادها الى ملايين الحبيبات: وخلايا هذه الطبقة هي العامل الاصلى فى جذب الغذاء وفى طول جدران الخممل عضلات مطلسة بانقباضها وانبساطها حين الجذب تسبب تغيير حجم الخممل وفى كل خممل انشعاب للعرق الاحمر الدموى وبعد وروده يتبدل الى شبكة عروق دموية و يكون فى خروجه بصورة عرق دموى اسود .

(٦) المعاء الواسع : وهو بطول $\frac{1}{5}$ متر تقريباً وبقطر ١٠ سانتات شروعه من بويب المعاء الضيق و انتهاؤه يكون بالمخرج ويشتمل على ثلاثة اقسام : المصران الاعور : القولون : المعاء المعتدل : المصران الاعور يشبه الكيس وفى انتهاه تكون زائدة الابانديس : القولون وهو كثير الالتواء و التعرج وتكون قسمته الصاعدة الى فوق عن يمين البطن ثم يكون بصورة افقية وفى ايسر البطن ينزل الى أسفل ويحصل فيه حيثئذ انخفاض : المعاء المعتدل وهو يكون بطول ٢٥ سانت تقريباً و يتسع كل ما قرب من المخرج : ويربط بين المعاء الضيق و الواسع بويب تعبر منه المواد من الاول الى الثانى وجددان المعاء الواسع من الخارج الى الداخل تشتمل على الطبقة التركيبية والعضلانية والمخاطية وتكون الاوتار الطولية لعضلات المعاء الواسع ذات ثلاث شطوب وبما ان طولها يقل عن طول المعاء فلذلك يتسبب التعرج و الالتواء فى انبويه : ومخاط هذا المعاء فاقد للخممل .

(٧) غدد الهضم : بعض هذه الغدد واقع فى جدار انبوب الهضم وتكون صفاراً مثل غدد المعدة وغدد الامعاء وبعضها واقع خارج الانبوب وبما انها توصل ترشحاتها الى انبوب الهضم يقال لها غدد ضميمة الهضم مثل الغدد البزاقية ولوز المعدة و الغدد البزاقية ثلاثة ازواج بشكل العقود وتوصل ترشحاتها الى الغم وهى عبارة عن الغدد الواقعة اسفل الاذن وهى بوسيلة مجراها توصل ترشحاتها من طريق الطاحن الثانى من الطواحن الكبيرة الفوقية الى الغم والغدد الواقعة تحت الفك و هى بوسيلة مجراها

توصل ترشحها من وراء المقاديم التحتية الى الفم والغدد الواقعة تحت اللسان وهي
بوسيلة مجاريها المتعددة تصب ترشحها تحت اللسان .

غدد المعدة : وهي غدد صفار يتراوح تعدادها بين ٦ الى ٧ ملايين غدة وموقعها
مخاط المعدة بعضها ساذج وبعضها كالاصابع وشكل الجميع انبوبي وفي كل غدة يوجد
نوعان من خلايا الترشح بعضها اصلى وبعضها على حاشية الانبوب .

غدد الامعاء : وهي نوعان عنقودية ووجودها منحصر في الاثنى عشر وغدد انبوية
ساذجة وقصيرة توجد في طول المعاء الضيق ويوجد قليل منها في المعاء الواسع .

غدد لوز المعدة : لوز المعدة من اهم غدد الهضم وهي غدة مستطيلة على شكل
اللوزة بوزن ٧٠ غراماً وبطول ١٥ سانتاً وبضخامة سانت واحد واقعة بطور افقى تحت
المعدة قسمتها العريضة واقعة على باب الاثنى عشر وطرفها الضيق يختم بالطحال وتصب
ترشحاتها في الاثنى عشر .

غدة الكبد : الكبد اضخم غدة في البدن وزنه التقريبي ٢ كيلو ويقع في القسم
الايمن للبطن وقراره على الامعاء سطحه الاعلا محدب و سطحه الاسفل مقعر وقسمنا
وسطه وخلفه ضخمتان ويرق تدريجاً الى الطرف : في سطحه الاسفل توجد ثلاثة
اخاديد اثنان منها عموديان و الثالث عرضي : و عروق دم الكبد عبارة عن العرق
الاحمر الدموي الجالب وهو شعبة من العرق الاحمر الاحشائي ويجلب الى الكبد دماً
معتدل اللون غير معتم والعرق الدموي الاسود وهو يجلب الدم المعتم من المعدة والمعاء
والطحال ولوز المعدة الى الكبد و العرق الاسود الدموي الآخذ و هو الذي يخرج
بالدورة الدموية الى خارج الكبد .

المجاري الصفراوية للكبد : الصفراء مائع أصفر وبوسيلة مجرى يقال له المجرى
الكبدى بطول ٧ الى ٨ سانتات يخرج من الكبد وفي نهايته ينشعب الى شعبتين شعبة
تصب في كيس الصفراء والاخرى في الاثنى عشر : وفي الكبد وتقسيماته بحوث كثيرة
لايسعها هذا المختصر .

تحليل الهضم من الناحية العلمية : اعمال الهضم الباعثة على تغيير شكل الغذاء

تشمل نوعين من الاعمال ميكانيكية و كيميائية : الاعمال الميكانيكية لجهاز الهضم حركات باعثة على نعومة الغذاء ودفعه الى الداخل و اخلاء انبوب الهضم منه ويحصل هذا العمل بوسيلة العضلات الهاضمة وتوجد هذه الاعمال على طول انبوب الهضم وهي عبارة عن المضغ والبلع وحركات المعائين الضيق والواسع .

المضغ : عمل ميكانيكي للقم تنوسط الشفاه واللسان في دفع الغذاء الى الاسنان حتى ينعم ويختلط بالمواد البزاقية ويقوم الفك الاسفل توسط العضلات بعملية المضغ . والبلع عمل ميكانيكي يحصل منه انحدار الغذاء من القم الى المعدة وللبلع مراحل ثلاثة - مرحلة القم - الحلق - المري - بعد مضغ اللقمة تستقر على اللسان وطرف اللسان باتكائه على اللهاة وانسداد القم وضغط الفك الاسفل على الاعلاو انقباض عضلات اللسان يحددها الى طرف الحلق وهذا العمل في بدئه ارادى لكن اللقمة اذا تعدت شراع الحنك خرجت العمليات اللاحقة عن الاختيار واذا وصلت اللقمة الى الحلق انسدت الطرق الثلاثة امامها طريق الانف بشراع الحنك واللسان القصير وطريق القم باللسان وطريق التنفس بارتفاع الحنجرة ووردت الى المري و اذا استرسلت انفتحت الطرق الثلاثة الأنفة الذكر وباعتبار ان جدران المري ذات عضلات طويلة وحلقوية فهي بانقباضها المتواصل تسوق اللقمة الى طرف المعدة .

العمل الميكانيكي للمعدة : انقباض الانواع الثلاثة العضلانية القائمة في جدار المعدة حين الهضم يغير شكل المعدة : المعدة الخالية معمولا تكون بطور قائم و فاقدة للحركة وفي موقع ورود الغذاء اليها يتورم وسط المعدة وينحدر الغذاء الى الاسفل ومعمولا بعد عشرين دقيقة من الاكل تشرع جدران المعدة بالحركة و هذه الانقباضات تكون بطور اخايد حلقوية تشرع متوجهة الى الاسفل وبتبعها تنحدر المواد الغذائية من أعلا الى اسفل و من نتيجة هذه الحركات يختلط الغذاء بترشحات المعدة .

العمل الميكانيكي للمعاء الضيق : اولا تختلط المواد الغذائية بترشحات هذا المعاء وثانيا تنحدر منه الى المعاء الواسع وتشخص في المعاء الضيق حين ورود الغذاء

فيه ثلاثة انواع من الحركة : حركة تحصل على اثر انقباض العضلات الطولية يعنى على اثر انقباض هذه العضلات يحصل فى طرف من المعاء انخفاض وانحناء وهذا العمل يحصل متناوباً على طول المعاء و يوجد تغييراً فى قطره : وحركة تحصل بسبب انقباض العضلات الحلقوية و تسبب حلقات متواصلة من الانخفاض على طول المعاء حيث تصير المعاء بصورة فقرات الظهر وخرزات السبعة : وحركة تحصل بسبب انقباض العضلات الطولية والحلقوية فتوجد اولا حلقة من الانخفاض على عرض دورة المعاء ثم يكون هذا الانخفاض بصورة موج مالى للمعاء كله وكل نقطة يمر بها هذا الموج تطول وتضيق وبعدها تعديه منها تعرض وتتسع وسرعة حركة الغذاء فى هذا المعاء فى كل ساعة متر واحد و مدة توقف الغذاء فيه تستغرق ٦ ساعات

العمل الميكانيكى للمعاء الواسع : على اثر وصول الموج فى المعاء الضيق الى منتهاه ينفتح البويب الفاصل بينه وبين المعاء الواسع فيتسرب منه بعض الغذاء اليه ومع ان المعاء الواسع على طوله واجد للارتعاشات التموجية فهو فى اوائله يعنى فى القولون الصاعد الى فوق والقولون الاقوى تتصادم فيه ارتعاشات متعاكسة و بسبب هذا التعاكس تتوقف المواد فى المصران الاعور فتعطى من نفسها كمية من الماء وعلى اثر توالى المدفوع يعود المصران الاعور والقولون الصاعد والاقوى مكتضاً به فتتحددر قسمة من المدفوع فى القولون الصاعد والاقوى الى القولون الاسفل وتتوقف فيه واذا وصلت اليه مواد مائية بحد معين استرسل الى المعاء المعتدل وحرك مخاط المخرج فاذا حصلت منه اجابة خرج والا رجع الى القولون الاسفل و توقف خروجه الى وقت آخر .

الاعمال الكيميائية لجهاز الهضم : العمل الكيميائى للفم يحصل من اثر البزاق يترشح البزاق فى اليوم والليلة بطور عادى قريباً من ٨٠٠ غرام ويشتمل على ٥/١٠٠ مواد جامدة و ٩٥/١٠٠ مواد مائية و مركز ترشح البزاق هو بصل النخاع و حصواه يكون بطريقة انعكاسية - ذلك - ان الغذاء اذا ورد الى الفم حرك مخاطه ومخاط اللسان و هذا التحريك بواسطة اعصاب الحس يتصل بمركز الترشح والمركز المزبور بواسطة

الاعصاب المحركة يحرك الغدد البزاقية بالترشح ويحصل الترشح بصورتين الأولى - تناول الغذاء - الثانية - بصورة روحية بمعنى ان رائحة الغذاء اورؤيته او سماع اسمه او تخيله قد تبعث ترشح البزاق .

الاعمال الكيميائية للمعدة : الهضم الكيميائي للمعدة يحصل تحت اثر سوائل المعدة وترشح هذه السوائل من غددها لمجاورة بعض مواد الغذاء لمخاط المعدة في اليوم والليله بمقدار لترين وسائل المعدة مائع فاقد للون فيه شيء من اللزوجة وحالة اسيدية و توقف الغذاء في المعدة يختلف باختلاف مواده فالماء مكثه قليل والحليب بقاءه لمدة ساعة اما المواد الدسمة فبقاؤها طويل يعوق الهضم واذا انتهى وقت هضم المعدة اعطت محتوياتها بصورة مائع حامض يسمى بالكيموس المعدى و اذا وصلت الحالة الاسيدية الى حد معين بحصول انقباضات موجية يفتح باب المعدة الى الاثنى عشر .

الاعمال الكيميائية للمعاء : العمل الكيميائي لهضم المعاء له اهمية خارجة عن المعتاد لان المعاء فضلاء عن سوائله تصب فيه سوائل الصفراء وسوائل لوز المعدة : وسائل المعاء مائع يوجد من اثر ترشح غدده ومقدار ترشحه في اليوم والليله يقرب من لتر واحد وهو يحصل من مجاورة المواد الغذائية لمخاط المعاء .

خواص الكبد و لوز المعدة بالنظر الى هضم المعدة : سبق ان بينا ان الصفراء وسائل لوز المعدة يصبان في المعاء وتأثيرهما يكون في هضم المواد الغذائية والصفراء مائع لزج قابل للامتداد مرهوع اصفر اللون اذا كان في كيسه فاذا جاور الهواء مال لونه الى الخضرة وترشحه في اليوم والليله يكون بمقدار ٨٠٠ الى ١٠٠٠ غرام ويوجد في الصفراء حالة ترشحها ٢٥ بالالف مواد جامدة والباقي ماء : لكنها اذا تجمعت في كيسها ترتقى المواد الجامدة فيها الى ١٥٠ بالالف واكثر اهمية الصفراء يكون من ناحية الهضم والجنب للمواد الدسمة ومن ناحية تحريكها للتموجات العمومية في المعاء لحصول الهضم ومن اسقاطها للخلايا الغانية المتحطمة عن جدران المعاء و من ايجادها لصد الغفونات في محيط المعاء ومقاومتها للورود والتعفنات : وسعة كيس الصفراء

٥٠ سانت مكعباً : اما سائل لوز المعدة فهي تكون من طريق خلايا العنقودية وهذه السوائل من اهم سائل الهضم لتأثيرها في كل غذاء : وترشحها في اليوم والليله يكون بمقدار ١٢٠٠ غرام وهي مائع فاقد للون قابل للامتداد قليلا يشتمل على ١٥ بالالف مواد جامدة والباقي ماء.

الجذب : المواد التي تصل لخلايا البدن لا بد وان تنهى مراحل ثلاثة - ١ - عبورها من وراء غشاء سطح البدن او السطح الداخلي لانيوب الهضم - ٢ - توزعها في المحيط الداخلي وفي جميع نواحي البدن - ٣ - نفوذها الى داخل سيتوبلاسم الخلايا ومع ان الجذب يحصل من طريق الرءة ومن طريق غشاء البدن والمخاط وتتحد ضمن هذا الجذب مواد كيميائية وطبية لكن اهم بحثنا عن جذب الغذاء من طريق انيوب الهضم ومع ان جهاز الهضم كثير الاقسام فان الفم يجذب جملة من المواد الدوائية و المعدة تجذب جملة من الالكالات والسموم الا ان القسمة المهمة في الجذب لانيوب الهضم هي الامعاء على الاخص المعاء الضيق منها فان القسم الاعظم من الغذاء المنهضم يجذب فيه لان مخاط هذا المعاء ساذج فيكون عبور الغذاء فيه اسهل من غيره و لوجود التعرج الكثير و الخمل فيه تكون مجاورته للغذاء اطول من غيره و لتعدد حركات هذا المعاء وحركات خمله تكون قدرته على الجذب اكثر ولان المواد الغذائية فيه تصل الى حدها النهائي في التجزئة و التحليل يكون جذبه لها اوفر و لان الغذاء يتوقف فيه فلطول هذا التوقف يطول الجذب و زمانه - و بالنتيجة - بمناسبة وجود التعرجات الكثيرة في هذا المعاء والخمل الزائد جداً حيث يكون تعدادها في كل سانت مربع من ٥٠٠ الى ٣٠٠٠ يوجد للجذب سطح واسع جداً يتجاوز عن ٤٣ متراً مربعاً بل يمكن ان يقال ان محيط الجذب منحصره : وفي الجذب و تحولاته ومجاريه بحوث قيمة لايسعها هذا المختصر.

عمل التنفس : من شرائط حياة كل موجود حي وجود الاوكسيجن في المحيط الحيوي العايش فيه لان الموجودات الحية في حاجة الى ذلك : و المواد الغذائية بواسطة المحيط الداخلي ووقوعها تحت اختيار الخلايا يحصل في داخلها فعل وانفعال

كيميائي مخصوص من بعضها ما يسمى (الاكسيد اسيون) ومن هذه الجهة نرى الموجودات الحية تتطلب الاوكسيجن ومن طريق الاكسيد اسيون فضلا عن حصول قوة وحرارة في الموجود الحي تحصل مواد زائدة تسمى بغاز الكربونيك تلوث المحيط الداخلى لهذا دائماً تكون حاجة ماسة الى استيراد الاوكسيجن الى الداخل ودفع غاز الكربونيك الى الخارج ومن دخول الاوكسيجن وخروج غاز الكربونيك يحصل التنفس .

تنفس الحي ذى الخلية الواحدة يحصل من طريق غشائه وفي الحي ذى الخلايا الكثيرة يحصل من طريق جهاز يسمى جهاز التنفس : جهاز تنفس الانسان شامل لمجاري التنفس والرئتين ومجاري التنفس تشمل الانف والحلق والحنجرة وقصبه التنفس والقصبات المشعبة والقصبات التي دونها : حفر الانف : يبحث عن هذه الحفر ضمن البحث عن الشامة والحلق قد سبق مفصل القول فيه : اما الحنجرة فهي جهاز توليد الصوت والمجاري الثلاثة الانف والحلق والحنجرة طريق ورود وخروج الهواء مضافاً الى تصفيته له وتسخينها اياه : تقع قصبه التنفس بعد الحنجرة والقصبه المزبورة انبوب اسطوانى قسمته الخلفية في تمام طولها مسطحة طول القصبه ١٢ سانتاً وقطرها ٢ سانت وموقعها بطور عمودى في امتداد العنق ومقدم المري وتقسم القصبه المزبورة في قمص الصدر مقابل الفقرة الرابعة من فقرات الظهر الى قصبتين وفي طول القصبه توجد ١٥ الى ٢٠ انصاف حلقات غضروفية : انصاف الحلقات الغضروفية متراكبة بعضاً على بعض ولا جل وجود هذه الحلقات الغضروفية نرى فم القصبه مفتوحاً دائماً المقطع العرضى للقصبه يشتمل من الخارج الى الداخل على الطبقة التركيبية القابلة للارتجاع - اولا - وعلى الطبقة الغضروفية : ثانياً : وعلى الطبقة المخاطية ثالثاً - .

القصبتان هما شعبتا قصبه التنفس و كل واحدة منهما بضميمة عروق الدم والاعصاب تردالى واحدة من الرئتين وبنيتها التركيبية كبنية اصل قصبه التنفس الا ان حلقاتها الغضروفية تامة لانصاف حلقاتها وكل قصبه من هاتين القصبتين تنشعب الى

قصيات اصغر منها وتنتهي كل واحدة من هاته القصيات الى كيس او اكياس صفار تسمى حباب الرئة او الاكياس الهوائية والبنية الكلية للرئة وللأكياس الهوائية مادة شبيهة الاسفنج قابلة للارتجاع و موقعها الصد ولونها في الاشخاص المسنين رمادي وفي الاطفال والشبان وردي بعد الرءتين من الوراثة عمود الظهر ومن الامام والجنبيين الاضلاع وعضلاتها الواقعة بينها: و كل رئة بشكل الهرم ورأسها الى فوق ووزن الرءتين في الرجال ١٢٠٠ غرام وفي النساء ٩٠٠ غرام والرئة اليمنى اكبر من اليسرى وفي سطحها الخارجى يوجد اخدودان يقسمانها الى ثلاث وجنات لكن اليسرى فيها اخدود واحد ووجنتان وهى من ناحيتها الداخلية مقعرة ومكان القلب في هذا التقعر: و كل وجنة من وجنات الرئة تنقسم الى وجنات اصغر منها وحجم كل واحدة من هاته الوجنات الصغيرة سانت واحد وبنيتها هرمية الشكل قاعدتها سطح الرئة ورأسها الى الداخل وقاعدتها هذه تكون بصورة كثير الاضلاع بقطر ١٠ الى ١٥ ميل متروهي من سطوحها الجانبية بعضها متكىء على بعض وعند تسرب القصبات بين الوجنات يترسل لكل واحدة منها اشعاب من القصبات المزبورة وهكذا ترسل هذه الانشعابات الى شعب اصغر حتى تنتهي الى الاكياس الهوائية ومع كل وجنة من الوجنات المذكورة اشعاب من العروق الدموية الحمر كما تنشعب من هذه العروق الكبار شبكة عروق دموية صفار تصب في نهاية مطاقها في عرق دموى اسود يخرج من الوجنات .

والاكياس الهوائية اصغر تقسيمات الرئة وتعدادها في الرءتين يقرب من مليونين و قطر كل واحد منها في حدود $\frac{1}{4}$ ميل مترو سطح كل حباب منها متعرج متطوى وهذه التطويات يقال لها بيوت الرئة وتعدادها تقريبا يبلغ ١٧٠٠ مليون بيت وهو رقم واسع ووجود هذه البيوت هو الذى يوسع سطح تبادلات الغازات حتى ان سطح التبادل في مجموع الرءتين قد يصل الى ١٥٠ بل الى ٢٠٠ متر مربع وهذا هو الذى يجعل مركزية بيوت الرءتين مهما عظيماً - وبالنتيجة فأصغر اجزاء الرئة الحباب الرئوى ويقال لمجموعته وجنات الرئة واجتماع الوجنات يشكل الوجنات والوجنات تشكل اصل الرئة ويتصل بكل تقسيم من هذه التقسيمات انبوب هوائى يتناسبه .

والحركات التنفسية هي في الواقع الاعمال الميكانيكية للتنفس و نتيجة هذه الحركات استيراد الهواء الى الرئتين و اخراجه منهما في حالة استيراد الهواء يفتح قفص الصدر والرئتان فيرد الهواء اليهما وفي مقام اخراجه يندمج قفص الصدر وتنهافت الرئتان فيخرج الهواء ومع ان الرئتين تنقبضان وتنسطان فان الفعالية ليست لهما بل فعاليتها مربوطة بانفتاح وانقباض قفص الصدر اذن فلاستيراد الهواء واخراجه ثلاثة عوامل : حركات قفص الصدر : خاصة ارتجاع الرئتين : متابعتها لحركات قفص الصدر : تعداد حركات التنفس في الرجال ١٦ وفي النساء ١٨ دفعة في الدقيقة الواحدة ويختلف هذا التعداد زيادة وتقصااً بحسب السنين و حالات البدن ففي اول التولد ٤٤ وفي الخمس سنين ٢٦ وفي ١٥ سنة الى ٢٠ سنة ٢٠ وفي ٢٠ الى ٢٥ سنة ١٨ وفي ٢٥ الى ٣٠ سنة ١٦ وفي ٤٠ سنة ١٨ مرة في الدقيقة الواحدة : وفي وقت العمل و التعب يزيد تعداد التنفس وفي الاستراحة والنوم ينقص كما يزيد في الحر : وفي كل تنفس عادي يدخل الى الرئة نصف لتر هواء ويخرج مثله وتسع الرئتان بطور طبيعي ٣ لترات هواء : وفي مبحث التنفس فصول ذات قيمة في اهميتها .

« جهاز دفع الادرار يقال الادرار للمواد التي تؤخذ من المحيط الداخلي بواسطة الكليتين وتدفع الى الخارج : جهاز دفع الادرار شامل للكليتين ولمجرى الادرار و مجارى الادرار شاملة للطشيت وللحالب وللمثانة ومجرى الخروج .

« البنية الكلية لجهاز الادرار وتحليلها بالدقة : الكلا مواد بشكل الغدد قهوائية اللون تميل الى الحمرة على شكل اللوبياء تقع وراء الامعاء في طرفي الفقار من ناحية الخاصرة و كل من الكليتين يقع في مكان يسمى محل الكلية مملوء بالشحم الكلية اليمنى ينخفض مقرها عن محل الكلية اليسرى قليلا و كل كلية تزن ١٢٠ الى ١٥٠ غراماً بقطر ٣ الى ٤ سانتات وجانبها الخارجي محدب والداخلي مقعروف في وسط هذا التقعر اخدود عمودى عريض باسم سرّة الكلية تتسرب من هذه السرة العروق الدموية والاعصاب الى الداخل : وفي عمق السرة حفرة بعمق ٣ سانتات باسم (السينوس) توجد في وسطها الداخلي نواتي و فوق كل كلية غدة مطبقة باسم (غدة فوق الكلية)

حيث لا ارتباط لها بالكلية اصلاً.

و يحيط بكل كلية من الخارج غشاء ليفي محكم ابيض اللون لا انشعاب له الى الداخل و ينزع عن الكلية بسهولة : و في المقطع العرضي لكل كلية تسبين الاقسام التالية .

« (١) المنطقة المركزية او منطقة الاهرام وهي مخططة ، ولونها أحمر وتشتمل هذه المنطقة على ١٠ الى ١٢ هرمًا قاعدة الاهرام الى طرف الخارج و امارؤسها مفتوحة الى مركز (السينوس) و في كل ناتئ من نواتئ السينوس يوجد ١١ الى ٢٠ متقدماً مخصوصاً بدفع الادرار . »

« (٢) المنطقة القشرية او منطقة الحبيبات تكون بضخامة ٣ الى ٦ ميل مترات واقعة تحت الغشاء الليفي تحتوى هذه المنطقة على حبيبات حمر كثيرة والانابيب المنلوية في المنطقة القشرية لها نفوذ بين الاهرام وتكون بصورة امواج شعاعية وعند ملاحظة المنطقة القشرية تشخص منطقتان : منطقة الاهرام وهي وراء تلك الاهرام ودونها وتشتمل على اهرام صغيرة يبلغ تعدادها في قاعدة كل هرم كبير من ٣٠٠ الى ٥٠٠ هرم والاهرام الكبيرة تتكون من اجتماع انايب كثيرة (٣) والمنطقة الفضائية الهرمية الشكل المنتهية قواعدها الى الغشاء الليفي للكلية . »

وتتشكل كل كلية من اجتماع و جنات متعددة الا انه لا جدران تحجز بينها والوجنة المزبورة هي مجموعة هرم كبير ومن المنطقة القشرية التي فوقه والتي تحيط بها شبكة دموية .

ويبلغ تعداد الوجنات المزبورة في كلية الانسان من ١٠ الى ١٢ وجنة : و اذا وضعنا انايب الادرار تحت المجهر لاحظنا فيها اعداداً ضخمة قد احتوتها شبكة تركيبية ملتوية وأحاطت بها شبكة مثلها من العروق الدموية : وتوجد في انايب الادرار تقسيمات كثيرة مهمة يخرج البحث فيها عن حوصلة هذا الموجز : «

« مجارى الادرار : الطشيت مخزن مخروطي الشكل بعرض ٢ وارتفاع ٢ الى ٣ سانتات قاعدته الى داخل الكلية : الحالب انبوب بطول ٢٥ سانتاً وبقطر ٥ ميل

مترات ويشرع من الطشيت وينحدد الى طرف المثانة واقل ضغط يحصل في المثانة
يوجب انسداد الحالب ويمنع من صعود الادرار اليه وجدار الحالب ذواتار طولية
وحلقوية من العضلات المطلسة : المثانة كيس بسعة ٦٠ سانتاً مكعباً موقعه طشيت
الخاصرة وجدار المثانة قابل للانساع كثيراً وضخامته بعد النخلة تبلغ من ١٠ الى
١٦ ميل متراً لكنه عند الامتلاء الكامل تنقل ضخامته من ١٤ الى ٢ سانت : «

« ومجرى خروج الادرار انبوب ضيق ياخذ الادرار من المثانة الى الخارج :
والادرار مايع اصفر اللون مالح الطعم ذورائحة خاصة و يدفع الانسان في كل ٢٤
ساعة مقدار ١٢٠٠ غرام الى ١٥٠٠ غرام بول وليس هذا المقدار ثابتاً على حالة
واحدة بل في الحر يقل وفي البرد يكثر كما يكثر في مواقع الوحشة والاضطراب
والاعمال الفكرية والهيجان الروحية وتناول المشروبات المختلفة : و انايب
الادرار في الحقيقة هي التي ترشح به تاخذ مواده من الشبكات الدموية المحيطة بها
توقعها في الجريان والادرار بعد أن يتشكل في انايبه يشرب من منافذ الحبيبات الى الطشيت
ومنه توسط انبوبي الحالب ينصب في المثانة ويحرف فيها : وعبور الادرار من الحالب
يحصل من ضغط الادرار على الادرار السابق من ناحية و بانقباض العضلات الجدارية
من ناحية ثانية حتى يصبه في المثانة وفي كل ٢٢ ثانية ترد المثانة قطرة واحدة من
الادرار : وفي جهاز الادرار كلام واسع كثير الاهمية لامجال لذكره هنا سوى اناشير
الى تعداد انايب الادرار في كلية الانسان فقد ذكروا انها تبلغ من المليونين الى
الاربعة ملايين انبوب دقاق و هو رقم واسع جداً و منه يعلم ان هذه الانايب لاجل
تصفية الدم تعمل في محيط واسع «

« الاعمال الارتباطية : مع ان تقسيم الاعمال في البدن اوجب امتياز الاجهزة بعضا
عن بعض الا انها في الحقيقة مرتبطة متواصلة والكلام في خواص ارتباطها جهازاً
وعضواً مما يطيل البعث ويخرج عن حوصلة هذه التذكرة : لكننا نخص الكلام عن الغدد
الترشحية المطبقة وماله من عمل ارتباطي والغدد الترشحية المطبقة عبارة عن : التيروئيد
مسامير التيروئيد : التيموس : غدد فوق الكلية : الهيبوفيز : لوز المعدة : الكبد :
غدد التناسل .

✓ (١) التيروئيد . غدة على شكل الفراشة رمادية اللون مائلة الى الحمرة بوزن ٢٥ الى ٣٠ غراماً موقعها امام العنق تشتمل هذه الغدة على وجنتين يمينى ويسرى يربط بينهما رابط ضئيل له زائدة صاعدة الى فوق متمائلة الى الوجة اليسرى : البنية الداخلية للتيروئيد : يحيط بهذه الغدة غشاء كبسولى وداخلها حفر مطبقة كبيرة وفى فواصل هذه الحفر الياف تر كيبية ذات عروق دموية واعصاب وغيرة والسطح الداخلى للحفر مقروش بطبقة خلايا ترشحية بعضها مكعب وبعضها اسطوانى من اهمية سوائل التيروئيدان هذه الغدة اذا فصلت عن الانسان فى سنى رشده كان من اثرها توقف نمو البدن والغدد التناسلية وضعف قوى العضلات و تقليل فعاليات الدماغ فمن هنا نفهم ان سائل التيروئيد له دخالة فى رشد البدن وعمل الغضاريف المولدة للعظام ونمو غدد التناسل وان قلة ترشحه يوجب قصر القامة والاختلالات الدماغية وقلة الفطنة والحافظة الى غير ذلك من العوارض المسجلة فى الموسوعات .

✓ (٢) مسامير التيروئيد : غدد على شكل رؤس المسامير ذات لون اصفر يميل الى الحمرة وهى زوجان زوج منها يقع فى اعلا السطح الخلفى للتيروئيد و الزوج الثانى يقع فى اسفله و يحيط بكل غدة منها غلاف تركيبى و فى داخلها شبكة من الخلايا وقد تجمعت هذه الخلايا حول عرق دموى صغير : و من اهمية سوائل هذه الغدة ان فصلها من الانسان يولد بعد ٤٨ ساعة ارتفاع درجة الحرارة واختلال ضربان القلب وكثرة ترشح البزاق وتشنج العضلات وبعد مرور اسبوع واحد ينجر ذلك الى الموت و التشنجات المزبورة مربوطة بتقلل كلسيوم الدم حتى ان تزريق املاح الكلسيوم فى هذه الحالة يوجب انخفاضاً فى التشنجات : فعمل هذه الغدد حفظ ميزان الكلسيوم فى الدم وتثبيت املاح الكلسيوم فى الالياف العظمية .

✓ (٣) غدد التيموس : وهى غدد منقردة طويلة واقعة امام العنق فى محل اشعاب قصبى التنفس وتكون فى سنى الطفولة والرشد اكبر منها فى سنى الشبيبة و الكهولة حتى ان و زنها فى السنين الثلاث الاولى من العمر يبلغ مقدار ٣٨ غراماً و يتقلل فى السنة ٣٥ الى ٣ غرامات العمل المهم لهذه الغدة قبل التولد وبعده انتاج

الاجزاء الدموية البيض : سوائل هذه الغدد لها تأثير في رشد ونمو الاطفال والغدد التناسلية حتى ان فصلها يوجب تاخر النمو .

(٤) غدد فوق الكلوية : وهما غدتان على كل كلية غدة صغيرة حمراء مائلة الى الصفرة وقرارهما فوق الكليتين و تكون كل واحدة بوزن ٦ الى ٨ غرامات يحيط بها غشاء ليفي على شكل الكبسول في مقطع كل غدة توجد منطقتان متميزتان المنطقة القشرية بضخامة ١ الى ٢ ميل متر تكسوها صفرة معتمة ذات تخاطيسط و خلاياها الترشحية طوال : المنطقة المركزية لونها ابيض مشوب بحمرة يوجد في سيتوبلاسم خلاياها الترشحية حبيبات بصورة موج اشعة محيطة بالعرق الدموي الاسود : فصل المنطقة القشرية من الحيوانات ينجر الى الموت بعد مروز كم ساعة وفصل المنطقة المركزية يوجد اختلالات وفيرة وتحليل اعمالها يطول به البحث .

(٥) غدة الهيبوفيز : وهي غدة متفردة بقدر البندقة وموقعها اسفل المخ وهي ذات قسمين قدامية وخلفية يفصل بينهما حاجز ضئيل : القدامية غدة صفراء اللون هلالية الشكل ذات حجم نسبي بطول ٥ ميل مترات وضخامة ٤ ميل مترات والخلفية غدة بيضاء اصغر من القدامية : والحاجز الفاصل بصورة ورقة خفيفة : عمل الهيبوفيز يحصل من طريق سوائله المترشحة من جميع اقسامه : سوائل القسمة القدامية مؤثرة في نمو العظام حتى انها اذا فصلت من الانسان اوجبت قطع نموها : وقلّة ترشحها في دور الطفولة تؤثر قصر القامة وفضلا عن ذلك فان سوائل هذه القسمة لها الاثر الواسع في تحريك سائر الغدد من التيروئيد ومسامير التيروئيد و لوز المعدة وغدد الكليتين والغدد التناسلية والكبد : ومن اثر سوائل القسمة الخلفية تشديد انقباض العضلات في الرحم وزيادة ضغط العرق الدموي الاحمر و انقباض العضلات المطلسة وتنظيم مقدار ترشح الادرار في الكلية .

(٦) غدة لوز المعدة : اثرها الداخلي المهم ترشح سوائلها في الدم حتى ان قطع هذا الغدة من الحيوانات يولد فيها مرضاً شديداً ويوجب الجوع الزائد والعطش المفرط والادرار الكثير وظهور السكر في موزيادته في الدم وينجر بالآخرة الى ضعف العضلات

والى الاغماء واخيراً الى الموت .

(٧) الكبد : من لحاظ ترشحاتها الداخلية ودخالة هذه الترشحات فى تر كيب الدم عدت من الغدد الترشحية المطبقة ذات الاهمية الواسعة .

(٨) غدد التناسل : وهى البيضتان فى الذكور و كيس البذرة فى الاناث وفضلا عن توليدها الخلايا البذرة فان لها سوائل تترشح فى الدم من اثرها رشد ونمو الحيوان ودخالتها فى بروز الصفات الثانوية الجنسية والمراد بهذه الصفات موجبات التمايز بين جنسى الذكران والاناث نظير نبات اللحية ونمو الحنجرة وغير ذلك فى الرجال : الجهاز الارتباطى : بما ان الحيوان دائماً لاجل تهيئة الغذاء والتغذية والانفلات من العوامل غير المساعدة محتاج الى التنقل والحركة لهذا فهو دائماً يعمل اجهزته الارتباطية المختلفة حتى يتسرح له التحرك : واعضاء الحس تجعل الانسان ذاخبرة باوضاع محيطه كما تسوق حديث العوامل الخارجية الى مرا كز العصب ومرا كز العصب باصدار الاوامر اللازمة الى العضلات تجعل العضلات باتكائها على العظام ودفع بعض منها وتقريب بعض آخر مسببة لحركة الحيوان اذن فالحركة هى عكس عمل من الحيوان فى مقابل العوامل الخارجية والداخلية ولأجل قيام الجهازين الحس والعضلات بعمل مشترك يتوسط جهاز العصب فيدرك عوامل المحيط وينتج من الجميع ارتباط الحيوان بمحيطه الحيوى : والاسكلت العظمى هو المنكأ الوحيد لانقباض العضلات وتوليد الحركات : والعضلات باتكائها على العظام تسبب الحركة : واعضاء الحس ومرا كز

العصب بعد تأثرها بالآثار الخارجية تصدر الاوامر اللازمة بايجاد الحركة المناسبة ٥٤

الاسكلت العظمى : مركب من ٢٠٨ عظام وهى تقوم من وزن الانسان البالغ

ب ١٧/٠ بالمائة : الاسكلت العظمى فضلاءن كونه المسند الوحيد للعضلات والاعضاء والالياف فانه مخزن كلسيوم البدن بمعنى ان العظام تكون باعثة لثبات الكلسيوم واعتداله فعلى هذا لايجوز حساب الاسكلت العظمى فى عداد الاجهزة الهامدة بل هو من الالياف القوية الرئيسية ذات الحياة وتقوم بتشكيل مجموعات من الخلايا فى حفرها وترتبط هذه الخلايا بوسيلة استنطالات رابطة بعضها ببعض : ويوجد فى الاسكلت

العظامى ثلاث فصائل من العظام : عظام عراض : وقصار : وطوال : ويغشى العظام كلها الاسطوح المفاصل منها غشاء يسمى بالضريع وتحت غشاء الضريع من العظام العراض والقصار توجد طبقة عظمية متراكمة وقد ملأت اوساطها بعظام اسفنجية وتوجد فى سطوح العظام حذب وزوائد بها تتصل العضلات كما يملأ وسط مجارى العظام مخ اصفر وتوجد فى السطوح الخارجية للعظام منافذ للتغذية ومنها تعبر عروق الدم وليس انشعابها مختصاً بالمخ ومجاريه بل انشعاباتها متغلغلة حتى فى نفس الاسكلت لاجل تغذية خلاياه وتركب العظام كيميائياً من مادتين آليه ومعدنية و املاحه المعدنية هى التى تسبب صلابته : ومنشأ تمام عظام البدن الياق تر كيبية غايته ان العظام ام العراض من قبيل الجمجمة وعظام الوجه مستقيماً تتبدل من الالياف الى العظام وتسمى هذه العظام العظام الغشائية او الجلدية : اما العظام الطوال التى هى فى الغالب داخلية فانها تتبدل من الالياف الى الغضاريف ومنها الى العظام : ومن هذه الجهة يقال لها العظام الغضروفية : وليس العظم بعد تشكله مما يبقى على حالة واحدة بل كما يتناقص من داخله تحدث مكانه خلايا عظمية جديدة فهو دائماً يبنى انهار وترميم نعم ينتهى النمو الطولى للعظام الى حدود معينة ولكن النمو القترى يبقى مع العمر بطرز خاص .

وتمتاز الحيوانات الفقرية عن غيرها بان اسكلت الفقريات شامل لمحور باسهم العمود الفقري يقع فى ناحية الظهر ويتركب من قطع عظمية مترابطة يمر وسطها النخاع الشوكى وتنشعب من هذا العمود على طوله اشعابات عظمية كثيرة وان جهازها العصبى بسورة حبل طويل يقع فى ناحية الظهر قسمة منه تتركز داخل الجمجمة (وهى المخ) وقسمة اخرى منه تتركز وسط العمود الفقري وتسمى النخاع .

اهمية مخ العظام فى تهيأة الاجزاء الدموية : تتحصل الاجزاء الحمر الدموية فى الانسان البالغ من طريق عظامه وطريقة تحصلها بهذا اللون وهوان الخلايا الكبيرة ذات النواة القائمة بمخ العظام على اثر انقسامها الى خلايا اصغر وانقسام هذه الخلايا الى ما هو اصغر ايضاً بالتدريج تعطى نواتها من يدها وتصير محصلة للهموكلوبين و بالاخرة تتبدل الى الاجزاء الدموية الحمر : وبما ان الطحال جهاز صانع للاجزاء

الدموية الحمر ينبغي ان نتكلم عنه .

الطحال : يكون بصورة غدة بيضية الشكل بوزن ٢٠٠ غرام موقعه ايسر البطن و المعدة ولا ربط له بجهاز الهضم ويتغذى بصفاق البطن اكثره : والشريان الاحمر الطحالي شعبة من الشريان الاحمر الاحشائي يرد فيه و يخرج منه بصورة شريان دموى اسود .

البنية الداخلية للطحال : يحيط بالطحال من خارج غلاف تر كيبى وتتصل من انشعاباته داخل الطحال سبع اوثمان حجر وتقسم كل حجرة غلافات رقيقة الى حفر متعددة : الجدران التركيبية فى داخل الطحال تشمل على اوتار قابلة للارتجاع و اوتار غضروفية مطلسة على اثر انقباض الاوتار الغضروفية وانسساط الاوتار الارتجاعية يتغير حجم الطحال الى ما هو قابل للملاحظة حتى انه يستطيع بانسباطه ان يجمع داخله من الدم عشرين ضعفاً لوزنه و يستطيع ان يقبض شديداً فيخرج من داخله مقداراً كافياً من الدم .

و اعمال الطحال : هى انه يوجد الاجزاء الحمر الدموية و يكون عمله هذا غالباً فى الدور الجنينى حتى ان الطحال بوسعه على اثر نزيف دموى كثير ان يقوم بتداركه : و الطحال ايضاً مخزن مهم للاجزاء الدموية الحمر و فى موقع الاحتياج بانقباضه الشديديقوم بأيرادها فى الدم : كما انه بانقباضه و انسساطه يؤثر فى ضغط دم البدن فعند ارتفاع ميزانية الدم ينسبط الطحال فيأخذ الى داخله مقداراً يخفف به من الضغط .

عمل الارتباطات العصبية : الموجودات الحية ذات الخلايا الكثيرة لاجل ادامة الحياة هى فى حاجة دائمية الى الفعالية المشتركة بين اجهزتها : مثلاً ما كنه بدن الانسان مع انها متشكلة من اجهزة مختلفة ولكل جهاز عمل خاص الا ان الجميع يعمل لمنظور واحد وهو ادامة الحياة الا ترى ان العضلات حين تستخدم للقيام بعمل مهم فتبدى من نفسها فعالية شديدة ترى القلب والرئتين والغدد تشاركنها فى نفس العمل لتدارك الغذاء والاوكسيجن اللازمين فى هذه المهمة ووضعهما تحت اختيار

العضلات لتستفيد منها مما يقوم بمهمتها فإذا جاءت نوبة استراحة العضلات ولم تكن حاجة الى تدارك الغذاء والاوكسيجن انسحب القلب والرئة والغدد عن الفعالية السابقة وعادت لوضعها العادي : وهذا الارتباط المشترك السعي بين الجهازات يقع تحت مديريةية تنظيم الاعصاب فالوامر اللازمة تصدر من مراكز العصب وبوسيلة اعصاب الحركة تتصل ببقية الجهازات علاوة على هذا فان في البدن اجهزة مخصوصة لكسب الاطلاعات بعضها سطحية مثل الجلد والبصر والسمع وغيرها وبعضها داخلية في الدم والعضلات وغيرها فالاطلاعات المكتسبة بوسيلة الاجهزة الموصولة اليها تتصل بمراكز العصب من طريق الاعصاب اذن فسلسلة الاعصاب دائماً تحفظ الارتباط العمومي في الموجود الحي .

الجهاز العصبي في الانسان شامل لقسمين جهاز المخ والنخاع وجهاز السمبتيك : المخ والنخاع محلهم ما الجمجمة والعمود الفقري واتصالهما باجهزة الحس والعضلات المخططة والغدد وهي القائمة بارتباط البدن و الرابطة له بالمحيط الخارجي : واما جهاز السمبتيك : فهو شامل لعقد واعصاب مخصوصة ولها ارتباط بالمحور العصبي و مأموريتها كل ما يقوم بالتغذية : اذا لاحظنا طرز تشكيل سلسلة الاعصاب من المرحلة الجنينية وجدناها بهذا اللون ابتداء يحصل في الناحية الخلفية للجنين اخذودضعيف وعلى مرور الايام يتصل جانباه فيتكون انبوب عصبي بنية هذا الانبوب العصبي في الابتداء تكون ذات شكل واحد وبالمرور تتورم قسمته القدامية ويكون مقرها الجمجمة ويتكون منها المخ اما القسمة الباقية فبقي على ضعفها آخذة مقرها في العمود الفقري مكونة للنخاع والقسمة المتورمة القدامية بالمرور تنوزع الى خمس حذب وهي الاقسام الخمسة المخية في الدماغ : في بنية المركز العصبي توجد مادتان بيضاء ورمادية ولكن وضع قرارهما مختلف في المركز ففي المخ والمخيخ تكون المادة الرمادية من خارجهما والمادة البيضاء في الداخل واما في بصل النخاع ونفس النخاع فتكون المادة البيضاء من خارج والرمادية من داخل : والمحور العصبي شامل لمراكز المخ والنخاع ولاعصاب المخ والنخاع .

والنخاع في الأشخاص البالغين يكون بصورة حبل ابيض بطول ٤٥ سانت تقريباً ويقطر سانت واحد و بوزن ٣٠ غراماً محله داخل العمود الفقري ويوجد في طول النخاع حديتان احدهما في ناحية العنق وهي محل خروج اعصاب اليدين والثانية في ناحية الخواصر وهي محل خروج اعصاب الرجلين كما يوجد في السطح القدامى للنخاع اخدود واسع قليل العمق وفي السطح الخلفى اخدود ضيق عميق ويخرج من النخاع ٣١ زوجاً من العصب النخاعي : وفي النخاع كما اسلفنا مادة رمادية تكون فيه بشكل X وتحيط بفراغها على طول النخاع مادته البيضاء .

وتقال الاعصاب النخاعية للاعصاب التي تنشأ من النخاع وتسرّب الى الخارج من بين الفقرات وتعدادها كما سلف ٣١ زوجاً ٨ ازواج من ناحية العنق و ١٢ زوجاً من ناحية الظهر و ٥ ازواج من ناحية الخواصر و ٦ ازواج من الناحية الاخيرة للعمود .

بصل النخاع : محذب بطول ثلاث سانتات و بوزن ٨ غرامات موقعه اعلا النخاع ويربط النخاع بسائر قسمتات العصب : والمخيخ : يكون بوزن ١٤٠ غراماً موقعه فوق ووراء بصل النخاع : اما المخ : فوزنه في الرجال تقريباً ١١٦٠ غراماً وفي النساء ١٠٠٠ غراماً ويتشكل من نصفي كرة ايمن وايسر و يفصل بينهما سياج يميزهما الى نصفي كرة تماماً ويتشخص في كل نصف كرة سطوح ثلاثة سطح جانبي و سطح أسفل و سطح جوفى وتعداد اعصاب المخ ١٢ زوجاً تخرج من مختلف جوانبه وتربط جميع نقاط البدن المختلفة به : وهي عصبتان للشم توصل احساسات الروائح الى المخ وعصبتان للبصر توصل احساس المبصرات اليه : وعصبتان مشتركتان في تحريك عضلات العين ماسوي العضلتين الموربتين : وعصبتان مختصتان بتحريك العضلتين الموربتين الكبيرتين للعين : وعصبتان ذاتا ثلاث شعب الشعبة العليا تبعث احساس الجين وداخل حفر الاذن و كرة العين والاحفان والشعبة المتوسطة تتسرب الى اللثة العليا فتبعث احساس العارض والشفة والاسنان العليا و الشعبة السفلى تتسرب الى اللثة السفلى و تتصل باللسان ايضاً وتبعث احساس العضلات و جلد الاذن والشفة السفلى وتحرك عضلات المضغ والشقيقة لتحريك اللثة السفلى وعصبتان محركتان للعضلات الخارجية

للعين : وعصبتان محركتان عضلات الوجه و باعثنان احساس مخاط وسط الاذن و
المجارى السمعية وشرع الحنك وعصبتان للسمع تأخذان الاحساسات السمعية وتعادل
البدن من داخل الاذن وتوصلانه للمخ : وعصبتان للسان والحلق توصلان احساسات
اللمس والذوق الى المخ وتحركان عضلات الحلق حين بلع اللقمة : وعصبتان متصلتان
بالقلب والرئتين والكبد والمعدة وسائر اجهزة التغذية وتعان من اهم اعصاب المخ :
وعصبتان كما تديران عضلات الحنجرة تبعثان عضلات أعمال التنفس لعملها : و
عصبتان تبعثان عضلات ماتحت اللسان للقيام بعملها اللازم : وللعصب خاصيتان اصليتان
احدهما قابلية التحرك والثانية هداية جريان الحركة : يقع العصب تحت تأثير
المحركات المختلفة فيخرج من حالة الاستراحة الى حالة العمل و المحركات
الموما اليها هي المحرك الالكترىكى وهو شبه الذاتى فى العصب والمحرك الميكانيكى
وهو ضغط العصب بضاغظما! المحرك الفيزيائى مثل الحرارة : المحرك الكيمياءى
مثل الاسيد: واذا حركت نقطة من العصب لا يعود التحريك باقياً فى نقطة الاثر فقط بل
يجرى فى طول العصب وهذا ما يقال له هداية جريان الحركة .

عمل النخاع : النخاع بطور كلى واجد لعملين هداية جريان الحركة وعمل
الانعكاس يتقبل النخاع تحريكات مختلفة من قبيل الحروالبرد وغيرهما من طريق
جذوره الخلفية وبوسيلة اضماماته البيض يهدى جريانها الى المراكز العليا فتصدر
الاوامر اللازمة من المراكز العلوية اليه وبوسيلة جذوره القدامية ينقل هذه الاوامر الى
الجهازات الاخرى فى النخاع مرا كز لتسريع حر كات القلب وضبط قصبيات التنفس
والتعريق و انقباض و انبساط العروق وضبط و دفع المدفوع والاد رار .

اما بصل النخاع فهو مر كز انعكاس كثير من اعمال التغذية حتى ان ايقاع الضرر
به يسبب اختلالات شديدة وتخریب بصل النخاع يسبب الموت وهو مر كز انعكاسات
متعددة: مر كز التنفس وتخریب هذا المر كز باعث للثوقف السريع فى حر كات
التنفس : مر كز تقليل حر كات القلب و بطؤها : مر كز تغيير قطر الشرايين الحمر:
مر كز تنظيم السكر: وهكذا فيه مر كزية لاعمال الهضم من قبيل المضغ والبلع وترشح

غدد البزاق والمعدة .

عمل المخيخ : المخيخ له الدخل في تعادل البدن وتنظيم العضلات و يؤثر قطعه في الحيوانات اختلال تعادل ابد انها في حال ان كل اعمال التغذية تبقى بطورها العادى فالمخيخ على هذا فاقد لاعمال الحس والالهامات الفريزيقوالتغذية و اذا فصلنا المخيخ من الطير فقد هذا الحيوان تعادله في الوقوف وحرر من الطيران فاذا اتمته على قفاه لم يستطع ان يتقلب و اذا رميت به في الهواء سقط من حينه سقوط الاجسام الثقيلة وفصله من الكلب بسبب عدم استطاعته للوقوف على رجليه و تكون كل حر كاته فاقدة للتعاادل وتقل قوى عضلاته وفصل نصف كرة المخيخ يوجد خلافا في عضلات ذلك الطرف الذى فصل منه .

عمل المخ : المخ مركز الفطنة و الفهم و الحافظة و هو واجد لثلاثة اعمال رئيسية (١) درك الاحساسات توسط المراكز الحساسة (٢) ايجاد عكس العمل المناسب في مقابل الاحساسات المختلفة توسط مراكز الحركة (٣) جمع الاحساسات الملتقطة من مراكز الارتباط : و اذا فصل المخ من حيوان لم يؤثر ذلك في حياته و لكن يعطى من يده قوة الارادة والحافظة والشعور ولا يكون واجداً الا للاعمال الانعكاسية مثلا الطير الفاقد للمخ يبقى فاقداً للحركة ولا يدرك شيئاً من عوامل محيطه ومع وجود الحب امامه يموت جوعاً لكن اذا وضع الحب في فمه بلعه لان البلع عمل انعكاسى يقوم به مركز غير المخ : كلب فصل منه المخ فعاش ١٨ شهراً لكنه كان فاقداً للالهام والحافظة والغضب والخوف وغير ذلك : و ضائعات قشر المخ في الانسان تسبب نقصان الفهم : وتوقف نموه او حدوث ضائعات فيه يكون باعنا للحماق والجنون .

المراكز التى يمكن تشخيصها فى انصاف كرة المخ عبارة عن مراكز الحس و مراكز الحركة و مراكز الخواطر و مراكز التكلم والكتابة و مراكز الارتباط و مراكز الانعكاسات المخصوصة : مراكز الحس تكون فى المناطق المختلفة للقشر المخى الرمادى واليها تنهى الاحساسات المتحصلة من الاجهزة المرتبطة وهى السمع والبصر والذوق و الشم و اللمس : مراكز الحركة و موقعها يكون امام اخدود فى

المخ يفصل بينه وبين مركز اللمس وفي هذا المرکز تلتقى اشعاعات الرأس والعنق والبدن والأيدي والأرجل : مراكز الخواطر يقع كل مركز من هذه المراكز في مجاورة كل ذي خاطرة منها فمركز الخواطر المحركة يجاور مراكز الحركة ومركز خاطرة اللمس يجاور مركز اللمس ومركز خاطرة البصر يجاور مركزه وهلم جراً : اذن فمركز الخاطرة بالنسبة الى ذبها يكون بمنزلة حافظ وضابط لصوره التي يلتقطها من الخارج : مركز التكلم والكتابة وهو شامل لاربعة مناطق : منطقة فهم معاني الكلمات المسموعة : منطقة فهم معاني الكلمات المكتوبة : منطقة التكلم : منطقة الحركات المخصوصة للكتابة : المراكز الارتباطية وهي تشكل العمدة من القشر المخي الرمادي عمل هذه المراكز يقع الربط بين الخواطر المنلنقطة بالحواس المختلفة المحفوظة كلاً في مركزه الخاص مثلاً من سماع صوت الكلب ومن لمس بدن الكلب ومن النظر الى الكلب تنضبط خواطر كل خاطرة في مركزها فاذا سمع عواء الكلب فوراً يتجسم هذا الحيوان في نظر السامع لان سماع سوته يحرك خاطرة السمع وتوسط المراكز الارتباطية ترتبط هذه الخاطرة بمراكز بقية الخواطر من خاطرة اللمس وخاطرة البصر وغير ذلك فارتباط مجموع هذه المراكز للخواطر يسبب تصور وتجسم الكلب : مراكز الانعكاسات المخصوصة : اسلفنا ان ترشح البزاق تارة يكون بتناول الغذاء واخرى يكون بسماع اسمه او رؤيته او استشمامه من دون تناوله فالترشح الحاصل بالسمع او الرؤية او الاستشمام يكون داعية مركز الانعكاسات في المخ . //

٧ اجهزة الحس : يقال جهاز الحس لمحل اجتماع خلايا مخصصة وهذه الخلايا لاجل قبولها تحريك المحرك الخاص تجد حالة تخصصية والخلية الحسية التي تقع تحت تأثير محرك خاص تبعث التحريك المزبور بصورة جريان عصبي الى مراكز اخرى تتوسط بينها وبين منطقة الحس الواقعة في القشر المخي الرمادي والمراكز المتوسطة هي التي تهدي الحركة الى منطقة الحس وفي هذه المنطقة يكون الدرك .

(١) حس الالامسة : الجلد هو جهاز حس اللمس وفي مقطعه تشخص طبقتان طبقة

البشرة وطبقة الجلد والحد الفاصل بينهما سطح كثير التعاريج والبشرة هي أظهر الطبقات الجلدية للعيان وتشكل من ألياف غشائية ويقال للخلايا التي تحتها خلايا مولدة وهذه الخلايا دائماً تكون في حالة تكثير ومنتكثراتها التي تمشى نحو سطح البشرة يقال لها الخلايا المخاطية وهذه كلما تقرب من سطح البشرة تعرض وتسطح وتكثر موادها الدسمة وإذا تلاشت خلفتها طبقة أخرى من الخلايا المخاطية وهلم دواليك .

وفي السطح الخارجى للبشرة يوجد نوعان من الأخاديد نوع يكون عميقاً بصورة خطوط الكف وهذه هي التي تقع في فواصل العضلات الجلدية وكثرتها تكون في نواحي المفاصل والنوع الثانى يكون اقل عمقاً بصورة خطوط منحنية وما بين هذه الأخاديد تكون حذب كثيرة تقع بين منحنياتها وتتكرر هذه الأخاديد الأخيرة في بطن الكف والرجل والأصابع ومن الغرائب ان آثار هذه الخطوط في الأصابع متفاوتة افحش التفاوت حتى انه لا يتحد اثنان من الناس في آثار اصابعهما : ويقال الجلد للطبقة العميقة للجلد وموقعها تحت البشرة وتشكيلها من الياف تر كيبية شاملة لا وتارتر كيبية وارتجاعية كثيرة والجلد ايضاً ذو طبقتين طبقة سطحية وهي تشكل من الياف تر كيبية قوية ذات اوتار ارتجاعية وفيرة والحد الذي يفصلها عن البشرة سطح ذو تعاريج كثيرة بحيث يبلغ تعدادها في كل ميل متر مربع مائة تعريج : وطبقة عميقة وهي تشكل من الياف تر كيبية رخوة يوجد في السطح الأسفل لهذه الطبقة خلايا دهنية كثيرة وهذه الطبقة الدهنية في الحيوانات الضخمة تقوم بمدافعة البرد عنها وتوجد في قسمة الجلد عروق دموية كثيرة يتصل تماسها الى الحد الفاصل بين البشرة والجلد وهي التي تقوم بتغذية الخلايا المولدة : وفي الجلد وجود منتشر لاعصاب الحس والحركة .

ويوجد في الجلد الشعر والأظافر والغدد الدهنية والغدد المولدة للعرق وتسمى هذه العناصر بضمائم الجلد : يتحصل الشعر من تضخم الطبقة المخاطية ونباته في الجلد بطور مائل و منبته في حفر التعاريج الفاصلة بين البشرة و الجلد وكل شعرة شاملة لقسمين ساق وجذر و يوجد في قاعدة الجذر تعريج ترد اليه العروق الدموية لتغذية خلايا الشعر وتوجد في الخلايا الصانعة للشعر مادة لونية مخصوصة منها يستمد الشعر لونه وعلة يياض الشعر تخريب لونه من طريق الاجزاء الدموية البيض ودخول

الحياب الهوائى فى الشعر وتوجد فى قاعدة كل شعرة شبكة عضلانية باقباضها غير الارادى بسبب الخوف او البرد يقوم شعر البدن وتنعجر البشرة بصورة حبوب متراكبة منتشرة على طولها : و فى التعاريج اسفل الشعر يرد اشعاب العصب الحسى وتكون فى ناحية كل شعرة غدة دهنية تترشح دائماً وتسقى الشعر بدسومتها والقسمة الخارجية للاظافر تستمد من نمو جذورها اما جذورها فى داخل الجلد وتحيط بها عروق دموية كثيرة .

اعمال ووظائف الجلد : الجلد عضو محافظ لداخل البدن لان ضخامة الطبقة السطحية للبشرة تحول بين ضربات الخارج وبين الداخل و بما ان بنية الخلايا فى القسمة الخارجية من الالياف القوية فى تمنع من ورود الجراثيم الى الداخل وعند تساقط ظاهر البشرة بصورة وسخ و دنس تتساقط الميكروبات معها وبما ان الدسومة تحت الجلد تعوق الحرارة عن الخروج فى تحسب درقة قوية فى مقاومة البرد : و الجلد عضو دافع ايضاً فانه بوسيلة الغدد المولدة للعرق يدفع العرق الى الخارج وبوسيلة الغدد الدهنية يدفع الدسومة الى الخارج كذلك : غدد العرق مقرها عمق الجلد وقسمتها الاصلية بصورة طاقة تحيط بها الشباك الدموية و تعداد هذه الغدد فى كل سانت مربع يبلغ ١٢٠ غدة وفى بعض نقاط البدن مثل الابط و بطن الكف والرجل يتصاعد الى ٣٠٠ غدة و تعدادها فى تمام جلد البدن يجمع على مليونين الى ٣ ملايين : والعرق مائع فاقد اللون سيال عالج فيه حالة اسيدية مقدار ترشحه فى كل ساعة يرتقى الى ٣٠ الى ٤٠ غراماً وفى اليوم والليله يبلغ ترشحه الى ٦٠٠ بل الى ٩٠٠ غرام وقد يرتقى هذا المقدار بارتفاع حرارة المحيط وتناول المشروبات الكثيرة ويشتمل كل ١٠٠٠ غرام منه على ١٠ غرامات مواد جامدة و ٩٩٠ غرام ماء .

والجلد ايضاً جهاز اللمس واللمس من اهم اعمال الجلد و يأخذ الجلد احساسات مختلفة من قبيل اللمس وحس الحرارة وحس الالم وغير ذلك : اللمس يحصل بوسيلة تحريكات ميكانيكية من طريق التماس بالمواد الجامدة او المائعة او الغازات : وفى تمام طول البدن يوجد ما يقرب من ٥٠٠/٠٠٠ نقطة لا قطة لللمس واغاب وجودها فى مجاورة

الشعروفي الجبهة والمواضع والاف والعارضين : والفصائل الحسية الواقعة خلف النخاع هي التي تهدي الاحساسات اللمسية الى المخ : حس الحرارة : يقولون لو ان ابرة ذات ٤٦ درجة من الحرارة تمر بها على البدن لاتعود تحس حرارتها في كل مكان بل انما تحس في نقاط مخصوصة وهكذا يقولون في الابر الباردة وان النقاط الجلدية اللاقطة للبرودة اكثر في البدن من النقاط اللاقطة للحرارة حيث تبلغ نقاط البرودة ٢٥٠/٠٠٠ نقطة في حال ان النقاط اللاقطة للحرارة تكون في حدود ٣٠/٠٠٠ نقطة فقط : وبعض الفصائل البيض الجانية للنخاع وهكذا المادة الرمادية النخاعية هي التي تهدي احساسات الحرارة الى المخ .

حس الالم : وهو يحصل من الامور الحادة او المحرقة او غيرها و بوسيلة امرار الاشواك النباتية على البدن يمكن تشخيص نقاط الالم فيه ويبلغ تعداد النقاط اللاقطة للالم مقدار ٣ / ٥٠٠ / ٠٠٠ نقطة بل اكثر فعلى هذا يوجد في كل سانت مربع من الجلد ما يقرب من ١٢٠ نقطة لاقطة : والمادة الرمادية النخاعية هي التي تهدي احساسات الالم الى المخ : احساسات العميقة : علاوة على احساسات السطحية التي تنبأ من طريق الجلد هناك احساسات عميقة تنبأ من طريق الاجهزة الداخلية كالمضلات : وللجلد اعمال آخر كجذب المواد والنور والتنفس من طريق منافذه . //

(٢ : الذائقة) جهاز حس الذائقة هو للسان وبتوسطه يتميز الحس المزبور

طعم المواد واللسان مجموعة عضلانية طويلة بيض الشكل متصل في نهايته بسطح القم وطرفه الامامي مطلق يغطى سطحه الاعلا الياف مخاطية توجد فيها حبيبات التدوق ويوجد في سطحه الاسفل وتر خفيف عمودي وتشكل العمدة من جرم اللسان عضلاته : يضخم مخاط اللسان في سطحه الاعلا : ويخف في السطح الاسفل وتوجد في السطح الاعلا اربعة انواع من النواتي وهذه النواتي وبعضها ذوقي وبعضها لمسي ويكون بعضها على شكل شحمة الارض ووجودها في تمام سطح اللسان يقدر ب ١٥٠ الى ٢٠٠ ناتيء : وبعضها بشكل الشراع وتعدادها في اللسان يبلغ ٥٠٠ ناتيء وبعضها بشكل الكمامة وتعدادها في اللسان كثير نسبة وبعضها بشكل طاسة وهي اكبر من السوابق بتعدادها

الى ١٢ ناتيء: وفي اللسان اعصاب حس و اعصاب حركة : اعصاب الحس هي الاعصاب اللسانية التي بها يحصل اللمس والذوق وتنشرفى القسمة الخلفية للسان : و اعصاب الحركة هي الاعصاب الواقعة تحت اللسان الباعثة لحركة عضلاته و قطعها يسبب فلج اللسان واختلال عمل المضغ والبلع والتكلم و المنطقة الامامية للسان فى الاكثر لمسية والقسم الخلفى منه فى الاكثر ذوقياً اذن فاللسان فضلاً عن عمل المضغ والبلع والتكلم محل احساس الطعوم وذوق الاغذية : والطعوم الاصلية فى درك اللسان هي المرورة والملوحة والحلاوة والحموضة ولاجل ان تدرك طعوم الاغذية يجب ان يكون الغذاء بصورة محلول وأن لا تكون درجة حرارته راقية وان يوضع فوق اللسان بضغط حتى يحس بطعمه جلياً .

(٣ - حس الشم) جهاز الشم هي حفر الانف وبتوسطها تحس الروائح ولواقط الشم مقرها فى القسم الاعلا من حفر الانف : والانف بشكل هرم مثلث القاعدة طرفه يكون الى اعلا وقاعدته الى اسفل ويرتبط بالخارج بوسيلة منقذين هما مدخل الهواء الخارجى اليه ويرتبط الانف من خلفه بالحلق : ويشكل القسمة العليا لحفر الانف حاجز وسطى عظمى و كذلك القسمة السفلى منها الحاجز الوسطى الانفى وهذه العظام هي التى تقسم الانف الى حفرتين وعلى الجدران الخارجية لكل حفرة توجد ثلاث خدب باسم العظام الصدفية : الصدف الاعلا الصدف المتوسط الصدف الاسفل : وتوجد بينها افضية علوية ووسطية وسفلية لها ارتباط بسيانوس الجبين واللثة العليا و داخل حجر الحاجز المتوسط وبذلك تسبب حرارة هواء التنفس : تر كيب مخاط الانف : يستر المخاط جميع السطح الداخلى للانف لكن مخاط القسمة العليا يختلف عن مخاط القسمة السفلى. فمخاط القسمة العليا يسمى بالمخاط الاصفر الشمى ومخاط القسمة السفلى يسمى بالمخاط الاحمر التنفسى يستر هذا المخاط الافضية السفلية وقاعدة الفضاء المتوسط وبسبب عبور شبكة متراكمة من العروق الدموية يرى هذا المخاط احمر فى النظر وتوجد فى هذا المخاط غدد مخاطية كثيرة بها يترطب هواء التنفس وهذا المخاط كانه لا دخالة له فى الشم والمخاط الاصفر يستر الفضاء العلوى والقسمة

العليا للفضاء المتوسط : العروق الدموية والغدد المخاطية في هذا المخاط قليلة لكن فيه اوتاراً شمعية كثيرة في فواصل خلايا سطح المخاط : والهواء التنفسي ضمن عبوره من حفر الانف يترطب ويسخن وذرات المواد الروائية المحمولة معه بمروره تجاور مخاط الشم وتنحل في المائع المخاطي فتحرك حبيبات الشم ولاجل تحقق الشم لا بد من ان يكون ذو الرائحة بصورة غاز او ذرات رقيقة جداً او منحل في المائع المخاطي و ان يكون جريان الهواء بشدة معينة و ان لا يكون مخاط الشم يابساً و لازائد الرطوبة لهذا في ابتداء الزكام الذي يبس معه المخاط لاتشم الروائح الابشدة و هكذا في طي دورة الزكام بعلة كثرة الترشح يكون حس الشم ضعيفاً .

(٤ - حس السمع) الاذن جهاز السمع وحفظ تعادل البدن وتتركب من ثلاث قسمات اصلية : الاذن الخارجية الاذن الوسطى الاذن الداخلية : الاذن الخارجية شاملة للالهة ومجرى السمع الخارجى والهالة غضروف متعرج فيه اربع خدب وثلاثة اخاديد بوضع مخصوص وتستره قشرة البدن وفي انتهائه شحمة الاذن و المجرى الخارجى انبوب بطول ٣ سمات وفيه تجذب الى الطرف الاعلا ثلثه الاولى غضروفى وباقيه عظمى ومخاطه الداخلى واجد للشعر ووجهة نموه الى طرف الخارج والمخاط المزبور واجد لغدد العرق والغدد الدهنية وترشحات مخاطها تكون بصورة مائع لزج اصفر مرسم يسمى وهو مانع لورود الغبار والحشرات الى الداخل وهذا المائع بعديسه بوسيلة حر كات الفك الاسفل يتساقط الى الخارج : الاذن الوسطى محوطة ذات تعاريج تسمى بصندوق الصماخ وهذه المحوطة تكون بارتفاع ١/٥ سمات وفيها عظامان حجريان محفوران يجزءان صندوق الصماخ عن الاذن الخارجية بوسيلة سجاف الصماخ وعن الاذن الداخلية بوسيلة كوتين بيضيتين وبوسيلة بوق السمع وحفر عظم الشقيقة يتصل صندوق الصماخ بالحفر الخلفية للانف . الجدار الخارجى لصندوق الصماخ وهو القسمة الواقعة في مجرى السمع شامل لمنطقتين علوي قوي محلا استقرار عظام الاذن الوسطى وسفلية تشكل سجاف الصماخ : الاذن الداخلية هي القسمة الاصلية لجهاز السمع و يوجد فيها ثلاث مناطق الدهليز المجارى الناقصة التدوير الحلزون : الدهليز

مر كب من كيسين صغيرين يوصل بينهما مجرى ضعيف احد الكيسين ينحجز عن الاذن الوسطى بوسيلة الكوة البيضية ويتصل بداخل المجارى الناقصة التدوير واما الكيس الثاني فهو يفتح الى الحلزون: المجارى الناقصة التدوير شاملة لثلاثة انايب معوجة كل واحد منها بشكل نصف دائرة احدها قائم به وازاة الجبهة والآخر مستقر عليه بطور عمودي والثالث مستقر عليهما بطور افقى .

الحلزون : العظمى بصورة انبوب كثير التعاريج و الحلزون الغشائى واقع فى جوفه : تحليل و آثار هذه الاجهزة : حالة الاذن و تعريجها يجمعان الاصوات و يشخصانها فلوانا ملاءنا حفر الهالة بشمع ونحوه بحيث صار سطحها الخارجى متساويا وجدنا من أثره عدم تشخيصنا لجهة الصوت و نتائج الاذن الوسطى انها من ناحية تنقل الارتعاشات من الاذن الخارجية الى الاذن الداخلية ومن ناحية ثانية تشدد الارتعاشات فيرتعش سجاجف الصماخ بالاصوات و سجاجف الصماخ لاجل ان يعمل بدقة يلزمه ان يتعادل الضغط فى طرفيه والذى يؤمن هذا المعنى هو بوق السمع ومع ان فم البوق مسدود الا انه يفتح فى مقام البلع فيأخذ الى داخله مقدارا من الهواء ويرسله الى طرف السجاجف وليس المنظور بالبلع هو البلع وقت الغذاء فقط بل ان ارتعاشات سجاجف الصماخ تسبب تحريك او تار الصماخ فتتصل حر كنها يبصل النخاع فيسبب هذا المركز ترشح الغدد الفكى فاذا تجمع البزاق فى الفم تعقبه عمل البلع فيفتح بوق السمع فيورد مقدارا من الهواء فى الاذن الوسطى ويوجد تعادل الضغط فى طرفى سجاجف الصماخ .

اما الاذن الوسطى فانها تقوى الارتعاشات الواصلة اليها من جهة ان سطح السجاجف البيضى يصغر عن سطح سجاجف الصماخ بعشرين مرة فالارتعاشات المنقلة اليه تكون متراكمه و بضغط وافر تنصل بالكوة البيضية ومن جهة ان عظام الاذن وقت العمل ينقر طرفها المحدد على طرفها السندالى وهذه النقرة تولد رجة قوية ومن فائدة الكوة المدورة انها تقف امام الضغط الوارد على الكوة البيضية فالعوامل المذكورة آنفاً فائدتها انتقال و تشديد الارتعاشات الواردة .

واما العضو الاصلى للسمع فهو الاذن الداخلية ومجراها الحلزونى مخصوص لعمل السمع واما الدهليز والمجارى الناقصة التدوير فهي تتعهد بعمل تعادل البدن : حفظ تعادل البدن واوضاعه المختلفة مقرون بقسمة الدهليز والمجارى الناقصة التدوير والمخيخ وذلك ان احساسات التعادل من طريق الدهليز تنصل بالمخيخ و المخيخ بوسيلة المخ يصدر او امره الالزمة الى العضلات المربوطة بحفظ التعادل اما عمل الحلزون فهو فى الارتعاشات الصوتية وتبديلها الى الجريانات العصبية التى تنادى الى المخ بوسيلة اعصاب السمع يعنى ان الارتعاشات الصوتية تنتقل من الكوة البيضية فتعبر من مجرى الدهليز وتنتهى الى آخر الحلزون الصماخى وبالاخرة تصل الضربانات الواردة الى الكوة المدورة ومن هذا الطريق مجدداً تنتقل الى صندوق الصماخ : هذا وفى مباحث السمع كثرة ووفور من عدة جهات اعرضنا عن ذكرها مخافة الاطالة بالنسبة الى وضع الرسالة .

(٥ - حس البصر) جهاز البصر هو العين وبوسيلتها تشخص الالوان والابعاد والمقادير و الفواصل النسبية للاشياء وهى شاملة لقسمتين كرة العين وجهاز ضمائم العين وهى عبارة عن الحدقة و الاجفان وعدد الدموع و العضلات المديرة للعين والعروق والاعصاب : الحدقة حفرة عظمية بشكل هرم ذى اربعة وجوه قاعدته الى الامام ورأسه متوجه الى الخلف وهى بوسيلة سجاجف مقعرتنقسم الى قسمتين امامية وخلفية المنطقة الامامية مكان كرة العين وتنسربوسيلة الاجفان وفى المنطقة الخلفية عصب الابصار والعضلات المديرة لكرة العين واعصاب الحس و الحركة و العروق الدموية والغضاء الذى بينها تملاؤه مادة دسمة قريبة من الميعان .

والحواجب تحول بين العرق وبين نفوذه الى داخل العين اما الاجفان فكل واحد منها مؤلف من نسيج عضلانى و او تار قابلة للارتجاع ويغطيها جلد البدن والسطح الداخلى للجفن يستره نسيج تر كيبى شفاف باسم الملتحمة وعضلات الجفن بعضها ترفعه الى اعلا وبعضها تجمعها ويحيط بطرفه شعر قصير باسم الهدب وفى القسمة النهائية لطرف الجفن توجد منافذ من طريقها تدفع الغدد الدهنية بترشحاتها الى ماتحت

الاجفان: وتوجد عدد الدموع في القسمة العلوية الخارجية من كل حدقة في مجاورة السطح الامامي من كرة العين وترشح الدمع دائمى لاجل ترطيب سطح مجاورة الاجفان لكرة العين والزائد على ذلك من طريق انبويى الدمع يصب في كيسه الذى هو كالمخزن ومنه بتوسط مجرى الدمع يسترسل تحت العظم الصدفي الاسفل الى حفر الانف وعلى اثر تبخيره يترطب هواء التنفس .

والعضلات المديرة للعين بانقباضها تدير كرة العين الى جهات مختلفة حتى انه من دون حر كذا الرأس يستطيع مع ادارة العين ان تبصر النقاط المختلفة واعصاب العين عبارة عن اعصاب الحركة وفائدتها تحريك عضلات العين واعصاب الحس واعصاب الابصار : بنية كرة العين : كرة العين العضو الاصلى للابصار وهى بصورة كرة غير منظمة وتشتمل من الخارج الى الداخل على طبقات الصلبة والمشيمية والشبكية: الصلبة سجاجف ايضاً قوى كدر من جنس الالياف المحكمة وهى تشكل الطبقة المحافظة على العين وفى الجهة الخلفية للصلبة نافذ تتسرب من خلالها اعصاب الابصار . المشيمية سجاجف رقيق اسود اللون واقع تحت الصلبة ويحيل داخل العين الى حجرة مظلمة وفى داخله عروق دموية كثيرة فالشميمية على هذا هى القائمة بتغذية العين : والشبكية هى السجاجف الحساس لكرة العين : و على اثر امواج النور تتحرك طبقة الخلايا الحسية للابصار : ويقال المحيط الشفاف لكرة العين على قسماتها التى تبعث الانوار وتقوم بتقاربها و عكسها على الشبكية وهى عبارة عن القرنية والزلاية والعديسة و الزجاجية .

تحليل جهاز العين : العين شاملة لقسمين قسم يقوم بعمل التصوير وقسم من طريق العصب يبعث بجريانه الى المخ وكما ان آلة التصوير تعطى تصويراً حقيقياً وآخر معكوساً كذلك العين بوسيلة محيطها الشفاف تأخذ الاشعة وتقاربها وتعكسها على الشبكية : مدة بقاء تأثير النور فى العين تتراوح بين $\frac{1}{10}$ الى $\frac{1}{5}$ من الثانية وهذا التفاوت

مربوط بشدة النور فكلاما اشتد النور كثر دوامه وعلى هذا الاساس لو اديرت مجمرة بسرعة اوجدت في العين دائرة نورية وذلك من اثر بقاء النور في العين : و في بحث حس البصر كلام واسع لايسعه هذا المختصر .

العضلات : وهي من الاعضاء الاصلية للحركة لانها بانقباضها وانبساطها تسبب تنقل العظام عن محالها وهكذا الاعضاء المتكئة عليها : وللعضلات خواص منها قابلية الارتجاع فأننا اذا مططنا العضلة بملائمة ثم ارسلناها عادت لحالها من نفسها ومنها قبول التحرك فانها اذا وقعت تحت تأثير المحرك خرجت من حالة استراحتها الى دور فعاليتها ومنها قابلية الانقباض فان عكس العمل الصادر منها في قبال المحرك الخارجى هو الانقباض و منشأ التعب في الحيوان هو الانقباض العضلانى المتواصل : و في العضلات ايضا بحوث مهمة طويناعنها كشرحنا على ان مالم نذكره من البحوث الكيميائية والفيزيائية وغيرها مما هو مربوط بعلم معرفة الحيوان في كافة الفصول السابقة اكثر مما ذكرناه وانما فعلنا ذلك روماً للاختصار بعد ان كان القصد من تحرير هذه الشروح هو تمهيد مقدمة يستطلع منها على النتيجة المقصودة .

اذن فهل من المعقول ان يتحصل الوجود الحيوانى وبخاصة الانسانى منه بصرف الصدقة والاتفاق : اننا لو قارنا اعظم ما كنه مخترعة للعصور الحاضرة بأدنى حيوان لوجدنا في هذا الحيوان آلاف من الموجودات الحية العاملة لصنوف الاعمال والقائمة بشتى الافعال والمنتجة لمتفاوت الاشغال بما تعود الما كنه بالنسبة اليه حقيرة جداً فكيف يلزم الاعتراف للما كنه المزبورة بان لها صناعاً قد كد وجد فكره وأعمل قواه واتلف حياته وساعده على مقصوده وسائل وعمال واجهزة واموال حتى اطلعها بالوضع الذى اطلعها به و استهدف بها منذ البدء هدفاً عقلائياً تكبره عليه عقلاء البشر و ينال من جرائه اعطر الثناء واعظم الالقب والاسماء ويتغير من اجله محيط الحياة و بهذا امتازت القرون الاخيرة على القرون الاولى والوسطى حتى عدت هذه القرون وما قبلها من ازمان التوحش البشرى : ان المتجدد الذى يعترف بان تحت بشرة الانسان في جميع اعماقه ملايين الملايين من الخلايا المتنوعة وانها كلها ذوات حياة و ان كل

فصيلة منها تعمل عملاً خاصاً ونقوم بمهمة مستقلة بحيث لو شخصت خلايا البدن الى الوجود المكشوف كل خلية بصورة انسان لزادت ارقامها على المجموعة البشرية الشاغلة لمحذب الكرة الارضية اضعافاً مضاعفة كيف يعود مع الاعتراف يدعى الصدفة والاتفاق في وجودها وانها حصلت للهدف واى هدف اعلا وارقى واثمن واملاء للعين والفكر من الاهداف التى ترمى اليها الاجهزة المارة الذكروا من اجهزة البصق والمخيق وبصل النخاع والنخاع وحس البصر والسمع والذوق والشم واللمس وجهاز المضغ والبلع والهضم والدفع والادرار والتناسل والقلب والرئة والكلية والكبد. والطحال والشرابين الحمر والسود والعروق الدموية والغدد على اقسامها وانواعها وتأثيراتها و الاعصاب والعضلات والعظام فانك قد قرأت فيما سلف من السدقائق عن اعمال هذه الاجهزة وآلاف سواها ما يثير اعجاب العقول ووحيرة البصائر والافكار حيث يصلح كل جهاز منها لرقابة أعظم آلة ميكانيكية من خلقة القرن العشرين ويذرها بفوارق جملة و خواص مهمة من احدها خاصية الحياة المفقودة فى الميكانيكيات على طولها .

اننا لو فككنا اعضاء واجزاء اعظم مضخة بما يمت اليها من وسائل وآلات وانايب لما بلغ مجموع متفرقاتها واحداً من الف مما احتوى عليه جهاز الادرار من انايب فقط فانهم يذكرون فى تعداد انايب الادرار للانسان انها تترواح بين المليونين الى الاربعة ملايين انبوب .

وهكذا لو قسنا اعظم طابعة فى الدنيا وميزنا جميع اعضاءها واجزائها بالاكياس الهوائية فى الرئة لما بلغ مجموع متفرقاتها واحداً من مليون من مجموع رقم الاكياس المزبورة فانهم ذكروا فى تعدادها ما يقرب من ١٧٠٠ مليون كيس هوائى حيث يبلغ سطح تبادلها فى الرئتين مقدار ١٥٠ الى ٢٠٠ متر مربع .

وهكذا لو قسنا اكبرواهم طائرة فى الدنيا وفككنا جميع اجزائها بالخمل المفروش فى المعاء الضيق لما بلغت نسبتها الى تعداده الأنسبة الواحد للعشرة آلاف فانهم ذكروا فى تعداد الحذب المتر كزة فى السطح الداخلى للمعاء الضيق وفى سطوح تعاريجها انها تبلغ عدة ملايين وهى من العوامل الاصلية فى الجذب وفيها من العضلات

والعروق الدموية لشيء الكثير .

وإذا قسنا عظم باخرة في دنيا اليوم وفككتنا جميع اوصالها حتى المسامير الصغار منها بالعدد المولدة للعرق في بدن الانسان لما وصل مجموع ارقامها الى ما يذكرونه في تعداد الغدد المزبورة فانهم يرونها في تمام جلد البدن تتراوح بين المليونين والثلاثة ملايين غدة وكلها ذات فعالية وعمل مستمر وانتاجات مهمة .

وهكذا لو قسنا اكيرسيارة وميزنا اجزاءها الصغار والكبار بالحبيبات اللاقطة لللمس في بدن الانسان لما بلغ مجموع ارقامها ما يذكرونه للحبيبات المزبورة من رقم وهو اكثر من ٥٠٠/٠٠٠ نقطة وهي كلها ذات حياة وجهاز .

وهكذا لو قسنا ذلك بما يذكرونه للنقاط اللاقطة للحرارة في البدن من رقم ٣٠ / ٠٠٠ وما يذكرونه للنقاط اللاقطة للبرد فيه من رقم ٢٥٠ ٠٠٠ لما بلغ مجموع اعضاء السيارة المزبورة اليه قطعاً : واما ما يذكرونه من النقاط اللاقطة للالم في البدن فهو رقم ضخم حيث يتجاوز عن مقدار ٣ / ٥٠٠ / ٠٠٠ نقطة .

ولانظيل عليك ففي نوع اجهزة البدن ارقام حساسة للموجودات الحية الفعالة القائمة باشغال مهمة تحارلها البصائر والابصار اذن فدعوى ان ذلك كله من اثر الصدفة وانه لم يوت به لغاية من المهازل التي ينبوعنها السمع ويطرد عنها عن نفسه العقل من اول مرة بل يحكم حكماً صارماً قاطعاً بعظمة هاته المخلوقات . اولاً - وباهمية الحكمة المتشعبة فيها . ثانياً - وبشمن الهدف المسوقة اليه من حيث الحياة وادامة البقاء ثالثاً . وبعظيم قدرة صانعها - رابعاً - وانه فضلا عن القدرة في اقصى مراتب العلم والحذاقة والمعرفة حيث لا يصل الى مقام قدرته وعلمه وحذقه ومعرفته اى مقام يفرض .

وما عرضناه واحد من ملايين الامثلة فان في عوالم النمل و ذنابير العسل و الارضة والخشاشيف وملايين غيرها من شتات انواع الحيوانات و النباتات والمعادن والجبال والبحار والمجرات والمنظومات العلوية من العجائب والغرائب و موجبات البهر والنحير ما لا تقوم به آلاف الكنب و ذلك فقط فيما تمكنت من الاستطلاع عليه قوى البشر واما مجهولات ذلك فهي السلسلة المهمة من حلقات الخلق .

فهذا كله مالا كلام فيه انما الكلام كله حول الحكمة في تسيير هذه المخلوقات باللون الذي يعاينه انسان كل عصر في عصره فان جانب الاهمية انما هو في هذه النقطة المهمة المبهمة التي قهرت العقول وضايقت الافكار وسرت على الاحساسات القوية وجه التخلص من رموزها وأسرارها ولنبحث عن جملة منها لنرى مصير البحث الى اى جهة يكون .

اهم الاشكالات التي تواجه العقل في مقابل كون الصانع حكيماً في تسيير مخلوقاته اثر الاهمال الذي يلوح على كافة جوانب البشر فضلاً عن بقية الحيوانات من حيث السير الحيوى الاجتماعى فان الانسان الحساس النزيه الناشئ في طبقة ضعيفة من الناس بمرور زمان عليه من عمره حيث يرى في خلاله حالات واطواراً نراه تتجمع عنده دنيا من الاحساسات العادة الجارحة المخرجة عن دائرة التصبر والتحمل ذلك حيث يرى قوة القوى كيف تعبت بالناس وترهق الضعاف وكيف تضايق الابرياء وترخي للجناة وكيف تتحكم في الاموال والنواميس وتتحقر الطبقات النازلة النزيهة وتستخدمها في ميولها الجنونية الشهوية وكيف تملأ منها السجون عند ادنى مطالبة بحقوقها المشروعة وكيف تتركسها دون غيرها جنوداً في الحروب فتكون هي الدريئة للسيوف وحيث يرى المتفذين والمتزعمين واهل الثراء على سنن ذلك وحيث يرى الجوع والعري و فقدان المسكن وعدم الوسائل الحيوية محيطة بالضعفاء من البدء الى النهاية .

وحيث يرى الضعاف من سكة البوادي محاطين بانواع البلايا من حيوانات كاسرة وحشار لاسعة قاتلة وهجوم غارات وكثرة لصوص وسراق وتحكم رؤسائهم في انفسهم واموالهم وحيثياتهم وحيث يرى السود مجلوبين للبيض كالوحش الهامل يباعون ويشترون ويستخدم عليهم ولاحق لهم من الحياة الا اسآر موالهم من ركد الماء وفنات الطعام وسمل الثياب واطراف المنازل : وحيث يرى الجملة الوافرة من الزواني انما يتعاطين ذلك لفقد ما يرتفقن به من وسائل المعيشة مع العفة : وحيث يرى في بنى آدم الرقم الواسع من امثال زياد ويزيد ومسرف بن عقبة والحجاج ابن يوسف وچنگيز وتيمور تنعاور سلاسلهم الحاكمة على الناس ازهاقاً وارهاقاً واعنائاً

ونهباً وسلباً وتخريباً وحسباً وتبعيداً وتشريداً واهادة واعداماً : وحيث يرى الناس - الامن شد - متكالبين في فرض حقوقهم على الغير وتهوين حقوق الغير على انفسهم : وحيث يرى الحروب يسببها واحد او جماعه قويموت من اجلها من لا يد له فيها : وحيث يرى الطواغين تمحق و الصواعق تزعق و الزلازل تتمخض و البراكين تنفجر و الطوافين تجتاح و الاعاصير تدمر : وحيث يرى البرد المهلك و الحر المتلف و القحط والجذب و المعجاعات وحيث يرى الصراع المزعج و المطاردة العنيفة على طول خط البشرية من الزمان و يرى من خلال ذلك كله ابتلاء الابرياء و الضعفاء من الناس و من لا ذنب له و لا جرم حصل منه و لا معصية توجب طرفاً من ذلك فضلاً عنه جميعاً . .

ولا يكون خلق الحي الحساس العاقل الا لغاية شريفة قطعاً و حد الاقل منها قطعه للحياة مؤمن الاحتياج الضروري لبقاءه من غير ان يزاحم غيره به وهذا ما لا يراه في اى انسان يفرض الا في طرف من الافراط او التفريط الموجبين لاختلال النظام الحيوى فبينما يرى الممولين يعثون بالمال عبثاً جنونياً يحار له الفكر يرى فى طبقات البشر ملايين يعوزهم العيش الضرورى الدنيء : مثلاً نرى فى عصرنا الحاضر و فى بلادنا التى نسكنها - على انها بلاد شرقية تافهة ان عدة من اهالى العاصمة الاعزاء احصى خرجهم السنوى على السينما آت فقط بمبلغ ٥٠٠ مليون ريال فى حال انه يوجد فى جنوبى هذه البلاد اراضى شبيهة بالمستنقعات يسكنها ٢٥٠٠٠ نسمة بمعدل كل ٧٠ انسان منهم فى مساحة ٦٠ متراً مربعاً : فكم الشقة بين ذاك الافراط وهذا التفريط : و تذكر الصحف ان قرب : كمبريج : من مدن انكلترا توجد قرية مخصوصة بتربية القطط وبيعها تملك ٨ قطط منها ملايين من الليرات الذهبية فى حال ان ملايين من الناس يعيشون على هامش الحياة : و تذكر الصحف ايضاً ان الولايات المتحدة الامريكية تصرف فى عصرها الحاضر كل يوم ١٥ مليون دولار فى سبيل اتصالها بكرة القمر و الحال ان ملايين من اهل كره الارض يموتون من الجوع فى كل سنة : و لا مجال لنا فى الاطالة بهذه الامور لكثرتها الهائلة عند ارادة التعرض لها و التوسع فيها .

وليس هذا الافراط والتفريط مقصوداً على الفقر والغنى والثروة والاملاق بل هو سيال في كل شيء حتى في المشاريع العامة التي تقوم بها الدول ظاهراً للعموم بل حتى في الدوائر الرسمية المعدة لقضاء اشغال الافراد فليس للضعيف حظ في المستشفيات العامة في حال ان نظفوا ونظم اسرتها للمتغنين الاجلاء كما ليس في دوائر العدل وجه للضعيف والحال ان قضاتها جميعاً طوعاً وازادة الاقوياء وهلم دو اليك: وفي النتيجة ان ترى دنيا الحيوانات وبنى آدم جميعاً دنياها نجة مزعجة مرتبكة كثيرة التعاريج طويلة الذيل في التناقضات واعظم ضرباتها على الاربياء والضعفاء والمتدينين المتورعين والمثاليين الاتقياء وطرف منه لا يلائم الحكمة فضلاً عنه كله هذا خلاصة ما يقال في تحرير الاشكال على حكمة الصانع في تسيير مخلوقاته واقرانها بالحياة.

ولا بد ان يعلم ان احد سلاح يملكه الانسان في تشريح حقائق الكون هو العقل فقط وان العقل الانساني مهما فرض توسعه بالشحذ والتدريب والتجربة والتمرين فانه محدود الدرك يعترف بذلك كل من القائل بماوراء الطبيعة والمادى الصرف فلا يتوقع من العقل البشري ان يحيط بدرك كل ما يتصوره ويستعرضه در كاناضجاً: ثم ان حياة بنى آدم المادية لا يستطيع تمشيتها على مدرجة الكون مع الانقلابات من كل قيد بل لا بد ان تشفع بشيء من الفضائل النفسية كالحياء والوفاء والصدق والرفق والعفاف والكفاف والتحمل والتحمل والورع والتقوى والايمان بالمبدأ الصحيح والعمل به من طوع النفس فاذا تخلفت هذه النزعات عن النفس عادت بهيمية ذات ضراوة واندفاع ولازم ذلك هو هذا التكالب الذي يشهده كافة بنى آدم في نوع طبقاتهم مما ادى بهم ويؤدي الى اسوأ الحالات واقدراحوال الحياة: وهذا المعنى مما قامت به الشرائع السماوية والمثاليون والاخلاقيون من بنى آدم خير قيام علماء وعملا لكن زافة الناس لمالم تتريث في درك منوياتها بل اخذت تندفع وراء الوهم والخيال ملات الدنيا زعيقاً ونعيقاً وارتبا كاوهياجا بصورة يحارفيها الناظر المتشوف ويقول في نفسه ما هؤلاء الناس اعطوا كل غرائزهم الصحيحة من ايديهم فتري الزعيم والوزير والامير ومن الى ذلك يبذلون كل وسعهم وما اوتوا من حول وطول في سبيل السخائف والترهات ولذلك انحط مقام العقول وسفلت

الأنفس وامتنت النواميس ورددت الأزواح وعدت الفضائل التفسية من سقط المتاع وراجت الرذائل رواجاً قل نظيره حتى أصبح الزنا واللواط وشرب المسكرات والصفق والرقص والتعري والتهتك وانتهاج الرشا واستلاب الحقوق من شيم الناس باسم التنوير والثقافة وحتى عاد الاتزان والوقار والورع والاحتياط والحياء والوفاء والنجاة والعفة والصدق والأمانة من العار باسم الرجعية السوداء : وحتى عد الساقط الممتن منوراً أو الشريف الصحيح الشرف رجياً .

فهذا كله ما لا يربطه بالصانع بعدما حذر منه ونهى عنه وتوعد عليه نعم يبقى شيء من حزازة هذا الوضع الساقط وهو اندماج الأبرياء الاعفاء فيه فان الوضع السائد اذا شؤم وسخف تعدى الفاجر الى البر والمسيء الى المحسن والخبيث الى الطيب وان كان الاطياب المحسنون قليلين في كل زمان لكنهم مع قلتهم يجب ان يصابوا من جانب الحق حتى لا تندهور حياتهم بالمرّة وتعود الدنيا كابوساً ثقيلاً على عواقبهم؛ هذا وان جملة من هؤلاء المحسنين الاجلاء والمثاليين الاتقياء نراهم يعدون بلاء الله عليهم من توجهه اليهم وان من ازداد بلاء منهم ازداد قرباً لكن هذا المعنى مخصوص بالمهذبين الذين راضوا انفسهم رياضة تامة ولا يعود يشمل الأبرياء الضعفاء من غمار الناس وهم الرقم الواسع من هذا الفريق فهل يصح ان يكتفى هؤلاء في مقابل ما يرونه في الحياة من شدائد وآفات وبلايا ومصائب ان لهم سعادة مضمونة في عالم آخر: اما عقولهم وعقولنا الرائجة لاتصحح ذلك لما فيمن لو عوقل عنها تحمل السائر من الناس فهو اذن من الطلاس التي لا تستطيع حلها وما اكثر الطلاس المعماة في بطون هذه الحياة .

واما ابتلاء الناس بالقوى الجائرة على طول اشواط الزمان فهو في الاعم الاغلب مسبب عن اكثرية الافراد فان نوع الناس يزفون وراء الوعد بالطمع والامل بالغنيمة فضلا عن الاجرة المنقودة ويفرون عن الحاكم العادل مخافة ان يضبط عليهم الامور وهم يهوون التركاض بلا مانع ولا مزاحم وقل دليل عليه اناراً بينا الناس اجتمعوا على معاوية وتسللوا عن علي مع علم الجميع وفي طبيعتهم معاوية نفسه ان علياً لا يشبهه انسان من معاصريه في كافة الفضائل التفسية قريب الى الحق جهداً يستطيع بعيد عن الباطل

جهد المقدور: ولا يصح ان يقال ان نوع الناس كانوا يريدون امارته كما يريدون
سعادة انفسهم ويعجبون حكومته كما يعجبون الترفيه على ارواحهم وانه لم يتخلف عنه
الاعفاريات الافرادواخبائهم الذين يحاولون الترفع على القانون: وانما لا يصح ذلك:
لان الاكثرية من الناس في كل دور اذا تصافقوا على شيء استحال ان لا يكون ذلك الشيء
لان الاقلية محكومة بالاندحار دائماً واذ اقبل كم من فئة قليلة غلب فئة كثيرة فذلك
لصدق الاقلية وتخاذل الاكثرية: قطعاً: والاكثرية الساحقة فضلا عن لزوم انتصارها في
تلك الادوار التي ما كانت تعرف السلاح في غير السيوف والرماح وكان ذلك ميسوراً
للاعم الاغلب من الناس يتحتم انتصارها ايضا في عصر الصواريخ والذرة فان عنوان الاكثرية
كما يراد به فريق البقالين والقطارين ومن اليهم يراد به سائر الطبقات ايضا من كيميائي
وفيزيائي وجندي وضابط وطيار وغواص فان هؤلاء من الناس لانهم صنف خارج فمتى
تشكلت الاكثرية من كافة الطبقات كان الحكم لها قطعاً: وهذا المعنى لم يحصل
في دنيا البشرية الا في انقلابات معدودة.

فالناس دائماً يتمكنون ان يحكموا انفسهم بأنفسهم وان لا يجعلوا للذلل عليهم
طريقاً لكنهم يتخاذلون عن احقاق الحق الراجع لهم بحب امتياز فريق منهم على من
سواه ونيله لضعاف ما يستحق و بانخذال فريق آخر منهم حباً لسلامته فيما يظن و
تأميناً لما في يده وهو لا يشعر ان غير حكومة الحق لا تبقى على سلامته ولا على ما في يده
جميعاً وبتطبيع فريق مذنب بالاوعاد فضلا عن الرشوة المنقودة واذاقلت الحبل من
ايدى هؤلاء جميعاً عادوا بعد رده من الزمن اذل من الارنب في نظر السلطان الذي
حكّمهم عليهم فيعود فرد واحد لا يملك من القوة الا سيفه عند الحقيقة حاكما مستبداً
على مئات الملايين لا لسبب معقول سوى انخذال كل واحد منهم عن حق نفسه.

اذن فهذا البلاء ليس مرجعه الى الصانع بالعمة نعم يكون في غمار هذه الانشعاعات
اناس احرار صادقون لا يصيخون للباطل ولا يعطون بأيديهم الى الهوان لكن لا تعود
تنفعهم حريرتهم ولا اخلاصهم في قبال سلطان مسيطر قد تابعته الكثرات بشتى انواع
المتابعة ولهذا نراه ينحى عليهم بشتى اساليب التحقير والتوهين والتشريد والتبعيدان

لم يأت عليهم اذهاقاً لارواحهم كما حصل كل هذا باحرار بنى آدم المخلصين وهنا يجيء الاشكال بان الصانع كيف خلق بينهم وبين اولئك الطوائف وكيف لم يجرسهم ولم يدفع عنهم وهذا من الطلاسم التي لا تحل ايضاً .

وكل ما سلف الاشكال به من المجاعات العامة والطوائف الجارفة والطوائف المجتاحة والاعاصير المزعزعة والبراكين المتفجرة والزلازل المتمخضة والصواعق المدمرة فهو غير متوجه الامن حيث اندماج الابرياء فيه وانقمار الزيه به وما اقل الزيه والبرىء في دنيا الناس قديماً وحديثاً لكنه اشكال متوجه في هولاء وليس بمقدور العقل حله فهو من الطلاسم ايضاً : لكن الذي يهون الخطب اجمالاً على المبدأى والمبادئ جميعاً اعتراف المادى نفسه بان العقول قاصرة عن ادراك ما فى الوجود كله وان كل ما ادرك بمشاريط العلم فهو غيظ من فيض على ان الجهل بالشىء امر وانكاره امر آخر ولا يجوز جعل الجهل طريقاً الى الانكار فى كل الاشياء .

وبعد هذا فلا بد من التوجه الى ذكر جملة من مزاعم الجدد كما وعدنا بذلك آنفاً من ان تكون فى تعليق اصل الخلقة ام فى التحكمات الباردة على حقائق الاشياء وتعرض من ذلك لعدة نظريات

منها : ان العلامة (اوستيد) لما كتب قوله ان الكون محكوم بحكمة اذلية تظهر لنا آثارها بواسطة القوانين الثابتة فى الطبيعة لم يرق قوله هذا فى عين الدكتور (بختر) فكتب يرد عليه انه لا يمكن ان يتصور احد ان تنفق حكمة اذلية مع نوايس طبيعية ثابتة فاما ان تكون النوايس هى الحاكمة واما ان تكون الحاكمة هى تلك الحكمة الازلية فاذا كانت الحكمة الازلية هى الحاكمة فللزوم لقوانين الطبيعة و اذا كان الامر بالعكس وكانت النوايس الطبيعية هى الحاكمة فان ذلك يتفق كل تدخل سماوى وهذا اشتباه واضح من بختر فان خالق الطبيعة و مكيفها خالق لنوايسها فالانسان المخلوق على الكيفية المار ذكرها تفصيلاً قد خلقت طبيعته فى عرض خلقة اجهزته وما اريد بها فالتنفس الذى هو ناموس طبيعى لاستمرار حياة الانسان من اللوازم القهرية لخلقة جهازه فى عرض الاجهزة الباقية القائمة بالتركيب الانسانى وليس الناموس

الطبيعي مجلوباً له من خارج بعد خلقته حتى تكون للنواميس الطبيعية حكومة وراء حكومة اصل الخلقة وسيجيء في شتات بحوث هذا الكتاب ان النواميس الطبيعية كلمة فارغة من المعنى الصحيح وان الطبيعة اعداد خالص لفعل ما وراء الطبيعة .

وقال (ديمو كريت) وهو فيلسوف يوناني قديم ويعتبر شيخ الماديين عن خلق الكون بل بعبارة اوفق بميله عن تكون الكون وتنوع الانواع المبتوثة فيه: بدوران ذرات الاجسام حول نفسها في الفراغ في آماط طويلة لاتدخل تحت حساب تكونت كل هذه الكائنات على اختلاف انواعها واشكالها .

لكن ارسال العبارات المهمة لا ينتج فلسفة ولا يحل مشكلة فان دوران ذرات الاجسام حول نفسها مع النقص عن منشأ هذه الذرات وانها كيف كانت ومن اين جاءت لا يستطيع تعقله الا بفرض قوة مديرة للتصور الذاتي في المواد فلا يتحرك الساكن الا بمحرك والدوران نسبة قائمة بين مديرو مدار فمن المدير: تفرض الذرات تحركت فلم كانت حركتها دورية لا طولية: فرضها دورية: فهل الحركات الدورية للذرات تنتج النبات والحيوان والانسان وكلها ومتمحرك: اما انها طفرات لاتعقل المناسبة بينها ولا السخية في انتاجاتها: واذا كان التحرك الدوري للذرات و انتاجها لهذه الكثرات بكيفياتها التي هي عليها من ذاتياتها كان ذلك مغنياً عن التلاقح و التوالد والاستنماء بل لا يكون لهذه الامور موضوع بالمرّة وهو خلاف الواقع المكشوف: و يقول الماديون في وجه انكار كون الانسان مخلوقاً مستقلاً في خلقته وانه نوع خاص مبدء ومعاداً ان في بنينه الفعلية زوائد اثرية كالعصص في جميع الافراد و الاثناء في الرجال مما لا فائدة فيه بل بعضه دليل على تحول هذا العنصر من عنصر آخر من ذوات الافئاب وان الاستغناء عن الذنب بعد التحول هو الذي حذفه لعدم الحاجة اليه وبقي منه اثره فقط .

لكن هذه المزاعم تافهة لدرجة بعيدة فان الاستغناء عن الشيء انما يوجب اهماله والاهمال يستلزم عدم التربية والنمو لأزيد فما اكثر من عطلت بعض اعضائه بالفالج وغيره فبقيت مهمة معه عشرات السنين لا يستفيد منها بالمرّة ولكنها لم تنحذف

منه واذا انحدفت الاذئاب عن نوح الانسان عند تحوله لاستغناءه عنها فلم ينحذف العصص معها فان ملاك الاستغناء عنه كما حذف منه الذيل كان من لازمه ان يحذف العصص منه ايضاً فلم كان الانسان منذشهد نفسه ذاعصص بلا ذنب و استمر على هذه الصفة وما الداعي لهذا التفكيك بين هذه الزوائد : و كون الثدي في الظاهر وسيلة للاضاع لا يستنبط منه بالقطع زيادة كل ثدى لا يتوسل به لذلك فانه تخرص محض ومن احاط بدقائق الموجودات و فوائدها حتى يبرم حكمه في ذى الفائدة منها وما لا فائدة فيه و للاخر لا تزال الموجودات كثيرة المجهول فيها قليلة المعلوم منها على رغم توسع العلم .

ولا يقاف الناشئة المتعبدية بآراء الغربيين واقوالهم وكلمات الماديين و ميولهم على اعتراف مراجعهم بالعجز عن معرفة كل ما في الكون من اسرار نذ كر ما يلي .
يقول الفيلسوف (اجوست سباتيه) في كتابه فلسفة الاديان : ان العلماء اول المعترفين في كل فرع من فروع العلم انهم لم يبدوا كوا منه الاجزاء المحدوداً وان اكثرهم تواضعاً اكثرهم علماً على ان كلهم يعترفون بان ما حصلوه الا ان من الاكتشافات وما درسه من هذا الجزء من الطبيعة ليس الا دعماً بالنسبة لما يجهلون به فهم مستعدون لتتبع القوانين التي قرروها وتوسيع الفروض التي فرضوها ورضم كل ما يشاهدونه من المشاهدات الصحيحة الى ما لديهم منها نعم انه يوجد من بين هذه المشاهدات ما يدهشهم ويشوش أفكارهم كما تراه كل يوم ولكنك لو تلاحظ موقف العالم الحق امام هذه الظواهر الجديدة تراه لا يشك في انها تابعة لنواميس مجهولة ولكنها حقيقية وموجودة وتراه لا يأس من امكان عزوها الى تلك القوانين : دائرة معارف وجدى مادة اله ص ٥١٣ .
وقال العلامة (بيو) في كتابه (شذرات علمية وادبية) بقدر ما اتدبر في نظام هذا الوجود وسعته وفي جميع عجائبه اعجب من هذا الابداع المدهش وارانى في حالة عجز عن تفسيرها وتعليلها وانى لأتجاسر بان اقول انى جربت ذلك بنفسى فان تلك التفسيرات الناقصة والتعليلات الكاذبة او المبهمة التي يريدان يقنعنا بها بعض الكتاب العصريين بصفة مدركات سامية لا تظهر مجتذفة وتافهة الا اذا قورنت بالطبيعة نفسها وان الذين

تشفوا بمعرفة بعض جمال الطبيعة واحسوا بها وجدوا أنفسهم مرغمين لان يعتبروا الذين يريدون ان يشوهوا هذا الجمال بتدليسهم القبيح كفاراً ملحدين فان كل الكائنات العضوية متمتعاً بوسائل حياتها الذاتية المتنوعة في اختلاف أجهزتها مثل تنوع الكواكب الزواهر في القبة المزرقاء زيادة على هذا فأنا لان شاهد الا ما يظهر لنا من ذلك في الخارج وقد حجب عنا ما هو اعجب وأغرب يعيش كقل لي من هذا الذي استطاع ان يفهم الاعمال الكيميائية الخاصة بالاعضاء الحية لهذه الكائنات والتي هي السبب في حركتها الارادية وغير الارادية - ماذا اقول - من هذا الذي استطاع ان يفهم سر طيران الذبابة وسر الاعيب الفراش : اذا وصل بنا ادراكنا الى معرفة القابليات الخارجية لهذه التراكيب الجسمانية والى تحديد العلائق المقصودة الموجودة بين الاجزاء التي تتألفهى منها قلنا اذا وصل ادراكنا الى هذائهم عمينا عن رؤية الحكمة التي امرت بها ونظمتها وعشينا عن تنورها في صميم هذا المجموع نكون قدنا قضا ضمائرنا مناقضة تامة : اما انا فأريد على الاقل ان اتعلم من هذا المشهد العظيم بانى جاهل لا ادري شيئاً (وجدى مادة أله ص ٥٢٥)

وقال العلامة الانجليزى (استوارميل) تبدوا لنا الحياة الانسانية محاطة بغوامض الاسرار فترى دائرة تجاربنا الضيقة كأنها جزيرة صغيرة ضالة فى بحر لانهاية له ومما يزيد ذلك السر غموضاً ان مجال حياتنا الدنيا ليس كجزيرة فى فضاء غير متناه فقط بل فى زمان غير متناه ايضاً (وجدى مادة اله ص ٥٢٥ و ص ٥٢٦).

وقال الدكتور شبلى شميل فى مجموعته ان مجرى فكر الانسان سيكشف له اسراراً كثيرة فى الطبيعة ليس المعلوم منها اليوم الا النزر اليسير : وقال فيها ايضاً : لعدم امكان الانسان ان يحيط علماً بكل شىء (انوار الهدى ص ١٣) وقال ايضاً ليس فى طاقة الطبيعى ان يعلم الحقائق والماهيات : وقال بخبرانه ليصعب اويستحيل علينا ان نعرف كم يخص كلا من هذه الاسباب ويظن دارون انا غالباً لانعرف النواميس : وكثيراً ما تستغلق دوننا وجوه الرشد فى اكتناه دستور محكم نسترشد بهديه فى ظلمات هذه الابحاث : انوار الهدى ص ٢٦ : وقال العلامة الفرنسى (لوجيل) نحن لانعلم ولا نرى الا الظواهر والقشور اما الحقيقة والعلة فتأبان ان تنكشف لنا : وجدى مادة مدد ص ٥٠٦.

وقال طمسن بالنسبة الى تكون طبقات الارض بعد ان لم تكن : ان يبس قشرة الارض لا يمكن ان يكون قد تم في اقل من عشرين مليون ولا اكثر من اربعمائة مليون سنة وانه يقتضى ان يكون بين ثمانية وتسعين مليون سنة وبين مائتي مليون سنة: بقدر فلسفة دارون ج ١ ص ٢٠٤ .

ولوان احد الخراسين فاه بمثل هذه الكلمات المتفككة الاطراف جداً كنسبة العشرين الى الاربعمائة : حيث يقول في خرص مزرعة مثلاً ان نتاجها يتراوح بين العشرين كيلواً والاربعمائة كيلواً بعد مجنواً بالجنون الحاداً اذ لا رابطة بالمرّة بين العشرين و الاربعمائة : ولا بين العشرين والثمانية والتسعين ولا بينها وبين المائتين لكن صاحبنا الغربي بانتسابه للغرب وللتمدن الحديث والفلسفة الجديدة تمكن ان يقول ذلك بكل هدوء من اعصابه وان يعد بمقاله هذا في جملة الفلاسفة الطبيعيين وان تذكر اقواله في ضمن الحجج التي يستدل بها العصر الحاضر على تركيز الحقائق الكونية .

وحسنا ما قاله دارون نفسه في ملاحظته على هذا الكلام : ان الفرق بين هذه الحدود يدلنا كم هي الادلة الضعيفة (نقد فلسفة دارون ج ١ ص ٢٠٤ و ٢٠٥) بل يدلنا على مبلغ الضعف الذي اناخ على هذه الفلسفات التي تشاد بمثل هذه الادلة ولكن دارون احب ان يفر عن هذه المؤاخذات التي اعتورت طمسن فأوهنته وعن نظيرها الى رأى جديد يشرح به كيفية التحول من المبدأ الاولي الذي اعتبروه - حركة الجواهر الزوبعية في الخلاء : او غيرها : فقال يمكن ان الارض كانت في اطوارها الاولي معرضة في احوال الطبيعة لتغيرات اسرع واشد مما هي الآن فحصلت تغيرات اسرع كذلك في الاحياء التي كانت تغطي سطحها في تلك الازمان البعيدة : نقد فلسفة دارون ج ١ ص ٢٠٥ . ولكنه وقع في و رطة بشكل آخر وهي ان الامكان وحده ليس دليلاً لاثبات المطالب التي يرام اثباتها في فلسفة جديدة بل ليس دليلاً لاثبات بالمرّة : ثم مساهو الذي اثار خاطرة تصور هذا الامكان للاطوار الاولي خلافاً للاطوار التي بعدها فانه محض القول بالتمشي انصافاً : نعم الذي اثار خاطرة تصور الامكان باللون الانفس للاطوار الاولي خلافاً للاطوار التالية ان تلك الادوار و الاطوار

بعيدة عن يد المتناول و عن حسه فلم يتفهمها احد ولذلك لا تكون في الاحالة عليها
مؤاخذة الاحالة على القريب تناول المشهود للوجدان كما يقال في خرافيات
القصر ان حبة الحنطة كانت في العصور القديمة بقدر الحمصة ولكن المعاصي الفاشية
في الخلق هي التي اهزلها الى القدر المشهود في حال اننا لانعهد انساناً ادعى روية
ذلك في كافة الادوار والقاص لا يعدم الالتفات نسبة فاذا قيل له لم نرماتقوله كما لم
يدعه آباؤنا ولا اجدادنا اجاب لا هذا الموضوع كان قبل ذلك بكثير عندما كانت
الحيوانات تتكلم ففيلسوفنا المزبور اخو القاص المذكور يرمى بحوالته الى حيث لا دار
ولا ديار حتى يواجهاه بتكذيب مزاعمه على ان معرب بشرح بخنرال دكتور شبلي يقول
في هذا المقام : والحق يقال ان مذهب الانتقال وان كان تعدل به اشياء كثيرة لا تفهم
بدونه لكن لا ينكرانه ناقص كما بسطه دارون : و لخصوم هؤلاء معهم مجال واسع
في المناظرة حتى التجأ بعض هؤلاء المتفهبين - فراراً عن المؤاخذة - الى القول
بالتحول الفجائي ولم يبعد عنه : وقال (كروبتكن) في تضعيف دارون انه لم تبق
آراؤه على ما كانت عليه بل تساهل فيها عندما اخذ يبحث في تنوع النبات والحيوان
بحثاً مسهباً وارتاب في كفاية الانتخاب الطبيعي .

وقال (كروبتكن) في موضع آخر ما هو ادهى من ذلك و هو ان دارون لم يكن
يعتقد بالانتخاب الطبيعي و انما اراد ان يسد به باب القصد على القائلين بهه يعني
المؤمنين وهذا لفظه : راي دارون ان (لامرك) ذهب الى ان في الاحياء ميلا الى
التقدم من نفسها وان عند الحيوانات شيئاً من الارادة يساعدها على الارتقاء فحشى
ان يفتح بذلك باباً للقائلين بالقصد فيقولوا في سبيل العلم (نقد ج ١ ص ٢٠٦) ومن
هنا يظهر ان من اهم دواعي القوم الى الالحاد هو هتك حجاب العفة وتدمير الشرف
الانسانى و قذف الانسان الى ابعده هو ممن هوات الحيوان النازل الفاقد لشوب
الشرف والفضيلة .

وصراحة شبلي شميل في كلامه هذا : ولا خصلة محمودة الاحب الذات ولا سعادة
الاالتمتع بالشهوات وما الناس جميعاً الا بنوا الارض فجميع ما فيها مشاع لكل و

الملكية الشخصية والاختصاص ببعض المنافع ضرب من الاستبداد وما غيرة الانسان على محارمه الامن البخل والحسد الى آخر ما قال : كافية في الاصحاح بمنوياتهم وانهم يريدون من وراء هذه الفلسفات اموراً انتهائية لاتحرير حقائق واقعية او نظام اجتماعي . ذلك انهم رأوا من المستحيل عليهم الانقلابات من قيود الانسانية الى صحراء الخلاعة و الاستهتار والعيب بحقوق الاغيار الابد أن ينددوا بالدين و مبادئه و ينقضوا بناءه من بين الناس حجراً حجراً ليخلولهم كل ميدان من قلوب الناس و ادمغتهم وليشبعوا اذهان الجميع بان الانسان كواحد من هذه القرود التي يقفز بعض منها على بعض في الشوارع والمشارع من دون قيد ولا حرجة وان كل المفاهيم الاخلاقية والقيم المعنوية مزورة مكذوبة وان الجميع من وادي الشعوذات والاساطير: فصالوا وجالوا وساعدتهم على ذلك كل من يحب التأمير على الناس بلا مؤاخدة والسيطرة عليهم بالامسولية ونهب حقوقهم بالاخوف والاغارة على شؤونهم بلا حذر وبلغ هذا التفكك الاخلاقي البغيض مبلغاً اجتراف في طريقه نقائص علوم الاخلاق وتهذيب النفوس و انحى على كل مثالي بار .

نعم لم تحاول الفلسفة الابدائية بعد سحقها للمبادئ الفاضلة الاسحق الانسانية بالمرّة وان يعيش الناس هملاً لاناظم لهم ولا راعي يرعاهم وان الحكومة للشهوة والقوة كئامن طريق عصر الحرية والتمدن نحسب أن زمن الازهاق قد انصرم وانا نحننا الى عصر قد سلم من تلك الهنات التي واجهها اجدادنا لكننا وجدنا ان التاريخ يعيد نفسه فاذا فقدنا النسخة الاصلية لاولئك المرددة ومشوهي منظرة الحياة فهامى نسختها الثانية دثارنا والشعار .

نحن حتى لو صرفنا النظر عما وراء الطبيعة وما عليه الاديان الصحيحة من فضائل نفسية وقيم معنوية لانجد عذراً لعقلاء الجوامع بما انهم موجودات ذات حياة واحساس قوى به تميزوا مضارهم من منافعهم واسباب تقدمهم وانحطاطهم حيث اخلد الكل منهم للسكوت امام هذه النوازل الفاضحة والبلايا الجارحة بل اين مدونوا منشور حقوق البشر وضمناء اجراءه عن هذه الانتهاكات التي اقامت قيامة الدنيا و

أقعدتها فهل المنظور بهذا المنشور حبره وورقه اذن فكم له من نظير قدملاء الرفوف
وخزائن الكتب بل انما يريد الاجتماع العاقل عملاً ايجابياً يكسر من شرّ هذه المفاصد
ويقوم بقمع هذه الضلالات.

أليس من الغريب جداً ان اقرأ في صفحات العرفان مقالا لا حد المسلمين
المصريين ينمى فيه على مصونات المسلمات في ليبيا و يهزأ فيه بهن و يعدهن من
بقايا الوحوش للقرون الوسطى و يعتبر ان الاسلام وراء ما هن عليه من التخدر
والعفة وانه يدعوا الى تحطيم الحجاب و خلع الثياب وانا لا اعرف الاسلام الذى يعنيه
أهو فى القرآن حيث يقول الله تعالى : قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم و يحفظوا
فروجهم ذلك ازكى لهم : وقل للمؤمنات يغضن من ابصارهن و يحفظن فروجهن و
لا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن و لا يبدين زينتهن الا
لبعولتهن - الى آخر الاية - حيث يقول فيها - ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين
من زينتهن - سورة النور - ويقول ايضا فى آخر هذه السورة : والقواعد من النساء
اللاتى لا يرجون نكاحاً فليس عليهن جناح ان يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة و
ان يستعفن خير لهن ؛ الى غير ذلك وهو كثير.

ام فى السنة عن نبي الاسلام حيث روى مسلم و الترمذى و ابو داود والنسائى
عن جرير قال سألت النبي عن نظر الفجأة فقال اصرف بصرك : وحيث روى ابو داود
والترمذى عن على عن النبي انه قال يا على لاتتبع النظرة النظرة فان لك الا ولى
وليست لك الاخرة : وحيث روى ابو هريرة ان زنا العينين النظر الى غير ذلك وهو من
الوفور بمكان .

ام فى شريعة الاجتماع الصحيح والنظام الفاضل الذى فيه احترام الحقوق وحفظ
الحيثيات ومصونية النواميس ولاريب ان التبرج قرين الخلاعة وهتك الصون اخو
الميوعة و خلع الثياب رائد الشر واذ قال احمد شوقى .

فكلام فموعد فلقاء

نظرة فابتسامة فسلام

فقد عبر عن امر عادى وتلازم طبيعى ونحن اذا حذفنا الحلال والحرام والمشروع

وغير المشروع من برنامج البحث وقصرناه على حفظ النظام وضبط النسل ومصونية العوائل رأينا من واجبه أيضاً إيجاب التحفظ وازوم الاحتياط وإيجاد الحدود فلا يجوز اختلاط العنصرين وليس بوسعنا التحدث فعلاً عما أباح الاختلاط بينهما من اعراض وفنك بنواميس واسقط من أجنة ولاغرابة في ذلك بعد ان انتجت الاديرة المعدة للترهب نظيراً لما تحدثنا عنه : ام في شريعة الطبيعة التي فتاوتت بين العنصرين بما جعلت كل عنصر غير الآخر في الشكليات والجوهريات جميعاً وبرهنت على ان خلقه الاثنى في جميع اشياءها غير خلقه الذكر في جميع اشياءه : وسنقوم في فصل نستقبله بالبحث بتوضيح هذه المطالب توضيحاً علمياً ان شاء الله : وهذا الذي املناه لا يكاد يتردد فيه عاقل غايته ان صبغة العالم صارت جنونية وقد تسرب هذا الجنون الى عموم الطبقات فلا يكون الوقوف أمامه من قلائل المثاليين واهل الهمم العالية والعلاء الكبار الا كالوقوف امام السيل الجارف الذي لا يطاق وكذلك فعل التمدن الحاضر فانه ضرب ضربته الفوية على كل دين ومبدأ وعنصر عقلي لامعز فيه واصبح التهنك والخلاعة والميوعة والاستهتار من الصفات التي ان همزت بشيء لا يعود يؤثر فيها الهمز والغمز .

واما ما ذكره شبلي شميل من ان الملكية الشخصية والاختصاص ببعض المنافع ضرب من الاستبداد فهو باطل من طريق الطبيعة الساذجة التي بنى عليها الشرع الاسلامي قاعدته في الملك الشخصي ولا نمطط الحجج في جواب الاشرافيين بل يقتصر على ذكر دليل واحد بسيط وهو انا اذا زوينا الانسان عن كل شيء يحيط به فلا نستطيع ان نزويه عن جهوده واتعابه وكذا يمينه وعرق جبينه فهذا العامل المالك لاتعابه ربما أجهد قواه في العمل الذي تسمن اجرتة فاقتصد في صرف شيء منها على ضروراته واستبقى الباقي في مدخراته حتى اجتمع عنده من فاضل اجوره مبلغ يعتد به وعلى مرور السنين ربما يتورم هذا المبلغ الى مادة قوية من طريق صحيح فاني عاقل يقول ان هذا المال ليس ملكه وای انسان تحدثه نفسه من طريق معقول ان يزاحم هذا العامل على ما تحت قبضته وان يشترك معه فيه ولو كان بائساً الاقصى درجة وكم من هذا الرديف : فادعاء

الشركة في مثل هذه النتائج ادعاء ساقط مآله الى الغصب المفتضح والتلصص المكشوف والاسلام لا يمضى التمويل الناشئ عن الربا وعن الفسح والتدليس والاحتكار والغبن غير المتسامح فيه وعن المعاملات السفهية والمكاسب المحرمة على اطلاقها والجملة الوافرة من المتمولين في دنيا اليوم وأمس انما جمعوا اجل أموالهم من هذه الطرق غير الزهية وليس لهم منها الا النزر القليل فالاسلام والمنطق جميعاً بعيدان عن تاييده هؤلاء وتصحيح اعمالهم.

فصل : وبما ان الطرق التي حاول الماديون الاتصال منها لربط كافة الانواع الكونية على تشتتها بعضاً ببعض حتى يجتمع الجميع في اصل طبيعي واحد كطرق النشوء والارتقاء وتنازع البقاء والانتخاب الطبيعي ونظائرها لم تقم بالواجب الذي اريد منها بل ولا ببعض يعتد به مال كثير من الطبيعيين الى الاعتراف بجهلهم بالطرق التي درجت منها الكائنات العالمية الى الوجود بهوياتها المشهودة فعلاً .

فقد اعترف (ليل) بان تولد الانواع حتى العليا منها كان - رأساً - تولد ذاتياً في كل الادوار بطرق غير معروفة من طرق الطبيعة (نقد ج ١ ص ١٠) لكنهم مؤاخذاشد المؤاخذة بقوله بطرق غير معروفة من طرق الطبيعة فانه اذا كان يعترف بجهله بالطرق التي مشت بمواليد العالم الى الوجود فمن اين جاءه ان هذه الطرق المجهولة لديه طرق طبيعية : هذا وقد برهن باستور حساً وتجربة ان الوجود الحي لا يكون الامن حي ولهاذا وقع الطبيعيون في مأزق حرج لم يهتدوا فيه الى تعليل الكائنات الحية من الطرق الطبيعية التي تنهيمهم الى اصلهم الاول و هو حركة الجواهر الفردة في الخلاء حركة لولبية ولاجل ذلك جاءت اقوالهم لاتواجه الا بالهزء العلمي فقد قال (طمسن) بمجىء بذوراتها من كرات اخرى محمولة على ظهور النيازك والشهب (نقد ج ١ ص ٢١٦) اقرأ واضحك ملاء فيك : وقال (اغاسنر) انه يظهر من احافير الدور الاول ان انواع الحيوان كانها ظهرت كلها في برهة وجيزة لان تلك الطبقة دقيقة لم يقتض تكونها زمناً طويلاً (نقد ج ١ ص ٢١٧) وطالما تعمل الطبيعيون بالاحافير واستندوا الى هذا الرمز في كل شيء تعيينهم الحجج الصادقة مذهباً فيه في حال انهم يدفعون بالوجود الكوني الى ما قبل ملايين الملايين من السنين ونحن لانرى لميتنا السدى

نحترمه في دفنه واختيار المكان الجيد لحفظه بعد مرور عشرات السنين عينا ولا
اثرا وان يوجد منه بعض عظيمات محطمة لا يستدل منها على شيء فكيف استطاع هؤلاء
ان يجدوا في الاحافير حيوانا ينسبون وجوده الى ما قبل ملايين السنين ثم يفيضوا في
اوصافه الدقيقة بنحو لا يستطيع المشرح للجنة التي توجد امامه ان يفيض بمثل ما
دققوا فيه وغاية ما يدعهم في قدم الوجود هو تحجر بعض الاجسام الا ان هذا التحجر
كما لا يستطيع ان يؤرخ زمان المتحجر لا يستطيع ان يحتفظ بكل خصوصيات الوجود
الحي الحافظ لكافة جهازاته وسماته اذن فكل ما يدعون منه من طريق هذه المتحجرات
مجازفات لا يبررها منطق .

ثم من المستحيل ادعاء ان البشر سبق لوجوده آلاف الملايين من السنين وسيبقى
الى ما لانهاية له فان المشاهدات الحسية برهنت على ان البشر يزداد على مرور السنين
المحدودة زيادات مهولة فالامة ذات المائة مليون نسمة بمرور مائتي سنة عليها قاربت
ان تبلغ خمسمائة مليون انسان وهانحن انفسنا نعرف آباء في العشائر وفي البيوت العلمية
لم يمر على موتهم اكثر من مائة سنة ومواليدهم اليوم يعدون بالالوف على ما سبق هذه
الفترة من تناوب الطوائع المبيدة وكثرة موجبات القتل بالطبيعة من حروب وغارات
وامراض : وان مرور مليون واحد من السنين على التوالد البشري كاف في ان يملأ منه
كافة الكرة الارضية بلاغراق .

ومن طراز المجازفات الالفة الذي ذكر قول (هويت الامريكى) ان انواع النبات ظهرت
دفعه واحدة في العصر الكربوني (نقد ج ١ ص ٢١٧) أما ينجل هؤلاء من ارسال هذه
المزاعم الحاكمة على اهلها بالتهور في الافتراض والوقاحة في التحكم و الصلافة في
ابتداع البدع : ثم العجب من حال هؤلاء فينماترى الرجل منهم يرسل الكليات المبهمة
جدا زاعما وضوحها لديه ارسال المسلمات اذ به يظهر التلدد والتردد في عين ما زعم
وضوحه لديه قال (بخنر) اذا تذكرنا بان ثلثي الارض او ثلاثة اقسامها تحجبها البحار
وان قسما كبيرا من الثلث الباقي تغطيه الجبال الشاهقة علمنا انه تمنعان عن الابحاث
العلمية موانع طبيعية (نقد ج ١ ص ٢١٨) وقال بعض العلماء الذين يعترف لهم الدكتور

شبلى شهيل بالفضل في شأن هولاء الماديين : انهم يوردون من الحقائق ما يؤيد رأيهم بحسب الظاهر ويتغاضون عما ينفيه ويتخذون المفروض كامر مثبت ويفسرون الحقائق على ما يوافق آرائهم : وقال ايضاً : ان التسليم بذهاب النشوء يقتضى ايماناً بصحته اعظم جداً من الايمان الذى يقتضيه الدين والحق ان اهل هذا المذهب يعتقدونه بالتسليم لا باليقين كانهم عائشون بالايمان لا بالعيان (نقد ج ١ ص ٢٢٠ و ٢٢١) .

وزعم العالم (مايه) من كبار علماء القرن التاسع عشر ان البحر اصل كل الكائنات الارضية على اختلاف انواعها واجناسها : قال : ان البحر قد عم سطح الكرة الارضية في عصر من العصور الخالية وبهذه الوسطة انتقلت المخلوقات التى فيه الى الارض وعاشت فيها وعلى هذا فكلما يشاهد على الارض من أحقر خلية نباتية الى اكمل حيوان وهو الانسان اصله البحر اى انهم كانوا حيوانات بحرية : قال : ولا يوجد فى الارض حيوان سواء أكان ماشياً على قدميه ام طائراً بجناحيه ام متسحباً على بطنه الا وفى البحر انواع مشابهة له او قريبة منه وان انتقال هذه المخلوقات من الماء الى الهواء ليس انه ممكن فقط بل هو امر ثابت بجملة ادلة ونحن هنا لانريد ان نتكلم فقط على الحيوانات البرية او البحرية او الثعابين والسلاحف و كلاب الماء والاجناس المختلفة من نوع كلاب البحر ولا على الحيوانات العديدة التى تعيش فى الماء والهواء على حد سواء او تارة فى البحر وتارة فى البر ولكننا سنتكلم على الحيوانات التى لا تستطيع ان تعيش الا فى الهواء فنقول اننا نعلم ان الحيوانات البحرية تنقسم الى قسمين حيوانات سابحة فى بطن الماء وعائمة فيه تسرح وتضطاد وحيوانات اخرى تمشى على بطنها فى القاع لا تنفصل عنه او تنفصل نادراً ولا استعداد لها على العوم وبناء على هذا فمن الذى يستطيع ان يشك فى ان طيورنا التى تسبح فى الهواء لم تأت من نوع السمك الطيار او فى ان حيواناتنا الارضية التى لا استعداد لها على الطيران و لم تقدر على العلو عن سطح الارض لم يكن أصلها تلك الحيوانات البحرية - ٥١ : و جدى مادة

أله ص ٥٢٧ .

اقول التشبهات فى كل شىء غير محدودة فان اشتهى هذا الانسان ان يرى كائنات

الارض قد انتقلت اليها من البحر بافترض ان مائه عم سطح الكرة الارضية في عصر من العصور الخالية فنحن نشتهي ان نعكس هذه الدعوى بكافة اجزائها ونقول ان كائنات البحر قد تسربت اليه من الارض في عصر من العصور الخالية ايضاً وعاشت فيه فان طالبنا بمدرك هذه القضية طالبنا بعين ما طلبه منا وهو فاقد لكل مدرك سوى الادعاء المجرد ونحن مثله فان كل ما ذكره مجموعة مدعيات مفترضة لا قيمة لها اصلاً بل انه خيال يطفح مرة ويرسب أخرى .

وقال الاستاذ تليامد : يوجد في البحر اسماك تشبه اشكالها كل شكل من اشكال الحيوانات الارضية حتى العصافير ويوجد في البحر نباتات وازهار واثمار وان الورد والقرنفل والشمام والعنب لها في البحر امثال (وجدى مادة أله ٥٢٨) .

وكما أشعرنا أننا ان مجرد وجود المتشابهات - على فرض تسليمها - في محيطين لا يستلزم اولاً ان يكون احدهما منشئاً للآخر كما لا يستلزم ثانياً ان يكون احدهما المتشابهين بخصوصه كحيوان البحر منشئاً للثاني بخصوصه كحيوان البر ومدعى ذلك مجازف . وذكروا جدى عقيب تلك النقول التي حكيناها عن دائرة معارفه معبراً الوجوه التي استدلوا بها على مزاعمهم فقال ان دهشت من هذا الامر واظهرت استبعادك لحصول الانتقال من البحر الى البر لتباين الطبيعتين واختلاف البيئتين قالوا لك هو ان عليك وثق ان هذا الانتقال لا يجافى العلوم الطبيعية في شيء فان الهواء الذي يحيط بالكرة الارضية يحتوى على كثير من الجزئيات المائية وليس الماء الا هواء فيه جزئيات مائية اكبر حجماً واكثر رطوبة فهو اذن اثقل من هذا السيل العلوى الذى الصقنا به اسم الهواء : اه .

اقول اذا تم فرض ان ليس الهواء الاماء وان ليس الماء الهواء فمن الغلط تصدير المطلب بقوله لتباين الطبيعتين و اختلاف البيئتين فان هذا الفرض الذى زعموه انتج في الواقع اتحاد الطبيعتين واتفاق البيئتين واصبح تصوير انتقال الحيوان من البحر الى البر كتصوير سفر الانسان منا من بلد الى بلد آخر سهلاً يسيراً : ولكن هذا الفرض يكذبه الحس وان البر والبحر من هويتين وان حياة اكثر الاحياء في

البيئتين تنعدم في الانتقال من احدهما الى الاخرى بمهلة طفيفة .
 ثم قال وجدى ويضيفون الى ذلك : اى الى ما ذكره من المقربات لتثبيت
 مزاعمهم : ان الضرورة نفسها لها اليد الطولى في تسوية هذا الانتقال فقد يحتمل
 ان طائفة من هذه الحيوانات كانت في قاع بحيرة من البحيرات فاخذماء هذه البحيرة
 يجف شيئاً فشيئاً فوجدت هذه الكائنات نفسها مجبورة على المعيشة في الجوالهوائى
 ويحتمل ان تكون قد حاولت القفز من تلك البحيرة الى البحر المجاور هرباً من
 حيوان مفترس فسقطت في غابة اودغل من القصب فهمت بالرجوع الى مستقرها الاول
 فاجهدت نفسها في القفز فلم تستطع ان تدركه ولكنها تحصلت بهذه المحاولة على
 خاصية الطيران .

اقول اذا كانت الضرورة المقترنة بالمضطر تسبغ له الانتقال من حال الى
 حال وتخلق له طريقاً يتخلص به من الاضرار الذى هدد حياته بالا نزاعات
 والاحتياجات الملحة فما اكثر المضطرين في العالم ضرورة واقعية بحيث ربما اعجزت
 بعضهم فانتحر خلاصاً من اذيتها المقلقة ولم تجد للضرورة اقل مساعدة لمثل هذا
 البائس الشقى : ثم ما بال الضرورة اعرضت بكشعها عن هذه الاسماك التى نراها
 تقفز من الماء احياناً باختيارها فتقع على الارض ويعجزها العود الى مستقرها فتموت
 بعد بضع دقائق فهلا خلقت لها اجنحة او مكنتها من المعيشة في الجوالهوائى : ولم
 كانت هذه الضرورات تفعل الافعال المحيرة للعقول فى العصور الخالية ثم نراها
 هدأت عن كل حركة بعد ما طلع نوع البشر على محيط الارض انها لعمر ك الصلافة
 فى ارتجال الاقوال :

ثم قال عقيب ذلك وفى هذه الحالة : اى حالة القفز التى تحصلت بسببها على
 خاصية الطيران - تشققت عواماتها من الجفاف الذى اخدق بها لفقد الماء ثم انها
 وجدت فى تلك الغابة ما يغذيها من المواد فلم تمت بل بقيت حية ولكن الا نابيب
 المحركة لعواماتها انفصلت بعضاً عن بعض واستطالت واكتسبت ريشاً وبعبارة اوضح
 تحولت جدرانها التى كانت متلاصقة الى حالة اخرى ثم اکتست اجسامها بريش

دقيق ملون بالوانها الاصلية فكبر هذا الريش شيئاً فشيئاً حتى استحال الى اجنحة :
 اما الاجنحة الصغيرة التي كانت تحت بطونها والتي كانت تساعد على السباحة في
 البحر فقد استحالت الى اقدام سمحت لها بالمشي على الارض و حصل ايضاً تغيير
 غير ما سبق في سائر اجزاء اجسامها و بذلك ظهرت بهذا المظهر الذي عليه الطيور
 كلها الآن .

اقول هنا نقطة ينبغي التريث عندها اولاً ويلزم تحليلها ثانياً - اما اولاً - فان
 (مايه وتليامد) زعموا ان كل ما في الارض من حيوان سواء أ كان ماشياً على قدميه
 ام طائراً بجناحيه ام متسحباً على بطنه الا و في البحر انواع مشابهة له او قريبة منه
 وهذا الزعم ان ثبت اغنى عن هذه الفلسفة الباردة : انها اجهدت نفسها بالقفز لمالم
 تستطيع العودة الى مقرها الاصلى فنحصلت بهذه المحاولة على خاصية الطيران فخلقت لها
 الضرورة الملحة اجنحة وريشاً وارجلاً : فان المشابهة التي يدعونها بين حيوانات
 البر والبحر تكون اشبه شيء بما يقال ان انسان الحبشة يشبه انسان العراق فاذا ساق
 الضرورة انسان الحبشة الى سكنى العراق اجبرته فقط على تغيير بعض الرسوم والعادات
 ولم تزد على ذلك لان انسان الحبشة يملك ما يملكه انسان العراق من اجهزة واعضاء وليس
 بحاجة الى عضو جديد يفقده انسان الحبشة ويتمتع به انسان العراق حتى تخلق له
 الضرورة عضو أمثله : واذا كذب هذا الزعم من هؤلاء القوم و كان هدفهم تحليل كيفية
 تحول السمكة الى طير يطير في الفضاء فذلك فيه من المؤاخذات ما لا يأتي عليه حساب
 اما اولاً فليس كل ما يهرب من حيوان مفترس يقع في غابة تحميه منه فان وجود
 الغابات ليس لازماً لكل هارب وفرض صدفة عشور هذه الاسماك بالغابات فرض مجرد
 تحكمته به القرية : هذا والاسماك غاية ما تستطيع ان تقفز مترين او ثلاثة امتار او شيئاً يقارب
 ذلك لا انها تستطيع القفز مسافة بعيدة وها نحن نشاهد السمكة تقفز من الماء فتقع على
 جرف النهر بمسافة امتار معدودة فتعجز عن العودة الى الماء ولا ترى لنفسها حيلة
 الا التسليم لداعى المنية في حال ان على حافات اكثر هذه الشطوط والا نهار كثيراً
 من الاشجار الملتفة والغابات الواسعة ومع ذلك لانراها تقفز اليها او انها تكثر من القفز

حتى تحصل بهذه المحاولة على خاصية الطيران وكم بودها ذلك ولكن قصور طبيعتها
يقعد بها دون الاقل من هذا المرام .

و (ما ييه وتليامد) يعترفان بهذه المشاهدات التي نلمسها بحواسنا للاسماك
ولكنهما اشبهيا ان يفرضا بعض خيالاتهما على العالم فيقولان جملة من الاسماك ملئت
من بقائها في البحر فرفعت امرها الى الضرورة فسرعان ما حولتها طيوراً ذات اجنحة
وريش ورجلين وحواصل وقوانص وصياصي وغير ذلك مما في الطيور من اعضاء لا يعرفها
نوع السمك وليست هي من اجهزته اصلا .

واما ثانياً فليس القفز مما تترتب عليه خاصية الطيران و الاطارات حيوانات
كثيرة لا تبارح القفز في طول حياتها . واما ثالثاً فلم تشققت عواماتها من الجفاف الذي
أحدق بها فقد الماء فان اجبت لعدم الحاجة اليها حينئذ قلنا فلم لا يقولون ذلك في
اثناء الرجال و العصص الموحود في كافة الناس فانهم يدعون ان اثناء الرجال
اعضاء اثرية حدثت فيه عندما كان الرجل يشارك المرأة في ارضاع اطفالها و ان
العصص بقيقه ذنب القر الذي تجول عنه الانسان فمسلا استحال اثناء الرجال بعد
بطلان الحاجة منها الى اعضاء اخرى يحتاجها الرجال و هلاستحال العصص ايضاً الى
عضو عامل يستفاد منه : واما رابعاً فان القفزان يكن حصل لها خاصية الطيران لتخلص
من مطاردة الحيوانات المفترسة فلم كسى انايها المحركة لعواماتها بعد ما انفصل
بعضها عن بعض واستطالت بصورة اجنحة ريشا دقيقا ملونا فان الطيران لا يلزم ان يكون
بريش فان الخفاش يظير من غير ريش و اذا كان المنظور من القفز هو تحصيل خاصية
الطيران طلبا للسلامة فما الداعي الى التغييرات الكلية الموجودة في الطيور المفقودة
في الاسماك مما الاربط له بعالم الطيران اصلا كالقوانص و الحواصل و الصياصي وغير
ذلك بصورة مبهينة تمام الثباين لما يجده هذان العنصران فهل هذا كله نتيجة القفز
المحصل على خاصية الطيران هرباً من الكواسر .

ولقد اجاد العلامة (كوفيه) حيث قال في حق هؤلاء ان بعض الماديين من
اصحاب المبادئ المادية قدر ضوابط ان يكون النصرء السقلدين لنظر (ما ييه) وذلك

انهم لمارأوا ان كثرة استعمال عضو واهماله يزيد او يقلل من قوته وحجمه توهموا ان العادات والمؤثرات الخارجية يمكنها ان تغير تدريجاً اشكال الحيوانات لدرجة انها اوصلتها على التعاقب لما نراه الان في انواعها المختلفة و هذه نظرية اكثر بعداً عن الحقيقة من كل النظريات التي خضناها آنفاً انهم يتوهمون ان الاجسام المتعضونة تشبه كتلة من العجين وتقبل التشكل بين الاصابع : بمجرد ان ابتداء هؤلاء العلماء بالدخول في تفصيل نظريتهم جلبوا على انفسهم السخرية و الاستهزاء بان الذي يستطيع ان يتجاسر على القول بان السمكة بمحاولتها واجتهادها لان تعيش في الجفاف ترى اصداقها تشقق وتستحيل الى ريش فتصير عصفورة او ان حيواناً من ذوات الاربع لشدة ميله للمرور من طريق ضيق ينقلب الى ثعبان قلنا ان الذي يستطيع ان يتجاسر على هذا القول لا تكون نتيجة علمه الا الدلالة على جهله المطلق بعلم التشريح. اهـ ووجدى مادة الص ٥٣٠ .
اقول ما قاله هذا الرجل فضلاً عن انه وارداً فيهم وورد على نظريات هؤلاء قليل في ردهم زهيد في حقهم : هذا ما لزم تحريره في تهيئة هذه الرسالة .

(٢ - نهج البلاغة وتعريفه للإسلام)

ومقدمة تقول : من اللؤم انصافاً ان يقصر الانسان نظره على نفسه والاعتداد بما يمت اليه ولا يسمح لنفسه ان تنظر في مصالح المجتمع الذي هو بعض من ابعاضه كما تنظر الى خاص شؤنه : ومن الغريب ان نرى هذا اللؤم الذي نتحدث عنه مستشرباً بين عموم العناصر والطبقات متشرباً الى كافة الافراد ولم ينبج من هذه البلية الامن نشأ على المثاليقوا خلد اليها وما اقل عدده فنحن على طول الزمان لانزال نرى الغربي في مغارة عن الشرقى والايض بعيداً عن الاسود والعربي مترفعاً على الفارسي بل وحتى تصل النوبة بعدمسافة ساحقة من هذه المقارنات الى اعتزاز ساكن البلدة ببلد سكناه وانحطاط ما سواها في نظره واعتداده بيئته الخاص في قبال كل ما خلق الله واعتنائه بنفسه حتى كأن عامة المخلوقات لانعيش الاعلى الهامش وانه هو وحده الاصل الاصيل في مادة الكون وليس هذا الابتلاء قائماً بالعوام ولا بالسذج البسطاء ولا بقليلى المعرفة بل هو داء تخلص

حتى الى المعروفين بالفضيلة وتغلغل حتى في احشاء الفلاسفة و مضى يغذ حتى في اشباه المثاليين والدليل على كل هذا وذاك قديماً وحديثاً في العهد الحجري والعصر الذهبي ما نراه من مغالبة الغربي للشرقي الى آخر الحديث الذي أسلفناه على حساب الانانية وحب الذات واعتزاز كل انسان بنفسه واحتقاره لغيره لاعن داع معقول ولو كان هناك بعض الحاجة الى ان يفترس الفرد منا أخاه لضرورة تدعوه لكان له بعض العذر بان الانسان حيوان يغالب في سبيل احتياجاته كل من يتمكن عليه .

غير ان القضية وراء ذلك بمراحل ووراء ما يقال من تنازع البقاء لنيل حاجة القوى من الضعيف و ان اهم بواعثها الشره المحض و التعدى الممقوت و كلاهذين الباعثين ليسا من نتائج الاحتياج وانما هما حرص وطمع و انانية لا يشوبها شيء من المنطق والعمدة من بين كافة هذه الدواعي هي الانانية النافذة الى ابعد حد والا فاما محصول البيض من احتقار السود و تعدى الغربي مع ما هو عليه من نعيم وسعادة على الشرقي البائس كما لا محصول ايضاً من ازدياد الفارسي للعربي وبالعكس وهلم الى آخر سلسلة المنافسات السمجة التي اشرنا اليها .

ومن الغريب جداً ان يجيء العصر الحاضر على ما فيه من عقول واجهت الواقع وجهاً لوجه وعرفت غث الكون والكونيات من سميتها وحذفت عن الدنيا اغلب فضولها الذي كان يعد من سنن الكون ومن جملة الحقائق حتى في نظر فريق من علماء الماضي مؤيداً - فكرة الانحياز والعنصرية فيرى العربي انه يجب ان يكون عربياً قبل اي شيء آخر من لوازم الروح والجسد وهكذا التركي والفارسي الى آخر ما خلق الله ويرى العقائد والاخلاق امرين تابعين للمزاج العنصري لانهما متبوعان و هذا من غلط التفكير بمكان لعلم الجميع ان البشر ومهما كان في بدء نشوءه فهو بالآخرة يتصاعد الى سلالة واحدة ويملك اجهزة متماثلة في الانتاج فالحمى و السامى فرعان من اصل واحد و عقول الشرقيين والغربيين من واهب فذلّم يفاوت بين واحد و آخر في مادة الهبة ولا يكاد يؤثر على هذا المعنى تجزء هذه الكليات الى افراد منتشرة في طول الكون وعرضه وليس الماء والتراب بماهما ماء وتراب من المؤثرات على صميم

الحقيقة قطعاً؛ غايته ان جودة المناخ وردائه تعدان من جملة الاقترانات التي تقترن بحياة الكائن الحي فربما ساعدته على تقدمه ونضجه واعتباطه وربما تقهقرت به عن اصل الاعتدال الذي فطر عليه وهذا كله عرض لا يمس بجوهر الحقيقة .

اذن فعالم العقائد والاخلاق عالم بحياته يتصل بالعقول بماهى عقول فالمبدأ العلمى والخلق الفاضل لا يفاوتان فى مادتهما بين الابيض والاسود والغربى والشرقى والعربى والفارسى اذ لا غرض لهما فى هذا التحيزو ليس هو من شأنهما بالمرّة والى هذا دعت الاديان السماوية فانها استهدفت الجميع بالدعوة الى رمز العدالة واحقاق الحقوق والنظامن الاجتماعى وكل خلق فاضل وذلك الرمز هو - الله - محور دعوة الرسل والانبياء والمثاليين .

واما تحزب الاسرائيليين لموسى وحده والغربيين لعيسى فقط وجهلة المسلمين لمحمد دون غيره من الانبياء فهو خلق عواطفهم ولا تمت الى الواقع بصلة كما ان تنديد كل ديانة بقبيلها تنديد فارغ منشوء حب الامتياز لا الاصحاح بالحقيقة حتى انك لترى مالك احد الاناثين من مصنع واحد ومادة واحدة يفتش على مزايا و لو وهمية لانه حتى يميزه على الاناء الاخر؛ وقد اصحح القرآن الكريم من بين كافة الكتب المنسوبة للسماء الموجودة اليوم بالنص الذى عبرنا عنه فقال (الاية ٢٨٥ من سورة البقرة) آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا تفرق بين احدهم رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير .

وهذا المعنى من حسنات دين الاسلام بما لا يوجد فى دين سواه ؛ ولا يريد بالاسلام كلام من نزعات المنتسبين اليه بل يريد به الدين الذى كان على عهد مشرعه ديناً له ولا يتباعه . ونحن الان بصدد تركيز هذا المبدأ على قواعد المنطق ليكون فريضة على العقول كلها وليكون دين الحياة والاحياء باسره فنتقول كليات دين الاسلام هي ما يدور على محور .

(١) التوحيد .

(٢) والاعتراف بالعدل والقيام به .

- (٣) ومساواة الجميع امام القانون .
- (٤) ونزع القشر الطبقاتى وتوحيد العناصر امام الدعوة والغاء فوارق الانساب والالوان .
- (٥) وتساوى الحقوق بين الافراد
- (٦) والقضاء على الفقر والخنوع .
- (٧) وتحديد المكاسب ونتائجها وتعديل الثروة من طريقها .
- (٨) واحترام العلائق المشروعة .
- (٩) والزجر عن المفسد والتشديد فى اقامة الحد عليها .
- (١٠) والغاء التوسيط فى اتجاه العبد نحو المعبود .
- (١١) وترويج العلم الى أبعد حد .
- (١٢) والدعوة الى الاعتدال فى كل شىء على الاخص فى القصد المعيشى .
- (١٣) وتحريم الظلم والانحياز الى الظالم .
- وفى إطار هذه الكليات تنطوى مضامين نفيسة لها قيمتها فى تسيير المجتمع على النخطة العادلة بما لا وجود له فى كافة الأديان السماوية والقوانين الارضية بالشرح التالى .

(١ - التوحيد بالمبدأ)

ويراد به لزوم الاعتراف بكون مبدأ جميع الكائنات واحداً وهو اصلها الاصيل وباعث حلقاتها الى الوجود وهذا على اجماله اصل لا ينكره ذو شعور فى الكون وان تفاوتت الآراء فى تفسيره فمقصر منحرف يراه الاثير المزعوم و متوسع الى أبعد حدود الشذوذ كما يراه ابن تيمية وأصحابه لكن الحق لا هذا ولا ذلك : واما انه الشمس او القمر او الكوكب او النار او النور او ما الى ذلك من شتات الكونيات فهو جهل عار هو انحطاط فى العقل يرثى له واحسن معبر عن المبدأ الصحيح ما جاء فى جملة من آى الكتاب العزيز صريحاً فى مضمونه ظاهراً فى معناه مقبولاً للعقول الناضجة والموازن العلمية نظير هذه المقطعات (من الآيات ٩٥ وما بعدها من سورة الانعام) .

ان الله فالق الحب والنوى يخرج الحى من الميت ومخرج الميت من الحى ،
 فالق الاصباح وجعل الليل سكناً والشمس والقمر حسباناً وهو الذى جعل لكم النجوم
 لتبهتوا بها فى ظلمات البر والبحر / وهو الذى أنشأكم من نفس واحدة فمستقر
 ومستودع / وهو الذى انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شىء فاخرجنا منه
 خضراً نخرج منه حباً متراكباً ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من اعناب
 والزيتون والرمان مشتبهاً وغير متشابه / وجعلوا لله شركاء الجن وخلقهم وخرقوا له
 بنين وبنات بغير علم سبحانه وتعالى عما يصفون / يدعى السموات والارض انى يكون له
 ولد / ذلكم الله ربكم لا اله الا هو خالق كل شىء فاعبدوه / لا تدركه الابصار وهو يدرك
 الابصار وهو اللطيف الخبير / هذا نموذج قليل مما فى القرآن وفى السنة طوائف مهمة
 لتثبيت هذا الاصل من طريق العقل .

واما الرب الذى شوهته الديانات الاخرى الموجودة اليوم فليس هو الرب الذى
 دعا اليه الانبياء واعترفت به العقول واضطر اليه قبوله العيان الصريح ، وفى القرآن
 دليل واضح وتأكيد فاضح لما يقوله معاصروا نزوله من المنتسبين للدين السماوى
 يهوداً كانوا ام نصارى ام غير هذين الفريقين : ونظرة الى قوله تعالى (الاية ١٧٠ و
 ١٧١ من سورة النساء) يا اهل الكتاب لاتغفلوا فى دينكم ولا تقولوا على الله الا الحق
 انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه فآمنوا بالله
 ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم انما الله الواحد سبحانه ان يكون له ولد / لن يستنكف
 المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون / والى قوله تعالى (الاية ٢٠ من المائدة) ^{١٧٠}
 وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحبواؤه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر
 ممن خلق : تكفى فى طرد مزاعم القوم وتصحر بجلاء ان الاسلام دين الفطرة ولا منقذ
 للانبياء فيه .

والتوحيد بلونه الآنف فى القرآن وفى دين الاسلام طارد للشرك بجميع اقسامه
 كما ان التوحيد فى العقيدة يرمز فى هذا الدين الى التوحيد والتكاتف فى العمل و
 قد أعربت عنه نصوص جملة فى القرآن منها قوله (الاية ١٠٣/٣) واعتصموا بحبل الله

جميعاً ولا تفرقوا ، ولا ريب ان المطاف اذا كان واحداً و المحور فذاً جاء المجتمع كتلة واحدة يطوفون حول هدف واحد ولا ينقسمون على أنفسهم الا اذا تعاكست الجهات وتعدد المحور الذى يدورون حواليه: وفي الانقسام ما فيه .

(٢- العدل)

واما العدل وتأصله فى دين الاسلام فهو الاعتقاد بان المبدأ الفياض الذى صدر عنه شتات ما فى الكون لا تحيز فيه الى طرف من الكونيات دون طرف فهو فى كل نوع من انواع المخلوقات أفادما وهبه اياه هبة متساوية الحصص فى افراده منماثلة النتائج فى الانتاج ، والشذوذ فى الخلقة احياناً لا يهدم الكلية المتحدت عنها : و فى القرآن آيات تنص على هذا المعنى : منها (الآية ٨ من سورة الروم) اولم يتفكروا فى انفسهم ما خلق الله السموات والارض وما بينهما الا بالحق (والآية ٧ من سورة السجدة) الذى احسن كل شىء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين (والآية ٣٨ و ٣٩ من سورة الدخان) وما خلقنا السموات والارض وما بينهما لاعين : ما خلقناهما الا بالحق (والآية ٢١ و ٢٠ من سورة الجاثية) ام حسب الذين اجترحوا السيئات ان نجعلهم كالذين آمنوا و عملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون : وخلق الله السموات والارض بالحق ولنجزى كل نفس بما كسبت وهم لا يظلمون : الى غير ذلك مما هو كثير .

والعدل اصولاً قوام طبيعة اى شىء يفرض لان الانحراف عن نقطته يفضى الى واحد من طرفى الافراط والتفريط : ونتيجة كل منهما الانهيار المحتم ولذاك شامت بمنظرة الانسان فى دنياه لما انجرف وضعه عن الوسط فى كل ما يمت اليه وتذبذب الى واحد من جانبيه التقصير والاسفاف ، ومن الغريب ان كل فرد من افراد الكون ذاق وبال امره من هذا التلوى المزعج ، ومع ذلك نراه اذا اراد الانتقال عنه لم ينتقل الا الى الطرف المعوج الآخر : و كم سأم المتهتك من تهتكه واسترذل نفسه من اجله و احب ان يرى شخصه متيناً وقوراً فاهابت به غريزته الانحرافية الى التزمت و اليبوسة فلم يقلع من ذنب حتى وقع فى ذنب يعاذه فى انتاج السوء .

وقد ألهم الإسلام في أفراد روح العدل والانصاف والاتزان والاعتدال جهداً مستطاع القول والعمل فأثر في البيئات الإسلامية أثراً له قيمته وثمنه وعزذت وقعه تعاليم أهل البيت عليهم السلام فكان يوجد في كل قطر وجيل أفراد مرموقون في حلية التخلق باخلاق الله وعباده المخلصين .

ولم ينهدم ما بقي قائماً من هذه المعالم العالية الا بعد أن ضاقت المادية و الأللحاد الجاف أبناء الدنيا و سيقوا الى الكفر بكل المبادئ الفاضلة سوقاً إجبارياً بعوامل شتى ادت بالخلق الفاضل ان يعود واضحوكة بين الناس يسخرون منه وينددون به و يهرجون وراء صاحبه صياحاً و نعيقاً حتى ادى به توحش الوضع ان ينبحر في بيته و ينكمش في زوايا الخمول ، و ان يحتسب وجوده و حياته عند الله فيموت تأثراً و لا يعود يخلفه في طريقته من شاهد هذه الظاهرة الكالحة و الطلعة الشوماء ، اما اقوال الإسلام في ذلك فأيات و روايات لها حظها من التجليل و التبجيل منها قوله تعالى (الاية ٣ من سورة النساء) فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع فان خفتم ان لاتعدلوا فواحدة ؛ وقوله (الاية ٢٨ من السورة المزبورة) يا ايها الذين آمنوا لاتأكلوا اموالكم بينكم بالباطل الا ان تكون تجارة عن تراض منكم ؛ وقوله (الاية ٥٧ من السورة الانفة) ان الله يامركم ان تؤدوا الامانات الى اهلها و اذا حكمتم بين الناس ان تحكموا بالعدل ؛ الى غير ذلك وهو كثير .

و اما اعمال الإسلام القائمة بالعدل المطلق فنظرة استعراضية لا فعال النبي صلى الله عليه و آله و سلم و على (ع) و الاجلة من تلاميذ مكتبتهما توقفك على ما لا يحصيه كتاب من مجالى الخير و المعروف و العدل و الانصاف بل و الايثار و ما به هذا المختصر ان يقوم بقليل من ذلك فضلاً عن كثيره .

(٣ - المساواة امام القانون)

صرح القرآن وفقاً للطبيعة بان السخية البشرية من نوع واحد لعنصر واحد (هو الذى خلقكم من طين : ٦/٢) وهو الذى انشأكم من نفس واحدة : ٦/٩٨ :

يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى : ٤٩/١٣ : ومن لازم ذلك ان يكون القانون للجميع واحداً وان الناس في قبالة سواسية لا يفرقون : وكتبنا عليهم فيها النفس بالنفس والعين بالعين والانف بالانف والاذن بالاذن والسن بالسن والجروح قصاص : ٥/٤٨ : و لم يتعاطم على وحدة القانون نبي ولا وصى بل كانا في ذلك للسائرين قدوة كما قال تعالى : لكم في رسول الله اسوة : ٣٣/٢١ : واما مبهرجات الغلاة فبدع خلقتها الحماقة او السياسة للفض من مكانة الدين وتفريق اهله شعباً : وما محمد الرسول : ٣/٤٤ : قل انما اتا بشر مثلكم : ١٨/١١١ : والكرامة الاخروية على ميزان الجهود المبذولة في سبيل الله وصالح عباده امروراء القانون التشريعي لاقامة النظام : قال علي عليه السلام لعبدالله بن زمعة ان هذا المال ليس لي ولالك و انما هرفىء للمسلمين وجلب اسياهم فان شر كنهم في حربهم كان لك مثل حظهم والافجناة ايديهم لا تكون لغير افواهم : وقال علي عليه السلام ايضاً في فصل آخر : ان حكمه في اهل السماء والارض لواحد وما بين الله وبين احد من خلقه هوادة في اباحة حمى حرمه على العالمين : وعن النبي صلى الله عليه وآله : انه قال انا و امرءة سفعاء الخدين كهاتين يوم القيامة و اوماً بالوسطى والسبابة : وفي المعجزة النبوية المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسمى بذمتهم ادناهم : وقد اشعر الله نبيه صلى الله عليه وآله ان يصحر للناس عن هويته في المجتمع حتى لا يفر ببعظته مقامه الافراد فقال : قل لا اقول لكم عندي خزائن الله و لا اعلم الغيب و لا اقول لكم انى ملك ان اتبع الا ما يوحى الى ٦٥٠ .

(٤ - نزع القشر الطبقاتي)

واما نزع القشر الطبقاتي وتوحيد العناصر امام الدعوة والغاء فوارق الانساب والالوان فقد اجمع الى جماع ذلك كله قوله تعالى (يا ايها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيراً منهم ولا نساء من نساء عسى ان يكن خيراً منهن : ٤٩/١١) : و : يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عند الله اتقاكم : ٤٩/١٣ : انما المؤمنون اخوة : ٤٩/١٠ : وخطب النبي (ص) الناس

يوم فتح مكة فقال يا ايها الناس ان الله قد اذهب عنكم عيبة (١) الجاهلية وتعاضمها
بآبائها فالناس رجالان برتقى كريم على الله وفاجر شقى هين على الله والناس بنو آدم
وخلق الله آدم من تراب : وقال ﷺ المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً
وشبك بين اصابعه : وقال ﷺ كلكم ابناء آدم طف الصاع لم تملؤه لافضل لعربي
على عجمي الا بالتقوى :

هذا كله و الذي سبق عليه من سنن الطبيعة و كنوز العقول الموهوبة و ليس
الاسلام بمبتدع امرأ و راء ذلك و لكن فضله فيه كفضل من فلا الطبيعة و توغل في اسرارها
فجاء بالمعجب العجيب كشفاً و اختراعاً و الا فالجميع كائن و حاصل و المرحلة الاولى
اشد خفاء و اليق بالاحتفاء من المرحلة الاخرى فان طلسم تفاوت الطبقات و الانساب
و الالوان بقي كما هو حتى عند مكتشفى الذرة و نافثى الصاروخ و مرسلى السفينة الى
الفضاء لمانراه من احتقار بيضهم لسودهم و امتياز الاشراف بانفسهم عن سواهم و هلم
دو اليك في كافة شؤون الامتيازات الطبقاتية الدارجة في اجد عهد للحضارة .

اما الاسلام فقد كانت اولى نزعاته تحطيم هذه المباني الظالمة و لقد حظى في
دولته الاحلاف و الموالى و الجالون و ممن يتسميهم الناس عبداً من طريق الكمال المعنوى
بأقصى ما يحاول انسان ذو آباء و امهات و غطرسة بياضه و جماله و ماله و عشائره و ذخائره
و اعداده المادى فسمى سلمان المجهول المستعبد الجالى سلمان المحمدى و سلمان
الخير و سلمان منا اهل البيت و انه احد السباق الاربعة و هكذا فعل بصهيب الرومى
و عمار حليف مخزوم و بلال الحبشى و بمقدار ما شاد من اقدارهم حط من كيان طواغيت
القبائل المعتزين باعراض و اهية و صور شكلية فاقدة لشوب الجوهريات .

هذا عصر النور و عصر النمدن و عصر الذهب و الذرة و الصاروخ و السفينة الفضائية
و عصر جامعة المثل و منشور حقوق البشر و ارقى عهود الحرية فيما يقال و عصر الكلبيات
و الجامعات للساعة التى نحن فيها لم يستطع ان يسخف فكرة اللون فهوىرى البيض
فوق السود و فوق اى لون آخر و لافكرة ابن الحاضرة و البادية و ان المدينة لافضل
لها على القرية اذا كان منتج الاثنى شيئاً واحداً و لافكرة الاشراف و طبقة العمال

وان الفريق الاول اذالم يجلب الشرف الى نفسه بالكمال الروحي فهو انما يزد على الثاني ببراقعه الشفاف وثوابه الحريرية الرفافة وقصره الشامخ البنيان ولا فكرة المتمول على غير المتمول ولا صاحب الرتب الحكومية على فاقدها وبالجملة هو يدعى الحرية ولا وجود لها عنده الا بشبح ضئيل لا يشف عن خير ورائه .

ولا يوجد على ظهر الكرة من يدعى المساواة بين شعوبه الا المرام الشيوعى و نظامه ولا الحرية المتبسطة الانوع دول الغرب الكبار الحامية لنفسها والقائمة بشؤون التمدن لافرادها و كلا الفريقين منحرف ضال ومنافق دجال .

اما المرام الشيوعى فاقصى ما يعرفه السلب والاغارة و خنق الاصوات و كبت العواطف و حكومة الارهاب و اشهار السيوف الحمراء و الاستبداد الماحق . واما الدول الرأسمالية المتحررة فيوجد فيها من حرية التصرف الشيء الكثير الا ان عيوب التفاوت الطبقاتى و امتيازات العناصر و رتبة الشرف بميزان الاعراض النافهة فيها اكثر و قضية السود و البيض فيها لا تنكرو فيها من الهمجية و الوحشية ما لا يعدو لايحصر .

اما الاسلام ففي حذفه لهذه الزوائد الانحرافية علماً و تحقيقه عملا مع ما هو فيه من المقارنات الزمانية و المكانية و الاحتفاقات الاخر فقد ابدع الى حدود الاعجاز يقيناً فان الدار التى تحقق فيها الغاء هذه الفوارق و الامتيازات هى جزيرة العرب مهبط الانانيات و التفاخر و التكاثر حتى بالتوافه فضلا عن الكماليات التى قد يعترف لها بشيء من القيمة و مسقط رأس حب الذات و التعاليات الفارغة و الكبرياء الممقوت و ما جزرت الحروب اهلها جزر الغنم الاعلى حساب هذه المكائنة و المهاترة .

و الزمان الذى ولدت فيه هذه الفكرة كان زماناً اكثر اتجاره باسترقاق البيض للسود و بيعهم فى الاسواق بيع الحمير و كان فيه التفاوت الطبقاتى على حساب الآباء و الامهات و الاموال و السلاح و الكراع بالغاً اقصى غاياته .

و الخلق الذى انبثت فيه هذه الفكرة هو الوحش الضارى الذى لا يعرف للمعنويات اى ثمن ولا يعتبر امثال هذه الفكر الاجنونا مطبقاً و يعد الاصحار بها من هذيان المجانين .

والباعث لهذه الفكرة انسان من هؤلاء في محيطهم وزمانهم وفصائلهم العشائرية ولم يك انساناً خارجاً عنهم في ذلك جالياً عليهم من امة اخرى او ارض منقطعة عن ارضهم كما لم يك عالماً في نفسه ولا متعلماً من انسان سواه اذ لا مظنة للتعليم والتعلم في ارض اهلها بالمائة مائة عاميون لم تنسرب اليهم من خارج محيطهم فكرة ولا صنعة : و الدليل عليه ان مكة ام القرى هي اعرف بلد في بلدانهم واقدس مكان في زمانهم بل هي الصفوة في كل شىء من اشياءهم وهي هذه التي نتحدث عنها - اقامت قيامة الانكار في وجه النبي محمد ﷺ و آذته جهداً المستطاع ونفته الى الشعب عدة سنين و طارده مطاردة عنيفة لم تبق عليه ولم تذر ولم تؤمن بفكرته الا عام الفتح خوفاً من انتقاص قواه عليهم وذلك بعد واحد وعشرين سنة من نهضته بدعوته و بعد حروب شعواء شنوها عليه مرة بعد مرة اكلت منهم ومنه ارواحاً لا يستهان بها .

بعث بهذه الفكرة لساناً و قام بها عملاً جاهراً فكان يندد بالصنم و عابده و بشرف المال و صاحبه و بالاباء و الامهات الفارغين الا من قعقة الالفاظ و بفوارق الانساب و العناصر و الالوان فهرع اليه المستضعفون من بنى آدم و قاومه الطغاة ولكنه مع فقدته لكافة الوسائل المادية قام بفكرته و قاوم بالفرم الراسخ و التصميم الجدى كل مقاومة و ووجه بكل اذية فقبل سلمان الفارسى و صهيباً الرومى و بلالاً الحبشى و عماراً حليف مخزوم قبل ان يقبل غيرهم من اهل العناوين و الالقاب و عد هؤلاء المنقطعين المستعبدين سباقاً الى الاسلام من عناصرهم و ممثلى الالوان و القوميات المنشعة على ظهر الكرة يومذاك : و جعل في طليعتهم علياً ذاك الشاب المقتبل العمر فقال السباق اربعة على من العرب و سلمان من الفرس و صهيب من الروم و بلال من الحبشة : و لم يكتف بهذا القول حتى سوّد علياً لسابقته و ذبه عن الاسلام على بنى عبدالمطلب و اخيراً جعله ابا لهذه الامة : و قرب سلمان حتى غبطه اجلة الصحابة على مقامه من نبى الاسلام : و اختص بلال مؤذناً حتى عرف بانه مؤذن رسول الله : و بهذه الموازين شخص عمار و ابوذر و خباب و مقداد و نظراؤهم و قد كان هذا الفريق من النكران و ضئالة السمة بمكان سحيق ولكنهم جاؤا بوسيلة هذا الداعى العظيم صدوراً في الامة

لهم كيانههم ومقامهم .

فهذا العمل الجبار قام به انسان منقطع لا يملك اهبة سوى عزمه الراسخ و تصميمه القاطع قبل اربعة عشر قرنا و حققه في الخارج قبل ان يموت بسنين و لم يكن عمر دعوته الا ثلاثاً و عشرين عاماً ذهب اكثرها ضحية النقي و التشريد و الازعاج والمطاردة .

وهذه الامم الجبارة اليوم على ما فيها من جوامع عالية و اساتذة كبار و حرية مرموقة و قوى هائلة لم تستطع ان تحقق لهذه المفاهيم العظيمة الشان اقل رسم و لا اسم بل نراها زادت في طنبور الجاهلية نغمات فاخذت تعد الوثبة على الضعيف لتستعبده نفساً و تستثمره مالا و تسعى السعى كله لتهدمها و تحكمها و تخريبها و تدميرها و افسادها للخلقة باسرها و اضاءة الاخلاق الحسنة كلها حتى احوالت دنيا البشرية الى بر كان صارخ يتموج بشروبه و اشراره و رذائله و ضلالاته و صاحت بالمجامع صيحة مشعرة بالتلف و الانهيار العام .

(٥- التساوى فى الحقوق)

واما تساوى الحقوق بين الافراد : ويراد به الاسهام للمسلمين فما يعود عليهم من نفع : فان الاسلام فى هذا الشأن ركز نظامه على مركز الحياة فاعتبر ان الحياة ذات وجهتين وجهة مادية تقوم بتجهيز الموجود الحى ليقطع اشواط عمره باستقامة و اعتدال و وجهة معنوية تعتبر المادة أعداداً لتحصيل الفضل و الكمال و ان الهدف و الغاية من نشأة الانسان و جهته المعنوية لا المادية لكن المادة وقعت فى طريق المعنى فكانت لزاماً من اجل ذلك : ومهما كان الطريق متسعاً معبداً فانه يكون اقرب فى الايصال الى المقصد و من اجل هذا منع الاسلام عن الرهبانية لانها اماتة للسعى و العمل و انجحار عن الفكر و الاعتبار و انزواء لا يثمر سوى الر كود و النخمود و طبعاً ليس المقصود من خلقة الانسان هو ذلك لانه خلاف المنطق .

كما حرم التكالب على تحصيل الحطام و التفانى فى سبيل الشهوات لانه يخلق

في الانسان ضراوة يعود معها حيواناً محضاً لا يعرف خيراً ولا شراً ولا فضيلة ولا رذيلة وهذه الضراوة تحطم الاجتماع و تحيله الى بر كان صارخ بحوادثه و خطوبه و قد برهنت دنيا المادة في جميع ادوارها على ذلك عملاً ومن جملتها هذه العصور والشواه و على هذا الاساس فقد جزأ الاسلام ثمن سعى المسلم الى عدة اجزاء ، خدمة النفس والعقيدة ، والاجرا الاخرى ، والمال المنقود ، فهو بخدمته لنفسه و عقيدة يرضى ضميره ، وبخدمته للدين العام القائم بالمصلحة العامة يرضى ربه ، و بأخذه بسهمه من المال يقيم صلبه ويعد حياته للسعى المتواصل في المستقبل .

وعلى هذه القاعدة المتر كزة لم يمش الاسلام في توزيعه المال بين افراده مشى من رأى ان المرء وايمانه، المرء وسابقته ، المرء وبلاءه، المرء وانتاجه، وان التسهيم يكون على حساب هذه القابليات : بل رأى ان المشى على حساب القابليات امر مقبول بل لا معنى للانحراف عنه في باده النظر الا ان تحقيق المطلب وراء ذلك لعلل جمة .

(١) ان الفضيلة متى لوحظ بها المال والوجهة المادية عادت متاجرة لا كسب كمال فهي اذن ليست قرينة للمادة وعن هذا الداعي قال تعالى ورضوان من الله اكبر .

(٢) ان الضرر الاقتصادي الذي يتوجه من مراعاة القابليات في التسهيم اكثر من النفع الملحوظ في ايجاد التوازن بين مقام ذي المصلحة وسهمه فاذا كانت عليا الطبقات تأخذ مقررها في الشهر مثل اثني عشر الف درهم ودنياها تأخذ مقررها في الشهر خمسمائة درهم او ما هو على هذا الملاك حيث يقال فلان يعد بالف رجل فان ذلك ينجر بعد مرور زمان الى تكديس الثروة في اماكن خاصة وشيوع الفقر المدقع في اكثر الافراد . بتوضيح ان أخذ الاثني عشر الفاً انما يتناول منها بلغته في الخرج وهي لا تزيد

على ربع مقرره او ثلثه و الباقي يفضل ذخيرة عنده اما صاحب الخمسمائة فهو حتى لو اقتصد لا يعود مكنتياً بها فيلنجا الى الاستدانة ليحجر قصور حاضره من حقوق مستقبله فلا يمر عليه من المستقبل شهور ثلاثة او اربعة الا وقد استنفد جميع ما يستحقه في الشهر القادم قبل ان يدخل الشهر القادم فالطبقة الدنيا وهي الاكثر لا يعود مشيها مع الحياة الاتقيرياً والطبقة العليا وهي الاقل تعود من خزان الاموال و كنوز الثروات الهائلة:

وهنا يحصل التفاوت الطبقاتي الفاحش: كما حصل في الزبير بن العوام وطلحة ونظيرهما من الذين كانوا يختزنون اموال المسلمين من طريق السابقة بشتى العناوين حتى أثروا اثراء هائلا وفي المسلمين يومذاك من كان في بؤس ماحق ومشقة مؤلمة في حياته. والتسليم على حساب القابليات اسسه عمر بن الخطاب وبعد مرور عدة سنين من هذا التأسيس التفت الى غفلته فيه حيث رأى من او عزنا اليهم قد اتسعت دائرة تملكهم اتساعاً مدهشاً ورأى الطبقات الدنيا من المسلمين صفر الا كف معوزين من كل شيء فصمم على تغيير خطئه لكن اجله لم يمهل: وجاءت نوبة عثمان بن عفان وفيها كان الخطب الفادح في التبعض والتفاوت ومن هذه الفجوة اخذ وقتل.

ولما جاء دور علي عليه السلام ابطال كل هذا وذاك وقسم الحقوق بالسوية واحال اهل السوابق والفضائل الى ما عده الله للمتقين: ومن بعض مقاله (ع) في ذلك: أأمروني ان اطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه والله لا اطوره ما سمر سمير وما من نجم في السماء نجماً ولو كان المال لي لسويت بينهم فكيف وانما المال مال الله: وانما ذهب علي ضحية هذه المساواة المشروعة التي لم ترق في عين طلحة والزبير ومئات نظائرهم بعد ما اكلوا الدنيا بخافقها فقاموا في وجهه يشيرون القلائل عليه حتى امتلأت حياة علي عليه السلام بالحوادث السود ولولا انه بطل من اعظم ابطال الوجود لتهاقت في اوائل ايامه ولكن استمرت سنه الخمس لبطولته واجتماع اشده.

(٣) ان توقع صاحب الفضيلة من المال اذا كان بميزان فضيلته فقد هدم الدين الذي يسعى لتأييده وابطل وسائل ترقيه ووقف في سبيل تقدمه لان غمار الناس لا يزنون الحياة والمعنويات الا بميزان المادة لنبوهم عن معرفة غيرها فاذا تكدر المال في اصحاب السوابق والفضائل شغل الجانب الاخر وبقى علي بعده عن الدين من كان بعيداً: ومن هنا شرع رسول الله مسألة التأليف وجعل للمؤلفة قلوبهم سهماً وافرأفي اموال المسلمين ليكسر من شرهم على الدين واهله ويقلل من شر استهم ويقرب بهم الى منطقة الحق والانضمام الى حوزته: ودونك الحديث التالي.

قال ابن سعد في الطبقات. وهو يتحدث عن اموال هوازن وغنائمها - واعطى المؤلفة

قلوبهم اول الناس فأعطى ابا سفيان بن حرب اربعين اوقية ومائة من الابل قال ابى يزيد قال اعطوه اربعين اوقية ومائة من الابل قال ابى معاوية قال اعطوه اربعين اوقية ومائة من الابل واعطى حكيم بن حزام مائة من الابل ثم سأله مائة اخرى فأعطاه اياها واعطى نصير بن كلدة مائة من الابل واعطى اسيد بن جارية الثقفى مائة من الابل واعطى العلاء بن حارثة الثقفى خمسين بعيراً واعطى مخزومة بن نوفل خمسين بعيراً واعطى الحارث بن هشام مائة من الابل واعطى سعيد بن يربوع خمسين من الابل واعطى صفوان بن أمية مائة من الابل واعطى قيس بن عمرو مائة من الابل واعطى حويطب بن عبد العزى مائة من الابل واعطى هشام بن عمرو العامرى خمسين من الابل واعطى الاقرع بن حابس التميمى مائة من الابل واعطى عيينة بن حصن مائة من الابل واعطى مالك بن عوف مائة من الابل ويقال خمسين - الى ان يقول هو وغيره - ان قائلاً قال لرسول الله من اصحابه يا رسول الله اعطيت عيينة بن حصن والاقرع بن حابس مائة مائة وكرت جعيل بن سراقه الضمرى فقال رسول الله من انا والذى نفس محمد بيده لجعيل بن سراقه خير من طلاع (١) الارض كلهم مثل عيينة بن حصن والاقرع بن حابس ولكنى تألفتهما ليسلما ووكلت جعيل بن سراقه الى اسلامه .

و عن ابى سعيد الخدرى قال لما اعطى رسول الله (ص) ما اعطى من تلك العطايا فى قريش وفى قبائل العرب ولم يكن فى الانصار منها شيء وجد هذا الحى من الانصار فى انفسهم حتى كثرت منهم القالة وحتى قال قائلهم لقدلقى رسول الله قومه فدخل عليه سعد بن عبادة فقال يا رسول الله ان هذا الحى من الانصار قد وجدوا عليك فى انفسهم لما صنعت فى هذا الفىء الذى اصبحت قسمت فى قومك واعطيت عطايا فى قبائل العرب ولم يك فى هذا الحى من الانصار منها شيء قال فأين انت من ذلك يا سعد قال يا رسول الله ما انا الامن قومى قال فاجمع لى قومك فى هذه الحظيرة قال فخرج سعد فجمع الانصار فى تلك الحظيرة فلما اجتمعوا له اتاه سعد فقال قد اجتمع لك هذا الحى من الانصار فاتاهم رسول الله ﷺ فحمد الله واثنى عليه بما هو اهله ثم قال يا معشر الانصار

(١) طلاع الارض ما يملؤها ويطنح عليها .

ماقاله بلغثنى عنكم وموجدة وجدتموها على فى انفسكم الم آتكم ضللا فهداكم الله
وعالة فأغناكم الله واعداء فألف الله بين قلوبكم قالوا بلى الله ورسوله أمن وأفضل ثم قال
الاتجيبوننى يا معشر الانصار قالوا بماذا نجيبك يا رسول الله لله ولرسوله المن والفضل
قال ﷺ اما والله لو شئتم لقلتم ولصدقتم و صدقتم اتينا مكذبا فصدقناك و مخذولا
فنصرناك وطريدا فأويناك وعائلا فأسيناك أوجدتم يا معشر الانصار فى انفسكم فى
لعاعة (١) من الدنيا تألفت بها قوماً ليسلموا وو كلتكم الى اسلامكم الاترضون يا معشر
الانصار ان يذهب الناس بالشاء والبعير وترجعوا برسول الله الى رحالكم فوالذى نفس
محمد بيده لولا الهجرة لكنت امرء من الانصار ولوسلك الناس شعباً وسلكت الانصار
شعباً لسلكت شعب الانصار اللهم ارحم الانصار وابناء الانصار وابناء ابناء الانصار قال
فبكى القوم حتى اخضلو الحاهم وقالوا رضينا برسول الله قسماً وحظاً .

(٦- القضاء على الفقر والخنوع)

واما القضاء على الفقر والخنوع فقد أعد الإسلام له اهبة من عدة نواحي [أ]
فقرض الزكوة على اهم محاصيل الناس [ب] والخمس من الغنائم عند كفاة المسلمين و
على الفوس والكنوز والمعادن وما زاد على مؤنة السنة من ارباح المكاسب عند الخاصة
بالخصوص [ج] والكفارات على تعدد مواضعها [د] و ردود المظالم [هـ] واللقطات
المجهولة المالك فى بعض شقوقها [و] وكل مجهول المالك من اى شىء يفرض [ز]
والصدقات المندوبة التى لاهمية ما ورد فيها من صاحب الشرع كاد يكون المتخلف
مسؤلاً عنها لربه [ح] وزكوة الابدان يوم عيد الفطر : وموارد سوى ذلك كثيرة وللإستشهاد
على بعض ذلك نذ كر ما يلى .

قال تعالى (الاية ٢ من سورة البقرة) فى وصف المتقين : ومما رزقناهم ينة تقون
(الاية ١٧٧ من سورة البقرة) من جملتها : وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى
والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكوة : (والآية

٢٥٤ من سورة البقرة) يا ايها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة : (والاية ٢٦١ و ٢٦٢ من السورة المزبورة) مثل الذين يتفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء : الذين يتفقون اموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما اتفقوا منها ولا اذى لهم اجرهم عند ربهم : وفي القرآن الكريم مئات من امثال هذه الآيات وفي السنة اضافة ذلك فلانظيل .

(٧- تحديد المكاسب)

واما تحديد المكاسب ونتائجها وتعديل الثروة من طريقها فقد اهتم به الاسلام غاية الاهتمام ورتب له عناوين متفرزة وفصولا متحاززة ذكر فيها المشروع من غيره وحبب الكسب المشروع لاهله غاية التحبيب حتى انه جعل الكد من عرق الجبين افضل من كل كسب يفرض وندب بغير المشروع تنديداً ما عليه مزيد : ولم يحرم الاسلام من المكاسب الا ما فيه غائلة اخلاقية تفسد الاجتماع وتخل بميزان النظام وقد عقد فقهاء الاسلام للمكاسب المحللة والمحرمة كتاباً بحيالها بسطوا فيها القول غاية البسط ولا يحتمل هذا المختصر الاجمال القول في الجميع .

فالاسلام يحرم كل استثمار يجيء من طريق الكسب بالنياحة الباطلة والهجاء والغناء والرقص وعموم المهويات والفش والتدليس والخيانة وتطيف المكايل والموازن والربا والسحر والشعبذة والعمل للظالم والرشوة والاجرة على الواجبات والزنا واللواط والمساحقة والقيادة ومن طريق الخمر وكل مسكرو ومن بيع العذرات والميتات وسائر الاعيان النجسة - الا ما استثنى - والاصنام والصلبان وما الى ذلك وما فيه اعانة على اثم وعدوان وبيع السلاح على اعداء الدين وزمرة مناوئيه بما يوجب الوهن بالحق والترفيه عن الباطل وبيع كل ما يوجب الضلال والاضلال واخذ جوائز السلطان الجائر في جملة من صوره والكهانة والقيافة والتنجيم وامور سوى ذلك لامجال لتفصيلها الان وملاكها الا اهم ما يوجب الفتنة والفساد والخلل في النظام والهضم من حقوق المستحقين واكل المال بالسفه والباطل .

والحلال عنده ما سوى ذلك مما يقوم بأمور معاش الناس وحفظ تعادلهم في البقاء ولا تترى في حلاله ما يوجب الحيف والاجحاف والاحتكار والاستثمار غير المشروع ولم تنكس الثروات في بني آدم قديماً وحديثاً إلا من طرقها غير المشروعة إذا المشروع لا منفذ فيه لضخامة المال بالحد الذي يرى في أكثر الخزائن : وأما الملكية الفردية التي تنازع فيها الناس فمثبت وناق فلا بد من الاعتراف بها لبداهة تقرردها في العقول من طريق المنطق الصائب . وذلك - هو ان اوضح نقطة تصور في تجردها عن كل شبهة هي نقطة اتعاب الانسان نفسه اذ لا يسترىب احد في ان اتعاب الانسان ومواهبه الفكرية واعماله الجسمية ملك خالص له لا تجوز مزاحمته عليه فكل مادة تستثمرها اتعاب الانسان بالعمل ومواهبه الفكرية بالفن فهي حق لكاسبها بلا مماناة فلو استخدمت هذه المادة في دجن الحيوانات وتنميتها والاستفادة من عوائدها وانتاجها او الخدمة عليها بر كوب وحرث ونحو ذلك او استخدمت في الزرع والغرس او في جهة اخرى من جهات الكسب الصحيح لكان ذلك عملاً مشروعاً - اولاً - ونما آتته ملكاً خالصاً لمستثمرها - ثانياً - والجملة المهمة من رؤس اموال الناس انما تكونت من الطريق الاثني نعم انما يعترىبها الرىب في دائرة توسعها وعدم مراعاة القانون الصحيح فيها فلو روعي في جريانها القانون لكانت كل الاموال خالصة من شوب الغصب والحرام وصدقة ان الشرع الاسلامي لا يعد المال الخلال المختلط بالحرام حلالاً بكله وله فيه احكام خاصة تتبع عناوينها من الغصب ومجهول المالك وما الى ذلك فالفكرة التي عليها الشيوعيون فكره خاطئة وانما نفذوها بحرارة السيف ليمثلوا خزائهم من اتعاب الناس ويصرفوها في مشترياتهم الخاصة وحفظ حكوماتهم المستبدة .

(٨- احترام العلائق المشروعة)

واما احترام العلائق المشروعة فيعده الاسلام من اعظم مقدساته ويعتبر صاحب العلاقة المشروعة سلطاناً على ماتحت يده ولذلك قال - الناس مسلطون على اموالهم - و - لا يحل مال امرئ مسلم الا عن طيب نفسه - و من قتل مظلوماً فقد جعلنا لوليه

سلطاناً - والطلاق بيد من اخذ بالساق - وعلى اليد ما اخذت حتى تؤدي : الى غير ذلك وهو كثير .

(٩- الزجر عن المفساد)

واما الزجر عن المفساد والنشد في اقامة الحد عليها فالاسلام فيه بلغ الغاية القصوى في حفظ حقوق الناس وحدودهم وحيثياتهم وحررياتهم ونواميسهم واعراضهم وبالاخرة بلغ الغاية في تطبيق النظام العام في حق العموم فحرم الزنا واللواط والسحق والقيادة والقمار وشرب الخمر والاطلاع على عورات الناس والسرقه و قطع الطريق والغيبة والبهتان والتجسس والنميمة والقاء الفتنة والقذف والشمم وكل ما يستلزم تعدياً على حقوق الاغيار و سلباً لحريةهم وتشويشاً في سبلهم واجتماعاتهم وما الى ذلك .

فقال تعالى (الاية ٢ من سورة النور) الزانية و الزانى فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفتان من المؤمنين .

وقال (الاية ٤ من السورة المز يورة) والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا باربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة ابداً و اولئك هم الفاسقون .

وقال (الاية ٢٧ من السورة السابقة) يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتاً غير بيوتكم حتى تستأذنوا وتسلموا على اهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون (٢٨) فان لم تجدوا فيها احداً فارجموا هو اذ كى لكم والله بما تعملون عليم .

وقال (الاية ٣٠ وما بعدها من سورة النور ايضاً) قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك اذ كى لهم : وقل للمؤمنات يغضن من ابصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن - الى ان يقول تعالى - ولا يضربن بارجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن .

و قال (الاية ٥٩ من سورة النور) واذا بلغ الاطفال منكم الحلم فليستأذنوا
 كما استأذن الذين من قبلهم كذلك يبين الله لكم آياته والله عليم حكيم .
 و قال (الاية ٣٢ من سورة الاسراء) ولا تقربوا الزنا انه كان فاحشة وساء
 سبيلا وقال (الاية ٤١ من سورة المائدة) والسارق والسارقة فاقطعوا ايديهما جزاء
 بما كسبا نكالا من الله .

و قال (الاية ٣٦ من السورة المزبورة) انما جزاء الذين يحاربون الله و
 رسوله و يسمون فى الارض فساداً ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع ايديهم و ارجلهم
 من خلاف او ينفوا من الارض ذلك لهم خزي فى الدنيا ولهم فى الآخرة عذاب عظيم .
 وقال (الاية ١١ وما بعدها من سورة الحجرات) و لاتنازروا بالا لقاب بئس
 الاسم الفسوق بعد الايمان : يا ايها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ان بعض
 الظن اثم و لا تجسسوا و لا يغتب بعضكم بعضاً أوجب احدكم ان يأكل لحم اخيه
 ميتاً فكرهتموه .

وقال (الاية ١ من سورة الهمزة) ويل لكل همزة لمزة : وقال (الاية ١٠ و ١١
 من سورة القلم) ولا تطع كل خلاف مهين هما مشاء بنميم : وقال (الاية ١٩١ من سورة
 البقرة) والفتنة اشد من القتل .

وقال (الاية ٣٥ من سورة المائدة) : من اجل ذلك كتبنا على بنى اسرائيل
 انه من قتل نفساً بغير نفس او فساد فى الارض فكانما قتل الناس جميعاً ومن احياها
 فكانما احياى الناس جميعاً : وآيات الكتاب و احاديث السنة فى هذه الابواب
 كثيرة لا تحصى .

١٥ - حذف الوسائط فى توجه العبد الى المعبود

واما ان العبد فى توجهه الى ربه لا يحتاج الى توسط احد من عباده فهو من
 صميم الاسلام و ما الوسائط الا عباد مخلوقون نظير الباقين و محتاجون الى المبدأ
 احتياج السائرين والذي يكون من الانسان اقرب اليه من جبل وريده لا يكون معه

مجال للغير وحديث الوساطة خلقه الغلو في كافة الأديان والمذاهب على الأخص في دين النصرانية الذي بلغ في التوسيط أن جعل الله في طرف سحيق عن عباده وعلى العبد أن يطوى مراحل شاسعة من الخورى والشماس والقيس الى غير هؤلاء حتى يحتمل في حقه أن ينصل بربه الذى خلقه كل ذلك للحيازة على المنصب والجاه واستغلال المال. واما نبي الاسلام والاعاظم من اهل بيته والاجلة من اصحابه فقد أصحروا قولا و عملا صارماً بلزوم الفناء في الله مهما امكن من طريق العبادات الصادقة و التوجهات الخالصة وجاءوا في الخفاء والملاينة من اعبد خلق الله و ازهدهم في حطام الدنيا ولم يدعوا يوماً من ايام الله بانهم وسائط بين العبد والمعبود لا ينال القرب من الله الا بتوسطهم ولا يمكن الوصلة به الا من طريقهم :

واما حديث الشفاعة فانه مقبول في حدود خاصة و تحت شرائط معينة لا على ارساله كما عليه نوع العوام وقد جاء في القرآن تكذيب ما هم عليه ونقضه بصورة لا مدخل فيها للاحتمال.

فقال تعالى (الآية ١٦ من سورة ق) ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد: وقال (الآية ١٨٦ من سورة البقرة) واذا سألك عبادى عنى فانى قريب اجيب دعوة الداعى اذا دعانى : وقال (الآية ٢٥٥ من سورة البقرة) من ذا الذى يشفع عنده الا بأذنه : و(الآية ٣/١٠) يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه : و(الآية ١٨/٤٠) ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع : و(الآية ٤٤/٣٩) قل لله الشفاعة جميعاً : و (الآية ٤٨/٢) واتقوا يوماً لا تجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها شفاعة : و(الآية ٢٥٤/٢) من قبل أن يأتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة : و (الآية ١٩/٨٨) لا يملكون الشفاعة الا من اتخذ عند الله عهداً : الى غير ذلك وهو كثير صريح في مفاده واما الذى اتخذ عند الله عهداً فلانعرفه بشخصه والملاك الذى يعقل معه اتخاذ العهد لا مصداق له فى الخارج الا فيمن يعرفه الله نفسه بالاستحقاق و اللياقة على ان هذا المصداق لا تكون منه الشفاعة الا حيث يرضاها الله منه فكم فى ذلك من حدود ضيقة وشروط صعبة وملاكات لم تتضح لنا تفصيلاً : وعلى كل حال فهى ليست كما يلو كها العوام

ويعنون انفسهم بالاستلزام ذلك ابطال اصل التكليف.

(١١ - ترويج العلم الى ابعد حد)

واما ترويج العلم الى ابعد حد فالاسلام فيه هدم كل الحواجز التي نصبها الدجالون ليستغلوا من وراء جهل الجاهل وجوده و كل ما ينطوي عليه : فقال تعالى (الآية ٩/ ٣٩) قل هل يستوى الذين يعلمون و الذين لا يعلمون انما يتذكروا لولا الاباب : و (الآية ٣٥/ ٢٨) انما يخشى الله من عباده العلماء : و (الآية ٢٩/ ٤٣) وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون : الى غير ذلك وهو كثير في الكتاب والسنة والاسلام هو الذي خلق من الامم العامة الرامية في الجهل الى ابعد حد بتصوير المحدثين والمفسرين والفقهاء والمتكلمين الى سائر العلوم من شعب بصورتها مدهشة وان المعاجم الكبرى لتعجز عن ضبط اسمائهم وانواع معارفهم ومؤلفاتهم والحركة العلمية التي قاموا بها والمدارس التي بنوها والخزائن التي ملؤها باسفار العلم والحكمة والناثيرات التي اثرها على المحيط في كل زمان ومكان : هذا هو كله من بعض نتائج الاسلام في ترويج العلم واهله .

(١٢ - الدعوة الى الاعتدال)

واما الدعوة الى الاعتدال في كل شيء خصوصاً في التصد المعيشي فقد اهاب بها الاسلام ليكسر من شرقة النطرس والتكبر والاندفاع الى الافراط الماحق والتفريط الشائن في كل شيء على الاخص عالم المعيشة التي تدور على محورها الحياة : فقال (الآية ١٧/ ٣٧) ولا تمش في الارض مرحاً انك لن تخرق الارض ولن تبلغ الجبال طولا : و (الآية ١٨ و ١٩/ ٣١) ولا تصرخدك للناس ولا تمش في الارض مرحاً ان الله لا يحب كل مختال فخور : واقصد في مشيك واغضض من صوتك : و (الآية ١٧/ ٢٩) ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً : الى ما سوى ذلك وهو كثير .

(١٣) - تحريم الظلم والانحياز الى الظالم

واما تحريم الظلم والانحياز الى الظالم ووجوب قطع الصلة به فلا اسلام فيه موافق تكبيرها الانسانية وعموم بنى الانسان فكل انواع الظلم الفردى والاجتماعى حرام فى دين الاسلام قل ام كثر ظهرا م بطن مع الانسان او الحيوان بل كل ما تجاوز حدود المنطق فهو عبث و سفه عنده يفند عليه و يؤخذ به ويلام على فعله و لو كان طرف الانسان تراباً او حجارة .

وادب الاسلام ذويه بهذا الادب الراقى حتى انتجت مدرسته امثال على (ع) حين يقول والله لئن أبيت على حسك السعدان مسهدا أو أجر فى الاغلال مصفداً احب الى من انلقى الله ورسوله يوم القيامة ظالماً لبعض العباد وغاصباً لشيء من العظام : و ابي عبدالله الصادق حين يقول لبعض الشيعة و قد سأله فقال له اصلحك الله انه ربما اصاب الرجل منا الضيق او الشدة فيدعى الى الهناء بينه والنهر يكرهه او المسناة يصلحها فما تقول فى ذلك فقال ابو عبدالله ما أحب انى عقدت لهم - يعنى امراء الجور - عقدة او وكيت لهم و كاء وان لى ما بين لا يتبها لا ولا مدة بقلم ان اعوان الظلمة يوم القيامة فى سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد : والاصل فى هذا الاتناج قول الله فى كتابه (الاية ١٠/٥٤) ولو ان لكل نفس ظلمت ما فى الارض لافتدت به و اسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون (والاية ٤٧/٣٩) ولو ان للذين ظلموا ما فى الارض جميعاً ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة وبدالهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون (والاية ١١٤/١١) ولاتركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من اولياء ثم لاتنصرون .

ولا بدع اذا قال الله و قال اولياؤه بذلك فان العدل كرسى الحياة و مع الظلم تعود الحياة وبالاعلى الاحياء ويكون الموت خيراً منها يقيناً والفرق بين الحياة المنظمة والحياة التى يتمنى معها الموت شيء كثير جداً : هذا وما اشعرنا به آتفاً هو كلييات الدين الاسلامى تتبعها نقاط مهمة يجب ان نلم بها لانها اصبحت ما بين الدينين والمتمدنين

نقطة نزاع فنقول تحت عنوان : قالوا ونقول .

من المهازل انصافاً ما يقوله اعداء الاسلام في حقه وحق نبيه انه ركز نفسه بالسيف ودعا الى الاعداد من القوة جهد المستطاع وهو خلاف ما توحى به العقول الصحيحة وما تدعوه اليه من السلام العام . .

وهي دعوى بالاراجيف اشبه منها بالنظر الواقعي فان دين الاسلام لم يك من بدء حياة زعيمه الى نهايتها رامياً الى التغلب والتحكيم على الناس ونيل السيادة فيهم والنفوذ عليهم وانما كان دعوة حرة من ناهض حراً استنكف للانسانية معاهليه الانسان من روح متفطرة ونفس منحطة وضمير منافق وباطن منجهم وحر كاتر عناء شوهت منظره الحياة و ارخست سوق الاحياء واطلمت من الانسان حيواناً ضارياً تشمئز النفوس من منظره وتنقبض القلوب من ممارسته ولم يقعد في كسر بيته قابلاً بالخمول يبصب الى ما يجري في الكون من انحراف هائل وتذبذب باهت من دون أن يبدى امامه استنكاراً ومن معارفه البناءة نوراً يغمر به ذاك الحلك الدامس و الجهل العارم فهو لقا بلياته الجبارة هذه بل لتفانيه في سبيل الحق واحساسه من نفسه النبوغ الرامي الى ابعاد غاية تتصور اهاب بالكون حتى مآج على جنباته وصاح فيه صيحة نذير مشفق ومبشر غير مأبوس وعالج بمفرده دنيا من الاندفاعات المدمرة فقاومها كما يقاوم الجبل الراسخ زعازع الصراصر ولم يعدد لذلك من قوة سوى تصميمه الذي لا يشظى بالعوامل المخيفة وايمانه بمعارفه ومبادئه وحبه للانسان والانسانية وللخلق الفاضل والشيم الراقية وبيانه الشجاج الذي غالب به كافة الناس فغلبهم بقوة المنطق وهيمنة الحججة وتحدى الدنيا بأبرها فلم يستطع ان يقارعه انسان و كان الانانيون من كافة العناصر والمذاهب يترصدون به نقطة الضعف فلا يجدونها وبكنا به المناقضة والمقابلة فلا يستطيعونها ولو وجدوا واستطاعوا قالوا وأطالوا ولكن العجز قعد بهم كما قعد المأجورون المرموزون من متفيهي هذا الزمان لعجزهم أمامه .

ان يكن قرآن محمد (ص) من تلقيقه و ليس بوحي اوحى به اليه فهو من اول ايامه دعا الناس الى أن يأتوا بسورة من مثله ومعنى التحدى ازعاج للطرف فلم

انخذل عن المعارضة كل بنى آدم منذ ذلك اليوم الى هذا اليوم فما الذى أعيا
البابا والكردينال والقسيس وما الذى اعجز الخطباء المصارع والعرب المتشدين وما
الذى اسكت نامة الكتاب المرموقين والشعراء المجيدين وما الذى أحمدا اساتذة
الجامعات وشيوخ اهل الادب فان ميدان المعارضة كان ولا يزال واسعاً ان كان هناك
من يجيدها .

وهانحن ننزل بالاعتراف لكل طاعن يريد فصل محمد عن السماء و تقول له
هب ان محمداً كان يقرؤ ويكتب وفوق ذلك انه ما انفصل ساعة عن ممارسة الفلاسفة
المتحشئين وعن دراسة الكتب سماويها وارضيتها وعن ملازمة الدير والرهبان والقسس
وعن كل مظنة تعطى فائدة وتأتى بعائدة وانه لذلك استطاع من طريق اختفائه
فى غار حراء ان يؤلف القرآن ويخرجه الى الناس بوضعه الفعلى وبزته الحاضرة و
لكن كيف قعد عن تحديه الفلاسفة واهل الكتاب والرهبان والقسس وكيف انقطع عنه
الدكاترة فى الادب واللغة وكيف أخرس عن جوابه اللسئون المتشدقون نعم أقعدهم
وقطعهم وأخرسهم بالعيان المكشوف ومن شاء فليتقدم وهذا هو الاعجاز فى حال ان
عوالم البشرية لا اعجاز فيها من نفسها بضرورة العيان .

فكم فيلسوف بارى فيلسوفاً فساواه او غلبه وكم خطيب جاول خطيباً فمائله او
زاد عليه وكم شاعر نازل شاعراً فجاء بمثل شعره او اربى عليه وهلم دوا اليك اذن فيكفى
صدق محمد ﷺ فى دعواه اعجازه للبشرية كلها على انه بضرورة التاريخ ما كان
يقرأ ولا يكتب ولا التقى بفيلسوف ولا تلمذ على قسيس ولا دخل ديراً ولا عرف الرهبة
الى غير ذلك من هذا ونظيره .

ولكن المبدأ اختار محمداً لتبليغ رسالة السماء لما انطوى عليه محمد ﷺ
من نبوغ قهار وتصميم قاطع وهمة عالية وضمير طاهر وروح اقوى من الحديد و جلد
يطيح بسم الجبال ولا يتشظى وعن هذه الروح تحدى الدنيا كلها من صادقوه من عاداه
بكلمته الوحيدة : والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى شمالى لما انقطعت عما
اناراصد ولا انشيت عن هدفى الذى اليه اهدف ومقصدى الذى اليه أقصد: و مثل هذا

التصميم يمزق جلود النمر ولا يتمزق وتتكهم له حدود السيوف ولا يتثلّم ولولا هذا وذاك لما اجترأ ان يتحرك من مكانه قيد شعرة لانه يفقد كل جهاز به يثور الثائر فلا قوة سلاح ولا خزائن مال ولا اعمام ولا اخوال يساندونه ويدعمون صرخته ولا اتباع بهم ان يشيدوه او يمدوه الا قليل ليس به تأمين مقصد ولا توطيد أساس محكم كل هذا بضرورة العيان لم يكن والكائن منه كما اشرنا اليه طفيف في قبال غايته العظمى وهدفه الاسمى فهو ~~الذي~~ لما اعذر الى الخلق زماناً طويلاً لا يقل عن ثلاثة عشر عاماً ولم يحصل منه على اقل طائل وجد كما يجد كل محق لزوم احقاق الحق وابطال الباطل بالقوة الهدامة البناء متى استطاع اليها سبيلاً .

ولا غرابة في كل ذلك فان الطعام والوخوش بعد أن تسدى اليهم بد الرحمة ما هو واجبها من اللطف والعطف ولا يعود يؤثر ذلك اقل اثر يسبب يزداد الجاهل على مزيد الدعوة عتوا وطغياناً وتمرداً وعصياناً واخلاداً الى الباطل لا يكون بد من قمع تغطره وتفرغ رأسه من هوى الكبر والعتو والطغيان لاصلاحه اولاً ولحفظ الانسانية من تعدياته ثانياً ولتعديل جنات الكون لاجل كل كائن له حق الحياة فيه ثالثاً و كل ذلك بدافع اقامة العدل والمعروف وازالة الباطل والمنكر عن مجامع الحياة والاحياء رابعاً .

نعم لما استطاع محمد الى القوة سبيلاً من طريق المخلصين له المتفانين في نشر دعوته وفي طليعتهم البطل المؤمن الذي تربى في حجره وتلمذ عليه تلمذاً اختصاصياً أمير المؤمنين على بن ابي طالب جرد السيف وجعل الجنة تحت اقدام الشهداء وحث على الجهاد بكل ترغيب صادق ورفع لوائه الخفاق وتقدم في صدر كتائبه لم يفرو ولم يتقاعس قط وعنه اخذ البطولة ابطاله المر موقون حتى ان بطل الاجيال علياً كان يقول كلما اشتد البأس لذنا برسول الله - فعل كل ذلك ولم يتعاش عنه لان الحق من دون قوة تسنده اوهن بين الناس من بيت العنكبوت واقل شاهد لذلك أنه ~~قال~~ رأى بعينه كيف تغتصب المرأة الجميلة في حرم الله بالعسف والقهر لان حمايتها يضعفون عن مقاومة الجبارين وكيف تؤكل الحقوق بالباطل علناً في الحرم الذي يأمن فيه الطير ولا يستطيع صاحب

الحق ان يدفع عن نفسه ورأى كيف يغلب الاحرار على انفسهم ويتخذون عبيداً فى بيوت الاقوياء ومتى شأوا باعوهم بشمن بخس ازهد ما يكونون بهم : رأى عليه السلام ذلك واضعافاً مثله كما رأى غيره الاضعاف المضاعفة مما هو اشد وانكى فلا جرم اذا صح من دون مغالاة قول القائل .

لا يسلم الشرف الرفيع من الاذى حتى يراق على جوانبه الدم

ان العقوبات حادها وخفيها لا بد من تطبيقها على مواقع الجريمة حتى لا يتقل كابوس الحياة على الضعفاء : اذن فمحمد ان سل سيفه فلتر كيز العدالة الاجتماعية بين الناس ولتحكيم المباني الفاضلة فى المجامع البشرية ولم يحاول بذلك غطرسة ولا اثره والالما قال هاضماً لنفسه انما انا ابن امرءة من العرب كانت تأكل القديد انا واحد منكم لولا النبوة - وددت ان اكون واحداً منكم لولا الهجرة - يقول ذلك للانصار - ولما مات عن لاشيء ولما عاش وهو بعد حجر المجاعة لبطنه : هذا هو محمد بن عبدالله وليس هو بخت نصر ولا الاسكندر المقدونى ولا جنكيز ولا تيمور ولا نين ولا هنتر . هو ابو الفضائل والفواضل ابو الرحمة والعاطفة ابو الانسانية والبشرية جمعاء صدق كلمة الرسل قبله ودعا الى الحق الذى دعوا اليه وتضمنى للانسان كل خير وسعادة : ولو ان الاسلام الذى جاء به محمد ص وتدرع به الصحابة الذين خلق فيهم روح النشاط والفتوة والايمان والعلم والحكمة والعدالة والمعروف والانسانية مشى به المسلمون كما جاء و كما طبق عملا سنين عديدة فى كل عصورهم لأكلوا الدنيا بخافقها راضين مرضيين ولنضع لهم عقل كل عاقل وقلب كل ذى قلب .

ولكن ياللاسف على الاهواء المردية والميول المغوية والنزعات الفاسدة والمقاصد الشخصية والانذفاعات التعسية كيف جاءت بدموته ص تخفف من حدتهم وتفكك بين جماعتهم وتقلل من ايمانهم حتى ذابوا فى القرن العشرين بالمرّة فجاءوا من حيث القوة اوهن من بيت المنكبوت ومن حيث التشتت اضيع من قوم سبأ ومن جهة الايمان المبدأى اشد الحاداً بالدين من هواة دارون ومن جهة الشرف اهن من لاشيء زعيمهم عميل ورئيسهم اجيروهم فى طريقهم الى التلاشى بل اريب الا أن يشاء الله خلاف ذلك .

وينبذ الجدد الدين الاسلامى بانه جوز الرق من طريق الغنيمة فى حال ان البشرية تعتبر ذلك مقياساً اعلامن الوحشية لكنه انتقاد باهت ودجل مفتضح نعم جوز الاسلام الرق من طريق الغنيمة فى المعارك التى تقوم للقضاء على الشرك والوثنية و بعبارة اخصر للتنديد بالحيونة الجافة والمادية السوداء فان كل مبارز للحق ناهض عليه هادم لمباني الانسانية مصر على انبيار الجامعة مؤيد لحكومة الباطل راغب فى تمشية المفسد مقيم لسوق الرذائل مطيح بالفضائل والفواضل لا قيمة لدمه اصلا فضلا عن استرقاقه ومن هذا الطريق حكم الشرع الاسلامى بنجاسة المشركين طرداً لهم عن الاجتماع المركز على التقوى والفضيلة القائمتين بالدين فقط فان فاقد المبدأ لا يفترق عن البهيمة الضارية فى انه الى اين امتدت يده وضعها عليه ولو كان محطة شهواته امه فى النواميس وحق اخيه الشقيق فى الاموال والحقوق وهلم دوا اليك .

نعم يبقى الاشكال فى سراية الرق فى اعقابه اذا طاعوا الحق و مالوا اليه و عملوا به وفى المسترق ايضاً اذا اعتدل وتاب ودان للحق واناب وهذا قد ندب الشارع المقدس الاسلامى الى تحريره فى مواطن عديدة وصور كثيرة وجعل اعتناق الرقاب من افضل الاعمال وخصص لشرائه واعتناقه زاوية كبيرة من بيت مال المسلمين و مراجعة ابواب الفقه فى شتات فصوله تغنيان عن الاسهاب فى هذا الباب : يقول المتجدد هذا وازقى افراده يبارز السود لسوادهم والضعفاء لضعفهم ويلع عليهم بالاستعمار الماحق والاذلال المرهق والعبث بمصالحهم والعبث فى كافة شؤونهم ولا اصدق من العيان شاهد على ذلك فان تحكم الامم الراقية فى الضعاف من بنى آدم اليوم مما اثار عاطفة كل انسان غيور فقام يناهض بيدنه العارى اسراب الصواريخ المبيدة جزعاً من حياته واحرازاً لحرية ان استطاع اليها سبيلا والاسلام فضلاء ندى به المسلمين لتحرير الارقاء بشنى اساليب الدعوة الى عتقهم لم يتسفل بهم ولم يحتقرهم فجعل العبد كالمولى فى اهم معالى الحياة ومجالى العيش الصحيح وصف الجميع فى صف واحد وربما فضل العبد بتقاء على سيده و مولاه وكم حكم السود والعبيد فى الدول الاسلامية حتى وصل بعضهم الى درجة السلطنة فان هذا مما عليه التجدد والمتجددون .

وينبذ الجدد الدين الاسلامى ايضا بانه فاوت بين الرجل والمرأة واوجب عليها التصون وهو يرى ان ذلك من الانقراض فى الوحشية ونحن قبل كل شىء نعرض كلمة الاسلام الراهنة فى حق المرأة ونقول قال الاسلام فى زمان توعد فيه البنات - الجنة تحت اقدام الامهات - وهى كلمة قد ضربت مقياسها الاعلا فى الفضيلة وتقدير المرأة الصالحة التى هى ام الاجتماع البشرى على من سواها تلك المرأة التى عرفت صلاحيتها وقامت بوظيفتها الملقاة على عاتقها من طريق الطبيعة فضلا عن الدين و بعبارة أخصر تلك الام التى انجبت اولادها وربت افراخها تربية ناجحة لمستقبل الجميع لان تلك التى اخذت تخفبها النزوات وهى طفلة غريرة واتخذت هذا الالتواء فى السير طريقة لها حتى شبت ثم أيستوقعت ثم شاخت وهرمت فكانت نعمة على ابويها و بلاءاً افتتن به الشبان والكهول والشيوخ و بالاخير كانت و ذرة متعفة فى الهيكل البشرى : ان الاسلام و كل عاقل لا يعرف هاته المستنقعات الاعاراً على الوجود و دنسا فى ثوب الانسانيه التقي .

ان الطبيعة التى يحترم المتجددون نوا ميسها فى كل ما هب ودب هى التى فاضلت بين الصنفين فخصصت كل صنف بمواثر لا توجد فى الآخر ولهنه الامتيازات فى الخلقة خواص طبيعية ليس بالمقدور حذفها او ترتيب اضدادها مكانها فكل من حدثك بلزوم المساواة بينهما فقد حدثك لو شعرت بايقاع المقارنة بين طبيعتين متفرقتين وهذا المعنى يجب ان يجحده الطبيعيون قبل رجال الدين لان رجال الدين يزنون الجنبه الاجتماعيه قبل كل جنبه سواها اما الطبيعيون وهم اولئك الذى ميزوا بين العناصر حتى الخفيف الطفيف منها وسجلوا لكل منها احوالا وشؤناً خاصة فكما حكموا على كل فصيلة من فصائل الخلايا القائمة ببنيان الجسم الطبيعى باحكام خاصة اوحتبها الطبيعة نفسها فليحكموا على الاناث التى امتازت بمجموعاتها الخلوية عن الذكران بما فى محوطة اجسامهم من خلايا خاصة هى غير خلايا الاناث بالاحكام الطبيعية الخاصة و كلها مسطورة فى الابحاث الفيزيولوجية الحيوانية بسطاً مسهباً وهكذا فليحكم علماء النفس الجدد و علماء التشريح و غيرهم من العلماء الطبيعيين والرياضيين باحكامهم التى دونوها

للأشياء على ميزان الطبيعة التي هم مقيدون بها أكثر من غيرهم .
ولنلو عن الفن جانباً وتقبل على وجداننا الذي لا يفارقنا لحظة واحدة فهل ترى
المرءة نفسها غير ريحانة طرية قد أعدت للاستشمام والاستمتاع قطعاً لا تعرف نفسها بغير
هذه المعرفة ولذلك تصرف همتها في كل أوقاتها لمطالعة الأزياء الجديدة و الأقمشة
المستحدثة وانواع الزينة الجالبة وكل ما يقوم بتطرية البدن وتحسين الوجه وتلطيف
الحر كات والسكنات وهواية عرض ذلك على كل احد و هذه الروح المندلعة على
شراش وجودها مبعوثة عن اعماق نفسها الطبيعية وليس ما وصفناه شعار واحدة او اثنتين
من النساء بل شعار كل امرأة في الدنيا حتى العجائز : وليست هذه الروح بمجلوبة الى
هذا الصنف بالتصنع ولكنها روح طبيعية تفعل فعلها القهار من دون مخايرة .

اذن فالمرءة ريحانة وليست بقهرمانه بحكم الطبيعة وهذا الشذوذ الذي تواجهه
الطبيعة من مواليدها ليس باول شذوذ شاهدته منهم فقد حكمت الطبيعة ان الافيون سم
ما حق وبرهن الوجود الخارجي عملاً عليه ومع ذلك ترى ابناء الطبيعة يتهافتون على
تناول هذه السموم وهلم دوايك نظير ذلك وما اكثره :

فيجب على المتجدد الاعتراف بانه شاذ في مادعا اليه لانه عالم اجتماع فيما قال
او عالم نفس ومربي جيل : هذا وكل ما واجهته المرءة في دنياها من اعنات الرجال
بها آتفاً وحاضراً في بعض الاصقاع فهو خلاف الدين خلاف الحق خلاف الطبيعة
والانصاف : اما الدين فكما اعتبر المرءة ريحانة في طبيعتها فقد حكم لها بما هو من شأن
الرياحين من حسن المعاهدة وطيب المعاشرة ونزاهة الاستمتاع وما الى ذلك ولم يفرض
عليها حتى ارضاع ولدها لو ابت ارضاعه واوجب لها النفقة بما يليق بشأنها كائنات من
كان الزوج في فقره وغناه .

نعم لما جاء الطبيعي عملاً كافراً حتى بالطبيعة جاء يغالط مجتمعه الذي تولى
تثقيفه وتأديبه فتراه في الصف يحاضر في علوم النفس و الاجتماع والسياسة الشريفة
والعدالة الاجتماعية وما يوجب حفظ البشر يقويهم من لها حقوقها اللازمة ويقوم بسعادتها
التامة ولكنه لا يبارح موقفه من مواجهة التلاميذ حال التعليم الى خارج هذا الحد

الأوجاء المفسد الهاتك لحيثية المجتمع الما حق للحق والعدل الاجتماعى فلم يكثر اللواط والزنا والسحق والقيادة وعب المسكرات وتناول سموم الافيون وانتشار الربا وخنق الحقوق وشيوع الرشا وتعدى القوى على الضعيف الامن طريقه وعلى يده وليس وراء العيان الذى لمسه كافة سكان الارض شاهد على ما قرءنا بعضاً منه وسكتنا عن الباقي تأديباً .

اذن فالدين لم يخصص الرجل بمميزات حذفها من المرأة الا لصالحها فقد اوجب الاسلام الجهاد على الرجال المجتمعى الاشد واعفى النساء منه لان القابلية الجسمية والفرائز الروحية فى الرجل تمضغ هذه الوظيفة بقوة الساعد والعضلات والنشاط العصبى وغريزة الجرأة والمقاومة والشجاعة فيه نوعاً واما المرأة فهى فى غالبها لا تملك من هذه الاعدادات لاقليلاً ولا كثيراً .

ولم يخصص الرجل بالتقرالى طلب العلم الا لانه لامزاحم له على ناموسه فى الاعم الاغلب والمرءة مظنة المزاحمات الناموسية فى كل زمان ومكان؛ واما اللواتى يسافرن حيث اردن اليوم فجيلهن لا يعرف للناموس معنى ولا للغة مفهوماً بعد ان اباح وجود المرأة للعابر والمستطرق بلا عقد ولا شرط؛ واما انه جعل سهم الرجل ضعف الانثى فى الموارث فلان المرأة غالباً تعيش الى جنب من يعول بها من آب او زوج او ولد والرجل فى الاعم هو العائل فمن الحق ان يسمن سهمه ويوفر عليه حقه وهاته المطالب من مسلمات العقول والمناقش فيها هازل لا يؤمن قلبه بما يقول لسانه .

اذن فمحاولة ايقاع التعادل بين الصنفين فى جميع وجوهه كمحاولة ايقاع المساواة فى اللوازم الطبيعية بينهما غلط واضح ومن المستحيل ان ينتج القياس الفاسد نتيجة صحيحة لهذا ولذا نجد الحيوانة ضاربة اطنا بها على محيط البشرية ونرى كل انسان متفلاً على حده الذى هوله فلم تصبح المرأة ربة بيت ولا اما لطفل ولا عميدة اسرة كما لم يصبح الرجل اباً ولا زوجاً ولا مستشاراً يرجع الى رأيه بل جاء الناس اوزاعاً لاناظم لهم ولا يعرفون سوى تأمين الشهوة وافرغها من اى طريق أمن لهم ذلك وهذه ظاهرة العنصر الحاضر الذى كفر بكل شىء حتى بالمحسوسات والوجدانيات :

أما الدين فقد ادب أهله بآداب عادت عليهم بالبركات التي لاتعد ولا تحصى فقد كان الإنسان المتدين يخاف من خاطرة الزنا إذا جالت في ذهنه و من خيال اللواط إذا توهمه و من شبح الخطيئة إذا انتصب لفكره فكان الجيد المؤمن راضياً مقتبلاً بما هو فيه وهذا الأدب الراقى مستحيل الحصول من طريق التجدد وما يسمى بالثقافة الزمنية .

إن لهيمنة الإيمان على النفوس أثراً قهراً في توجيه الإنسان المؤمن في حال أنا نرى فاقد الإيمان ومهما حصل على شهادات راقية من جوامع الدنيا جلفاً أو قريباً منه مستهتراً أو مستخفاً لصاً أو شبيه لص جاهل الحركات قليل الأناة : و لم تجس أعلامنا بفرض فرضنا وما هي انعكاسات أعطاها الواقع الملموس من نفسه فصورناها على رقعة القرطاس كما هي .

وأما إن الإسلام أسند الإمامة والقيام بشؤون الناس إلى الرجال فلان المرأة تفل عن ذلك بطبيعتها ونحن يكفيننا عن الإطالة بياناً ما نراه عياناً .
وأما أنه أوجب عليها التصون فلان تعرى المرأة قرين تبذلها وهو بابها الذي يفضي بها إلى الانحراف ونحن نحيل بالترجمة عن هذا الموضوع إلى ما يعبر عنه الخارج نفسه نعم خفف كل هذه الحركات النابية وازاح العار عنها تعارف الناس في عصر الحضارات كما يقال - لها بل اعتقادهم بوجود نيل الوطر من أي باب أفضى إليه فلا قبح عندهم في كل ما يقال له قبيح لافي الأعراض وحدها بل في كل صفات النفس وعندهم إن كل ما قاله الأخلاقيون ويقولونه المثلون سفسة تقف أمام الميول النفسية لاعتقاد معتقولي في نظرهم : إذن فهم والإنسان على طرفي نقيض في المبادئ والمفاهيم والقيم المعنوية : هذا من ناحية المنطق العام .

وأما القرآن فقد حدد موقف المؤمنين والمؤمنات بقوله (الآية ٣٠ وما بعدها من سورة النور) قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهم : وقل للمؤمنات يغضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن ولا يبدن زينتهن إلا ما ظهر منها ولا يضربن بخمرهن على جيوبهن - حتى يقول - ولا يضربن بارجلهن

ليعلم ما يخفين من زينتهن: واما السنة فيكفى منها قول الحجة : ان ذنى العينين النظر: ولا يستكثر على الاقلام المأجورة من متجددى المسلمين أن يطيحوا بكرامة المرأة المسلمة بعد ان شارطوا الاجانب على الاطاحة بكرامة الاسلام نفسه لكن هلم الخطب فيمن نصب نفسه لتمثيل الاسلام ثم جاء يساند هؤلاء المـأجورين زاعماً ان الاسلام دين انطلاق حتى فى هذه الموارد مجتهداً فى قبال نص صريح : نعم ان الزمان دار دورته ونال بغيته حيث أهيت الموازين العلمية بيد اهلها واندثر الواقعيون بدثور امسهم الغابر .

واما انه اجازتعدد الأزواج للزوج الواحد وجعل حق الطلاق بيده فالمقضية بيان وشرائط وليست هى على ارسالها. اما تعدد الأزواج للرجل الواحد فجوازهم فى الاسلام مبين على شروط .

- (١) ان تكون عند الرجل قدرة مادية يتمكن بها من القيام بحقوقهن طبق شؤونهن
 - (٢) ان يعدل بينهن وان خاف ان لا يعدل فواحدة .
 - (٣) رضاه كل زوجة فى حينها بالازدواج منه فالزوجة الثانية ومن بعدها برضاء منهن اقدمن على الاقتران به واما الاولى فما يمنعها عن الاصاخة بعد ان توضع فى حقلها اللازم لها وتستوفى حقوقها كاملة فان المرأة كما اسلفنا ربحانة وحقها على الزوج حق الرياحين على غارسها من السهر على صالحها والقيام بواجبها واما نخوة الاستبداد والاستئثار فلا قيمة لها فى سوق المنطق : و كل ما اشكل به المشكلون على جواز التعدد ناشىء عما يرونه من تخلف الكثيرين عن القيام بالوظيفة المحتمة و هذا الاشكال لا يختص تحقيقاً بهذا الفريق بل يعم اغلب الافراد فى نوع شؤونهم الاجتماعية فانه قل ان يوجد قائم بوظيفته فاعل لواجبه مطيع للامر المتعلق به معط للحق من نفسه بلافاتوت فى هذا الملاك بين الملك والسوقة فى جميع شؤون الحياة : اذن فلا اشكال على القانون فى حد ذاته ولاعلى مقنن القانون مع تلك المقدمات المأخوذة.
- اما الدواعى التى تهيب بالرجل ان يتزوج اكثر من واحدة فهو تصور فى امور: الغلظة الجنسية فيه بحيث لاتقوم الواحدة يبلغته : كون زوجته فروكاً لاتحب مباشرة

الرجل : ابتلاؤها بمرض مزمن او نحافة جسم يزعان عن مباشرتها : وما الى ذلك : وهذه الدواعي معقولة عند المتجددين وانما يقبحون بزعمهم التعدد للتنوع بالشهوة الجنسية والتفكه بذلك وما استقبحوه ليس بقبيح فان جملة من اللاتي يرضين بالشرك يحاولن من وراء ارضاء النفس تيسر المعيشة المفقودة لديهن فيقدمن على الشرك لذلك كما تقدم الشابة المعوزة على التزوج بكبير السن الذي يقوم بواجبها المادى وهو امر معقول لاحتيازة فيه .

اما المتجدد الذي ينمى على المتدينين هذه الخطة فهو ان ضم في بيته زوجة واحدة فقد اطلق سراح نفسه قبل زواجه وبعده الى قضاء من نيل أوطاره غير مضبوط الحدود ولو ان تطرفاته غير المشروعة تحصي عليه لزادت على المئات وهى التى تهيب بزوجه ايضاً ان تطارد الشبان نظير مطاردة زوجها للشواب وهذه الفائلة مفقودة بالمرّة بين المتدينين وقد رتب الاسلام عليها شد العقوبات .

واصولاً ان دعاة التحريم باللون الذى صبغوه به انما حاولوا من وراء نيل ذلك بغيتهم كما يشتهون بلا عقد ولا شرط وما هذه الفواحش الخارجة عن حدود الاحصاء اليوم الا نتيجة هذه الاغواءات يفتك بها الشباب من طريق المغازلة وادعاء العشق بادئاً فاذا قضوا منهن وطراً سببوهن الى هذا الاهمال المحزن فهذه الخطط العوجاء عند المتجدد من الثقافة فيما يرام : اما تعدد الازواج للزوج الواحد بشرطه السالف فمحمذور كبير عنده .

واما العلة فى اصل تشريع الطلاق فهى لمرعاة الحوادث التى تقترن بعد الازدواج بحياة الزوجين بما تجبرهما على المفارقة لامحالة ولولا شريعة الطلاق لعاشا معلقين لا المرأة ذات بعل ولا الرجل ذا زوجة وهو اضرار كبير لا يتحمل .

ومن الغلط محاولة جعل الطلاق بيد الزوجة او برضاء الطرفين وبدون ذلك لا يشرع كما يقولون فان عين الاشكال الذى يوردونه على جعل الطلاق بيد الزوج وارد على تصويرهم هذا عند جعلهم الطلاق حقاً بيد الزوجة فكما ان الميول تدفع ذاك الى ان يطلق اعتباراً تدفع هذه الى ذلك ايضاً : واما حراز رضاء الطرفين فى صحته فهو

بالأخير حاصل ذلك لان الزوج اذا اجتوى الزوجة لا يدع يفرض وهكذا اذا اجتوت الزوجة زوجها كان من المستحيل بقاء عقدتهما على ما انعقدت عليه اولاً فان العواطف اذا لم تتبادل بين الطرفين عز بقاء الالفة بينهما ومتى حدث ذلك انتفت الزوجية اساساً وايجاد العلقة الواقعية ليس من الامور الاختيارية حتى يفرض عليه بالنفى والاثبات اذن فالطلاق ليس امراً تشريعياً مجعولاً بالافتراض وانما هو من جعل بالذات تبعاً لارتفاع الوثام اولعدم حصوله من اول الامر .

واما انه جعل الطلاق بيد من اخذ بالساق فقد جعل الالم منه بيد المرأة وهو عقد الزواج فقد جعل البالغة الرشيدة حرة في تزويج نفسها بمن تريد على ان دخالة اوليائها في ذلك لصالحها وتأمين مستقبلها حتى لا يعيث بها الدجالون الذين يدسون السم في العسل مضافاً الى ان سلطان الرجل في الطلاق ليس تاماً له في كافة الصور بل له محدوديات ان تمرد عليها قام الشرع مقامه اما الزواج الذي هو حق المرأة وبيدها فليس كذلك .

هذا والطلاق له مراتب في نظر الشرع فالطلاق المقصود به الاضرار بالزوجة حرام وودون ذلك مكروه مبغوض وانه لاشى عابث الى الله مندوفى الكتاب والسنة طوائف من الآيات البيّنات والروايات المفصلات قامت بتحليل هذه المواضع التى تكلمنا عنها ولا مجال للاطالة بعد تحقيق اصل الموضوع .

واما دين التجدد فهو فى الحقيقة فوضى لا محدودية معها وهانحن بشر القرن العشرين نلمس بكافة حواسنا ما عليه البشرية جمعاء من تهافت وتناقض على رغم تدوين منشور حقوق البشر وادعاء التنور الفائق فما نحن الا بين قوى متمرد وضعيف خانع وفاقد للوسيلة خاضع وختاماً بما ان عالم الروحانية هو الممثل الوحيد لعالم الاسلام وجب علينا ان نذيل الفصل الذى اسلفناه بالفصل الذى تلاحظه تالياً بعنوان : روحانية اليوم وامس وكيف يجب ان تكون غداً : فنقول :

(١) ماهى الروحانية .

(٢) وما هو مورد لزومها فى المجتمعات البشرية .

- (٣) بدء نشوعها .
- (٤) ما المقصود بها ومن هم رجالها .
- (٥) مادعوتها وكيف كان الدعاة اليها .
- (٦) مشيهم بأنفسهم آنفاً وحاضراً .
- (٧) مشى الزمان وبنى الانسان معهم سابقاً ولاحقاً .
- (٨) تأثيرهم في الدعوة وآثارهم في المجتمع .
- (٩) الروحانية في الماضي .
- (١٠) الروحانية في الحاضر .
- (١١) كيف يجب ان تكون في المستقبل .

(١ - ماهى الروحانية)

الروحانية كلمة قيلت وتقال على ما هو خارج المادة واشتقاقها من الروح العاقلة فمجالها الذى تنهادى فيه هو عالم العقول والافكار و الضمائر ولا تمت الى المادة السوداء باية صلة .

(٢ - ماهو مورد لزومها في المجتمعات البشرية)

مورد لزومها في الحياة العامة هو القيام بضبط الاحياء عموماً بجهد المستطاع لينصل كل موجود بحقه اللازم له وليرتفع النزاع بين الاحياء على حساب التغالب المادى ولترتاض النفوس العاقلة رياضة تتجاذب اليها المحاسن وتتباعدها عنها الرذائل ليحصل من ذلك اعتدال الحياة في عالم الاحياء الذى يدور محوره على الانسان .

(٣ - بدء نشوئها)

نشأت الروحانية العامة على محذب الكرة الارضية منذ نشأ الانسان عليها وكون له مجتمعاً ولم يعهد دور بشرى خلت ازمانه من وجود روحى يقوم بنشرها بين الافراد جهدهم استطاعه وتسلسلت مع الاجيال هابطة مرتوعة عالية اخرى حسب الملابس الزمنية واما روحانية الملائكة فهي على ما نطقت به الشرائع عريقة الى ما لا يعرف له حد .

(٤ - ما المقصود بها ومن هم رجالها)

المقصود بها حذف فضول الحيوان والكسر من شرته وتكوين بنية هداة الغريزي

و تعزيز جانب العقل وتقوية ما يوحى به الضمير حتى لا تثقل الحياة على الاحياء ولا تستشري ويلاتها المنعاً كسعة على حساب تنازع البقاء مرة وعلى حساب العنجهيات المعضة مرة اخرى وحتى يعود كل شيء مطابقاً للصورة التي يستطاع تمشيته عليها بما يتفق ولا يضر : واما رجالها فهم الانبياء المعظمون والعلماء العاملون والمثاليون الزهيون وكل من انتجته مدرسة هؤلاء المقدسين.

(٥ - مادعوتها وكيف كان الدعاة اليها)

جماع دعوتها رياضة النفوس على الطريقة المثلى والاخلاق الحسنى حتى يبني الجميع لسعادة انفسهم مدينتهم الفاضلة ويعيشوا في كنفها آمنين مطمئنين لا يشكون من اوضاعهم قليلاً ولا كثيراً : وقد أطال الكتاب والسنة القول في تشويق هذا العنوان وعلى مضمارهما سنن الفقيه والاخلاقى فكتبوا الكتب المبسوطة الحافلة بكل ما يقوم بمعاش الانسان ومعاده على آخر طرز حررته العقول الناضجة والافكار السديدة والضامير المؤمنة وطردت عن ساحتها البدع والاهواء والذمائم والرموز التي خلقها للمجتمع من اراد ان يعيش من طريق الانحراف والدجل والتدليس : وليس بوسعنا في هذه العجالة أن نسوق حتى النماذج عن وحي الشرائع فان المسلمين قاطبة بل وغيرهم ممن دعاه ليه الى التعرف بالحقائق لا يجهلون ما احتفى به القرآن بين دفتيه من تعاليم لها وزنها في العلوم التربوية والاجتماعية فضلا عن العقلية الفلسفية فممن سورة ولا آية لم تأخذ حظها البليغ من لغات النظر وطرح الصور الى ما فيه سعادة الفرد والمجتمع : وما اسف به مخربوا الاجتماع من المسائل الماحقة التي نهبت الاعمار وراء الاموال وأطاحت بالقيم المعنوية وراء العناوين المادية فأمر لم يدع اليه علم ناجع ولا نظر صائب بل السرف في الدعوة اليه هو افلات الناس من كل قيد و لا ريب ان الافلات عين التوحش ولا يستسيغ عاقل من الناس ان يعود بعد انسانيته وحشاً هاملاً يسرح لا الى مقصد و يندفع لا الى غاية .

وهلم القول فيما صح عن نبي الاسلام واهل بيته الاطياب من حديث وسنة فان الناظر اللبيب لا يجد نفسه بين مجتمع هاتيك الحقائق الا كما يجدها في احفل روضة

قدضمت الورد والريحان والنبع الطرى فى احضانها فلا ترى العين منها الا كل جميل ولا يستاف الا نف منها الا عطر شميم ولا يلمس منها الا كل عطف ولين وعلى مثل هذا :
واما ما يوجد من الاسفاف والخرافات النابية فى بعض مدونات الحديث فليس ذلك من الشريعة ولا من شارعها ولا من اهل بيته الذين عرفهم الدهر بكل فضيلة عالية وانما هو تزوير واختلاق دسهما اعداء الحقيقة للاطاحة بها وباهلها وكيف تأتلف الدرمة مع البعرة والسمين مع الهزيل ام كيف يختلط الحق بالباطل فان ما يقف عليه من جزالة الحديث النبوى الصحيح وفخامة السنة الواردة عن اهل البيت لا يشك معه فى تزوير الهنات التى دسها الدجالون فى الكتب الحديثية .

ولا ريب ان ما شرنا اليه من تيك الصور العالية لو طبقت على الحياة كما هى ملتقطة عن الواقع لرأى الناس الزمان والمكان والانسان بل وحتى الحيوان على غير ما يرونه الان من تبلبل وانحراف وسماجة ولرأوا كل ما يرونه بمرائيه البهية التى يعلق بها كل ناظر اليها ولمشت الحياة بالاحياء مشياً سجعاً لا تعترف به : لكن : يا للأسف لم يكن فى الخارج من ذلك شىء وان كان جميعه لمصلحة الجميع فان التحيزات الجنونية والانتهازات المرموزة اخذت تحيز بالفرد تلو الفرد لنيل رغبة ملعوننة لومشى بها صاحبها على الجادة لحصلها من طريق صحيح ولما اضر بالآخرين غير ان الانسان لم يتح له ان يعرف معنى نفسه وانه وجود ممتاز يستطيع بسهولة ان يحقق له مصيراً غير مصير الحيوانات الهاملة الرامية الى الضلال البعيد : كما يستطيع : ومهما كانت عقيدته فى الخلقة : ان يرى نفسه بالفعل انسانا اى موجوداً لاربط له بنحواصه بل بذاتيته وغرائزه بأى موجود سواء لكنه على الاخص لما شككه المشككون فى اصله وهويته راح لا يجد بينه وبين الحيوان الضارى اقل فارق وانه هو الذئب مثلاً فى سلاح آخرو اخذت هذه العقيدة تأخذ منه ما خذها القوى فبيننا تراه من ترقى مواهبه الصناعية جاء معجزة القرون تراه فى اخلاقه ساقطاً لدرجة مردولا للأبعد غاية متسفلاً بنفسه لالى نهاية بعيداً عن كل خير قريباً من كل شر وعاد لا يفترق فى هذه الروية الرعاء فليسوف وعامى وملك وسوقة . بل حتى سرت هذه الروح الموبوءة الى جملة

من الانتهازين وان طلوعوا بسيماء الروحيين فأخذوا يساندون كل جلف جاف ومخرب مدمروباً كلون . كما يقولون - الخبز بسعروفته حتى في العقائد والآراء الفلسفية المتأصلة - فكانوا رداء للظلمة واعواناً للخون قوشر كاء في الجريمة على مخلوقات الله .

وهكذا جال الدهر جولته فخلقت الرموز نمرود لابراهيم و فرعون لموسى واليهود لعيسى ووحوش الجاهلية لمحمد و معادية لعلى و يزيد للحسين و هلم مشياً على حلقات الزمان حتى يومنا الحاضر والمستقبل صورة تشاطر بمعناها ما سبقها من الصور التي عايناها ولمسناها : تيك هي دعوة الروحانية .

واما ما كان عليه دعائها فقد كانوا طاهرين من كل لوث بريئين من كل عاهة سالمين من كل مرض مخلصين اشد الاخلاص لله ولعباده لم تعلق بهم المطامع و لم تنشب بهم مخالب الرموز قاوموا كل عنف وعنف حتى غلبوه بالصبر والمقاومة وبارزوا الباطل و المبطلين الى ابعد حد ممكن حتى فجعوا في نهاية المطاف و ابدوا من البسالة ما لا يوجد حتى في المستميتين و بذلك فرضوا انفسهم على الوجود فرضاً لا يستطيع التشكك فيه حتى الملحد الجاد في الجاهد : و لقد قصر الله في كتابه قصصاً عالياً عن سيرتهم العاليتين و كيف ضحوا بانفسهم في سبيل المصلحة العامة .

و لقد ترصد علماءنا الا خيار المشى على هذه الخطط فكانوا فيها من اشد المثاليين : فقد كان الشيخ مرتضى الانصارى قدس سره على نيته لمقام المرجعية العليا وفيها من القدرة ما شهد به كل انسان في مرجع عصره الوحيد من ازهد الناس واورعهم واتقاهم لا يأخذ لنفسه من جزيل المال الملقى بين يديه الا ما يتبلغ به لضرورة رفقته و يصرف الجميع في مصارفة الحق حتى مات عن لاشيء بالضبط : وهكذا كان العلامة المقدس الشيخ محمد حسين الكاظمي فقد كان على جلالة قدره متقشفاً لأبعد حد مواساة لا فقر الناس وعلى هذا المنوال درج العلامة المقدس الشيخ محمد طه نجف والحاج آقارضا الهمداني صاحب مصباح العقيه وغيرهما :

و يعسر علينا تحقيقاً لم هذه الصور البارعة و تحلية هذا السفر بها والحق ان الرياضة التي ارتاض بها هذا الفريق المؤمن من اطول الشقق في الجهاد النفسى

ومغالبة الشهوات و كبت الميول :وقد جاء القرن العشرون : عصر التمدن والمعرفة و التنور فيما يقال عنه : نسخة معكوسة فيها الجرائم الشوهاء والاسئثار البغيض و الاستبداد الشائن والحيونة الساقطة حتى صار حديث اولئك الامائل فيه من اعاجيب القصص التي تروى .

(٦- مشى الدعاة بانفسهم آنفاً وحاضراً)

اسلفنا ان الروحانية اقترن وجودها بوجود جامعة البشر و لليوم لها بقاء ودعاة غير ان بين لوني الدعاية و سنخية الدعاة في الغابرو الحاضر فروقاً جمّة كانت سبباً لقوتها أمس و وهنّها اليوم و تلك الفروق هي ان النخبة الصالحة من رجال الدين في امسنا الدابر كانوا على درجة من المفاداة في طريق الحق -

لا تقلّ عما يضحى به الابى الفيور الشجاع في مقابل من يروم عرضه و ناموسه حيثينه و شرفه بسوء فكما أتت هذه المناهضات على الاباة بالمآتى المرة كذلك اتت مناهضات المتدينين على خصوم الدين بمآتى مرة على رجاله و زمرة أبطاله فقدعانوا لتمسكهم بالحق و انقياسهم في ممرارة كل شيء .

والذى يستعرض الواقع يرى من هذه الولايات و المآسى الشيء الكثير و مع ذلك فقد هضمه رجال الدين هضمًا عن رضاء بقضاء الله و أساغة عن رحابة نفس علماء منهم ان ذاك تحقيق للميثاق الذى أخذ عليهم في قبال تحملهم لابعاء هذه الرسائل فما استكانوا ولا وهنوا و كذلك فعل الاحرار قبلهم من انبياء عظام و اوصياء كرام فكانوا لهم اسوة .

اما وقد أجلب القرن العشرون بخيله و خيالاته و داروينيته و مار كسينته و شهواته و رغباته و ناهض شأن بقية العصور كل دين و متدين فهناك رأينا باحد اقنا كيف تنوبت تيك الصباية الباقية من الجيل الماضى فجاء اخلافهم بين من طفر من الميدان طفرة واحدة القى فيها بيزته و روحيته فجاء عارياً في ظاهره و باطنه و بين من داهن و دلس فلم يربأساً وهو من دعاة الدين كما يدعى ان ينضوى تحت راية مار كس و يشفع ذلك بصلافة و وقاحة قائلاً ان من الوظيفة المحتممة على كل عاقل في كل زمان و مكان ان

يأكل الخبز بسعروقتة فهو انسان ينيط مقاييس العلم وموازن الاخلاق والمبادئ الصحيحة والقيم المعنوية بما توزن به اللحوم وتباع به الشحوم وتعتبر به كمية الخبز ويرى ان الالتحاق بحزب الملاحدة على حساب تشويش الوضع لا يمانع البقاء على دين محمد بن عبدالله وان العمل بأراء اعمار كس لا يناقض النظام الذي شرعه الاسلام وان الاخلاق الدينية مع الاعتراف بصحتها لازوم تطبيقها على المجتمع لاتصادم هذا التبادل الخلاعي والامترسال في ميادين اللأأبالية وبالاخرة هو يرى ان الجمع بين التقيض والعمل بكللا الضدين في عرض واحد امر ممكن و واقع .

الى مثل هذه الخطة الرعناء انجر امر الدين وعلى هذا المهاد القلق تربيع الدجالون من المنتسبين اليه فماترى يكون الوضع بين هذا وذاك ولولا أن في اطباق هذه الثمالة من رجال الروح بقية سالحة تحددت الوضع بالصبر الجميل لكفر الناس بأسرهم بكل مبدأ لما يرون من شذاذ هذا الفريق من هتات موجعة لاتقبل الهضم .

على ان زافة العصور اخذت تتسرب الى الالحاد افواجاً فأفواجالاً لأنها وجدت في الزندقة بلاغاً لارواحها بل لانها وجدت المقام على الدين طارداً لها عن الاجتماع والتمتع بمزاياه المطردة : فنحن نعيش اليوم في دنيا ملأى بالمخازى طويلة الذيل بالجرائم وهذا كله نتيجة تقلص ظل الروح الصحيحة عن دنيا بنى آدم فالناس على الاطلاق من ناحية حيوانيتهم سواسية لافرق بين قديم وجديد ولا في زمان دون زمان .

(٧- مشى الزمان وبنى الانسان معهم سابقاً ولا حقاً)

الروحانية لما كانت دعوة الى الروح دعوة الى الخلق الفاضل دعوة الى نزع قشور المادة والاتصال بلب المعنى لاجرم كان هواتها على فضلها قليلين بالنسبة الى جفاتها الكثيرين : فمنذ الاول كان اشباع الانبياء في الاقلية و منازعهم في طرف اكثرية حتى هيمنت دعوتهم على هؤلاء فنخضعوا لها اذلابد من الخضوع لجهات حيوية تدعو الى الاستسلام : وفي درس مالاقاء نوح من قومه وهود من امته وصالح من مجتمعه ولوط من معاصريه وابراهيم من الوسط الذي قام بهدايته وموسى من جيله وعيسى من اهل زمانه ومحمد من الجاهليين كفاية للتدليل على الدعوى التي آفناها : وقد

كان الالحاد على تغلغله في طبقات البشر في كل زمان ومكان غير عسى المبارزة على من يريد مبارزته من نبي ووصى وعالم رباني لانه لم يكن متر كزاً الا على استبعادات عامية لاتقاوم الموازين العلمية : اما الالحاد في عصوره الاخيرة فقد اخذ حظه من التر كز في اعماق القلوب لما اقيم عليه من ادلة وان كانت مبتورة في واقع البرهان الا انها ذات روعة في مظاهرها الفتانة فمشت تغذ في ارواح الناشئين و ساعدتهم عليها ما يرونه من انحطاط الوضع العام في كل يوم درجة بما يأتلف مع الزندقة و لا يلتئم مع الايمان فكان هذا الجري مورد اعتراض لهم بأن الدين ان كان حقاً ومبدء مستنداً الى ما وراء الطبيعة فاين مكان الاعتزاز به والتدريج به من خفض الى عال و ابن امدادات الغيب له و كيف ازرى به وبرجاله الخنوع والذلة الى امثال هذه الاعتراضات التي لها وقعها الظاهري .

لهذا ولذا كان مشى الزمان مع دعاة الايمان سابقاً ولاحقاً على طرفي تقيض فقد كان في سابقه يزاحم الدين و يناقض رجاله لالتر كيز الالحاد مكانه بل لنيل الرغبات من طريق اضعافه وتقليل نفوذه اما اليوم فهو يزاحمه و يبارز الدعاة اليه من عدة جهات اساسية :

(١) تر كيز اصل الالحاد باعتباره من النقاط الفلسفية التي يجب تر كيزها لانها حقيقة من حقائق الكون والفلسفة من شأنها ذلك .

(٢) القضاء على الدين والدعاة اليه اطلاقاً لكافة البشر من كل قيد فلا يعود ذو النعمة من كافة الطبقات محدود التركاض بنزعاته واراداته بل يصحر بها طبق ابحاث الزمن آمناً لا يخاف من احد كائناً من كان .

(٣) توسيع مدار المادة واستنزافها من اهلها ولو كانوا عجزة بؤساء من طريق ماخوذ المومسقوحانة الخمار و رقص الراقصة و غناء المغنية و تمثيل الممثلة الى عشرات من شعب هذه الرذائل في جوهرها المطاردة من طريق الدين و رجاله المباحة في شرع الالحاد اباحة غلت في تبذرها واستشرائها حتى عادت جليلات النساء لا يأنفن من الاتساق الى تيك الاعمال الساقطة : والنقطة النهائية التي فقدتها خصوم

الدين سابقاً ووجدتها أعداؤه لاحقاً هي الوسائل الفناكة التي لا تحتاج في استخدامها إلى جلبة رجال وايدى ابطال كما لا تتحرج عن الابداء والاهلاك ومهما كان طرفها فلا بدع اذا تقلص ظل الدين عن وجه البسيط وقل رجاله و اخذ يتنوب شيئاً فشيئاً و يأق من الانتساب له الا الطبقة النازلة من الناس او الذين لا وسيلة لهم في الا تباد عنه إلى غيره : ذلك وهذا مشى الزمان وبنى الانسان مع الدين و رجاله سابقاً ولاحقاً .

(٨ - تأثيرهم في الدعوة وآثارهم في المجامع)

لومشت البشرية في تمام ادوارها غافلة عن فطرتها بعيدة عن شعورها منتحية عن مداركها في جانب عن معارفها الكامنة فيها وعزلة عن روحها المنبئة في شراشر وجودها لما رأيت الدنيا على طول عمرها في يوم من ايام الله حافلة بانسان واحد ولو وجدت كل مادب عليها وهب حيواناً ضارياً قد اعد برائته وحدد مخالفه للإطاحة بكل ما يقدر عليه هذا هو الانسان في تجرده عن لباس المعرفة وبعده عن مستوى الاخلاق الفاضلة : فان سمعت او وجدت انساناً عرف المعروف وعمل به وتميز الخلق الفاضل من المرذول فأخذ بالاول وترك الآخر وشخص ان الانسان موجود بحياله مرتين بفضل وكماله موزون بحيائه ووفائه وصدقه ورفقه وعدله وفضله واحسانه و امانه وورعه وايمانه وصفائه وتقائه ومواساته للضعفاء وحببه على البؤساء وتنكبه عن موارد الشرائى مناطق الخير : فماذا لك : الا من نتيجة دعوة الرسل وتبليغ احرار المبلغين وعلماء المثاليين ومن ثمراته انتشار المقدمين والبررة الطاهرين بين حدى الماضى والحاضر وفي طول سلاسل الانسان .

واكبر برهان على ذلك ان جيلنا الحاضر على ما احتوى عليه من تمدن وحضارة وتوسع في الكماليات وابداع في الظواهر الفناكة لما فقد الخلق الفاضل واعوزه العلم بالمعروف و العمل به اخذ يتسفل الى الوحشية تسفلاً زاد فيه على عهود الانسان الحجري فانك ترى اليوم امهات مدن الحضارة والامم المتحضرة قد ارتكست في شروء يعجز عن توصيفها اللسان ومديد البيان بيضا تعبت بسودها وغنيها بفقيرها و

قويها بضعفها وحاكمها بمحكومها والتمايز الطبقاتي الفاخش من طريق اللون والعنصر والمقام والجاه والقدرة والتفوذ ضارب بجرائه على حالة بشعة جداً تمتعض منها اقل النفوس دركاً وابطؤها امتعاضاً والنهتك والاستهتار والخلاعة من اجلا مظاهر الانسانية اليوم فلترفع طرفك اوتضعه الا وتجد الفسق والفجور ملاء الشوارع والمشارع وفي كل مكان حتى اصبح التعفف عاراً على الرجل والمرءة - وبالجملة - لا يرى المتشوف اليوم المستشرف على هذا العالم الاحياء هائجة صاخبة عابسة كثيرة الويلات مستشرية السيآت بعيدة عن الرحمة قريبة من القسوة كابوساً ثقيلاً على الاحياء وهذا كله من نتيجة الانحراف عن مناهج الرسل و طرائق الاخيار الابرار من الروحيين و ان يوجد في ذوايا الخمول حبي وفي صديق رفيق محسن موسى محب للخير مبغض للشرفاء هو الامن بقية السلف الذين انتجت مدارسهم كل بر طاهر ونزيه مؤمن .

(٩) الروحانية في الماضي

ونعني بالماضي طول الزمان الى اوائل القرن العشرين فالقسمة الاولى كلها فصل واحد والقرن العشرون في فصل مقابل : الروحانية في الماضي كانت تدور على محورين اصولي وفروعى ونريد بالاصولى ما يتكفل البحث عن العقائد وان المكلف لا بد وأن تشبع روحه من مقاييسها العامة وهي لا تتجاوز الاعتقاد بوجود ما وراء الطبيعة وانه حى عالم عادل قادر مختار بيده مقدرات الكون وان ارساله للرسل و توظيفه الدعاة الى دينه حق وحاصل وان وراء هذه النشأة نشأة أخرى يجازى فيها المحسن على احسانه والمسيء على اسائه: ونعنى بالفروع ما يتكفل النظام العام لحياة الانسان وغير الانسان ووضع كل شىء فى نصابه اللائق به ويتبع ذلك ادب المعاشرة والمجالسة والبحث عن الفضائل والرذائل هذا جماع ما كانت تدور حواليه روحانية امس وهذا المقدار متسالم عليه مقبول للعقول والاعتبارات الصحيحة .

وهذا العلم الصحيح الذى ورثناه عن ماضينا سواء فى الاعتقادات ام فى الفروع جد جليل وبه قوام الحياة الصحيحة وقد سهرت عليه عيون وافكار وانامل لا تؤخذ عليها بادرة دجل وتدليس او جهل و خداع انصافاً وقد اذدهر كل قرن من قرون الزمن الماضى

بفحول أفذاذ كرم سوا حياتهم لخدمة المجتمع جهد المستطاع ولم يألوا في تنميته وترقيه حتى آل الأمر بكثير منهم ان يبارز الطغيان مبارزة عنيفة و من طريق هذه المبارزات استطاع الدين ان يحتفظ برمقه من قضاء فراعنة الدهر عليه.

نعم نحن نوجه من اللوم على مدرسة الماضي ما يعود على شكليات دروسه و محاضراته وطريقة التدريس فيه بما أصبح النظم لواحد من فنونه المطروقة عسراً جداً مع استلزامه لعمر مديد وهذا المعنى هو الذى ار كس معارف اليهود الماضية فى قبال خطط المستحدثين واخذ يزويها عن الوجود شيئاً فشيئاً حتى يؤل الامر بها الى الذوبان مرة واحدة : لكنه فى الواقع ان يقض فانما يقضى على القشور اللفظية واما بدائع الآراء ومنتجات الافكار فهى لاتزال موضع تقديس و ا كبار لما فيها من دقائق عالىة وحقائق ناصعة : ونظرة عميقة فى علوم الفقه و الاصول و الفلسفة و الكلام و الحديث و الرجال و البلاغة و النحو و الصرف و اللغة تكفى للاستدلال على ما قلناه و كل هذا من تراث القديم و الجديد فى منتقل محض انما يعيش على فتات مائده فحسب .

(١٠ - الروحانية فى الحاضر)

مع ان العصر الجديد لم يدون لنفسه سوى ما بذل لعمن عنايته الخاصة كثير أمن التنقيب و التمحيص كعلوم الفيزياء و الكيمياء و الهيئة و الهندسة و الحساب و الطبيعيات و الجغرافيا و نقد التاريخ و لم يكن له فى علوم اللغة و البلاغة و الفقه و الاصول و الفلسفة و الكلام و الحديث و الرجال و التفسير و ما الى ذلك الا الاخف من الماضي غير انه فيما دون رتب و هذب و اوضح و صرح و جاء بصور تقبل عليها النفوس لانسلا كها مع الطبيعة و خفتها على الروح و من هنا سميت كتبه كتباً كلاسيكية و اقبل الجمهور عليها مكنفين بها على انها لاتقوم بالكفاية الا فيما تخصصت له وبقى الجانب الآخر الذى لم يتخصصوا له على حاله من الصورة القديمة فى الاطالة و الغموض و التشويش الذى لا يقف معه الطالب على محصل الابدع معاناة شديدة تنبوعها النفس و يكل عندها الذهن .

ولم تتأثر بقية السلف من الروحيين بمثل هذا التجديد الصحيح فتهذب كتبها و تنقح بحوثها و تبوب مطالبها و توضح مقاصدها و تحدد لكم و كيف دراستها حدوداً

منطقية كما حدد المتجددون ادوار دراستهم بالادوار الابتدائية والثانوية والجامعية و اعطوا لكل دور برامج خاصة وشهادات تتفق مع ميزانية التحصيل فيه فكان المحصل قبل وروده في اصل الدراسة يعرف الادوار التي يريد ان يطويها والملاك الذي يريد ان يحصله في نهاية كل دور كما يعرف الغاية التي يتوخاها لكل نوع من انواع التخصص اما الدراسة الروحية فانك تجدها اليوم كما كانت قبل اربعة عشر قرنا عند ما كان الحسن البصرى او ابن سيرين يستند الى سارية من سوارى المسجد و يلتقى على حاضريه كل ما سنع بباله وفوق كل هذا ان حياة المحصل الدينى اليوم كلها تسبب واهمال فلا بدع اذا جاء عاراً على نفسه يتخطفه العابرون و المستطرقون بل والطريقون والاسقاط من الناس من كل جانب ومكان .

واللطيف انه مع هذا وذاك نراه ماضياً على طريقته الاولى غير مكترث بهذه الحوادث الجارحة ولا معتد بنفسه ولا بالغاية التي يرمى اليها حاسباً ان هذه الادوار من فترات الزمان وانه سيعود بعدئلى الى الوضع الذى كان يسيطر عليه الحسن البصرى وابن سيرين فحقاً اذا قيل ان الجنون فنون : لكن السير الطبيعى الحثيث على ما فيه من غثاثة آخذ بالتقدم طاولهؤلاء المستضعفين طى السجل للكذب ولا ريب ان خطتهم هذه اذا بقيت على ما هي عليه ستكون هامة اليوم او غد وسوف تفوز عليها حتى البدع و الضلالات والمذاهب الساقطة كأنهم لا يدرون عفا الله عنهم ان الاحاد ضرب ضربته القاضية وان الانتهاز تحين بهم الفرص حتى اوردهم الى هذه الموارد الويلة وان ابنائهم اصبحوا من اعدائهم فكيف بالاجانب والافيار .

(١١ - كيف يجب ان تكون في المستقبل)

نحن في هذا الفصل مصورون فقط لاننا على رجاء اكيمن تغير الحال و تحسن الوضع وأن ابناء الروح سيلتفتون الى مستقبلهم كالتفات كل حى حساس اخفق في مساعى ماضيه فهو بعد العدة لادامة حياته بالتشبث بكل ما يوجب بقاءه ويضمن له مستقبله: والتصوير الذى نحاوله ينحل الى مواجهتنا لثلاث طوائف بما يلزم كل طائفة منها .

(١ - رعي الناس والسواد الاعظم) وهؤلاء يجب ان يعلموا كما يجب على

غيرهم في ماضيه أن يعلم ان حياة البشر منذ انتشروا على محذب الكبرة حياة مضطربة لان الاحياء منهم في كل دور لم يحاولوا ان يعيشوا على ضوء المنطق حتى تطرد الحياة امامهم مخوفة بالهنا والراحة بل حاولوا وراء تامين الحياة ان يجمعوا بين اضدادها ومناقضاتها: حاولوا البقاء لانه منية كل حي وحاولوا معه مغالبة الاحياء على أعمارهم ونفائسهم ونواميسهم بالترأس عليهم والسير معهم بكل سير يوحى به الهوى النفسى ولو كان جنوناً والغرض الشخصى ولو كان جهلاً ولا ريب ان هاتين المحاولتين محاولة لتحقيق ضددين متعاندين في عرض واحد وتبضين يستحيل عليهما ان يجتمعا في عرصة الوجود ابدأ ولهذا رأى الاحياء دنياهم مائجة ها ئجة لابقاء فيها ولاراحة : ولاجل الوقوف امام هذا التيار المزعج بعثت الروحانية من مرقدتها لتحدد موقف الجميع لسعادة الجميع ولهذا السرزهدت الانغماس في الدنيا المادية صوتاً للاحياء عن التلف اذ التلف والانغماس فيها مقرونان في قرن فعيّنت الوظائف لكافة الناس من دون ان تستثنى منهم احداً ووحدت القانون لمصلحة الجميع كما وحدت الجميع امام القانون ولم تعرف العظمة في الجاه والمال والتغوذ المادى حتى لا تنفع للشر ابواً او صدها العقل وسدها المنطق في وجوه الناس بل عرفتها في البر والاحسان والعدل والايمان ومزاولة الفضائل ومجانبة الرذائل ولقد اصحر القرآن في كثير من آيه وسوره عن هذه النزعة اصحاراً ما عليه مزيد وعرف الناس بانهم عبيد الله بالخلقة وانهم في عرض ذلك احرار في انفسهم تجاه اى احد يفرض وانه لاسبيل لاحد على احد الا بالحق وعلى هذا الاساس حرمت الظلم ولعنت لظالم ومنعت من الركون اليه والتعاون معه لان الظلم رأس كل فساد ولان الظالم لاجل تركيز نفسه وتمهيد الطريق لظلمه لا يبالي من ارتكاب اية سيئة تفرض ذلك لان الظلم توأم مع الكذب والنفاق والارشاء والارتشاء وسحق المقدسات والقضاء على جامعة الفضائل والافاضل وهو ابو الدسائس والرموز واعدى اعداء الحق والحقيقة .

فمن هنا كان لزاماً على كل انسان يحب ان يعيش بهناء غير حامل لوزر او مشترك في جريمة ان لا يأت من ظالم أعلى اقل شيء من اشياء الحياة ولا يصدقه اذا حدثه بحديث

ولا يركن الى وعوده اذا وعده .

(٢ - طائفة المراجع الدينين)

وهؤلاء من وظيفتهم ان يصمدوا للحق صموداً يكون جزاء للعظمة التي ينوشونها من طريقه وباسمه وان لا يكون مهمهم توسيع نطاق رياستهم الا لمصلحة العموم و معنى صمودهم للحق تحريمهم لكل مظنة يتقدم بها الدين والمتدينون فلا يفتحوا أبواب مدارسهم في وجه من لا يعرفونه وان لا يكتفوا من الطالب بصرف الانتساب الى مدرستهم بل تجب محاسبته على كافة اوضاعه ومراقبته في حر كاته وسكناته .

وبالاحرى يجب ان تكون حاشية الزعيم الروحي من الطبقة المثلى المأمونين فلا يخلد الزعيم الى لصوص المادة القابضين بشباب التماق والخنوع للقطع بان هؤلاء يتاجرون بتخوعهم واستخذائهم و يموهون بتصاغرهم وانقيادهم ولا يرصدون لسوى جعل الزعيم الحافين به قنطرة لتنفيذ ميولهم كما حصل ذلك في جملة من رؤساء الدين الذين شخصوا وتسمنوا عرش الرياسة العظمى : ويجب على الزعيم ايضاً ان يواكب الزمن بالاعداد اللائق و السلاح النافع فيعدل التعديلات المهمة في كتب الدراسة وطريقة التدريس ولون الدروس وحذف واضافة ما يلزم حذفه واضافته في البرنامج الدراسي كما يجب تحديد ادوار الدراسة واعطاء الشهادات على حسب الكفاآت وتعيين مصير كل طالب منتهى وبذل الوجوه الشرعية في مصارفها الحققة حتى يخرج معطى الحق وموزعه وآخذه من مسؤولية الله .

(٣ - طائفة المحصلين)

ان الشبيبة التي تتوارد على الحوزات العلمية الدينية في ابان صفائها وسلامتها من دخائل النفوس من اطهر ما خلق الله نفساً وعاطفة و قدسية ضمير و من هذا المنشأ نراها تجمع قواها للقيام بالوظيفة فلا يصلى الطالب صلاته الا جماعة ويكثر من تلاوة القرآن والاذكار الماثورة وينتجع حوزة الدرس اينما تكون ويشمر للتحصيل جهد مستطاعه و هكذا يمضى توماً غير مبال بالفقر و الاعواز ولا يعير طرفه للشهوة و اية كانت : لكن تعثر طريقه في الدراسة وارتباك وضعه في السير الدراسي و الهنات التي تتوالت

امام عينيه الواحدة تلوا الاخرى مما يقلل من حماسه ويضعف من نشاطه حتى اذا توسط ميدان عمره وحياته وتلبس بالحياة العائلية ورأى الانهيار والتشويش والاضطراب في كل شؤ نهدب اليه السأم والملل واعتزكت به خواطر جملة تتضارب به نحو اليمين مرة و الشمال اخرى : اذن يا طالب العلم الدينى من مصلحتك قبل كل شىء ان تتعرف بمصيرك قبل حلوله فأما ان ترى نفسك خاضعة للحق ولومزقت حياتها فى سبيله كل ممزق فمن اللازم عليك حينئذ استمرارك فى المسير الى منتهى غايتك و أية كانت نهايتك فى علم الله واما ان تنصرف قبل كل شىء الى ماتراء ضامناً لسعادتك من المشاغل التى تقوم بواجب معيشتك . //

اللاه

ونختم هذا الفصل بالمقارنة الاجمالية بين دين الاسلام وسائر الاديان فنقول :
 الاديان السماوية كلها دين الله منذ ابتهت الله اول نبي من انبيائه الى ان ختمهم نبي الاسلام والمبدأ الاعلى سبحانه فى تشريعه لاي دين منها لم يكن متحيزاً الى طرف دون آخر حتى يكون نسخ الاول بالثانى من ناحيته كاشفاً عن عدم عنايته بالمنسوخ منهما: غايته ان مراعاة قابليات الاجيال والاقترانات المحتفة باهل كل زمان والمصالح الوقتية لتسير المجامع كانت منظورة لديه قانه تعالى وان كان قادراً على تحوير كل شىء بالارادة الحاسمة الا ان فى ذلك خروجاً عن مدار سير الاسباب والمسببات وعن مشى الطبيعة بموايدها باللون الذى تقرؤه قريباً ولولم يكن لهذا السبب اثر عنده لعجن فى طينة كل انسان روح الايمان بالمبادئ الفاضلة ومنع حتى الحيوان عن التجاوز والتعدى فلا يعود يرى الانسان دنياه الا كما يرى الروضة العاقلة بشتى الرياحين و الورود من دون ان يعترىها أفرول او ذبول ولكنه شاء ان يبسط الطبيعة كماهى وان يتبارى فيها الافراد على حساب الحقيقة الملموسة لعقولهم لاعلى حساب الميول النفسية القائمة بأوهامهم ولذلك جعل الديناميدان نضال و كفاح بين الميول النفسية والعقول وارتبن السعادة بالعقول والشقاء بالميول وأصغر عن ذلك بتكرار واستمرار على لسان انبيائه وممثليه بين خلقه فكانت سعة دائرة النبوة وضيقها بحسب المحيط والزمان و البيئة الدراجة حين تشريع الشريعة وارسال الرسول : قرب زمان بمقتضى اقتراناته يدعو

الى اختصار الدعوة ولمها في برامج محدودة وزمان آخر لاتساع عقول أهلهم مساعدة
الوضع فيه يقضى بلزوم التوسع في التشريع وتفصيله .

وما عر بنا عنه سنة كونية جارية في تشكيل الدول وسن القوانين وعالم الدراسة
والتبليغ وما الى ذلك : والثبوت في فرضها على الجوامع لاتعد وهذا المقياس فلا بدع
اذا كانت نبوة نوح بلون غير ما كانت عليه نبوة هودوما كان عليه هودغير ما كان عليه
صالح وبمثل هذه المقارنة يقال في نبوة ابراهيم وموسى وعيسى وما بينهم من سلاسل انبياء
مؤسسين : وقد أصحح القرآن بجملة مما كان عليه الامم من الرذائل في عهد كل امة
ونبيها فنرى القرآن عندما يذكر لوطا ير كز دعوته في الغالب على النزء من فعل
اللواط وتقنيد قومه على ارتكابهم لهذه الرذيلة الشنعاء ويلوح لنا من ذلك انها من ابرز
الظواهر المرذولة التي كانت بينهم : ونراه عند ما يذكر شعياً ير كز دعوته في الغالب
ايضاً على النهي عن تطيف المكابيل والموازين حتى كأن هذا الخلق الفاسد كان شارة لهم
يعرفون بها بين الامم والاقوام الى غير ذلك مما يقف عليه فاحص آيات الذكر الحكيم
في هذا الشأن .

ثم ليعلم ان الله الذي صنع الطبيعة لم يعزل بسلطانه عنها لاقهومة ولا مباشرة في
التاثير المستمر ذلك ان انرى بالعيان المكشوف لنا ان عوالم الاحياء وبخاصة فصيلة
الانسان منها لم تتمش في مواليدها على سنن طبيعية ونظم كونية خاصة فهذا الانسان الذي
تلحظ كافة مجاريه بحواسنا لانراه في توليد امثاله الاعداداً خالصاً ونرى كافة مواليد
كلاً بهوية خاصة فلا الشكل متحد أو لا التخطيط الهندسي متماثلاً ولا الفرائز والادراكات
فذة بل ولا الاجهزة متوازية فيولد من الابيضين الاسمر ومن الطويلين المتناهي في القصر
ومن الوسيمين الدميم ومن الولودين العقيم ومن الشجاعين الجبان ومن المؤمنين الغريق
في العسيان ولا تطيل عليك بسر هذه الامثال بعد ان برهن العيان جلياً على انشعاب كافة
المواليد حيث لا ترى انساناً وآخر متشابهين في كل شيء : كما ان العلوم الطبيعية
اثبتت ذلك بالفحص الدقيق واصحزت على ان من معجزات الخلق عدم توارد اثنين من
كافة البشر في خطوط الاصابع ولذلك اعتبرت دوائر الكشف ان اثر الاصبع لا يعادله

شيء في تعيين الشخص المراد تشخيصه : وهكذا اصحرت العلوم الطبيعية بانه لا توجد ورقتان من غصن واحد متماثلتين في الخطوط الهندسية ونظائر هذا وذلك في الانسان والحيوان والنبات ما لا تحصى .

فلو كانت هذه الانتاجات طبيعية محضة ولا دخالة لقوة وراء ذلك فيها لاستحال ان ينتج تأثيرها هذه الانشعاعات غير القابلة للجمع واللمم اذن فالطبيعة لانظام لها في اتاجها و يستحيل ان تأتي هذه الكثرات المتفاوتة لا عن علل قامت بتوجيهها هذا التوجيه الذي نلمسه حيث لا يلتقي فيه فرد بفرد آخر الا في ظواهر عامة لا قيمة لها امام الانشعاعات المستشرية في الطرفين من صورية وجوهرية و لا علة بعد الطبيعة الا ما وراء الطبيعة : فهذا نوع من الدخالة المستقيمة لعله العلل في الطبائع :

ثم اننا نرى لجملة من حصص الطبيعة نظاماً سيالاً واثراً مستمراً نظير حصول الارتواء عقيب شرب الماء والشبع بعد تناول الغذاء ثم نرى لما وراء الطبيعة لداعي الاعجاز احياناً تعقيماً لهذه المؤثرات مرة كجعل النار برداً على ابراهيم خليل الله و احالة لهويتها مرة اخرى كاستحالة ماء النيل دعة دماً بحقيقة الدم في فم القبلى مع بقاءه على رسله ماء في فم الاسرائيلي

ولله تعالى دخالة في التكليفات ايضاً وذلك امداده للبعد باللفظ الخفى في طريق عبوديته لان اهمال العبد منه الى نفسه حتى مع تقرير برامج لحياته و نظم خاصة لحر كاته وسكناته يطرحه في معنور المشكلات الكونية امام امداده باللفظ بما يسد عنه جملة من ابواب المفساد فانه يعود في راحة من كثير من الموهنات و مثل هذا اللطف لا الجاء معه اولا و وارد في نص القرآن ثانياً : انهم فنية آمنوا بربههم و زدناهم هدى : الاية ١٣ من سورة الكهف : و نظيره في العرفيات انشمار الانسان باهله و اولاده من سكنى المدن التي تكثرت فيها المفريات الى الامساكن المصونة منها سداً لابواب الفساد في وجه من يعز عليه للعلم بان النصيحة والارشاد لا يؤتيان نتائجهما المرادة في محيط فاسد تواجه الحواس منه ما يوجب الانحراف والفساد بخلاف المحيط الامن فان النصيحة فيه لا تواجه معاكساً ولا صارفاً .

وقد وردت الرواية ان سائلا سأل ابا الحسن الرضا في مجلس المأمون فقال يا ابا الحسن الخلق مجبورون قال ان الله اعدل من ان يجبر ثم يعذب قال فمطلقون قال الله تعالى احكم من ان يهمل عبده ويكله الى نفسه : كما انه تعالى يطبع على قلوب المتمردين المغرقين في المعصية المتجافين عنه البعيدين كل البعد منه حتى بعد الانذار والاحطار وقد وردت في ذلك عدة نصوص قرآنية منها (الاية ١٠٠ من سورة الاعراف) تلك القرى نقص عليك من انبائها ولقد جاءتهم رسلهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا من قبل كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين : و العقل يؤبد هذا المنطق تمام التأييد فان اولياء النعم من العقلاء مهما بلغت بهم الشفقة والعاطفة اذا وقفوا على تمرد من ينعمون عليه و اغراقه في المعصية و انحرافه باستمرار عن الطاعة التي هي بمصلحته ومعيار اديه و نظام حر كاته و سكناته و اعلانه بالخلاف و المعاندة نراهم لاتجيز لهم عقولهم ووجداناتهم مسائرة مثل هذا المنحرف بالمعروف بل يجدون من اللازم تأديبه ومطاردته حتى لايسرى داؤه الى غيره و حتى يصل الى جزائه من كفران النعمة والمجاهرة بالمعصية .

وليعلم ان كل مشرع احاط علمه بالمصالح والمفاسد الواقعية و كان في تمام الاستغناء من كل جهة عن كافة الخلق و كان في أعلام مراتب الحكمة حيث يضع الهناء مواضع النقب يستحيل عليه ان يغش او يدلس او يشرع غير الواقع الصريح والحقائق الراهنة الا ان يرى من المصلحة المؤقتة تشريع ما هو بدل الواقع لامد محدود او تشريع اعتبارات عقلائية وان لم تكن من سنخ الحقائق الراهنة لان الاجتماع بعقلياته السائرة يحترمها ولا مزاحمة فيها لحق ثابت او واقع رامن وذلك نظير ما ورد في الشريعة في تشاح ائمة الجماعة من تقديم الاقرأ فالاقه فالاقدم هجرة فالاسن فالاصبح و جهأ في حال ان صباحة الوجه وان كانت في نفسها كامالا الا انها لاتستطيع ان تكسب صاحبها فضيلة واقعية يحمد من أجلها ويمدح عليها لانها ليست من الامور الكسبية غير ان النفوس البشرية تندفع لاحترام صبيح الوجه ولاتكون بهذه الحالة في مقابل غيره و الشارع لم يخالف الناس في امثال هذه الموارد لعدم الاجحاف في تقريرها بحق احد

من اهل الفضائل الكسبية ولذلك قدم الاقراء فالافقه فالاقدم هجرة فالاسن لما في السن من البعد عن الهوى النفسى والقرب من التقوى.

ثم ان الحقيقة لا قديم فيها ولا جديد والخلق الفاضل كالرذيلة المنقورة لا يفترق فيهما زمان وزمان والمقول السليمة متناصرة منذ خلقها الله على تحسين الحسن وتقبیح القبيح اذن فالحقائق الراهنة لا تتناسخ ولما كانت الاديان السماوية والشرائع الالهية قائمة على الواقع الصريح ناهضة بأعباء الحقيقة لانها من الله والى عباده والله سبحانه اجل من ان يغش او يدلس او يفاوت في دعوة الافراد الى الحق الذي هو جادته وسيله لم يعقل فيها ان تنسخ شريعته شريعة وان تكذب الدعوة الثانية منها الدعوة الاولى : نعم لما جرى في ناموس العقل جواز اتخاذ خطط وقتية لرفع حاجته وقتية حتى يتسع المجال لرسم خطة واسعة واقعية قد علمت هويتها له غير ان الظروف لم تساعد على فرضها الا في ظرف خاص جاز تشريع حكم خاص قائم بمصلحة وقتية تناسب ظرف الذي شرعت فيه وترفع الحاجة المرادة وتسد الفجوة الشاغرة حتى اذا تمهدت المقدمات اللازمة كسط هذا اللون المؤقت لتثبيت صبغ دائم ونظيره في الماديات اقامة الجسور المؤقتة لرفع الضرورة الفعلية ثم تبديلها بجسور حكيمة ثابتة للاستفادة الدائمة : اذن فالنسخ في مادته صحيح ولا يستدل منه على ان الناسخ لتبدل جهله بالعلم نسخ ما شرعه اولا بماقننه ثانياً بل القانون المتأصل ثابت في علم من الاول ولكن منع عن تشريع وتطبيقه ظرف غير مساعد .

فما يراه المكلف من تطوير و تغيير في الشرائع بعضها بالنسبة الى بعض وفي الشريعة الواحدة في زمان بالنسبة الى زمان آخر هو من هذا القبيل الذي تحدثنا عنه : وبما انه ليس لدينا معلومات صادقة عن الاديان السابقة لم يكن لنا طريق للموازنة بين بعض منها وبعض وبين دين الاسلام والكتب المنسوبة الى السماء الموجودة اليوم لا يجوز التعويل عليها لكثرة الفسث الموجود فيها المقطوع بعدم صدوره عن الله خصوصاً في نسبتها الى الانبياء النسب المفتضحة والاكاذيب المشوهة :

ولما كانت شريعة الاسلام بركة القرآن والسنن المتواترة القطعية الصدور

والسير المتسالم عليها حاوية لكل ما يعزز جانب الانسان في نشأته قائمة بجميع ما يتصل
بعبادة ومعنى في اصولها العقائدية ووظائفها الفرعية و اخلاقها الاجتماعية كما يستطيع
ان يتعرف على ذلك من نصب نفسه لفحص آيات الذكر الحكيم والسنن الماثورة
عن النبي الكريم واهل بيته عدل الكتاب وخلفاء الرسول المنزلين بمنزلة سفينة
نوح وهكذا الكنب الفقهية المقتبسة من ذلك و الجوامع الاخلاقية المر كزة على
اقوال وافعال اولئك الصفوة والقواعد العامة الثرية بموازينها العادلة الصادرة عن زمرة
التشريع السماوي - لاجرم - كانت كافية لتسيره جامع البشرية على انطلاقها مع الزمان
لكن مع المحافظة على وزنها العقلي وسيرها العلمي .

واما قول من يقول كان الزمان يمضغ حجاب المرء والتجافى عن اللهو واللعب
والترفع عن مزاوله النجور والخمور فكانت شريعة الاسلام فيه ضربة لازب : اما اليوم
حيث تحرر سكان الكرة من كل قيد فلا مجال للشريعة المزبورة : ماذا تفعل البشرية
في قبال تموجات الراديو واشعاعات شاشة التلفزيون والكمان والكمنجة وافلام السينما
وما هو موقفها امام هذا الجمال البارع المطرز بانواع الملابس الغرارة والاصابع
القاتنة : فهو اسفاف : ساقط لا يوزن من المنطق بشيء فان النفوس الحيوانية منذ كانت
والى ان تتلاشى واجدة لهذه الارواح المغتلمة بلافرق فيها بين قديم وجديد : وما قامت
الشرائع السماوية ولا انتدب المثاليون لتمويج اصواتهم في دنيا بنى آدم مبشرين و
منذرين الال للوقوف امام الجهل العارم والانحراف المشوه والاستهتار المستهجن :
وما ثورة العصر الحاضر على المثل المقدسة بيدع بين الاجيال فكم لعبت البشرية ادواراً
في هذه المرا كض القنطرة وعجت من المفاسد ما تفسخت له اعضاؤها واستردلت اخلاقها .
واما موقف الجيل الحاضر امام الراديو و التلفزيون والسينما فكم وقفه امام
درهمه حيث يستطيع وضعه في شراء سم قاتل او شراب نافع فكما تمثل الشاشات والافلام
رقص الراقصة العارية تمثل الرواية الاخلاقية الشريفة التي تضمن سعادة المجتمع
بترية اولاده على التربية الصحيحة القائمة على الايمان بالمبادئ الفاضلة : اذن فلانطق
للجدد غايته انهم يستدلون بانتشار الفحشاء على ان لامفهوم للعفة وبكثرة الاراجيف

على ان لا وزن للمقاييس العلمية وبشروع التهلك على ان لا ميدان للوقار والمثانة وبخروج الظلم والتعدي عن مدارهما القابل للهضم والتحمل على ان لا مجال للعدالة والانصاف وهلم دواليك واستدل لهم هذا بما يزيد في ظهور جهلهم والجهل ذو مراتب : ومن مراتبه ان انرى في دنيا البشرية اليوم عقولا وافية وحواس قوية قد استخدمها اهلها في مجالين لم يقصد بأحدهما الا ذلك البشرية وقتل الانسانية وبالآخر الاستطلاع على ماهو زهيد في قبال امر خطير .

اما الذي قصد به ذلك البشرية وقتل الانسانية فهو الاستمرار في اختراع الاسلحة الفتاكة والمواد المخربة والآلات الهدامة وتغالب الدول وعقلاء اممها على الاكثار من ذلك والتنوع فيه وهذا مما يدل على سقوط البشرية روحاً وارتكاسها عقلاً و تنزل ضائرها الى اخص ما عليه الحيوان الضارى الذي لا يعرف عنه غير الافساد : واما الآخر الذي قصد به الاستطلاع على ماهو زهيد في قبال امر خطير فهو تخصص اساتذة لهم ووزنهم في التبحر والتفكير لرصد الكواكب والنجوم والكرات الاخرى حيث لا طائل وراة ذلك للحياة البشرية في قبال هذه الجهود المبذولة في هذا السبيل : وليس هذا العلم بهذا التوسع وهكذا غيره من العلوم التي اقيمت على حسابها أعمار و اتلفت اوقات و صرفت اموال غزار مما يتصل مباشرة بحياة الانسان بل هو دائماً على الهامش منها كما هو مشهود محسوس .

اذ لا يسترىب عقل بشرى ان الحياة البشرية العامة قائمة على دعامين الدعامة الاولى تأمين الحياة المادية عن الانهيار والتلف والدعامة الثانية حفظ حقوق الانسان واستقلاله بخاصة شؤنه ولا تقوم الدعامة الاولى الا بتقويم الثانية لها اذ مع انهيار الوضع الحقوقي تنهار الحياة المادية قطعاً لفقدان المؤمن وكلتاها تين المرحتين لا تقومان بعلم النجوم ولا بعلم الحساب ولا بأمثالهما وان تكن اليهما حاجة فيمنط قليل او متوسط : نعم لا تقومان الا بالشرائع الصحيحة القائمة على تحديد حركات الانسان في كل المجالى المقربة له من الخير المطلق والسعادة العامة والمبعدة له عن كل شر وبوس وشقاء الباذلة كل عنايةاتها في فرض المثل الراقية بين الافراد والمطبقة لذلك عملاً كل التطبيق .

فلوان تيك العقول الجبارة التي تصامدت في صنعة الآليات المدمرة و الأخرى المغرية و قفت صفاً واحداً لهداية الانسان من الضلال الى الكمال و هكذا تيك الافكار الضخمة التي صرفت قواها في رصد العوالم العلوية او المطالب القليلة النفع في الحياة البشرية من مسائل حسابية وهندسية وفيزيائية و كيميائية وما الى ذلك لو صرفت الشطر الوافر من جهودها العظيمة في مصالح الانسان الاخلاقية والتربوية لرأيت جامعة الافراد اليوم بصورة اخرى غير ما تطفح لعينيك ولو وجدت الصدق والرفق والحياء والوفاء والايمان والاحسان والانصاف والعتاف والمواساة والمساواة وغير ذلك من الاخلاق الشريفة التي بها قوام الحياة البشرية الفاضلة ضاربة اطناها على ساحة الكون حيث ترى كل شيء في نصابه و كل انسان راضياً بنصيبه .

وما هذه الدنيا الزاخرة اليوم بويلاتها الطافحة بسيئاتها البعيدة عن العقل والفضل القريبة من الوحشية والجهل الا نتيجة انصراف عقلائها عن تربيتها : وما عبرنا عنه نسخة طبق الاصل لما يراه كل انسان عاقل من نفسه التي بين جنبيه ومن محيطه الذي يدرج عليه : وان يكن لهذا التصوير الذي صورناه محقق في الخارج فهو الاسلام الذي استكمل كل مؤهلات التقدم بمعتقديه لو اطاعوه ومشوا على ضوءه ولكن من سوء الحظ انهم لم يرا بطوا موقفهم منه ولذلك خارت بهم الحياة .

هذا ولتقص فيما جاء عن امير المؤمنين عليه السلام في تعريفه للإسلام وثنائه على نبيه صلى الله عليه وآله وتجليه لكتابه : قال عليه السلام من خطبة له (ج ٢ ص ٥٦٥ من النهج الحديدي) ثم ان هذا الاسلام دين الله الذي اصطفاه لنفسه ، واصطعبه على عينه ، واصفاه خيرة خلقه واقام دعائه على محبته ، اذل الاديان بعزته ، ووضع الملل برفعه ، واهان اعدائه بكرامته ، وخذل محاديه بنصره ، وهدم اركان الضلالة بركنه ، وسقى من عطش من حياضه ، وأتقى الحياض بمواتحه ، ثم جعله لا انقسام لعروته ، ولا فك لحلقته ، ولا انهدام لاساسه ، ولا زوال لدعائه ، ولا انقلاع لشجرته ، ولا انقطاع لمدته ، ولا عفاء لشرائعه ولا جذم لغروعه ، ولا ضنك لطرقة ، ولا وهوثة لسهولته ، ولا سواد لوضوحه ، ولا عوج لانتصابه ، ولا عضل في عوده ، ولا وعث لنعجه ، ولا انطفاء لمصابحه ، ولا مرارة

لحلاوته : فهو دعائم اساخ في الحق أساخها ، و ثبت لها أساسها ، و ينابيع غزرت
عيونها ، ومصايح شبت نيرانها ، ومنار اقتدى بها سفارها ، و اعلام قصد بها فجاجها ،
ومناهل روى بها ورادها ، جعل الله فيه منتهى رضوانه ، و ذروة دعائمه ، و سنام طاعته ،
فهو عند الله و ثيق الاركان رفيع البنيان منير البرهان مضيء النيران عزيز السلطان
مشرف المنار معوذ المثار فشر فوه و اتبعوه و أدوا اليه حقه و ضعوه مواضعه .

ثم ان هذا الاسلام ، اشار عليه السلام بهذا الى النظام الدينى الذى كان مخيماً
فى عهده على اهم ارباع الكرة وعلى اكثر اهلها و الاسلام مصدر اسلم يسلم و وجهه و
نفسه اذا فوض بهما و التفويض هنا للعقيدة الخاصة التى و ظف الله بتركيزها و نشرها
بين عباده نبيه محمد بن عبد الله ، دين الله ، فى هذه الاضافة نوع خصوصية لدين الاسلام
فى اتسابه الى الله من بين سائر الاديان ذلك لان الاديان السماوية و ان كان كل منها
فى وقته ديناً خالصاً لا شوب لاحد فيه لكن موقفها من الاجتماع متحد . و بمجرد ان صدع
الشارع الاسلامى بدينه فلم يبق لها استمرار معه هذا على ما اصابها من تحريف و تشويه
بعد رحلة دعائها المرسلين صلوات الله عليهم اجمعين وعلى هذا الاساس قال تعالى فى
القرآن (٣/١٩) ان الدين عند الله الاسلام (٣/٨٥) و من يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل
منه : ثم ان الاسلام انما يصح ان يقال فى حقه انه ناسخ لجميع الاديان قبله فى
الفروع القابلة للنسخ باعتبار تغير المصالح المؤقتة ليس غير : و اما الاصول المركزية
فى جميع الديانات من التوحيد و العدل و النبوة و المعاد الجسماني و هكذا الفروع
المتسالم عليها بين العقلاء من تحسين الحسن و تقبيح القبيح و مامت الى هذه العناوين
فهي ليست من مقولة النسخ فالاسلام بشرائه قرر كل ذلك و لم ينسخ الا ما انتهت
مصلحته المؤقتة و جاء بما يستمر بقاءه مع الاجيال و الادوار و نظرة مطمئنة الى المقدمة
التي اسلفناها تكفيينا عن الاستدلال لما قلناه فى حق الاسلام ، الذى اصطفاه لنفسه ،
اى اختاره من بين الاديان فان قيل ان الاديان الاخرى هو الذى اختارها ايضاً اذ لا
دين يوظف به المكلف من سوى الله قلنا ليس المنظور من ذلك انها كانت اوهى الآن
زائفة بل كلها محترمة و صادرة من عنده غايته انها روى بها فى وقتها مصالح مؤقتة لم

يكن من المصلحة الوضعية مراعاة ما هو اعلامها تشريعاً لقصور آفاق تلك الاوقات عن التشريعات العالية فلا بدع اذا اقتضت المصالح بعد ذلك ما هو أعلا تشريعاً واطول عمراً ومعنى لنفسه هو النسبة المجرودة والافالله تعالى في غنى عن الدين يكون لنفسه ، واصطنعه على عينه ، اصطنعه وصنعه هنا بمعنى واحد وهو ما يعطيه اللفظ من الصنعة ويقال اصنعه على عيني في مقام التأكيد على الصانع بحسن الصنعة حتى كان المصنوع له حاضر لديه من اول عمله الى آخره فكما ان الصانع يلاحظ جانب المستأجر عند حضوره لديه فيجيد صنعه ويتقنها كذلك يريد منه الموصى بحسن الصنعة حينما يقول له اصنعه على عيني والمنظور من هذه الفقرة انه تعالى بذل من عناياته في تشريعات دين الاسلام ما لم يبذله في غيره من الاديان للملة التي اوأنا اليها آنفاً ، وأصفاه خيرة خلقه ، أصفاه بالشىء اذا خصه به والخيرة من الشىء او القوم الافضل فيجوز ان يراد من خيرة الخلق نبي الاسلام ويكون المراد انه تعالى خصه بتبليغ هذا الدين من دون كافة الناس كما يجوز ان يكون المراد الامة المسلمة و يستأنس له بقوله تعالى (٣/١١٠) كنتم خیرامة اخرجت للناس : باعتبار ما يؤول اليه امرهم بعد الاسلام لاجل البعثة و اول ازمنة الدعوة ولاريب ان الامة المسلمة بمجموع ما انتجت من صالح ومصلح و عالم و متعلم و واعظ و منعظ و مواس و محسن خیر من كافة الامم المنتسبة الى سائر الاديان ، واقام دعائمه على حبه ، اى جعل قاعدة دعائم الاسلام هي محبته تعالى الناشئة من مزيد التعرف به والدعوة اليه و كونه تعالى هو المبدأ والمنتهى لكل امور الخلق و كل الاديان الصحيحة على هذا المنوال نعم هي بعد تحريفها فاسدة لاقيمة لها بالمرة وميزة الاسلام على الصحيح منها سعة دائرة الدعوة والافصاح عن دقائقها بطرزا وفي واتشمل لاقتضاء الخال فيه دونها كما اشعرنا بذلك آنفاً ، اذل الاديان بعزته ، والمراد بها الاديان الراجعة في زمان تشريعه هولائها كانت حينذاك محرفة مشوشة ليس فيها من الحق الامالا يعتد به والمنظور بعزته تقدمه عليها في انظار الكمئل من الناس الذين يزنون الاشياء بجواهرها القيمة ، ووضع الملل برفعه ، يقال الوضع في مقابل الرفع والاملل جمع ملة وهي الطريقة والشريعة ، واهان اعدائه بكرامته ، كرامة الاسلام

هي قدسيته وموقعيته في قلوب معتقديه ومحبوبيه عندهم هي التي اطاحت باعداءه وفرقتهم وقهرتهم على الاصاخة له ، وخذل محادييه بنصره ، المحاد هو المخالف المبعد في خلافه اى جعل اعداء الاسلام بانتصاره له منقطعين عن المقاومة لذلتهم وقلنتهم عن ذلك ، وهدم اركان الضلالة بركنه ، الاركان هي زوايا اضلاع البناء وتكون اقوى ما فيه يعنى ان الاسلام لما اشد وقوى اثر على الضلال وهو حيرة الجهل والنخبط في العمى حتى ازاله بانواره القامرة وهداه الواضح ، وسقى من عطش من حياضه حياض الاسلام علوه ومعارفه والعطشان هنا هو الجاهل الحائم حول ما يرويه ويرفع اوامره وسقيه هو تعليمه وتعريفه ، واتاق الحياض بمواتحه ، اتاقه بمعنى ملاءه حتى فاض والمتح هو نزاع الدلوم من البئر ومن كل ماء انخفض سطحه والمواتح هي الدلاء والمراد انه تعالى ملاء حياض الاسلام بالتعاليم الوافرة العامرة فالمواتح هي الوسائل التي تظهر العلوم وتبرزها من الكهون الى الظهور ، ثم جملة لانقسام لعروته ، لقوتها وشدتها وذلك كناية عن تاصله وتصامدقواه ، ولا فك لحلقته . الحلقه هي العروة والفك هو تباعد ما بين طرفيها المتلاقين ، ولا انهدام لاساسه ، الاساس هو قاعدة البناء فاذا قوى وثبت اعطى البناء قوة وثباتاً ، ولا زوال لدعائمه ، الدعامة ما يدعم بها الشيء اى يسند ويقوى والزوال هو الاضمحلال ، ولا انقلاع لشجرته ، الانقلاع هو الانقطاع من الجذر ، ولا انقطاع لمدته ، الانقطاع هو الانتهاء وباعتبار ان دين الاسلام هو آخر الاديان وانه مشروع للابد لا جرم ان لا تكون لزمانه نهاية ولا غاية ، ولا عفاء لشرائعه ، العفاء هو الانداس والشرائع هي الاحكام . ولا جذر لفروعه ، الجذ هو القطع والفروع جمع فرع وهي النواتي التي تكون في الاصل اى ان دين الاسلام فروعاً واصولاً باق مستمر لا يبلا ولا يندرس ، ولا ضنك لطرقة ، الضنك هو الضيق والمراد بطرقه ملاكاته وقواعده وذلك لان الاحكام الاولى اذا تعذرت و تعسرت انتقلت حالة المكلف الى دورة الاحكام الثانوية واذا تعذر في حقه الجميع سقط عنه التكليف رأساً ، ولا وعوثة لسهوانه ، الوعوثة كثرة في السهولة تولد للما شى جهداً لان اقدامه تسيخ في التراب او الرمل فهو لا يعود يستطيع المشى الا بصعوبة مجهددة يقول عَلَيْهِ السَّلَامُ انه سهل لكن لا ينحو تقتضى سهولته الفوضى والارتباك

وعدم الانضباط ، ولاسواد لوضحه ، الوضح هو البياض يريد ان اشراقه كما هو سيبقى
فلا يتغير بالحوادث والسوانح . ولا عوج لا تنصابه ، اى وكذلك قيامه و اعتداله
لايعتريه انحناء ولا اعوجاج ، ولا عصل فى عوده ، العصل هو الالتواء و المراد ان
عوده مستولا تلوى فيه ، ولا وعت لفجه ، الفج هو الطريق والوعوثة زيادة فى السهولة
كما اسلفنا ، ولا انطفاء لمصايحه ولا مرارة لحلاوته فهو دعائم اساخ فى الحق اساخها ،
اى فالاسلام فى تأصله كالدعامة التى حفر لها فى بطن الارض و اقيم اصلها حتى
لا تتضعع على مرور الزمان وفاعل اساخ هو الله تعالى والاسناخ جمع سنخ هو الاصل
، وثبت لها أساسها وينابيع غزرت عيونها ، ينبوع مانع من الارض والغزارة الكثرة
والعيون جمع عين وهى الثقبه فى الارض حيث يدفق منها الماء وهو كناية عن ان
الاسلام قابل لان تستنبط منه معارف كثيرة وفنون غزيرة : و مصايح شبت نيرانها ،
شبت النار ارتفعت ، و منار اقتدى بها سفارها ، والمنار الشواخص التى ينار عليها
لاجل ان يهتدى بها الحائرون والسفارهم المسافرون والمنظور بذلك فى هذا الباب
هو ان معالم الاسلام قائمة تهدى الى الحق من تحير فى طريقه او ضل عن هداه ،
واعلام قصد بها فجاجها ، الاعلام هى الشواخص المرتفعة ومفردها علم وقصد بها اى
بسبب الاستدلال بها والفجاج جمع فج وهو الطريق والمسلك ، ومناهل روى بها
ورادها ، المناهل جمع المنهل وهى الموارد التى يورد منها الورد اذ جمع الورد وهو
الذى يرد الماء ليستقى او يشرب ، جعل الله فيه منتهى رضوانه ، اى ان المكلف اذا
اتبع ملة الاسلام فقد حظى بالفاية من رضوان الله تعالى ، و ذروة دعائمه ، الذروة
هى القمة والضمير فى دعائمه يرجع الى الرضوان والمعنى بالفاية والذروة هنا واحد
ودعائم الرضوان هى الامور التى تقوم بمرضاة الله وليست هى الاشرائع الاسلام و
القيام بها ، و سنام طاعته ، السنام حذبة البعير و سنام الطاعة اعلاها اى ان الله سبحانه
جعل فى اعتناق الاسلام اعلا طاعته ، فهو عند الله وثيق الاركان ، الوثيق
هو المحكم ، رفيع البنيان ، الرفيع هو العالى ، منير البرهان ، اى ان دلائله
واضحة مشرقة لاسترة عليها ؛ مضى النيران عزيز السلطان ، السلطان هو التسلط و

التفوق و عزة السلطان مزيد في القوة ، مشرف المنار ، اى ان شواخصه النيرة مشرفة يراها كل احد ، معوذ المنار ، معوذ اسم فاعل من اعادنى الله يعيدنى اى معنى وحصنى والمنار يجب ان يكون بضم الميم من اثاره يثيره اثاره فهو منار وذاك مثير والمنظور ان الاسلام يحصن من ازعجته الشكوك والاهام و انه لقوته يحفظ الضيف اذا ثار عليه من هو اقوى منه ليبتره حقه و ما الى ذلك من المعانى ، فشرفوه ، اى شيدوا شرفه ، و اتبعوه ، اى اجعلوه اماماً لكم ، و ادوا اليه حقه ، بالقيام بوظائفه ، وضعوه مواضعه ، التى عينها الله له فلا تحرفوه ولا تشوهوه .

ثم ان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ بالحق حين دنا من الدنيا الانقطاع وأقبل من الآخرة الاطلاع وأظلمت بهجتها بعد اشراق وقامت بأهلها على ساق وخشن منها مهاد وأزف منها قياد فى انقطاع من مدتها واقتراب من أشراتها وتصرم من أهلها وانقسام من حلقتها وانتشار من سببها وعفاء من أعلامها وتكشف من عوداتها وقصر من طولها جعله الله سبحانه بلاغاً لرسالته وكرامة لامته وربيعاً لأهل زمانه ورفعة لأعدائه وشرفاً لأنصاره .

بعد ما استعرض ﷺ شيئاً من أوصاف الإسلام تعرض لذكر نبى ﷺ فقال ، ثم ، التراخى هنا باعتبار ما قبل زمان بعثة النبى الاعظم ، ان الله سبحانه بعث محمداً ﷺ بالحق ، اى بالشرائع الحقة التى لا شوب للباطل فيها و كل الانبياء بعثهم الله بالحق ولا خصوصية لنبى الاسلام فى ذلك الامن جهة اتساع دعوته وقوانينه طبقاً لما يرام فى شريعته من البقاء المستمر المواجه لتسلسل الاجيال وتدرج العقول من نقص الى كمال ، حين دنا من الدنيا الانقطاع واقبل من الآخرة الاطلاع ، الانقطاع هو الفناء والدثور والاطلاع هو الاقبال والطلوع ومفاد الفقرتين ان بعثة النبى ﷺ حصلت والدنيا فى آخر زمانها والآخرة فى قرب طلوعها وهذا امر لانعلم منه شيئاً من طريق الطبيعة ولذلك نحيل به الى خاصة سر الله وموضع امانته و تشير الفقرتان ايضاً الى اختتام النبوات بنبى الاسلام وقد صرح من طريق المدارك الاسلامية انه لانبى بعد محمد ابن عبدالله ولعل السر هو احتواء شريعة الاسلام على برامج لم تبق شأناً من الشؤون

البشرية الا و تعرضت له كما يقتضيه المنطق لا كما تحاوله الرغبات الخاطئة فان الرغبات المجردة عن المقاييس المنطقية لاحرمة لها ولاوزن لاهلها ، وأظلمت بهجتها بعد اشراق ، الابتهاج هو انشراح النفس وانسائها يلوح من هذه الفقرة ان الدنيا قبل ازمان البعثة بمسافات كانت مبتهجة مشرقة والذي يلوح على طول سلاسل الزمان منذ عهد البشر نفسه ان الدنيا كانت ولا تزال على طرائق متقاربة جناتها اكثر من محسنيتها وأشرارها أوفر عدداً من اخيارها وشروورها تتضاعف في الكثرة على خيراتها فهل يشير بذلك الى ما قبل العهد البشري بما هو ع واهل سر الله أعلم به او انه يشير الى ما هو احسن بالنسبة الى عهود الجاهلية المظلمة ولا ريب في تحقق هذا المعنى فان عهود الجاهلية عهود منحطة لآخر درجة و كل من كان فيها من افراد البشر نازل الكفة مظلم الروح بعيد عن الانسانية قريب من الضراوة منجرف الى صوب الحيوان المهمل ، وقامت بأهلها على ساق ، يقال قامت الحرب على ساق اذا اشتدت وطأتها فيكون المنظور من الفقرة ان اهل الدنيا تكالبوا فيما بينهم حتى اشتدت وطأة الدنيا على اهلها فسأم الحياة فيها كل احد وهكذا كانت حياة الجاهلية ، وخشن منها مهاد ، المهادما يكون تحت الانسان في مضجعه فاذا خشن امتنع النوم على صاحبه او تنقص على النائم نومه والمنظور ان الدنيا اذا خشن مهادها لم تكن قابلة للاستقرار ، وازف منها قياد ، اى قرب رحيلها ، في انقطاع من مدتها ، في انقطاع متعلق بقوله آتقأ بعث محمد أ و ضمير هدتها راجع الى الدنيا والمراد مشاركة عمرها على الانتهاء ، واقتراب من اشراطها ، اى من علامات فئتها بطلوع الآخرة والاشراط هي علامات القيامة ، و تصرم من اهلها ، التصرم هو الانقضاء والمنظور ان تصرم الناس شيئاً بعد شيء وان كان مقروناً بحدوث مواليدهم الا انه بالآخرة ينتهي الى فناء عام وما صادفته بعثة النبي ص من ذلك هو من طرف السلسلة الرامى الى الانتهاء ، وانقسام من حلقتها ، انقسام الحلقة يكون بحدوث فجوة بين طرفيها وذلك كما يدعو الى عدم الاستغادة منها ما بقيت على حالها ، وانتشار من سببها ، اى من سبب فئتها وتلاشيها ، وعفاء من اعلامها ، العفاء هو الانداس يقال عفت الدار اذا اندرست والاعلام هي الشواخص الناهضة والمنظور ان ما هو علامة نهوض الدنيا واستقامة امورها

قد انهار وتلاشى ولا ريب ان المستهدف بذلك امورها المعنوية ، وتكشف من عوراتها ، العورات هي القبائح وتكشفها ظهورها فاذا راجت المفاصد في الدنيا وخفت الاخيار و قل الابرار الاطهار فقد تكشفت قبائح الدنيا ، وقصر من طولها ، اى من عمرها ، جعله الله سبحانه بلاغاً ، اى مبلغاً استعمل المصدر مكان اسم الفاعل تأكيداً في مبلغيته ، لرسالته ، اى لما يريد سبحانه ابلاغه الى عباده لأتمام الحجة عليهم ، و كرامة لامته ، لاشبهه ان نبي الاسلام محمد بن عبد الله كرامة للامة المسلمة لو عقلت وتدبرت ، و ربيعاً لاهل زمانه ، يطلق الربيع على الارض المخضرة ذات الماء والكلاء والهواء الطيب ولا ريب انه ص كان باعظم من هذه المثابة لمعاصريه ، و رفعة لاعوانه ، اى شرفاً لهم بل هو مجمع فضائلهم ونظام اجتماعهم وقاعدة حياتهم ، و شرفاً لانصاره ، و الناهضين معه لتأييد دعوته .

(القرآن واهدافه الراقية)

هذا الكتاب الكريم اذا استعرضه الفنان بدقة نظر ونزاهة ضمير ومراعاة لمصالح الكون والكائنات و جده من ارقى المثل العقلية ومن اعظم قوانين الانسانية مع كمال ادب في التعبير وبلاغة في ايصال المقاصد و اصابة الاهداف و فصاحة ما ورائها محط في المفردات والنراكيب عاصر الفصحاء والمنتشدين و نسلت عليه قرون انتجت في مضاميرها الخطباء البارعين والكتاب المرموقين و الشعراء المبدعين و الناطقين اللسنيين فبذو الجميع وقهرهم وملك اعجابهم به وللآخر سيبقى كذلك .

فهو في فصاحته وبلاغته آية وفي استدلاله العميقة الظاهر تمجزة وفي احكامه وقوانينه منقطع النظير وفي مواعظه وزواجره لاند له ولا قرين وفي آدابه واخلاقه عز عن البديل وفي قصصه وعبره وامثاله جل عن المثل وهو بمجموع ما احتوى عليه يملك السمع ويبهر النظر ويستعبد القلوب ويسترق العقول ولا يعترى قاره و مطالعه سام ولا ملل وليس للاعجاز حد بعد هذا و كل ما تطورت الدنيا ازداد رفعة في النفوس و تمكن حبه من القلوب : واما هذه الحيوانات الضارية المملوءة جهالاً وشهوة وعمى و ضلالة وتحيراً في الحياة فهي لا يجوز ان يعتبر لها رأى او يعتد لها بعقل بعد ما انحطت

كفة اخلاقها عن الحيوانات العجم السارحة بلا راع ولا وازع .

ونظرة عميقة يقوم بهارائد الحقيقة للموازنة بين ما احتوى عليه من كل اشياءه
بين كتب فلاسفة الروح والاجتماع من متقدمين ومتأخرين الذين احتلوا لانفسهم
من الاجتماع مكاناً مرهوقاً خوّلهم سمعة عالمية تكفى للحكم له بالسبق في كل مظنة
روحية واجتماعية فضلاً عما فيه من اضافات قيمة خارج موضوع الفلسفة التربوية و
الفلسفات النظرية الاخرى .

وهكذا نظرة ثانية يقوم بها المتعطر لانتهاج الحقائق في مقام المقارنة بينه و
بين الكتب الاخرى المنسوبة للسماء كالنوراة والانجيل الراجين بل والحقيقيين ايضاً
فان صاحبها يجد فيها من الفروق الاساسية بينه وبينها ما لا يحيط به القلم فان كتب العهد
القديم والجديد لا تملك روعته اللفظية ولا سبكه التركيبي الخاص ولا معارفه البناءة
ولا اخلاقه العالية ولا تشريعاته العظيمة ولا ولا .

ذلك لالأن الله سبحانه لم يعتد بكتبه الاخرى التي انزلها في حينها والتي
امر الناس بالخضوع لها ولكنها تعالي انزل ما انزل لادم محدود ولا ناس معدودين وعلى افهام
لم تتوسع في المعرفة : والامة التي عاصرها النبي محمد ﷺ وان كانت عامية في
كل ما يعود لها الا انها لم تكن وحدها محط النظر ولا الهدف الوحيد من الدعوة
بل كانت حلقة من ملايين الحلقات التي شاء الله لها السعادة بهذا الكتاب المنزل
متى تا بعت خطوه وهذا هو الذي دعي ان يكون القرآن بمكان فوق العلو المتصور .
ولا غرابة فيما قلناه ذلك لان الناقد البصير البليغ اللسن لا يجوز له ان يعطى
نفسه لجميع من يكون طرفاً لخطابه على نحو فذ بل له مع القروي الساذج البسيط موقف
ومع ساكن القصبه المتنور شيئاً ما موقف غيره ومع سكنة المدن المتمدنين موقف ثالث
ومع العلماء الافذاذ موقف آخر وهم دوايك وهو في كل حالاته مصيب بل فاعل
للوajib المحتم عليه والله سبحانه لم يتخط هذا الملاك في كل ادوار البشريه عليه
تفاوتت الرسائل السماوية والكتب المنزلة من لدنه .

وقد قال علي عليه السلام في الافصاح عنه : ثم انزل عليه الكتاب نوراً لا تظلم اصابعه ،

وسراجاً لا يخبو توقده ، وبحراً لا يدرك قعره ، ومنهاجاً لا يضل نهجه ، وشاعراً لا يظلم ضوئه ورفقاً لا يخمد برهانه ، وتبياناً لا تهدم أركانه وشفاءً لا تخشى أسقامه ، وعزاً لا تهزم أنصاره ، وحقاً لا تخذل أعوانه ، فهو معدن الإيمان وبهجوحنه ، وبنابيع العلم وبحوره ، ورياض العدل وغدرانه ، واثافي الإسلام وبنائه ، واودية الحق وغطائه ، وبحر لا ينزفه المستنزفون وعيون لا ينضبها الماتحون ، ومناهل لا يفيضها الواردون ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون . واعلام لا يعمى عنها السائرون ، واكام لا يجوز عنها القاصدون .

ثم انزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحُه ، كثيراً ما يقال العلم نور وهو حق لان النور يكشف الوهدة من النجدة ويميز الطريق المعتدل عن المعوج و ما الى ذلك العلم يشخص الضلال الموجب للانحراف و السقوط و الهدى الموصل الى الحق و كتاب الله لما احتوى على اهم المعارف العقلية كان نوراً يستضاء به وهدى يهتدى بوسيلته وانما لا تطفأ مصابيحُه لتركز حقائقه ، وسراجاً لا يخبو توقده ، خبت النار اذا هفت والحقيقة المر كزة لا قدیم فيها ولا جدید ولا تمر بها كهولة ولا شيخوخة والتوقد هو الاشتعال ، وبحراً لا يدرك قعره ، لان الغنان الوارد في العلوم يستطيع ان يستنبط من مضامينه ما يشاء ، ومنهاجاً لا يضل نهجه ، المنهاج الطريقة فاذا وضعت وبانت وانكشفت امتنع ان يحصل لناهجها ضلال في سلوكه ، وشاعراً لا يظلم ضوئه ، لا استمرار شعلته ، ورفقاً لا يخمد برهانه ، الفرقان ما يفرق بين الشيء والشيء والمنظور بذلك عنما يوجد من الفرق بين الحق والباطل وانما لا يخمد برهانه لانه قائم على اليقين لاعلى الشبهات والاعوات ، وتبياناً لا تهدم أركانه ، النبيان هو البيان والبيان هو الايضاح والاصحار و كل حقيقة اذا اضعفت وانكشفت وانجلت لا تقبل الهدم بالسفسطة والمعميات ، وشفاءً لا تخشى أسقامه ، اى لا تخشى معه الاسقام لانه يقضى عليها . وعزاً لا تهزم أنصاره ، لان العزيز حافظ لحرمة طارده للذل عن ساحته و كل من كان كذلك كان ثابتاً غير منهزم . وحقاً لا تخذل أعوانه . من طريق المنطق وان استطاعت القوى الهدامة ان تشتتهم و تسحقهم ، فهو معدن الإيمان وبهجوحنه ، الإيمان هو الاعتقاد الجازم بالشيء و متدبر

القرآن يجي مؤمنا بحقائقه غير متزائل في عقيدته وبحبوحه الدار وسطها المرموق يقال فلان في بحبوحه الشرف و يراد توسطه فيه و تركزه عليه ، وينابيع العلم وبحوره ، ينبوع هو الماء المتفجر من تحت الارض والقرآن يبعث في العقول كوامن الحقائق فكان نظيراً للينبوع فيما يعطيه ، ورياض العدل وغدرانه، الغدران جمع الغدير وهو الانخفاض في الارض الجامع لماء المطر والرياح جمع روضة وهي القطعة المعشبة من الارض والقرآن بالنسبة الى محافظته على العدل واصراره على العمل به حق فيه الوصف الآنف ، واثافي الاسلام وبنياه ، الاثافي جمع اثفية وهي العجارة التي توضع تحت اسافل القدر لتقوم عليها كالأعمدة للبياس ولأربابان القرآن عماد الاسلام وعليه قام بناؤه ، واودية الحق وغيطانه ، الاودية جمع الوادي وهو الانخفاض العميق الذي يكون بين الجبال والغيطان جمع الغائط وهو ما انخفض عن سائر القطع المجاورة له واطمان والمنظور ان القرآن مسير ومسيل للحق وهو موضع اطمئنان له ، وبحر لا ينزفه المستزفون ، النزيف في الاصل يقال لجريان الدم من البدن الى خارجه باستمرار ثم استعمل في نظائره والبحور المادية عقلاً قابلة للاستنزاف الا ان خزائن العلوم لا تقبل ذلك بل هي على استمرار البحث تفيض و تزداد ، و عيون لا ينضبها الماتحون ، نضبت العين اذا فرغ ماؤها وجفت والماتح هو المستقى بالدلاء والمعنى بهذا ماعنى بالفقرة السالفة ، ومناهل لا يفيضها الواردون ، غاض الماء اذا انقطع والمناهل جمع المنهل وهو المكان الذي ينهل منه اى يورد والواردون جمع وارد وهو الذي يريد الاستقاء او الشرب ، ومنازل لا يضل نهجها المسافرون ، اى لا يتيه المسافرون عن جادتها لانها منازل عامرة و الطرق المؤدية اليها شارعة ، و اعلام ، اى شواخص مرتفعة ، لا يعنى عنها ، اى عن رؤيتها و الاهتداء بها ، السائرون و اكام ، جمع اكم وهي الهضبات، لا يجوز عنها القاصدون ، بل يؤون اليها للاستراحة لطهارتها عن الادران فان الروابي مظنة النظافة والطهارة : وجماع كل هذه الاوصاف بالنسبة الى القرآن انه مجمع كافة الفضائل .

جعل الله رياً لمطش العلماء و ربيعاً لقلوب الفقهاء و محاج لطرق الصلحاء و

دواء ليس بعده داء ونوراً ليس معه ظلمة وحبلاً وثيقاً عروته ومعقلاً منيعاً ذروته و
عزاً لمن تولاه وسلماً لمن دخله وهدى لمن ائتم به وعذراً لمن انتحل به وبرهاناً لمن
تكلم به و شاهداً لمن خصم عنه و فلجاً لمن حاج به و حاملاً لمن حملة ومطية لمن
اعمله و آية لمن توسم وجنة لمن استلاءم وعلماً لمن وعى و حديثاً لمن روى وحكماً
لمن قضى .

جعله الله رياً لعطش العلماء ، الرى هو الارتواء من الماء غير ان المراد من
العطش هنا هو العطش المعنوى وهو الاحتياج الملح الى تفهم الفواضل والذى يرفعه
هو القرآن ، و ربيعاً لقلوب الفقهاء ، الربيع هو الفصل الذى يكثرفيه الماء والكلاء
ويتحسن الهواء وهو مطلوب للطبيعة لامتيازه بهذه الامتيازات المرغوبة و لذلك شبه
القرآن لامتيازاته الجالبة بالربيع وقلوب الفقهاء بالطبيعة التى تستفيد منه
من آثاره اتم استفادة والفقير هو المتخصص باحكام الشرائع ، ومحتاج لطرق الصلحاء
،المحتاج جمع محجة وهى الجادة الشارعة والصلحاء انما يحتاجون السير فى مضامين
القرآن لانه بمواعظه و زواجره و ارشاداته يوفى بهم على المقصود الصالح الذى
يتوخونه ، ودواء ليس بعده داء، اى هو دواء اذا استعمله المريض شفى و لم يعاوده
مرضه ، ونوراً ليس معه ظلمة ، فان نور المعنويات لا ينطفأ ولا يقل بل يزداد ، وحبلاً
وثيقاً عروته ، فالتمسك بعروته قابض على ما ينجيه ولا يفلته ، و معقلاً منيعاً ذروته ،
المعقل هو الحصن والملجأ و ذروته القباب العالية التى تشاد عليه توفيراً للراحة و
الاحسان ، وعزاً لمن تولاه ، اى اتخذه ولياً له ، وسلماً لمن دخله ، اى مأمناً لمن
طلب الامان فيه ، وهدى لمن ائتم به ، اى ان القرآن امام هاد لمن استهدى به ، و
عذراً لمن انتحل به ، اى من اتخذه شريعة له كان عذراً له عند الله . وبرهاناً لمن تكلم
به، اى لمن تكلم بمضامينه فانها تغنيه عن اقامة البرهان عليه لانها كالقضايا التى
قياساتها معها ، و شاهداً لمن خصم عنه ، اوبه فكما ان الشاهد فى الخصومة يكون
بينه يحكم من طريقها على الخصم كذلك القرآن بالنسبة الى من يتخذه شاهداً فانه
يكون بينه له على مدعاه ، و فلجاً لمن حاج به، اى سبباً للغلبة لمن حاج خصمه به لمتانة

ادلته وقوة براهينه ، وحاملا لمن حملة : اى ان من يحمل القرآن بالحفظ والتفهم له يعود محمولا به لانه يريجه وينجيه و يخفف عليه كثيراً من المشاق ، و مطية لمن اعمله ، اى اعمل مضامينه واحكامه والمطية هى الحامل المريح المنجى و الكلمة استعارة ، وآية لمن توسم ، المتوسم هو المتفرس فى الشىء لاجل التعرف عليه و المنظوران من يتفرس فى الاشياء لاجل ان يقف على الغث والسمين منها فالقرآن نعم العون له على ذلك لانه علامة فارقة بين الحق والباطل والغث والسمين ، و جنة لمن استلام ، الجنة هى الوقاية و استلتم لبس لامة الحرب التى تقيه من ضرب السيوف و وخز الرماح اى ان من يتدبر بالقرآن يكون لهوقاية من كل ضلال ومكروه، وعلماً لمن وعى ، اى ان من حفظ القرآن وفهمه وتدبره كان له علماً لايحتاج معه الى شىء آخر، و حديثاً لمن روى ، اى هو احسن الحديث لمن يريد ان يروى شيئاً من العلوم و الفنون و الاحاديث ، و حكماً لمن قضى ، اى هو الحكم القاطع للقاضى .

وقال عليه السلام فى تكريمه ايضاً (ج ٢ ص ٥١٠ من النهج الحديدى) واعلموا ان هذا القرآن هو الناصح الذى لا يفسد والهادى الذى لا يضل والمحدث الذى لا يكذب و ما جالس هذا القرآن احد الا قام عنه بزيادة او نقصان زيادة فى هدى و نقصان من عمى واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن من فاقة ولا لاحد قبل القرآن من غنى فاستشفوه من ادوائكم واستعينوا به على لأوائكم فان فيه شفاء من اكبر الداء وهو الكفر والتفارق والغى والضلال فاسئلوا الله به وتوجهوا اليه بحبه ولا تسالوا به خلقه انه ما توجه العباد الى الله تعالى بمثله واعلموا انه شافع ومشفع وقائل مصدق و انه من شفيع له القرآن يوم القيامة صدق عليه فانه ينادى مناد يوم القيامة شفيع فيه ومن محل به القرآن يوم القيامة صدق عليه فانه ينادى مناد يوم القيامة الا ان كل حارث مبتلى فى حرثه و عاقبة عمله غير حرثة القرآن فكونوا من حرثته واتباعه واستدلوه على ربكم واستمصحوه على انفسكم وانهموا عليه آرائكم واستغشوا فيه أهوائكم .

واعلموا ان هذا القرآن ، اى الكتاب المتداول بينكم يجب ان تعرفوا حقه تمام المعرفة فانه ، هو الناصح الذى لا يفسد ، لانه انما انزل لتعديل نظامكم وتديير

امور اجتماعكم ، والهادى الذى لا يضل ، لانه من عند الله الذى لا يشوب علمه جهل ولا كماله نقصان ، و المحدث الذى لا يكذب ، لان الكذب وسيلة العاجزو القرآن انزله اغنى الاغنياء و ابعث كل الموجودات عن الحاجة ، و ما جالس هذا القرآن احد ، اى ما تدبره انسان عاقل ، الا قام عنه بزيادة ، تحصل له ، او نقصان ، يزول عنه ، زيادة فى هدى ، لاحتوائه على النصائح الكافية والمواعظ الشافية ، و نقصان من عمى ، اى من جهل لان الجاهل اعشى . واعلموا انه ليس على احد بعد القرآن ، والتدبر فيه واستجلاء مضامينه ومعانيه ، من فاقة ، اى من حاجة لا يستجمعه جميع ما يقوم بزداد الدنيا والاخرة ، وللاحد قبل ، ان يتعرف و يتزود من ، القرآن من غنى ، ومهما حاول تهذيب نفسه فان كمالات القرآن فوق ما يتصوره المتصورون . فاستشفوه ، اى اطلبوا منه الشفاء الروحى والصحة المعنوية ، من ادوائكم ، و اسقامكم النفسية ، و استعينوا به ، اى بجيل ما احتوى عليه من حلول مشكلات و كشف شبهات ، على لاوائكم ، اى شدايدكم التى تتنور حياتكم الفردية والاجتماعية ، فان فيه شفاء من اكبر الداء ، فكان قائلاً يقول و ما هو اكبر الداء فقال ، و هو الكفر والتفارق و الفى و الضلال ، اما داء الكفر فلان الملمحد على حد الحيوان الضارى لا يزعه ولا يمنعه عن ارتكاب المنكرات اهم و ازرع و اقوى مانع من وجهة الاخلاق وما ضر مثل هذا على الاجتماع : و اما التفارق وهو الدجل والتدليس فما ضر وقعه فى الاجتماع وما اكثر افساده فى الافراد وما شد نكايته فى النفوس و من طريق التدليس العلمى والعملى كم ضاع حق و اشد باطل و امينت حقيقة و احيت بدعة و للتفصيل مجال آخر و اما الفى و الضلال فهما الانحراف عن الجادة المعتدلة وذلك يستلزم التجاوز والتعدى على حقوق الاغيار والاهتداء بانوار القرآن يشفى من كل هذه الادواء ويداوى كافة هذه العلل و الامراض ، فاسئلوا الله ، الهداية و الايمان و الصلاح ، به ، اى بسببه و من طريقه ، و توجهوا اليه ، اى الى الله ، بحبه ، اى بحب القرآن لان القرآن عزيز على الله كريم عنده جليل لديه ، و لاتسالوا به ، اى بسببه ، خلقه لان الله اغنى من الخلق و كتابه اعز عليه بالنسبة اليهم ، انعمت توجه العباد الى الله تعالى

بمثله ، لقربه منه تعالى ، واعلموا انه شافع ومشفع ، وشفاعته انما تكون لمن يعطيه
 حقه ويوفيه احترامه ويقوم بمسئد عيانه ولا ريب في قبول شفاعته حينئذ لانها في الحقيقة
 شفاعة العلم النافع والعمل الصالح ، وقائل مصدق ، فيما يخبر به الله تعالى من وفاء من
 وفي له وجفاء من جفاء ، وانه من شفيع له القرآن يوم القيامة صدق عليه ، من ناحية الله ،
 فانه ينادى مناد يوم القيامة ، شفيع فيه ، اى ان القرآن يشفع في حق من يشفع له ويقول
 عنه خيراً ، ومن محل ، محل به محل اذا قال في حقه ما يوجب ضرره ويوجه سوء اليه ،
 القرآن ، بان قال ان هذا الانسان كان جافياً له غير معتد به مكذبا فيه ، يوم القيامة
 صدق عليه فانه ينادى مناد يوم القيامة الا ان كل حارث مبتلى في حرثه ، اى مسؤل عما
 حرث وزرع ، وعاقبة عمله ، الذى صدر عنه في دنياه ، غير حرثه القرآن ، الذين اتخذوه عملاً
 لهم وحرثا في دنياهم فان هؤلاء ينالون من ورائه كل الخير ويستثمرون من طريقه كل بركة
 فكونوا من حرثه واتباعه ، والآخذين عنه والمعتبرين به ، واستدلوه على ربكم ، اى اجعلوه
 دليلاً على الله فانه يوصل اليه ، واستصحوه على انفسكم ، فانه اصدق ناصح و اعلم
 من كل منند ومبشر ، واتهموا عليه آرائكم ، فان اشارت عليكم آراؤكم بشيء و اشار
 عليكم بخلافه فخذوا عنه واتهموا آرائكم في قبالة ، واستغشوا فيه أهواءكم ، وميولكم
 فان الهوى النفسى والميل الشخصى يدفعان الى كل مضرة ويوقعان في كل معرفة اما
 القرآن فهو بعيد عن جميع الاتهامات قريب من كل الخيرات .

وقال ﷺ في نعت نبي الاسلام (ج ٢ ص ٤٧٣ من النهج الحديدى) ابتعثه بالنور
 المضىء والبرهان الجلى والمنهاج البادى والكتاب الهادى أسرته خيراً أسرة وشجرته
 خير شجرة اغصانها معتدلة وثمارها متهدلة مولده بمكة وهجرته بطيبة علا بها ذكره
 وامتد منها صوته ارسله بحجة كافية و موعظة شافية و دعوة متلافية أظهر به الشرائع
 المجهولة وقمع به البدع المدخولة وبين به الاحكام المفصولة فمن يبتغ غير الاسلام
 ديناً تتحقق شقوته وتنقص عروته و تعظم كبوته و يكون ما به الى الحزن الطويل و
 العذاب الوويل .

ابتعثه ، وبعثه بمعنى واحد ، بالنور المضىء ، يجوز ان يريد به دين الاسلام كما

يجوز ان يريد به القرآن و كلاهما لما تكفلا يصل الناس الى السعادة وتمييز الحق عن الباطل و كشف عن المصالح والمفاسد كانا نوراً للمكلف يضيآن له طريقه الذي يمضى فيه لادامة حياته ، والبرهان ، هو الدليل القاطع على الشيء ، الجلى ، لان البرهان الفاض لا يستفاد منه بالمرة او لا يستفيد منه الا الخاصة من الناس واما البرهان الجلى فهو مما يستفيد منه العموم وبذلك تكون للمميزة على كافة البراهين والاسلام والقرآن كلاهما بمضا مينهما العالية وتعاليمهما الفطرية واصابتهما الاهداف الواقعية بما يفهمه عامة الناس بالتدبر لهما واما عن النظر فيهما من اجلا الاديان والكتب المتداولة اليوم بعنوانها ادياناً و كتباً سماوية برهاناً و اقومها ميزاناً ، و المنهاج البادى ، وهو الطريقة المكشوفة التى لانعمية فيها ولا غموض نظير ما يوجد من المعميات فى جملة من الاديان الراجحة والمذاهب المنتشرة مما هو دليل تزويرها ودجلها، والكتاب الهادى ، وهو القرآن الذى لا ياتيه الباطل من خلفه ومن بين يديه ، اسرته خير اسرة ، بالنسبة الى غيرها من الاسر الدارجة واستعراض التاريخ يصحح بجلاء ان بنى هاشم بمجموعهم من حيث المجموع لهم تفوق على الاسر الباقية فى المعنويات والملابسات العشائرية ، وشجرته خير شجرة اغصانها معتدلة ، والمنظور باعتبارها انها عريقة فى الحياة غير متهافتة ولا ذليلة ولا ساقطة ولا مبتلاة بشويه، وثمارها متهدلة، اى متدلية فان الثمرة اذا كثرت فى الشجرة هدلت اغصانها لتقلها وذلك من صفات المدح والعرادان سجاياها الطيبة كثيرة ، ومولده بمكة ، حرم الله وهو جهة اعتبار عقلاى نظير سائر الاعتبار العقلية المأخوذ بها بين العقلاء بما هم عقلاء ، وهجرته بطيبة ، وهى يشرب فى الاصل والذى سماها طيبة هو النبى الاكرم لانها مظهر دين الاسلام ومناخ رجاله الافذاذ وبلد انصاره الاجلاء ، علابها ، اى بطيبة ، ذكره ، بعدما ضايقه قومه وضيقوا عليه رجب الارض الواسعة ، وامتد منها صوته ، الى سائر البقاع وبقية الاصقاع وبذلك يشبث شرف عظيم للانصار جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين خير الجزاء ، ارسله بحجة كافية ، لتثبيت الحق وفرض الواقع على الناس وموعظة شافية، لامراء فى تركها وواقعيتها، ودعوة متلافية ، لكل المفاسد الدارجة بين الناس بالاصلاح ، اظهر به الشرائع

المجهولة ، اى الحقائق المغمورة التى جر عليها ذيل النسيان والاهمال . وقمع به البدع المدخولة ، اى الفاسدة التى احدثها الدجالون لاجل ان يستثمروا من طريقها بغيتهم فى الحياة المادية ، وبين به الاحكام المفصلة ، اى الفاصلة بين الحق والباطل وانما صارت مفصلة ببيانها لانها كانت مفصلة قبله ، فمن يتبع غير الاسلام ديناً ، بعدما كان بهذه الهوية المريقة فى الصلاح والرشاد والصحة والسداد ، تنحقق شقوته قطعاً ، اذ لا شقاء امض بالانسان من انحرافه عن الطرق اللاحقة الموصلة الى المقاصد الصالحة ، وتنقسم عروته ، اى انه ينهار فى الحياة انهاراً غير قابل للجبران ، وتعظم كبوته ، يقال كبا الجواد اذا عثر فسقط الى الارض والكبوة العظيمة مآلها الى التلاشى المحتم ، ويكون مآبه ، ومآله ومصيره ، الى الحزن الطويل ، والندامة المضية ، والعذاب الوويل ، اى ذى الوبال والهلاك .

وقال **عليه السلام** فى شأن النبى من (ج ٢ ص ٤٦٦ من النهج الحديدى) ارسله على حين فترة من الرسل وطول هجمة من الامم وانتقاض من المبرم فجائهم بتصديق الذى بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن أخبركم عنه الان فيه علم ما يأتى والحديث عن الماضى ودواء دائكم ونظم ما بينكم .

ارسله ، اى ارسل نبى الاسلام ، على حين فترة من الرسل ، اى بعد مرور زمان على انقطاع الرسالة السماوية عن الارض ، وطول هجمة من الامم اى ومن بعد نوم طويل عن الحق والعمل بمن ناحية المكلفين ، وانتقاض من المبرم ، المبرم المفنول وانتقاضه انحلاله اى ومن بعدما اهملت الشرائع الحققة ونقضت الاصول الدينية وحرقت احكام الله وتلوعب بدين الله ، فجائهم بتصديق الذى بين يديه ، اى الذى كان امامه فان الاديان السابقة على الدين اللاحق باتجاهه لها تكون امامه والامام يكون بين يدي المستقبل ولا ريب ان اديان الله كلها حق وكلها ترمى الى غايقوا حدتها وكلها تدور على محور فذلا بدع اذا جاء القرآن مصداقاً لها جميعاً لكن سوء الصدف قضت بان الدين النزيه عن كل فضول وتشويه لا يمضى من عمره الا القليل بعد فوت الداعية المشروع له وبعده تبدأ الانحرافات تغتوره من كل جانب ومكان فلا تراه بعد ازمان الاشياء

آخر لاربط له بنفسه في اول تشريعه ، والنور المقتدى به ، عطف على قوله بتصديق اى وجائهم ايضاً بالنور الذى يجب ان يكون قدوة لطالب النجاة ، ذلك هو ، القرآن فاستنطقوه ، ليتكلم فتستفيدوا من نطقه ، ولن ينطق ، بلسان ذى صوت ولكن بحقائق شاخصة بنفسها ومضامين عالية في عيارها ، ولكن اخبركم عنه ، مجملاً ، الا ان فيه علم ما يأتى ، اما غيب المستقبل فعلمه عند الله يطلع عليه من يشاء من أمثاله ، والحديث عن الماضى ، لا بداعى قصر الاخبار بل بداعى العظة والاعتبار ، ودواء دائكم ، اى كل اوجاعكم الروحية وادوائكم الاخلاقية هو دوائها الوحيد بجميل ارشاداته وبلغ ابلاغاته ، ونظم ما بينكم ، اى هو الناظم لكم نظم السلك للخريزات حيث لا تصادم معه ولا تزاحم مع المشى على سنته مضافاً الى عظمة قوانينه واحقاقه الحق الواقعى وابطاله كل زائف و منحرف .

وقال عليه السلام فى شأنه صلى الله عليه وآله (ج ٢ ص ٤٢٧ من النهج الحديدى) فبعث الله محمداً ص بالحق ليخرج عباده من عبادة الاوثان الى عبادته و من طاعة الشيطان الى طاعته بقرآن قدينه وأحكامه ليعلم العباد ربهم اذ جهلوه وليقرؤا به بعد اذ جحدوه وليثبتوه بعد اذ انكروه فتجلى لهم سبحانه فى كتابه من غير أن يكونوا رؤوه بما أراهم من قدرته وخوفهم من سطوته و كيف محق من محق بالمثلات واحتصم من احتصم بالنقمة .

فبعث الله محمداً ص بالحق ، اى بما هو الواقع البعيد عن كل اضلولة وتلبيس ليخرج عباده ، تعالى ولو جحدوه رأساً فان كافة الكائنات و من جعلتها الانسان مخلوقة له ولوضلت عقول جملة فاعتبروا انفسهم كائنين من غير مكون وموجودين بلاموجد ، من عبادة الاوثان ، جمع وثن و هو الصنم و هى ارباب العبادات انصافاً ومن الادلة الجاهرة على اغراق عبادها فى الجهل و الاوهام ، الى عبادته ، هو تعالى حيث يلفت انظارهم العازبة الى ان ما يفعلونه بعيد عن المنطق فان الانسان انما يجوز له عقله ان يعبد من بيده نفع و ضرر و تغيير للامور و تحوير و من بيده الشدة و الرخاء و العافية و البلاء و السعادة و الشقاء و هاته النسب المنصوبة المصنوعة من حجارة او مادة اخرى من

أحقر الموجودات لوقوعها آلة للآلعب والهزل وناحتها أقوى منها وصانعها منصرف بها فكيف يليق بها أن تنتصب معبودة للإنسان الذي هو أشرف منها ومن أكثر الكائنات. وليعلم أن وظيفة الرسول ومهمة الفيلسوف هي إبراز كوامن العقول واجالة الصور المندكة في الأذهان فانه ما من شيء بقدره العقل ادراكه وما من مفهوم باستطاعة الذهن ان يتجول فيه الا وهو موجود في العقول البشرية ودقائق الأذهان الانسانية غايته انه موجود ليس بمكشوف فالرسول في دعوته الى الله انما يلفت العقول الى ما غرس فيها واستكن في كوامنها ولذا ترى المدعو بعد الفات نظره تماماً كأنه كان ناسياً فتذكر وغافلاً فتنبه وبعيداً عما هو موجود عنده فأدنى منه وهكذا الفيلسوف في كافة ما يعزى اليه من ابتكار فانه لم يخلق شيئاً لا وجود له في العقول غايته انه انما يبجل ويمجد لالتفاته قبل غيره الى كوامن عقله الموجودة في سائر العقول ايضاً كما هي موجودة في عقله فتنبه لها قبل ان يتنبه الغير وهكذا يقال في المخترعين والمكتشفين فانهم لم يوجدوا من انفسهم ما لم يكن موجوداً بل كل ما اظهروه موجود في بطون الطبيعة بلا زيادة او نقصان ولكن ميزتهم على من سواهم انهم التفتوا الى هذه القوامض التي لم يعرفها الغير اقل التفات حتى يحظى بها كما حظى بها هؤلاء .

ومن طاعة الشيطان ، ومتابعة الميول النفسية ، الى طاعته ، هو تعالى حيث السعادة في ذلك لهم لاله لفرهم الى من يسعدهم ويهديهم الى الطريق الموصل للنجاة وغناه عن كل ذلك لكماله ، بقرآن ، يجوز ان يكون قوله **قُلْ** بقرآن بياناً لقوله آتياً فبعث الله محمداً **رَبِّهِ** بالحق فيكون المراد بالحق هو القرآن كما يجوز ان يكون متعلقاً بقوله ليخرج عباده بقرآن اي بكتاب جامع لكل ما فيه خير وسعادة للبشر ، قد بينه ، اي اوضح ما فيه ليستفيد منه كافة العقلاء فان القرآن للناس جميعاً وهم المخاطبون به وقد ضل عن القصد من زعم ان القرآن انما تعرف مقاصده وتستفاد معانيه من طريق تفسير النبي والائمة له وبدون ذلك لا ينعقد له ظاهر من نفسه ولا يستفاد منه شيء : وضلال هذا الزاعم من عدة نواحي .

(١) ان هذا القرآن حين انزل لم يكن نبي الاسلام مصدقاً بالنبوة عند معاصريه

حتى يكون كلامه حجة ومدركاً على تفسيره وتأويله وإنما كان الكتاب المذكور آية صدقه وبرهان نبوته ومعجزة دينه فلو كان معنى المقاصد مستور المعاني لم يكن فيه أقل تأثير في عضد النبي ﷺ وتأيبه.

(٢) ان هذا القرآن قد تحدى به الله كافة معاصري نزوله من العرب الاقحاح الجاحدين لهولمن جاء به فاذا كان معنى المقاصد مستور المعاني خرج عن كونه قابلاً لان يتحدى به.

(٣) ان هذا القرآن معجزة محمد والاسلام الخالدة وليس هو كتاباً للمعتقدين بالاسلام فقط بل لكل مكلف سواء كان مسلماً أم كفاً ام ملحداً محضاً فاذا كان معنى المقاصد مستور المعاني سقط عن هذه الحيثية .

(٤) ان هذا القرآن هو الحجة الاولى في الدين الاسلامي فاذا كان معنى المقاصد مستور المعاني وكانت مقاصده ومعانيه قائمة بما يروى عن النبي (ص) وآله (ع) لم يكن معنى لهجيته ولا استقلاله بالمدركية بل كانت الحجة هي السنة فقط وبطلان هذا الوجه من ضروريات الدين الاسلامي .

(٥) اذا كان هذا القرآن معنى المقاصد مستور المعاني من حيث نفسه لم يكن معنى لماورد في السنة المتواترة من وجوب عرض الاخبار عليه فما وافق منها كتاب الله يؤخذ به وما خالفه يطرح .

(٦) اذا كان القرآن بالوصف الأتق لم يكن معنى لدعوة على ﷺ مناوئيه الى الوقوف على مضامينه للفيصلة بينه وبينهم بالحكومة اليه وقد فعل ذلك في حرب الجمل وغيرها .

(٧) اذا كان القرآن بالوصف المزبور سقط عن جميع حيثياته وكان ملاً كملك الطلاس و المعميات التي تجدها في كتب الادعية والاحراز فكما ان هذه لا يستفاد منها اقل شيء ولا يجوز ان تعرض على مخاطب او مكلف كذلك يكون حكمه و هو خلاف الوجدان المكشوف .

(٨) ان العارف باللغة العربية بما هو كذلك يفهم منه كل محكماته بحكم

معرفته بلغة القرآن بلا توقف على شريعة أو تفسير نظير للذ كرمثل حظ الا نشين و
لاتقربوا النساء فى المحيض وما الى ذلك .

(٩) ان القرآن حكم على نفسه بانه كتاب مبين والمبين فى غنى عن التفسير .

(١٠) ان الظواهر خارجة عن مادة التفسير موضوعاً لان التفسير معناه فلق

باطن الشئ واخراج مكنونه والظاهر ظاهر بقرانه من دون حاجة الى فلق واخراج .

(١١) تصريح امير المؤمنين فى خطبته هذه وفى غيرها بان القرآن من مجالى ظهور

الله لعباده وانه تعالى بينه وأحكامه وهكذا تصريح بقية الائمة (ع) بالمفاد المزبور .

اذن فكل ما ورد فى السنة من حرمة التفسير بالرأى فان المنظور به تفسير ما لا ظاهر

منعقداً له كالمتشابهات وهى موارد قليلة لاتمس بكرامة القرآن ولا يقال فى شأنها

والاشكال عليها انها لم انزلت متشابهة فقد تكون هناك علل خفية و مصالح واقعية

دعت الى ذلك فى حينه ، كما ان الذى هو مظنة للتفسير منه بطونه السبعة والسبعون

التي وردت فيها الاثار ونطقت عنها الاخبار و ذلك ما لا ربط له بظواهره المنعقدة

كما لا يخفى .

وفيما يأتى من فقرات هذه الخطبة دليل واضح على ما اسلفناه ، وأحكامه ،

المحكم هنا فى مقابل المتشابهة و المنظور به ما استحکم ظاهره بحيث لا منقذ فيه

للتأويل ، ليعلم العباد ربهم ، من طريقه ، اذ جهلوه ، تعالى قبل نزوله و لم يعطوه

حقه من المعرفة فان هوية الله المرسمة فى اذهان الجاهليين بل والكتابين وسائر

الملل هوية بعيدة عن المنطق كل البعد قريبة من الجهل والضلال و لكن القرآن

فى آيات شتى من سوره أبان حقيقة الله لعباده بانه لاتدرکه الابصار للطافته المتناهية

وهو يدرك الابصار لعلمه الواسع وانه واحد لاثلاثة كما عليه النصارى و انه اقرب

الى الانسان من جبل وريده الى غير ذلك مما سلف شطرواسع منه ، وليقروا به بعد

اذ جحدوه ، لان العاقل اذا وقف على الادلة و المناظرات التى تضمنها القرآن فى

مقام اثبات الصانع لا يعود يشك من نفسه بان العالم له صانع من وصفه كذا و كذا ،

وليثبتوه بعد اذ انكروه فنجلى لهم سبحانه فى كتابه ، تجلى الامر المبرهن عليه فى

أطار برهانه وظهور المدلول من استعراض دليله ، من غير ان يكونوا رأوه ، بأحداقهم بل ، بما اراهم من قدرته ، التي قامت بخلق هذه الاكوان العظيمة الشأن وخوفهم من سطوته ، على العصاة المتمردين ، و ، ضرب لهم مثلاً في ذلك بانه ، كيف محقق من محقق بالمثلات واحتصد من احتصد بالنقمة ، اى ان ما ترونه من سقوط قائم وذلة شريف وخضوع منغطرس وزوال ملك سلطان وما الى ذلك كله من نتيجة العقوبات التي اطاحها بهؤلاء حتى يعتبر بهم غيرهم و امثال هذه العقوبات الجسام لا تتأتى الا من طريق متصرف بالكون والكوائن و ليست هي من فعل البشر الموسوم بالعجزو مهما بلغ من القدرة المؤقتة : والسطوة هي الحملة على الطرف بشدة والمحقق هو الابطال والمثلات بفتح الميم وضم الراء المثلثة جمع مثلة كذلك وهي ما اصاب القرون الماضية من العذاب والحصد هنا هو الابداء العامة والنقمة جمع نقمة وهي الانتقام في مقابل الذنب والعصيان .

وقال عليه السلام في شأن نبي الاسلام ايضاً (ج ٢ ص ١٩٩ من النهج الحديدى) اما بعد فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ وليس احد من العرب يقرأ كتاباً ، ولا يدعى نبوة ولا وحياً فقاتل بمن اطاعه من عاصه يسوقهم الى منجاتهم ويبادر بهم الساعة ان تنزل بهم يحسر الحسير ويقف الكسير فيقيم عليه حتى يلحقه غايته الاهالكاً لاخير فيه حتى اراهم منجاتهم و بوأهم محللتهم فاستدارت رحاهم و استقامت قناتهم و ايم الله لقد كنت من ساقتها حتى تولت بحذا فيرها واستوسقت في قيادها ما ضعفت ولا جينت ولا خنت ولا وهنت و ايم الله لأبقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته اما بعد فان الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ وليس احد من العرب يقرأ كتاباً ، اى انهم كانوا حينذاك متعاضين في العامة عريقين في الجهل لان الدراسة و المطالعة مهماتكن نزدة قليلة فانها تعطى صاحبها شيئاً من الثقافة ولذلك كان في ضمن مئات الالوف من عرب الجزيرة بعض المثقفين من طريق ممارستهم لاهل الفضل والكمال و من هذه الجهة عرفوا ببعدهم عن عبادة الاوثان وانشمارهم عن اكثر الخرافات : اما العامى العريق في الجهل فلا يكون الامفرقاً في التوحش جافاً في اخلاقه سمجافاً

حركاته وسكناته ثقيل الظل بعيداً عن الرحمة قريباً من القساوة ولذلك اغذت الرذائل
بشئات انواعها في عرب الجاهلية فقد كانوا سفاكين للدماء غائشين على الغارات و
الانتهايات يطاردون الانسان والحيوان جميعاً على ارواحهم الى غير ذلك من الهنات
الناية عن الذوق الانساني ومن هنا يعرف ان نبي الاسلام كم طوح بنفسه في سبيل
انقاذهم من هذه الضلالات وطلع بهم الى شارع النجاة ، ولا يدعى نبوة ولا وحياً ، لا
حقاً وصدقاً كما هو واضح وما كان من امر هود و صالح وشعيب فيرجع عهده الى زمان
قديم جداً لربط له بعصور النبي ص كمال يدع النبوة قبل نبي الاسلام احد من عرب
الجزيرة لجهلهم بمادتها اساساً وما حدث من امر مسيلمة وسجاح فقد كان بعد عصر النبوة وبعد
ان عرف العرب ماهي النبوة و كيف تدعى والمنظور من الفقرتين ان بعثة النبي ص صادفت
احتياجاً مبرماً للدعوة الاسلامية لانها واجهت امة مغذة في الجهل الموجب للعناد و
المبارزات السخيفة كما حصل كل ذلك امام وجه النبي ص ، فقاتل بمن اطاعه
من عصاه ، بعد ان قضى من عمر بعثته ما يقرب من خمسة عشر عاماً في التبشير والانذار
فلم ينجع تبليغه الا في عدة معدودة لم تستطع ان تحتفظ بدينها الا بالهجرة الى ديار
الغربة او بالاصاخة للعذاب المزعج و كل جامعة تبلغ وحشيتها وتمردتها على السعادة
الى هذا الحد لا يكون بد من سوقها الى الحق بعصا التأديب ومن هنا يعلم ان دين الاسلام
كم ساير هذه الشعوب المتعنتة بلين ورفق وسمح فلم يثن من حديثها اقل شيء كمال
يؤثر فيها اقل شيء و بقيت الدعوة منحصرة بافراد ليس باستطاعتهم القيام بوظيفتهم ،
يسوقهم الى منجاتهم ، اى انه **صلى الله عليه وسلم** لم يستهدف بقتاله اياهم ان يسود عليهم ويمص
من دمائهم ليشيد من شخصيته و يقيم من مقامه وينال من دنياه العيش الرخي والتصرف
غير المحدود كما يحاول ذلك كل زعيم بل انما فعل ما فعل وزاحم حياته وراحته و صرف
العزيم من عمره لاجل ان يتقدم من الهلكة ويركبهم سفن النجاة : والمنجاة مصدر
ميمى وهو النجاة بنفسها ، ويأدر بهم الساعة ان تنزل بهم ، المبادرة هي الاسراع في
تحصيل المقصود والساعة هي انحلال الحياة الدنيا بقيام القيامة ومعنى الفقرة ان نبي
الاسلام من شدة شفقتة على هذا المخلوق كان فيهم مزعج ان يفاجئهم الله تعالى بانقضاء

هذه الدنيا الى الحياة الاخرى وهم على ضلالهم الموجب لشقائهم الابدى فكان يصل ليله بنهاره في ايصال الدعوة اليهم واشباع ارواحهم بالحق الذي هم مسؤولون عنه و مأخوذون به فهو ﷺ في اصراره هذا كأنه يسابق الساعة بهم حتى يدخلهم في رضوان الله قبل حلول آجالهم ليفدوا على ربهم بعقائد صحيحة واعمال مثمرة و هذا المعنى غاية في رأفة النبي ﷺ وحنانه على الناس ، يحسر الحسير ، يقال فلان حسر عن الشيء اذا عجز واعيب والحسير هو العاجز الكال ، ويقف الكسير وهو من كسر عضوه الذي يمشى به فيقف حيث لا وسيلة الى المشى والحركة ، فيقيم ، اي النبي ﷺ ، عليه حتى يلحقه غايته ، يقول ﷺ ان نبي الاسلام من مزيد رأفته بعامة الناس ان من يعيب ويعجز عن تدبر الحقائق لا يرسله ارسال المهملات كما يفعل سائر الدعاة بل يقيم عليه ويعلمه الشيء بعد الشيء مكرراً ومقرراً حتى يلحقه بغايته وهي التعرف بالحق والاعتناق له ، الاها لكأ لاخيره ، اي الا انساناً يبلغ به الجهل والعناد مبلغ المكابرة والمهاترة ومثل هذا لامجال معه للمجاملة فهو هالك لاخيره فالذي فعله رسول الله من كل هذا وذاك مزيد من الرأفة والحنان وسعة الاخلاق وكثرة التحمل ، حتى أراهم منجاتهم ، اي ما ينجون به ، وبوأهم محللتهم ، اي اسكنهم مكانهم الذي كان من لازمهم ان يكونوا فيه : فاستدارت رحاهم ، استدارت الرحي اذا اخذت حظها من الدوران الصحيح بسلامة من جميع آلاتها وذلك كناية عن استتمام امور المسلمين و اعتدال اوضاعهم بعد اضطرابها ، واستقامت قناتهم ، والمعنى الكنائى لهذه الفقرة مثل الذي قلناه في الفقرة الاتفة : واستقامت القناة اي اعتدلت بعد اعوجاجها ، وايام الله ، كلمة يقسم بها ، لقد كنت من ساقنها ، الساقعة جمع سائق كالقائد والقادة والذائد والذادة ويرجع الضمير في ساقنها الى ما يتصيد من مضامين الفقرات السابقة اي كنت في هذه المناورات والمبارزات بين اهل الحق واهل الباطل سائقاً اسوق الكنايب الى الجبهة واقود الجيوش الى المناضلة ، حتى تولت ، تلك الغيوم المتلبدة في وجه الحق ، بحذافيرها ، اي بكلها واصبح الدين لله وحده ، واستوسقت ، اي تنظمت الامور واجتمعت ، في قيادها ، اي في النظام الذي يقودها الى الغاية كما تنظم الازمة قطار الابل في سيرها

الى الجهة المقصودة لمسيرها ، ماضفت ، اى ما ابدت ضعفاً وانا اجد قوة ، ولا جنت اى ولا نكلت عن التقدم و للتقدم مجال ، ولا خنت ، دينى و ما ألقى على عاتقى من تكليف فى الذب والذيد ، ولا وهنت ، اى ضعفت عن القيام بواجبى ، وايم الله لا بقرن الباطل حتى اخرج الحق من خاصرته ، بقر بطنه اذا شقها و خاصرة الانسان جانبه وبما ان الباطل فى الاعم الاغلب من شيم النفوس وديدن اكثر الناس لاجرم اذا كان رواجه واستيلاؤه على الاوضاع العامة البشرية موجياً لانغمار الحق تحتد كماه فيكون الحق دائماً مقهوراً باشتمال الباطل عليه ومعنى بقر الباطل شق ركامه المنتشر واخراج الحق من بين اطباقه كشق خاصرة الجبلى لاخراج جنينها: وهنا يليق بنا ان نشير الى خلاصة ما قام به على فى دعم الاسلام و تأييد الدعوة الاسلامية منذ طفولته الى آخر ساعة من حياته : فنقول :

لم يخدم الدعوة الاسلامية بعد النبي الاعظم اى انسان يفرض مثل ما خدمها على بن ابيطالب فقد وقف على هذا المشروع المهم حياته وكرس لتقويمه جميع قواه واذاب فى سبيله كل مهجته حتى سقط فى محرابه على حساب هذه الدعوة قتيلاً .

قال ابن حجر فى الاصابة ولد على قبل البعثة بعشرين سنين على الصحيح فرى فى حجر النبي ﷺ ولم يفارقه وروى غيره اكثر من ذلك حتى اوصله الى الستة عشر عاماً: وقال ابن كثير فى البدايه والنهية (ج ٣ ص ٣٥) قال ابن اسحاق حدثنى ابن ابي نجيع عن مجاهد قال و كان مما انعم الله به على على ان قريناً اصابته ازمة شديدة و كان ابو طالب ذاعبال فقال رسول الله لعمة العباس و كان من ايسر بنى هاشم ان ابا طالب كثير العيال وقد اصاب الناس ماترى من هذه الازمة فانطلق حتى تخفف عنه من عياله فأخذ رسول الله علياً فضمه اليه فلم يزل معه حتى بعثه الله نبياً : وعلى ان لم يكن بالغاً عند البعثة فهو انسان تام التمييز لمتابعته النبي ﷺ فى جميع حر كاته وسكناته وقيامه معه فى صلاته حيث لامصلى غير محمد و خديجة يومذاك فهذا القرب اللاصق معشراً ووشيجة رحم مع اتحاد المنزل والمأوى قاض باتصال على بدعوة ابن عمه اكثره من سواء على الاطلاق .

ومن هذا الباب ما جاء في نهج البلاغة (ج ١ ص ٣٥٥ من النهج الحديدى) من كلام كُتِّم به أصحابه: اما انه سيظهر عليكم بعدى رجل رحب بالعلوم مندحق البطن يأكل ما يجد ويطلب ما لا يجد فاقتلوه ولن تقتلوه الا وانه سيأمركم بسبى والبراءة منى اما السب فسبوني فانه لى زكاة ولكم نجاة واما البراءة فلا تتبرؤا منى فانى ولدت على الفطرة وسبقت الى الايمان والهجرة .

وقال فى ذم اهل العراق (نهج البلاغة ج ٢ ص ٤٧) من فصل : بلغنى انكم تقولون على يكذب قاتلكم الله تعالى فعلى من أ كذب على الله فانا اول من آمن به ام على نبيه فانا اول من صدقه .

وفى فقرة اخرى (ج ٢ ص ٣٧٨ من النهج الحديدى) اللهم انى اول من اتاب وسمع واجاب لم يسبقنى الرسول الله بالصلاة .

ومن جملة كلام له **عليه السلام** ايضا: انا وضعت فى الصغر بكل اكل العرب وكسرت نواجم قرون ربيعة ومضروقد علمتم موضعى من رسول الله **صلى الله عليه وآله** بالقرابة القريبيق والمنزلة الخصيمة وضمنى فى حجره وانا وليد يضمنى الى صدره ويكتفى فى فراشه ويمسنى جسده ويشمنى عرفه وكان يمسح الشىء حتى يلقمى به وما وجدلى كذبة فى قول ولا خطلة فى فعل ولقد قرن الله به من لدن ان كان فليماً اعظم ملك من ملائكته يسلك به طريق المكارم ومحاسن اخلاق العالم ليله ونهاره ولقد كنت اتبعه اتباع النصيل اثر امه يرفع لى فى كل يوم من اخلاقه علماً ويامرنى بالاعتداء به ولقد كان يجاور فى كل سنة بحراء فاراه ولا يراه غيرى ولم يجمع بيت واحد يومئذ فى الاسلام غير رسول الله **صلى الله عليه وآله** وخديجة وانا ثالثهما ارى نور الوحي والرسالة واشم ريح النبوة ولقد سمعت دنة الشيطان حين نزل الوحي عليه فقلت يا رسول الله ما هذه الرنة فقال هذا الشيطان قد ايس من عبادته انك تسمع ما اسمع وترى ما ارى الا انك لست بنبى ولا كنتك لوزير وانك لعلى خير (نهج البلاغة ج ٣ ص ٢٥٠) .

وفى كتاب له الى معاوية (ج ٣ ص ٣٠٤ من النهج الحديدى) فيا صجباللدهر اذصرت يقرن بى من لم يسع بقدمى ولم تكن له كسابقتى التى لا يدلى احد بمثلها الا ان يدعى

مدع ما لا أعرفه ولا اظن الله يعرفه.

وقال ابن الأثير في الكامل (ج ٢ ص ٤١) عند تعرضه الآية : و انذر عشيرتكم الاقربين : ان رسول الله بعد جمعه لبني عبدالمطلب تكلم فقال يا بني عبدالمطلب اني و الله ما اعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما اقد جئتمكم به قد جئتمكم بخير الدنيا والآخرة وقد امرني الله تعالى أن ادعوكم اليه فأيوكم يؤازرني على هذا الامر على ان يكون اخي ووصيي وخليفتي فيكم فأحجم القوم عنها جميعاً فقال علي وهو احدتهم سناً و ارمصهم عيناً و اعظمهم بطناً و احمشمهم ساقاً انا يا بني الله اكون و زيرك عليه فأخذ برقبته ثم قال ان هذا اخي ووصيي وخليفتي عليكم فاسمعوا له واطيعوا فقام القوم يضحكون ويقولون لابي طالب قد امرك ان تسمع لابنك و تطيع - اهـ و على هذا الحديث تعليق مهم نوافيك به في بحثنا عن الامامة قابلاً فانتظر.

وذكر الحديث الآنف الطبري في تاريخه (ج ٢ ص ٢١٧) و ابن سعد في الطبقات (ج ١ ص ١٧١) و النسائي في الخصائص و الكنجي في كفاية الطالب و المتقى الهندي في منتخب كنز العمال (ج ٥ ص ٤١ و ما بعدها) و ابو جعفر الاسكافي في رد الجاحظ (الشرح الحديدي ج ٣ ص ٢٦٣) و الخازن في تفسيره المعروف و القندوزي في ينابيع المودة (ص ١٠٥) و القوشجوري في شرحه على التجريد و الطبرسي في تفسيره و احمد بن حنبل في مسنده (ج ١ ص ١١١) الى غير ذلك وهو كثير.

و من كلام لامير المؤمنين عليه السلام اقتصر فيه ذكر ما كان منه بعد هجرة النبي ص ثم لحوقه به : فجعلت اتبع مأخذ رسول الله ص فأطأ ذكره حتى انتهيت الى العرج (ج ٣ ص ١٨٤ من النهج الحديدي) علق الشارح المعتزلي على ذلك فقال قال محمد ابن اسحاق في كتاب المغازي لم يعلم رسول الله احداً من المسلمين بما كان عزم عليه من الهجرة الاعلى بن ابي طالب و ابا بكر اما علي فان رسول الله اخبره بخروجه و أمره ان يبني بيت علي فراشه يخادع المشركين عنه ليروا انه لم يبرح فلا يطلبوه حتى تبعد المسافة بينهم و بينه و ان يتخلف بعده بمكة حتى يؤدي عن رسول الله الودائع التي عنده للناس .

وروى احمد بن حنبل في مسنده (ج ١ ص ٣٢٠) عن عمرو بن ميمون عن ابن عباس قال وشري على نفسه لبس ثوب النبي ﷺ ثم نام مكانه وهو يرمى بالحجارة كما كان يرمى نبي الله : وفي الفصول المهمة : وذهب من الليل مذهب وعلى نائم على فراش رسول الله والمشركون يرمونه : وذكر هذه الواقعة كل كتاب السيرة والمؤرخين وحررناها باستيفاء في (ج ٣ من نتائج الفكر فليراجع من ص ١٥٩ الى ص ١٧٥) .

وروى الحاكم في المستدرک عن علي (ج ٣ ص ٥) قال لما كانت الليلة التي امرني رسول الله ان ابيت على فراشه وخرج من مكة مهاجراً انطلق الى الاصنام فقال اجلس فجلست الى جنب الكعبة ثم صعد رسول الله على منكبى ثم قال انهض فنهضت به فلما رأى ضعفى تحته قال اجلس فجلست وانزلته عنى وجلس لى رسول الله فقال لى يا على اصعد على منكبى فصعدت على منكبى ثم نهض ﷺ لى فخيلى ان لو شئت نلت السماء وصعدت على الكعبة وتنحى رسول الله فألقبت صنمهم الاكبر وكان من نحاس موتداً بأوتاد من حديد فقال لى رسول الله عالجها فمالجت ومازلت اعالج ويقول رسول الله ايه ايه حتى تمكنت منه فقال دقه فدقته فكسرتة ونزلت : هذا حديث صحيح الاسناد ولم يخرجاه ، وقال المتقى الهندي (ج ٥ ص ٥٤) من منتخب كنز العمال واخرجه ابن ابى شيبه : وابو يعلى في مسنده : واحمد في المسند : وابن جرير : والخطيب في التاريخ ايضاً .

وفي كتاب التاج الجامع للاصول (ج ٣ ص ٣٣٢) عن ابن عمر انه قال اخى النبي ﷺ بين اصحابه فجاء على تدمع عيناه فقال يا رسول الله آخيت بين اصحابك ولم تؤاخ بينى وبين احد فقال له رسول الله من انت اخى فى الدنيا والاخرة : وعلق عليه فقال : وبهذا الحديث امتاز على من بقية الاصحاب : وقال ايضاً (ج ٣ ص ٤٢٠) فما اربحه وما ارفعه بهذه المؤاخاة : وفي قصة المؤاخاة حديث واسع لامجال للتبسط فيه الان .

وروى احمد في المسند (ج ٢ ص ٢٦) عن ابن عمر قال لقد اوتى ابن ابى

طالب ثلاث خصال لأن تكون لى واحدة منهم احب الى من حمر النعم زوجه رسول الله ﷺ ابنته وولدت له وسد الابواب الابابه فى المسجد واعطاه الراية يوم خيبر اه
و كانت راية المهاجرين فى الوقائع كلها مع على بن ابي طالب . راجع لذلك ما ذكره ابن اسحاق والمتقى الهندى فى منتخب كنز العمال (ج ٤ ص ١٠٢ و ص ١٥٧ و ج ٥ ص ٥٠) واحمد فى المسند (ج ١ ص ١٩٩) والحاكم فى المستدرک (ج ٣ ص ١١١ و ص ١٣٧) ومحب الدين الطبرى فى ذخائر العقبى (ص ٧٥) و الحافظ الكنجى فى كفاية الطالب فى الباب ٩٥ وغير ذلك .

وقال ابن ابي الحديد فى كلامه على غزوة بدر (ج ٣ ص ٣٥٨ من شرحه على النهج) جميع من قتل ببدر فى رواية الواقدى من المشركين فى الحرب وصبراً اثنان و خمسون رجلاً قتل على ع منهم مع الذين شرك فى قتلهم اربعة وعشرين رجلاً : اه : و نظير ذلك تراه فى حديث ابن اسحاق وغيره .

وذكر اهل الحديث عن انس وغيره باستفاضة انه قال كنت عند النبى ص فغشيه الوحي فلما سرى عنه قال يا انس اتدرى ما جاءنى به جبريل من عند صاحب العرش قال ان الله امرنى ان ازوج فاطمة من على (راجع لذلك منتخب كنز العمال ج ٥ ص ٣١ وما بعدها) و اقرأ ما كتبه المحدثون والمفسرون فى شأن نزول آية التطهير وان احدا ساطينها على بن ابي طالب : راجع حد الاقل : مسند احمد (ج ١ ص ٣٣٠ و ج ٤ ص ١٠٧ و ج ٦ ص ٢٩٨) والحاكم فى المستدرک (ج ٢ ص ٤١٦ و ج ٣ ص ١٤٧ و ١٤٨ و ١٥٨) و القندوزى فى ينابيع المودة (ج ١ ص ١٠٦) والمحب الطبرى فى ذخائر العقبى ص ٢١ وما بعدها : والتاج للاصول (ج ٣ ص ٣٦٣) والشوكانى فى فتح القدير (ج ٤ ص ٢٧٠) وغير ذلك مما لا يحصى .

واقرا أيضاً ما كتبوه فى آية المباهلة : راجع حد الاقل الشوكانى فى فتح القدير (ج ١ ص ٣١٦) والزمخشري فى الكشاف : ومسند احمد ج ١ ص ١٨٥ : والحاكم فى المستدرک ج ٣ ص ١٥٠ : والبيهقى فى السنن ج ٧ ص ٦٣ : والخازن فى تفسيره ج ١ ص ٣١٥ : والتاج للاصول ج ٣ ص ٣٢٩ و ذخائر العقبى ص ٢٥ و ينابيع المودة ج ٢

ص ١١٩) الى غير ذلك وقال ابن الاثير في تاريخه (ج ٢ ص ١٠٧) عند تعرضه لوقعة احد وكان الذي قتل اصحاب اللواء على قتاله ابو رافع قال فلما قتلهم ابصر النبي ص جماعة من المشركين فقال لعلي احمل عليهم ففرقهم وقتل فيهم ثم ابصر جماعة اخرى فقال له احمل عليهم فحمل عليهم وفرقهم وقتل فيهم فقال جبريل يا رسول الله هذه المواساة فقال رسول الله انه مني وانا منه فقال جبريل وانا منكما قال فسمعوا صوتاً .

لا سيف الا ذو الفقار ولا فتى الا على

وراجع لذلك كافة من كتب عن السيرة والتاريخ والحديث : هذا وجميع من قتل من المشركين يوم احد ثمانية وعشرون رجلاً قتل على منهم ما اتفق عليه وما اختلف فيه اثني عشر انساناً : وعلى هو الفاتح الاول للمخندق بقتله عمرو بن عبدود : وهو الذي احرز النصر في خيبر : ولقد صح متواتراً ان النبي ص قال يوم خيبر لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله فتناول الناس فقال ادعوا لي علياً فاتي به ارمد فبصق في عينه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه وللقضية تفصيل ليس محله الآن .

وقال القاضي عياض في كتابه الشفا (ج ٣ ص ١٠) من طبعته بمصر مع شرحه نسيم الرياض وشرح على القارى ونحن نذكر هنا ما عن الشفا وشرحه نسيم الرياض جميعاً خرج الطحاوى وهو الامام الجليل القدر المحدث ابو جعفر احمد بن محمد الازدى المصرى فى مشكل الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين مختلفين فى روايته هذا الحديث عنها ورواه الطبرانى باسناد مختلفه رجال اكثرها ثقة ان النبي ص كان يوحى اليه رؤساً فى حجر على فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول الله أصليت يا على فقال لا فقال رسول الله اللهم انه كان فى طاعتك وطاعة رسولك فاردد عليه الشمس فقالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت بعد ما غربت ووقعت على الارض والجبال وذلك بالصبا و هي قلعة بقرب خيبر واليه الاشارة بقوله فى الحمزية .

رددت الشمس والشروق عليه لعلى حتى يتسم الاداء

ثم ولت لها صرير وهذا لعراق له الوصال دواء

ثم قال وادعى ابن الجوزى ان هذا الحديث موضوع وقد قال الحافظ السيوطى

وكذا السخاوى ان ابن الجوزى فى موضوعاته تحامل تحاملاً كثيراً حتى ادرج فيه كثيراً من الاحاديث الصحيحة كما اشار اليه ابن الصلاح وهذا الحديث صححه المصنف و اشار الى ان تعدد طرقه شاهد صدق على صحته وقد صححه قبله كثير من الائمة كالطحاوى واخرجه ابن شاهين وابن منده وابن مردويه والطبرانى فى معجمه وقال انه حسن وحكاه العراقى فى التقريب اهـ - اقول وقد خرج هذا الحديث والقصة كثيرون جداً تعرضنا لتقولهم فى كتابنا نتائج الفكر ولا مجال لتفصيل ذلك هنا : ثم ان ما فيه من اشكال رد الشمس من حيث المجارى الطبيعية تتعرض له فى آخر بحوثنا عن علوم وفنون نهج البلاغة قابلاً .

وعلى هو صاحب حديث المنزلة المتواتر حيث خلفه رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك وقال له اما ترضى ان تكون منى بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبى بعدى : وعلى هو الموجه بسورة براءة الى مكتوه والمقول فيه من ناحية النبى ﷺ لا يودى عنى الارجل من اهل بيتى : او لا يودى عنى الا انا او رجل منى : وعلى هو اقضى الصحابة وهو الاخيشن فى الله وهو الاولى بالمؤمنين من انفسهم بعد النبى بما صح متواتراً من حديث الغدير : وعلى هو الذى تخلى عن روحه وتجرد لنصرة الاسلام عن نفسه و كل ما يخص ذاته فى طول ما عمرو وعاش وعلى لا يدانيه فى معاليه اى انسان بعد رسول الله ولذلك وهذا جاء محبوباً للنفوس معجوناً حبه فى القلوب عظيماً فى انظار الكمل من الناس جليلاً عند كافة بنى آدم وحقاً ان هذا الرجل خدم نفسه خدمة يعجز عن مثلها اربط الناس جاشاً واصدقهم رياضة واشدهم شكيمة واقواهم عزيمة ولقد شق على طول حياته عاباً من الحوادث ور كماً هائلاً من النوائب ولم يعط من مناته مقدار شعيرة و فى ذلك من الدلالة على بطولته ومضغه للحوادث بالرجولة ما لا يخفى ولا مجال فى هذا المختصر للكلام عن حياته اكثر مما اسلفناه .

واصولاً يجب ان يعرف ان العظمة التى طلع بها فريق من بنى الانسان على مسارح هذه الحياة على اقسام (١) مجرد نسبة العظمة الى الشخص من دون ان يكون هناك كاشف ينير للباحث مدى صحة هذه النسبة و انها عن اى ملك حصلت

وما أكثر العظمت التي تختلق بالرضائح للرواة والمؤرخين و المترجمين ثم تأخذ عنهم الطبقات اللاحقة ما حرروه كإرسال المسلمات فكم عظيم نقرؤه في بطون الكتب عظيماً ولكن الواقع لا يعترف لهذه العظمة بادنى طرف (٢) وعظمة لها واقع الا ان احجارها التي شيدت عليها كلها مظالم ومجازر وتخریب و تدمير و خنق للانسانية و كبت للمواطن و تحطيم للمباني الفاضلة وهي كل عظمة طلع بها فاتح شهير وقائد كبير وزعيم خطير على طول سلاسل التاريخ (٣) وعظمة لها واقع ايضاً واحجارها التي شيدت عليها ليست مظالم ومجازر الا ان مبادئها التي اعطتها ونتائجها التي حصلت عنها ليست للناس عموماً وانما هي لفريق دون فريق وهي العظمة التي اقترنت بمحررى بلادهم وكاسيها الاستقلال و مخلصى مواطنيهم من الاستعمار و الاذلال كغاندى الهندي و پاتريس لومومبا ونظيرهما (٤) وعظمة لها واقع واحجارها شيدت على الفضيلة وتربية العلم للعموم الا انها لم تقرن بعمل مثالى فاضل و هذا كشأن النوابغ في العلوم و الصناعات الذين كان مهمهم تركيز شخصياتهم في المجامع و فرضها على الوجود و النيل على منصة الزعامة في نهاية المطاف (٥) وعظمة لها واقع و احجارها قامت على الفضيلة و لم يكن الداعى اليها حُب الشهرة و انتشار الصيت و لكن انما افادت صاحبها فقط كشأن الصالحين الكبار الذين راضوا انفسهم على المحاسن فكانوا معجزة في الدهور من دون ان يسخرروا من طريق مـ ثالينهم جيلهم الذي عاشوا فيه (٦) وعظمة لها واقع كالسوابق واحجارها قامت على كافة الفواضل و الفضائل و كان الداعى اليها تخطيط المدينة الفاضلة وبعث الاجيال الحاضرة و القادمة الى اعتناق الفضيلة والاحتذاء حذو ما عليه هذا الداعى المبلغ من مثالية ونبيل وانسانية مع اجهاد القوى في سبيل تحقيقها و فرضها على الوجود حتى تأتي العوالم بأسرها عوالم كما يريد الله ويتمناها الانسان الكامل في دنياه وهذه العظمة لامصدق لها الا النبيون و اوصيائهم الطاهرون بخاصة على الذي من احدى كلماته المعربة عن روحه قوله : ان قوماً عبدوا الله رغبة فتلك عبادة التجار وان قوماً عبدوا الله رهبة فتلك عبادة العبيد وان قوماً عبدوا الله شكراً فتلك عبادة الاحرار (نهج البلاغة ج ٤ ص ٣٤٦) ومن

هذه الروح القهارة يعرف مدى عظمتها الجبارة وكفى.

وقال عليه السلام (النهج الحديدي ج ٣ ص ٢٤٠ وما بعدها) يخاطب المسلمين بما من الله عليهم بالاسلام من رفعة بعدضة وعز بعدذل وسعة بعدضيق وأمن بعدخوف وغنى بعدفقر وكثرة بعدقلة وحاكمة بعدمحكومة وبكال خير بعد كل شر لوالفتوا الى ما كانوا عليه في ماضيهم وما هم الآن عليه في حاضرهم و يسرد لهم العبر والامثال محذراً و منذراً .

وتدبروا احوال الماضين من المؤمنين قبلكم كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء ألم يكونوا اثقل الخلائق اعباء و اجهد العباد بلاء واضيق اهل الدنيا حالاً اتخذتهم الفراعنة عبيداً فساموهم سوء العذاب وجرغوهم المرار فلم تبرح الحال بهم في ذل الهلكة وقهر الغلبة لا يجدون حيلة في امتناع ولا سبيلا الى دفاع حتى اذا رأى الله سبحانه جد الصبر منهم على الاذى في محبته والاحتمال للمكروه من خوفه جعل لهم من مضايق البلاء فرجاً فأبدلهم العزم مكان الذل والامن مكان الخوف فصاروا ملوكاً حكاماً و ائمة اعلاماً و قد بلغت الكرامة من الله لهم ما لم تنهب الآمال اليه بهم .

من اهم فوائد العقل للوجود الانساني هو الاعتبار بما اقترن بالكائنات والتمرن على التجارب ولو ان الانسان في نوع ما يأخذ ويندر يطبق افعاله وتروكه على المقاييس الالفة الذكر لكان في سلامة من اكثر مما يحقق به ولعاش ارغد ما يكون بالنسبة الى غيره ولكن الانسان في اكثر افراده حيوان خالص يمشى وراء اندفاعاته النفسية و نزواته الشهوية ولو ادت به الى فناء جارف وبلاء ما حق ونوع التموجات الدنيوية نتيجة هذه الاندفاعات الجنونية ، و تدبروا احوال الماضين من المؤمنين قبلكم .

هذا خطاب للمسلمين باعتبار اعتناقهم للدين ابتدرهم ﷺ بهذا القول ليسليهم عما نزل بهم من الاحداث الجارحة لعواطفهم وليقوى عزمهم على الصبر و التحمل وان المؤمنين قبلهم اصابوا بأكثر مما اصابهم من بلاء وعناء ، كيف كانوا في حال التمحيص والبلاء ، يقال محصه تمحيصاً اذا قلبه على جميع وجوده ليستخلص حقيقته والبلاء هو الاختبار والامتحان والمراد من التمحيص هنا وفي كل مكان يسند الى الله سبحانه في

في قبال مكلفه هو اقتران المكلف في دنياه بما لا يرضاه من خوف وفقر ومرض وسائر
الملاسات المؤذية الجارحة للعاطفة و يستهدف من كل ذلك قليله وكثيره ثقيله و
خفيفه اثاره كـ وامن الانسان بهذا الامتحان فمن صبر واخلص و شكر على كل حالة
كان له عاقبة محمودة ومستقبلاً نيراً ومن الناظت به العلل فانحرف عما وظف له كان
وخيم العواقب بسىء النتائج مستحقاً للغضب من الله مطروداً عن ساحة عزه محكوماً عليه
بالويل والنبور : والتكليف من المكلف انما وضع على عواتق المكلفين ليكون محكماً
لطبقات البشر في مضامير هذه الحياة : نعم لاشبهة في غموض السرفى بعض الابتلاآت
المستزفة للصبر الشديدة الـ وقسع العظيمة اللذع المنجرة الى العقوق لاستئصال
النفس من شديد ماتعانيه من محنة و هذا المعنى هو الذى جرف الكثيرين الى جانب
الضلالة و حرف الوافرين عـن طريق الهداية و لا ريب ان الاصاخة على مثله
ثقيلة ولكن الله استصلح ذلك وهو أعلم بما رآه : وقد اسلفنا البحث عن غموض الاسرار
الكونية فلانعيد ، الم يكونوا اثقل الخلائق اعباء ، الابعاء جمع عبء وهو الحمل
ومعنى كونهم اثقل الخلائق اعباء ان ما تحملوه من التكاليف والمحن والبلايا كان
اثقل مما حمل عليكم ومع ذلك صبروا ابتغاء مرضاة الله ، واجهد العباد بلاء ، الجهد
هو التعب والمشقة ومعنى ذلك انهم كانوا اكثر الناس تبعاً من طريق ما اثقلهم
الامتحان بالبلايا والرزايا ، واضيق اهل الدنيا حالاً ، من كل جهة فلا انبساط رزق ولا
بسطة يد ولا حسن حال ، ثم انه ^{عليه السلام} شرح بعضاً مما عانوه فقال ، اتخذتهم الفراعة
عبداً فساموهم بسوء العذاب ، ليس اتخاذ الانسان عبداً بمجرد ضائراً كل الضرر
اذا كان باحسان نظير ما يفعله الموالى المعتدلون فى سيرتهم مع عبيدهم ولكن ما فعله
فراعة الدهر مع سائر المخلوقين وراة ذلك بمراحل وأيسر ما يقال فيه انه عبث مجنون
هائج وحيوان ضارى ولا فرق فى جوهر هذه الروحية الساقطة بين فراعة القرون الاولى
وهذه القرون الاخيرة ولا بدع فان رأس الانسان اذا اختمر بالجهل من ناحية وبالغرور
من ناحية ثانية اخرج صاحبه عن كل الجواد معتد لها و معوجها و صيره يجول فى
صحارى جرداء لا يقصد جهة خاصة ولا هدفاً معيناً وانما هو الطيش والعبث المجردان

المخربان وحذراً من وقوع الامم في مثل هذه المخازي المفارقة في الانحطاط والتسفل اشترط الشرع في امامة السلطان الشرعي اغلظ الشروط واحال انتصابه الى الله الذي يقول لا ينال عهدى الظالمين : ومعنى سامه سوء العذاب اوقع به العذاب السيء و كل عذاب سيء الا ان المنظور بسوءه حيث يوصف به هو بعده عن الشرف و قربه من الاسفاف والرذيلة و كم ارحم انسان حر نفسه واسألها على الاصل حذراً من مواجهة متحكم مستهتر وامير ساقط وملك جلف لا يزن الانسان بأدنى وزنه ولا يقيمه في حدود ارضه وفي ذلك من النكايمة لا تتحمله العاطفة الشريفة اعادنا الله من امثال هذه المواقف المحرجة ، وجرعوه الممرار ، شجر مر الطعم هذا في أصله ثم استعمل في كل كربه ثقب على العاطفة و التجرع هو شرب الشيء جرعة بعد جرعة و ذلك يكون اما لنبو الذائقة عنه و كراهتها له و تحملها اياه بمشقة و اما للذيد تذوقه وشهى طعمه فتريد النفس بتذوقه ان تستفيد منه جهد المقدور و تبليغ من لطافته اكثر من المعمول ، فلم تبرج الحال بهم في ذل الهلكة ، اى ان البلاء استمر بهم على اشق احواله و اشدها فعاش من عاش منهم في محنة ومات من مات منهم اذل ميتة . و قهر الغلبة ، اى كانوا مقهورين للمتغلب مرغمين على الاطاعة له والاصاخة لحكومته . لا يجدون حيلة ، و لا وسيلة ، في امتناع ، اى امتناع يفرض من تجاوز هؤلاء المتغلبين ، ولا سبيلا الى دفاع ، لانغماسهم في الذلة واعياهم امام هؤلاء الغفاريت ، حتى اذا راي الله سبحانه جد الصبر منهم على الاذى في محبته ، اى رآهم مثابرين على الصبر لا يتضعضون بالحوادث ولا تزلزلهم النوائب خاضعين لحكمه راضين بقضائه كل ذلك نزولا على رضاه و تأثراً بمحبته ، والاحتمال ، منصوب بعطفه على جد الصبر ، للمكروه من خوفه . اى ورآهم ايضاً يتحملون المكاره من اجل خوف مواخذته اياهم اذا سايروا الظلمة بالطاعة و الاجابة او انشروا من ضيق التكليف الى سعة التفلت على الوظيفة ولا ريب ان الصبر على بلاء الله سواء ا كان بداعى محبة الله ام كان بداعى الخوف منه محمود ومشكور ، جعل الله لهم من مضايق البلاء فرجاً ، المضايق جمع مضيقه وتفريج الشدة معناه كشف موجباتها ، فأبدلهم العزم مكان الذل والامن مكان الخوف فصاروا ملوكاً حكاماً ،

بعد قضائهم على الفراعنة بأذن الله ، وائمة اعلاماً ، الاعلام جمع علم وهو الشاخص اى انهم جمعوا بين معالى الدين والدينا فكانوا هم حكام الناس وائمة دينهم ، وقد بلغت الكرامة من الله لهم ما لم تذهب الامال اليه بهم اى ان الله اكرمهم اكراماً ما كان يخطر ببالهم انه يكون نصيبهم فى الحياة ولا ريب ان من جمعت له زعامة الدنيا والدين فقد بلغ من الاكرام مرتبته القصوى خصوصاً بعد ان كان ذليلاً مضطهداً .

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة و الاهواء مؤتلفة و القلوب معتدلة والايدي مترادفة والسيوف متناصرة والبصائر نافذة والعزائم واحدة الم يكونوا ارباباً فى اقطار الارضين وملوكاً على رقاب العالمين فانظروا الى ما صاروا اليه فى آخر امورهم حين وقعت الفرقة وتشتت الالفة و اختلفت الكلمة و الاقئدة و تشعبوا مختلفين وتفرقوا متحاربين قد خلع الله عنهم لباس كرامته وسلبهم غضارة نعمته وبقي قصص اخبارهم فيكم عبرة للمعتبرين منكم .

ثم عقب ^{عليه} ما افاده اولا بهذا الفصل مشيراً الى ان كل نتيجة تابعة لمقدماتها فكما ان جد الصبرا كسبهم الفرج فصاروا بعد الذلة اعزاء وعقيب البؤس الماحق سعاد كذلك تشتتهم بعد الائتلاف اعقبهم الاتسكان فى العافية والاتسكات فى الامور المبرمة حيث قال .

فانظروا كيف كانوا حيث كانت الاملاء مجتمعة ، الاملاء جمع ملاء وهى الجماعات والمنظور باجتماع الاملاء تصامدها على الرأى وتعاونها على البر وتكاتفها فى مصالح المجتمع وحساب كل انسان اخاه عضواً من بدنه وهذا هو الذى يشد الاسر ويقوى العزم لا تقارب البيوت فى المساكن و تراحم المناكب فى المجالس ، و الاهواء مؤتلفة ، الاهواء جمع هوى وهو الرغبة والطلبة اى كانت الرغبات تهدف الى منوى واحدا والطلبات ترمى الى مقصد فذوالائتلاف هو الاتفاق ، والقلوب معتدلة ، اى لا ميل فيها ولا تفاق والايدي مترادفة ، بحيث تكون كل يد ردفاً لليد الاخرى والى جانبها ، والسيوف متناصرة ، كل سيف منها ينتصر للسيف الاخر ، والبصائر نافذة ، البصائر جمع بصيرة والمراد بها المشاعر الباطنة ونفوذها هو اصابتها للمواقع ، والعزائم ، جمع عزيمة ،

واحدة ، اى متحدة و يراد بوحدتها تصامدها على منظور واحد ، الم يكونوا ارباباً فى اقطار الارضين ، نتيجة اجتماع املائهم ، وملو كأعلى رقاب العالمين ، من ناحية ائتلاف أهوائهم واعتدال قلوبهم وترادف ايديهم وتناصر سيوفهم ونفوذ بصائرهم واتحاد عزائمهم ، فانظروا الى ما صاروا اليه فى آخر امورهم حين وقعت الفرقة ، بين جماعاتهم ، وتشتتت الالفة ، بين رغباتهم ، واختلفت الكلمة ، فيما بينهم ، والافئدة من افرادهم ، وتشعبوا ، اى ساروا شعباً و فرقاً ، مختلفين ، فى مذاهبهم و تفرقوا متحاربين ، يوقع بعضهم ببعض ، قد خلع الله عنهم . من طريق انحرافهم وانشعائهم لباس كرامته ، فذلوا بعد العزة ، وسلبهم غضارة نعمته ، الغضارة هى الطراوة والجدة اى سلبهم ما كانوا متنعمين به من العيش الطرى و الحياة الهنيئة فألوا بعد النعمة الى شقوة وبعد الهناء الى عناء ، وبعد الوجود الى عدم ، وبقى ، منهم ، قصص اخبارهم فيكم عبرة للمعتبرين منكم ، الذين يمرون على الحوادث مرورمتان مطهئتين ليستفيد مما جاس خلاله علماً نافعاً ونصيحة ناجعة .

فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبنى اسحاق وبنى اسرائيل عليهم السلام فما شد اعتدال الاحوال واقرب اشباه الامثال تأملوا امرهم فى حال تشتتهم و تفرقهم لىالى كانت الاكاسرة والقياسرة ارباباً لهم يحتازونهم عن ريف الافاق و بحر العراق و خضرة الدنيا الى منابت الشيع ومها فى الريح ونكد المعاش فتر كوهم عالة مساكين اخوان دبرو وبراذل الامم داراً واجدبهم قراراً لا ياوون الى جناح دعوة يعنصمون بها ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزها فالاحوال مضطربة والايدي مختلفو الكثرة متفرقة فى بلاء ازل واطباق جهل من بنات مؤودة واصنام معبودة و ارحام مقطوعة و غارات مشنونة .

فاعتبروا بحال ولد اسماعيل وبنى اسحاق وبنى اسرائيل ، المجموع من حيث المجموع بالنسبة الى ما اسلف ع بيانه فى الفصول السابقة وما يتعرض له لاحقاً : اما بنو اسحاق وبنو اسرائيل فبعد ان طالتمدتهم ملو كأوسلاطين انقرضوا تشتتهم انقرضوا حقيقتهم ولقد فعل بهم بخت نصر افعالاً ضاقت عليهم الارض من بعد رحبها كما شرح ذلك مبسوطاً فى التاريخ

العمومي : واما بنو اسماعيل وهم عرب الحجاز وما والاها فهم المعينون بهذا الفصل الذي بأيدينا ، فما شد اعتدال الاحوال ، المنظور باعتدال الاحوال هنا هو ايقاع المقارنة التامة بين حالتى بنى اسحاق واسرائيل من استعباد الفراعنة لهم وافراج الله بعد ذلك عنهم و عدم شكرهم للنعمة حيث ارتكسوا فى البلاء مرة ثانية و بين حالتى ولد اسماعيل حيث كانوا قبل الاسلام اذلاء صاغرين وبعده اعزاء منعمين وانتكات حالهم بعد هذه النعمة حين انقسموا على انفسهم وتفرقوا فرقا واحزابا اذن فالمنظور باعتدال الاحوال تعادلها بين هؤلاء وهؤلاء فى التقابل ويؤيد ذلك قوله فى الفقرة الثانية ، واقرب اشتباه الامثال ، فان المنظور بذلك مشابهة المثل للمثل والنظير للنظير ، تأملوا امرهم فى حال تشتتهم و تفرقهم لىالى كانت الاكاسرة ، ملوك الفرس . و القياصرة ، ملوك الروم ، ارباباً لهم ، مسطرين عليهم تسلط الرب على مر بوبه ، يحتازونهم عن ريف الافاق وبحر العراق وخضرة الدنيا الى منابت الشيع ومها فى الريح . يقال فلان حاز الناس الى مكان كذا اذا دفعهم عن سائر الامكنة و جمعهم فى المكان المذكور و الريف هى القرى ذات المراتع والمرايع وبحر العراق انهاره ومياهه العذبة المفدقة وخضرة الدنيا زهرتها والشيع نبات معروف احسن ما ترعاه الابل وهما يهغو اذا خفق ومها فى الريح هى الامكنة التى تخفق فيها الرياح بكثرة وذلك نوعا يكون فى الصحارى الجرداء حيث لا ماسك للريح من بلدان وجددان و رطوبة ارض و نبات متكاثف و حواجز اخرى تقلل من حدته وتخفف الكثير من غبرته : يريد الله ان دولة الاكاسرة لما استفحلت فى الشرق والقياسرة لما تمكنوا فى الغرب ملكوا كل بلاد العرب كل بنسبته اما الفرس فانهم استولوا على العراق و الحجاز ومامت الى ذلك واما الروم فانهم ملكوا الشام و ما قرب منها و ليس للعرب مواطن غير ذلك و بطبيعة التنافرين العناصر المتفككة و اختيار الحاكم المسيطر لنفسه كل ما لذ وطاب اخذ العرب يتسللون حذ المضايقه الى منابت الشيع ومها فى الريح ، ونكد المعاش ، وهى المعيشة المستقدرة الضيقة ، فتركوهم عالة ، اى فقراء ذوى عيال ومفرداه عائل كقادة وقائد وذادة وذائد ، مساكين ، اى اذلاء على فقرهم ، اخوان دبر و وبر ، الوبر

هو صوف الأبل والدبر هو الأثر الذي يخلفه القتب في ظهر البعير والمنظور انهم لا يملكون غير الأبل شيئاً والأبل لا تفنى إلا الفناء القليل ؛ اذل الأمم داراً ، لفقدانها للعمران وكل دار تفقد ذلك لا تكون لها اية مكانة ، واجدبهم قراراً ، لان اغلب منازلهم آباط الصحارى و مثل هذه الارض لا تكون مظنة للخصب ، لا يأوون الى جناح دعوة يعتمون بها ، المنظور بالدعوة هنا الدين اى لم تكن لهم جامعة دين تجمعهم بل كانوا اشتاتاً فى طرائقهم الشركية كل قبيلة تعبد صنماً خاصاً : شبه الامام عليه السلام الدين بجسم ذى اجنحة يحذب على افراده بضمها تحت جناحيه كما تفعل الدجاجة ونحوها وكل مبدأ دينى هو كذلك فانه يلف جميع معتقيه تحت رايته واعتصم فلان بفلان اذا احتفى به فصار ذاع صمته من طريقه ، ولا الى ظل الفة يعتمدون على عزها ، كذلك شبه ع الالفه بشاخص عظيم تتسع ظلاله ويستراح الى بردها ولا يرب فى ان التآلف يوجد قوة ومنعة يعتز بهما صاحبه ، فالاحوال مضطربة ، مشوشة وكيف لا تكون كذلك والعرب اشتات فى كل اشيائهم ، والايدي مختلفة ، غير متصامدة فى امتدادها . والكثرة متفرقة ، الى افراد و آحاد وهل يعنى الفرد عن نفسه شيئاً ، فى بلاء اذل ، الازل هو الضيق والبلاء هو المحنة اى انهم كانوا فى محنة ضائقة ، واطباق جهل ، الاطباق جمع طبق و المراد تراكم جهلهم ، من بنات مؤودة ، اى مدسوسة فى التراب وهى ذات حياة كانوا يفعلون ذلك اما من جهة الفقر او خوف العار حسبما يزعمون وكل ذلك جهل عارم ، واصنام معبودة ، ولا جهل وراء ان ينحت الانسان شيئاً بيده ثم يقع له ساجداً . وارجام مقطوعة ، وهو من اشد مراحل الجفاء . و غارات مشنونة ، اى متفرقة يقال شن عليه الغارات اذا فرقها عليه من كل وجه : وما كان يقر للعرب ليل ولانهار من اغارة بعضهم على بعض لدواعى تافهة لا قيمة لها .

فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا فقد بملته طاعتهم وجمع على دعوته الفتهم كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها وأسالت لهم جداول نعيمها والنفت الملة بهم فى عوائد بر كتبها فاصبحوا فى نعمتها غرقين وفى خضرة عيشها فكهمين قد تربعت الامور بهم فى ظل سلطان قاهر وآوتهم الحال الى كنف عز غالب وتعطفت الامور

عليهم في ذرى ملك ثابت فهم حكام على العالمين وملوك في اطراف الارضين يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ويمضون الاحكام فيمن كان يرضيها فيهم لا تغمر لهم قناة ولا تقرع لهم صفاة .

فانظروا الى مواقع نعم الله عليهم حين بعث اليهم رسولا ، مواقع النعم محالها والمراد بالرسول هو نبي الاسلام ، فقد بملته ، اي طريقته ودينه ، طاعتهم . ومعنى ذلك انه ص ربط طاعتهم بدينه على اختلاف الانحاء فالانسان منهم بصرف التبليغ والمتعنت الجاهل بسوقه الى السعادة وان لم يرض بها ، وجمع على دعوته القتم ، فان الاسلام التي حروب الجاهلية وغاراتها وابل حزا زاتها وقارب بين قلوب الناس و آخى بين المسلمين ، كيف نشرت النعمة عليهم جناح كرامتها ، فتفياوا ظلالتها ، واسالتهم جداول نعيمها ، لقد تغيرت الحال بالعرب بعد الاسلام بمالم يكن في حسابانهم من حيث السعوا والنعيم فضلا عن الراحة و الانبساط والعزة والحضارة ، و التفت الملة بهم في عوائد بركتها ، العوائد جمع عائدة وهي الفائدة التي تعود على الانسان ومعنى التفت الملة بهم في ذلك انها غمرتهم بالمنافع والبركات كما يغمر اللباس لابسها ، فاصبحوا في نعمتها ، اي نعمة الملة التي هي دين الاسلام غرقين ، قد ضفت عليهم النعم حتى غطتهم وغرقين جمع غرق الم فاعل من غرق بكسر الراء يغرق فهو غرق على زنة فعل بفتح الفاء وكسر العين ، وفي خضرة عيشها فكبين ، خضرة العيش طراوته واخذائه للبصر والفكه هو البطر الذي انسته النعمة كل خاطرة سواها ، قد تربعت الامور بهم في ظل سلطان قاهر ، السلطان هو التسلط والقاهر هو الغالب وظل السلطان كتفه المطمئن ويقال تربع فلان في جلسته اذا جلس على هيئة يأخذ فيها راحته في جلوسه وهو هنا كناية عن استراحة المسلمين في ظل الاسلام استراحة حاوية لكل مزايا الاطمئنان ، وآوتهم الحال الى كف عزقالب ، آواء ضمه اليه واخرزله آمنه وسلامته والكف هو الجانب والعز الغالب هو العز الذي لاعز الادونه والمراد بالحال ما كان عليه الاسلام زمان امتناعه وارتفاعه ، وتعطفت الامور عليهم ، اي تمايلت نحوهم واقبلت عليهم ، في ذرى ، جمع ذروة وهي القمة ، ملك ثابت ، مستقر غير متزلزل ، فهم ، من طريق الاسلام ، حكام على العالمين ، ولقد كان ارفعهم مكانة بائسافي دنياه من

جميع جهاته ، وملوك في اطراف الارضين ، خضعت لهم اغلب الممالك ، يملكون الامور على من كان يملكها عليهم ، من الفرس والروم ، ويمضون الاحكام ، اى يتخذونها فيمن كان يمضيها فيهم ، شأن كل حاكم ومحكوم ، لا تغمز لهم قناة ، من صلابتها و الغمز معناه تأثير الاصبع في المكان الذى يعصره والعبارة كناية عن تمام اشدهم و استكمال قوتهم ، و لا تقرع لهم صفاة ، الصفاة الصخرة الصماء الملساء وقرعها هودق شىء عليها فاذا هيب جانب انسان تبوعد عنه فلا تكاد الخطوب تصل اليه كما اذا استعظم الانسان جبلا او رجلا او بحراً فانه يهرب منه قبل ان يماسه فمعنى لا تقرع لهم صفاة ان حوزتهم مهابة لا يدنو اليها احد و كذلك كان الاسلام في صدره الاول بعيداً عن الادناس المخزية والنوايا المظلمة والروحيات الساقطة وبعدها استحال الى عالم آخر لاربطه بالدين ولا اتساب له بمحمد خاتم النبيين .

و قال عليه السلام من خطبة له في شأن الاسلام ايضاً (ج ٢ ص ٢١٩ من النهج الحديدى) الحمد لله الذى شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده و اعز اركانه على من غالبه فجعله أمناً لمن علقه و سلماً لمن دخله وبرهاناً لمن تكلم به و شاهداً لمن خاصم عنه ونوراً لمن استغنا به وفهماً لمن عقل ولباً لمن تدبر و آية لمن توسم وتبصرة لمن عزم و عبرة لمن اتعظ ونجاة لمن صدق وثقة لمن توكل وراحة لمن فوض وجنة لمن صبر فهو ابلج المناهج و اوضح الولايج مشرف المنار مشرق الجواد مضىء المصابيح كريم المضمار رفيع الغاية جامع الحلبة متنافس السبقة شريف الفرسان التصديق منهاجه والصالحات مناره والموت غايته والدينيا مضماره والقيامة حلبته والجنة سبقته .

الحمد لله الذى شرع الاسلام فسهل شرائعه لمن ورده ، باعتبار ان الاسلام دين جامع لشمل المحاسن بعيد عن الانحياز والانتهاز ضامن للسلام العام واحقاق الحقوق وتر كيز كل شىء فى نصابه لذلك كان من موجبات حمد الله والثناء عليه بما شرع و نشر من تعاليم هذا الدين وسهل موارد على الظماء والعطاش حيث يستطيع كل عاطش ظمآن ان يرد منه بدون مؤنة ، واعز اركانه على من غالبه ، اى من حاول ان يدكه بالمؤاخذات وسوق الشبهات ، فجعله أمناً لمن علقه ، اى تمسك به والمراد من امنه ان من

تمسك به بعد معرفته لا يخاف ان يفلج لانها لم الشرايع ومرتهن بالواقع ، وسلم لمن دخله ، اى ان من يدخل فى هذا الدين ويكون به من المتمسكين لامحالة يكون من السالمين وبرهاناً لمن تكلم به ، اى ان كل من يدافع عنه تكون شرائعه برهاناً له ودليلاً على ما يقول ، وشاهدأ لمن خاصم عنه ، اى ان الاسلام بصحة نظمه من البيئات الصادقة لكل من يندب عنه ، ونوراً لمن استضاء به ، لابتناء تعاليمه على المقاييس الصحيحة التى لا مغمز فيها ولا شبهة تعريبها ، وفهما لمن عقل ، اى تبصر وتفكر ، ولبا لمن تدبر ، وتأمل فيما تصور ، وآية لمن توسم ، المتوسم هو الذى يلاحظ الوجوه ويمعن فى التفرس فيها ليعرف من هى والآية هى العلامة اى ان الاسلام علامة واضحة من نفسه لمن يريد التعرف بالطريقة الحققة والدين الصحيح ، وتبصرة لمن عزم ، العزم هو عقد النية على المضى فى المقصود والتبصرة هو ما يعطى البصيرة اى ان الاسلام يبصر اهل العزائم بالواقع الذى ينبغى ان يقصدوه وذلك هو التدين به والاتباع له دون ما سواه ، وعبرة لمن اتعظ ، فان الاسلام بما فيه من اخلاق و آداب دافع قوى لمن اراد ان يصلح نفسه ويرعوى عن غيه و ينفصل عن جهله ، ونجاة ، فى النشاطين ، لمن صدق ، به عن ايقان ودان له بأذعان ، وثقة لمن توكل ، عليه فى جميع ما يأخذ ويذر ويفعل ويشرك ، وراحة ، من الموبقات ، لمن فوض ، اليه أعماله وطبقها على برامجها ، وجنة ، واقية ، لمن صبر ، على مشاق التكليف وكبح جماح النفس ومتطلبات الرغبة ، فهو أبلج ، اى واضح ، المناهج ، وهى المسالك التى ينهج عليها ، ووضح الولايج ، جمع وليجة فعيلة من الولوج وهى المداخل اى ان مداخل الاسلام واضحة لابهمة فيها لابتناء تعاليمه على الفطرة ، مشرف المنار ، جمع منارة وهى الشاخص الذى يوضع على رأسه ناراً ونور ليضىء للمنحيرين والاسلام بنوعاليمه النيرة يجذب اليه كل احد حتى البعيد اذا لم يصدده صاد عن وجهه ، مشرق الجواد ، اى ان طريقه لاجبة واسعة مضيئة لا يتخبط فيها سالكها ، مضيء المصابيح ، ومصايحه هى تعاليمه وقوانينه ، كريم المضمار ، المضمار هو المكان الذى تضمرفيه الخيل حتى يخف عليها الر كض فى السباق والمنظور بكرم مضماره ان ما يستهدف بهذا المضمار امر وراء مسابقة الخيول بمراحل وذلك هو المسابقة بالأعمال الصالحة و

الاخلاق الراجحة، رفيع الغاية، لان الغاية منه في الدنيا اصلاح الاجتماع وفي الآخرة الفوز بالنعيم المقيم وليست غاية في الغايات ارفع من ذلك، جامع الحلبة، الحلبة هي جماعة الخيل المعدة للسباق والمنظور بجامعة حلبة الاسلام انه يجمع افراده على البر والاحسان والتقوى والايمان وكل خلق فاضل، متنافس السبقة. اى ان احراز السباق فيه محل منافسة بين عموم المستبقيين لما في ذلك من غايات رفيعة جداً، شريف الفرسان اى ان حلبة لم تحتو الاعلى اشرف الناس وهم الذين يزنون الحق بميزانه الراجح، التصديق منهاجه، اى ان طريقة الاسلام قائمة على التصديق بالله وجماعة رسله ومجموعه نظمه، والصالحات مناره، اى ان شواخصه التى ينار عليها هي الصالحات من الاخلاق، والموت غايته، اى غاية هذا السباق بمعنى ان المسلم فى اهتمامه بدين الاسلام ينوى غايتين احدهما عرضية والاخرى طولية اما العرضية فهي تسيير حياته على برنامج صحيح واما الطولية فهي استحصاى نتائج زحماته فى دنياه من طريق قيامه بمشاق النكالىف بعد موته يوم يقوم الناس لرب العالمين ليستوفى كل منهم حقه الذى يستحقه، والدنيا مضماره، اى مضمار السباق المذكور من طريق هذا المضمار يأتى السابق سابقاً، والقيامة حلبته، اى مكان اجتماع المتسابقين، واللجنة سبقتة، اى رهانه الموضوع ومنها فى ذكر النبي ﷺ: حتى اورى قبساً لقابس وانار علماً لحابس فهو امينك المأمون وشهيدك يوم الدين وبعيئك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم اقم لهم قسماً من عدلك واجزه مضعفات الخير من فضلك اللهم واعل على بناء البانين بنائه واكرم لديك نزله وشرف عندك منزلته وآته الوسيلة واعطه السنا والفضيلة واحشرنا فى زمرة غير خزايا ولا نادمين ولا ناكبين ولا ناكثين ولا ضالين ولا مضلين ولا مفتونين .

حتى اورى قبساً لقابس، حتى غاية لكلام سبق منه ﷺ لم يذكره الشريف رحمه الله اى انه ﷺ أجهد نفسه طوال ثلاث وعشرين سنة راض فيها احوالاً صعبة واوضاعاً سوداً مدلهمة وبارز فيها حيوانات كواسر ووحوشاً ضواري حتى اطلع الحق من تحت ركام الباطل والنور الواضح من اطباق الظلمة يقال اورى الزند اذا قدحه فاشتعلت نارها وورى النار اذا الهبها والقبس شعلة النار والقابس هو

المرصد للاستفادة منها ومعنى ذلك انه **عليه السلام** انار الحق لطالبه بعد ان عز طلبه عليه ، وانار علماً لحابس العلم هو الشاخص وانارته وضع النور عليه للاهتداء به والحابس هو الذى حبس مطينه عن المسير لحيرته حيث لا يدري اية ناس حية يقصد لاشتداد الظلام عليه فاذا أنير في وجهه انطلق لمقصده لاتضاح النواحي له ، فهو امينك المأمون ، الذى ائتمنته على شرائعك فقام في تبليغها خير قيام لا وانياً ولا وكلاً باذلا في سبيل ذلك كل حوله وطوله ، وشهيدك يوم الدين ، اى هو الشاهد المصدق على من آواه او آذاه ومن صدق به ومن كذبه ومن أجلك فيه ومن وهن به ، وبعينك نعمة ، على الخلق ، ورسولك بالحق رحمة للناس ، اللهم اقسام له مقسماً ، اسم بمعنى المصدر اى اقسام له قسماً ، من عدلك ، وهو ايقاؤه حقوقه من جميع الجهات ، واجزه مضعفات الخير من فضلك ، اى ضاعف له ما يستحق تفضلا من عندك فانه اهل لذلك : اللهم وأعل على بناء البانين بناء ، اى ارفع دينه على كافة الاديان ، واكرم لديك نزله ، اى ضيافته ، و شرف عندك منزلته ، اى اجعل مقامه عندك محترماً مكرماً ، وآته الوسيلة ، اى اجعله وسيلة يتذرع به غيره اليك ممن يستحق الشفاعة ، وأعطه السناء ، بالمد هو الرفعة و العلاء ، والفضيلة ، وهى التقدم على من سواه ، واحشرتا في زمرة ، اى جماعته ، غير جزايا ، جمع خزيان مثل سكارى وسكران و الخزيان هو الخجل مما طلع به من الخزى والعار اى وقفنا للاستئناس بسنته والامثال لشريعته حتى لا نخزى عندك وعنده ، ولا نادمين ، يومذاك على ما فرطنا في دنيانا من الانحراف عن طريقته ، ولانا كيبين ، اى عادلين عن جادته ، ولانا كيبين ، اى ناقضين لعهد الالزام وفاؤه ، ولا ضالين ، فى انفسنا عن دينه ، ولا مضلين ، لغيرنا عن ملته ، ولا مفتونين ، بالاهواء عن شريعته .

هذا وما افتتح امير المؤمنين عليه السلام خطبة ولا رسالة بغير حمد الله و الثناء عليه فى كل احواله وأطواره من عسر ويسر و ابرام قضية او انتكاث امر ولا ذكر الله بما هواه الا وعقبه بذكر رسوله محمد (ص) وأشاد بفضله وشرفه ودعاه مجداً وكرر القول فيهمو كذا بما لا يوجد لغيره من كافة الصحابة وبقية المسلمين اقل القليل من ذلك ومن الطبيعي ان يكون على (ع) على ما وصفناه ذلك لان علياً جمع من الصفات

والمؤهلات مالا يوجد منه في من سواه من كافة المسلمين بضرورة العيان .

فمن اوصافه الغرابة انه في طبيعة المؤمنين بالله ايماناً ذو به فيه حتى احوال منه انساناً يشكر المبدأ الا على الضراء اكثر من شكره له على السراء معتقداً ان كل ما اصابه من نكبات الزمان وما اكثر اصابتها له من لدن ان ولد الى ان قتل فانما هو من تحبب الله اليه الموجب لمزيد قربه وارتفاع درجته ومن هذا الطريق نراه فانياً في ربه فناء ما وجد في مسلم على الاطلاق و اماراة ذلك زهده البالغ حد الاعجاز وملازمته للعبادة ملازمة الظل للشاخص واجتنابه عن كل شائبة قد يحتمل من طريقها ان تجر الى ما لا يرضاه الله سبحانه وقيامه بوظيفة المواساة جهد المستطاع : وانه في طبيعة العارفين بالله وكلامه الذي اثر عنه في مقام التوحيد لم يؤثر مثله عن اى موحد سواه على استجماعه للحق وابتعاده عن كل شبهة وشك و ما اسلفنا الحديث عنه في الفصل الأتفطراف منه وما امسكتنا عن ذكره اكثر من ذلك .

وانه في طبيعة الدعوة الى الله والدار الآخرة ومحاسن الاعمال واقواله وافعاله في ذلك مالا يأتي عليه الشرح المبسوط ولقد كان في هذا المجال امة وحده فهو منقطع النظر حقاً .

وانه في طبيعة الاوفياء الامناء و اقل شاهد على ذلك ملازمته للرسول من بدء حياته وذبه عنه اكثر من ذبه عن نفسه على الاخص في المضائق المحرجة ولقد تخلى عنه عليه السلام كل اصحابه جنازة لا يعباون بشأنه لاهين بمقاصد اخرى لسنا بصدها الان واقام على عليه السلام حتى دفنه ونقض بعد ذلك كلتا يديه من كافة حقوقه ابقاء على اسمه عليه السلام وحفظاً لدينه ودعوته وهذا غاية الوفاء انصافاً و اضاف على كل ذلك انه جعل ذكره عليه السلام وتمجيده وايفاء حقه من التجليل والتكريم والتنويه والاشادة بفضله ونبله ورد لسانه لا يعزب عن ذهنه ولا يفارق اشداقه طرفة عين و يرى ذلك فريضة عليه اكثر ممن سواه - ولا جرم - فانه عليه السلام خريج مكتبه وتلميذ مدرسته و غصن من دوحة و خالصة لنفسه و امين سره و خليفته بالحق ووصيه والاولى بالمؤمنين من انفسهم من بعده و كانت هذه الروابط الخاصة بين الاستاذ

والتلميذ مشهودة لكل واحد وهي التي اهابت بالمتحيزين ان ينتهزوا فرص الاعتذار ليقطعوا هذا الفحل عن الجولان في ميدانه وأسروا ذلك في انفسهم واعملوا منوياتهم في اول ساعة ممكنة واخذوا يطاردون هذا الرجل بشتى الصور والالوان ويدفعونه عن حقه في آن بعد آن ورضيت لهم انفسهم ان يقدموا عليه اذ ناب الناس ويرشحوا لمقام الخلافة الاسلامية التي هي تلوا النبوة معاوية بن ابي سفيان ويزيد بن معاوية ومن الى ذلك ممن يضيق بذكره الغم وينبوع استحضار هويته الذهن وما وقائع مرج عذاه وعرصه كبرياء والحررة الاوليدة تلك التحديات التي قام بها القوم ازاء امير المؤمنين على عليه السلام واهل بيته الاجلاء وخلص اصحابه الامناء ، ودع عنك نهباً صريح في حجراته ، ولكن هلم الخطب فيمن مضت عنه هذه الادوار وتخلت عنه هذه الاعصار وقاته منهار ضائع معاوية لابي هريرة الدوسي واضرابه يجيء بعد قرون من الزمان مدافعاً عن هذه الطغمة اعداء الانسانية جناة البشرية وفاتحى باب الظلم والاعنات في وجه الامة المسلمة : وليت شعري ما ارتباط ما كان عليه بسر بن ارطاة وزيا بن ابيه ومسرف بن عقبه وعبيد الله بن زياد والحجاج بن يوسف بما جاء به النبي ص ودعا اليه : وعلى اي ميزان تطبق هذه الحركات النابية عن مذاق الانسانية ولكن قتل الانسان ما كفره كفره

اما على ان ضاع حقه بين معاصريه فلقد عرف له بعض الحق من جرد فكرته عن اوهام الدسائس واستخلص روحه من بين التعصبات البغيضة ولم تدر كه ششنة من اخزم فقالوا عنه وكتبوا في شخصيته ما يفرضه الحق عليهم تجاه انسان محق ونكتفى من هذا الفصل بما اسلفناه .

ثم لنختم الفصل بكلمة عن ذات النبي محمد ص فنقول لا بدع ان يكون لارادة الله بانسان خيراً اثر قمار في توجيه ذلك الانسان وتربيته وحسن نشأته فهل ترى ان الانبياء المرموقين الذين خلدوا انفسهم واصواتهم ودعوتهم وطلعموا الى الدنيا باعظم ما طلع اليها نابغ له شأن وكيان عظيم ان كانوا كالعصا يبد الرجل الجلد ان أثرت ضربتها في شيء فانما هو نتيجة قوة الضارب وهي في نفسها آلهامدة لاقيمة لها وان تصوير القضية وراء ذلك بما الاربط له بمادة المثال .

نعم تصوير القضية خارج عن هذه الحدود اما اولاً فان لكل انسان في نفسه حدود اختيارات واسعة يستطيع ان يتسفل من طريقها نازلاً كما يستطيع ان يعلو فائقاً وقد ابدى العيان كلتا الصورتين وطبقهما على الخارج تطبيق تجسيم : واما ثانياً فكم من نبوغ طبيعي في الحاسة اوهب به صاحبها فما أعاره طرفه عين فكان في مطاوى وجوده كالكنز المدفون تحت الارض لا يستفاد منه واما ثالثاً فكم من نابغة سمى لنبوغة وشعشع به آفاق جوه ولكنها كنفى من ادراكه للغايات البعيدة ببعض منها ووقف في مكانه مكتئباً بما حصل ونحن معها اشبعنا الموقف بالمناجاة ووسعنا نطاق الاعتراف لزمرة النابيين من الانبياء كابراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام وقلنا انهم كانوا يملكون فوق الطاقات العادية للانسان نبوغاً وانهم شعشعوا آفاقهم من طريقه وان الغيب امدهم وراء ذلك بأمدادات هائلة خولتهم الصلاحيات الكبرى لمهمتهم الا ان ذلك لا يكفي في تعليل هذا التفاني المدهش الذي قاموا به ووقفوا له حتى الذوانى القصصار فضلاً عن السنين الطوال من اعمارهم تجاه الهدف الذي رهوا له : ألم تكن ابدانهم كهذه الابدان التي تعبى وتمجز وتمل وتكل وتطلب الراحة من مظانها باغلا الاثمان نعم كانت ابدانهم كذلك الا ان ارواحهم اندلعت من بواطنهم فكانت عليهم كالدروع المسرودة تقصدها الحوادث والفوائل بالمزعجات لكنها تنبو عند المصادمة حيث تجد سوراً حديدياً مضاعفاً قد رصد لحدودها فكلما لاقته بعنف تكهمت وهذه الروح هي التي انطلقت محمداً ﷺ حيث قال لخصومه والله لو وضعتم الشمس في يميني والقمر في شمالي لمانثيت عما ناقصد له وهذا التصميم ما وراءه غاية لطالب واذا كانت الهمة بهذه المثابة فلاريب ان تنحط صم الجبال سائخة الى الارض اجابة لطلبها خصوصاً اذا اسفها القدر الفعال : ومحمد بذل من نفسه من اول ساعة ابتعث فيها الى آخر لحظة من حياته كل ما يقوى عليه من جهد في سبيل تقديم دعوته الى الامام وتطبيقها على العالم ولوان القضاء المحتوم افرج له عن نفسه بمقدار ما يعيش به الانسان الطبيعي لكان تأثيره في الوجودها ثللاً جداً كيفوها. نحن اليوم نرى القوى الهدامة من مادية وتبشيرية تدلع السنن بالشهب الحادة حتى في اواسط ممالك المسلمين وعلى ايدي العملاء منهم

فنبعث ونبعث جهد ما تستطيع ومع ذلك نرى دعوتهم محلقة وفضائلها ظاهرة وعلومها قاهرة و اشراقها على رغم تلبد الغيوم في آفاقها واضح جلي قد ملاء قلوب حساده و أعدائه غيظاً لا يبوخ اواره فمحمد ﷺ ان كان نابغة فهو من هذا الطراز المنقطع النظر.

وفي الختام نجمع الكلام على علل تقدم الاسلام وانحطاط المسلمين ذاك في اول ادواره وهو لاء في اواخرهم فنقول اما الاسباب الموجبة للتقدم فهي .

(١) وجود الداعي المخلص المؤمن بدعوته الحر في عقيدته المتفاني في تركيز خطته و هذا الملاك قل ما يوجد في اطباق البشرية على سعتها الا في افراد قلائل جداً من ارقاهم مثلاً النبي محمد ﷺ فقد كان من اخلاصه انه لم يترفع بنفسه حتى على آحاد المسلمين في ازهر عصور رقيه و تعاليمه لم ينحز حتى عن صفوف السائرين منهم بل كان كاحدهم في كافة الشؤون الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ولقد عبر عن روحه هذه مراراً و كراراً و قال انا واحد منكم لولا النبوة كما انه عاش عيشة بسيطة جداً و ليس وراء اعداد حجر المجاعة لرد عاصفة الجوع غاية يقصد ها زاهد متكشف وانه مات حين مات عن لاشيء يعند به و كفى ذلك مقياساً اعلا في النزاهة و الصدق و الخلوص : و كان من ايمانه بدعوته انه صارح خصومه كما صارح احبائه بانه لو وضعت الشمس في يمينه والقمر في شماله على ان يترك استمراره بدعوته لعا فعل و مثل هذا التصميم لم يوجد في اى انسان سواه : و اما حريسته في عقيدته فانه ماداهن عدوا و لا صديقاً و لا جامل انساناً بما يضرب الحق و تنجيز الدعوة : و اما تفانيه في تركيز خطته فانه لم يتأخر عن الشخصوس في صدر كتابه و لم يفر عن حومة ميدانه و لم يتوان عن تقديم دعوته ساعة واحدة فضلا عن الاكثر منها و بعبارة أقصر انه اذاب وجوده من لدن بعثته الى آخر ساعة من حياته في تركيز خطته و تثبيت دعوته و تقديم دينه و اصلاح امته واسعاد البشرية على طولها .

(٢) وجود الحواريين من نمطه في دعم دعوته فانه كما قال من المؤمن كثير

بأخيه فان الحوارى المؤمن المستقيم المعتقد يعدل جيشاً جراراً من القناو القنايل
ويغنى غناء الآلاف من الناس ولقد سأل عماراً سائل من حضار صفيين و كان قد دخله
الشك فى جواز مقاتلة اهل القبلة بمازوره الدجالون من اتباع معاوية و هواة سياسته
عن موقفه الذى هو فيه فأجابه بكلمة هى غاية فى رصانة التعبير عن المقصد الواقعى
وقال والله لو هزمونا الى سعفات هجر لعلمنا اناعلى الحق وانهم على الباطل : ولا ريب
ان مثل هذه الروح اذا تبطنت جوف انسان صيرت منه قوة هائلة لكى العدو وقد يسر الله لرسوله
جملة من المهاجرين والانصار صدقوا فى مبايعته و كتفوا دعوته بالذود الكامل والعناية
النامة وفى طليعتهم سيدهم واميرهم على بن ابي طالب الذى بذل وجوده على مافيه من
علم جم وشجاعة قهارة وكفاءة فى كل المطالب والمقاصد ولهذه البطولة من هؤلاء
الابطال القلائل فى عددهم الكثيرين بحولهم وطولهم اخذ الاسلام يتقدم الى الامام
خطوات واسعة حتى فرض نفسه على الوجود رغم كافة المحاولات التى صنعت لادكه .
(٣) سلامة الدعوة فى نفسها من الهنات الموبقة فان من يدرس القرآن درساً
عميقاً وهكذا ما صح من السنة النبوية وعلوم اهل البيت يجد نفسه بين مجتمع من الحقائق
التي لاتغمر بغامز ولا تمس بما يطبع بالكرامة والعقل البشرى مهما لوثنه النفوس
الديئئة وشوهدت منظرة المادية الساقطة فانه لا يعطى كل توازنه من يده ولا يفقد
هويته بالمرّة و اصولاً لاتعدم الحقيقة سامعاً واعياً ومنتصراً واقعياً على طول الاجيال
ومع كل الموهنات : فهذه الاصول الثلاثة بمنزلة الاثافى لرفع الاسلام وتأثيره الاثار
المرموقة فى الكون .

واما علل انحطاط المسلمين فانك تقرؤها فى المواد اللاحقة -

(١) فوت الداعى وعدم من يقوم مقامه ويسد فراغه كما يقوم مقام الرئيس معاونه
و كان ذلك اول ضربة هادة للإسلام فان نبيه (ص) لما اصطفاه الله اليه عبث حضار
السقيفة من مهاجرو انصارى بكرامة الحق وطلعت الى الوجود تلك الارواح المتناكرة
التي قضى عليها محمد ص حيث حقق الاخوة النامة بين عامة اصحابه جهدهما استطاع فلم
تكن فى زمانه جزازات ساعرة تلهى القوم بعضهم ببعض عن ملاقة المشا كل التي يواجهها

كل داع الى نظام جديد و كل اتباع داع واخذت تفعل مفعولها طبق ما يفرج الزمان لها ولكن لم تعد تنفجر مرة واحدة بل بقي المخلصون للدين الاسلامي يعملون له ولو كانت في قلوبهم آلاف الحزازات من الحكم السائد غير ان هؤلاء المخلصين لما تقلصوا واحداً بعد واحد بالموت او الشيخوخة الهادمة او القبوع في زوايا الخمول اخذت دائرة ذلك التناكر تتسع شيئاً فشيئاً حتى جاء دور عثمان و بالاحرى ان نقول دور مروان بن الحكم والوليد بن عقبة ومعاوية بن ابي سفيان ومن الي هؤلاء فهناك جاءت هذه الوطأة تشدد وتخف كفة الافاضل واستفتح من جديد دور الالحاد الحاد يزيد بن معاوية الذي تشدق غير هباب ولا وجل بقوله .

ليت اشياخي يبدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الاسل
لأهلوا و استهلوا فرحاً و لقالوا يا يزيد لاتشل

وجاءت نوبة العنصرية العشائرية ترغو من بدة فبكر وتغلب وربيعه ومضروهم دوايك وهذا التفكك المخزي هو الذي فتح باب النهضة لابي مسلم الخراساني بعنوان الدعوة الى الرضا من آل محمد او بعنوان بني العباس وهنأفهم الفرس ان القضا يا لم تعد قضايا عقائدية وانما هي عنصرية بجهة بين العرب وغير العرب وهم ان كانوا رضخوا وبدوا للإسلام بقوة الايمان ومنطق البرهان فهم الان لا يجيز لهم الوقت ان يرضخوا لعنصر خاص يريد التغلب عليهم بحرارة السيف فقط وقد كانوا من سادات الامم آنفاً فلهذا اخذوا يدبون الدبيب الخفي والجلى ولو بشعار الرضا من آل محمد او بعنوان العباسيين الى ما هم راصدون له من الانقطاع عن غيرهم وتشكيل حكومة مستقلة او شبه مستقلة لهم حتى يأتي الدور المساعد تماماً لتنام الاستقلال وهكذا ثارت بالترك نخوتهم فمالوا لتشييد دويلات لهم بين الاستقلال والتابعة لمر كز الخلافة : اما الفرس فحصلوا في اول نهضتهم الوزارة والقيادة والامارة والاعمال المرموقة ثم اخذوا يتكثرون لتشكيل ما كانوا يصدده من حكومات قائمة برأسها والاتراك نالوا سهماً من ذلك ايضاً حتى ادى بهم الامران ينصبوا الخليفة ببغداد ويخلعوه بمن مقامه في يوم واحد لتشيبتهم بالعرى القوية الحكومية وآل الامر في نهاية المطاف بالخلع التام للخلافة الاسلامية من شرق الارض وغربها :

(٢) عدم الحواريين من نمط الداعى فى دعم دعوته وتر كيز خطنه فان الذين خلفوا الجيل الاول من الصحابة المخلصين بعنوانهم ممثلين للدين الاسلامى كانوا باعة ضمائر اكثر منهم علماء ودجالين اكثر منهم ناصحين صادقين وكان فى طليعتهم ابوهريرة الدوسى وعروة بن الزبير واشباه هذين ثم انتقلت بهؤلاء القضايا من صميم الاسلام الى خلق البدع والتناحر على امور تافهة فى نفسها ومسقطة لكيان الاسلام بصورة أهم وذلك كمسألة الجبر والاعتزال وكون القرآن مخلوقاً او غير مخلوق والقول بالقدر والارجاء وما الى ذلك مما لا يكاد يعد لكثرة تشعبه فى أناس يومذاك وهذه اللطمة قضت على جوهر الاسلام وأطارته شعاعاً .

(٣) ومن هذا التسفل فى النزعات الكلامية والاراء شبه الفلسفية فيما يدعى اهلها وجمود القوم عليها وانحياز الغرب لنفسه يعالج اوضاعه وقيام قادة الافكار فيه فى شتى المراحل العلمية والعملية منتهزين بغفوة المسلمين فرصة من اهم الفرص للقضاء على سلطانهم والاطاحة بكيانهم اخذ الغربيون ينجحون فى تهيئة الوسائل يوماً فيوماً حتى قويت حكوماتهم واستعدوا للوثوب على خصومهم فأخذوا يهدمون الدولة المسلمة بعد الاخرى وليس فى المسلمين من يجيب الصريح ويردم الثغرة المنهارة حتى سقطت جميع دول الاسلام ما بين احتلال جاهر او تسلط قاهر هذا من الجنبه الاعدادية : واما من الجنبه العلمية فلما كان فى معلومات القوم ما هو بكر من ناحية وصحيح من ناحية ثانية وكان اعانهم على تحصيله استخدامهم للوسائل التى היאوها لاستثمار العلم الصادق من طريقها تمكنوا من الطريق نفسه ان يشوهوا سمعة الدين بما فى جملة من احاديثه التى زورها الدجالون من الهنات وان يعدوها شعار دجله وافتضاحه : واما تحقق فى نفوسهم انهم تركزوا فى قلوب الناس بما أبدعوه واكتشفوه اخذوا يكيلون فوق الصادق من معلوماتهم دواهي الارتجالات الكاذبة ويدسونها فى كتبهم ونشراتهم فتمشى مغذة فى اعماق القلوب من دون تأمل وبهذا العمل اطمأحو بالديانات عموماً والاسلام خصوصاً لمزيد عدائهم له إطاحات هسمة العظام تهشماً وأحالت من دنيا الكرة الارضية الحاداً جاريماً فى النفوس جريان الدم فى العروق بسرعة مدهشة فان الله .

نعم ان الغرب والغربيين من اشد خصوم الاسلام والمسلمين ومن اعظم المولعين
 بتهديمهما وتحطيمهما فانهم لم يجردوا سيوفهم الباترة للقضاء عليهم فقط ولم يدخلوهم
 فى حوزة حكوماتهم فحسب ولم يسلبوهم السلطة الزمنية والحياة المادية ايضا بل عبثوا
 بكراماتهم حتى اعادوهم من المهازل انصافاً يسخر منهم العابرو والمستطرق : وشمر
 المستشرقون للعبث بمعارفهم العظيمة الشأن وعرفوها بانها اساطير ولا احيلك على كتب
 عديدة من ذلك بل ارشدك الى مطالعة كتاب واحد هو دائرة المعارف الاسلامية فانك لا تبدأ
 تقرأ فى مواد حروفها التى رتب عليها سلسلة مواد الكتاب الا ترى فى كل مادة تمت
 الى الدين الاسلامى منها ما يقيم المسلم الفيور العارف بتاريخ دينه ومقاييسه ويقعده
 فكم عبث هؤلاء الدجالون بكرامة نبي الاسلام وخصائص الدين الاسلامى وتراثه ورجال
 وأظهروا كل ذلك بصورة الاساطير النابية والخرافات التى تشمئز منها اقل النفوس
 المنثورة ولا ريب انهم لم يكتبوا ما كتبوا الا بداع انتهازى خالص : وان فنك الانتهاز اعظم من
 فنك الصواريخ المبيدة لان الصاروخ اعظم ما يفعل هو التدمير فى المواد التى يواجهها
 والارواح التى تقابله ويقابلها ولا يستطيع التأثير فى العقول والافكار واما هذه الاقلام
 المأجورة فانها تعبث بالعقول وتمزق مجتمع الافكار وتلعب بالنفوس عبثاً ولعباً لا يحددان
 بمقياس فليس هؤلاء الستمائة مليون مسلم اليوم قد اعطوا عزتهم وحاكميتهم على
 انفسهم فقط بل اعطوا عقائدهم الاسلامية ومعارفهم الدينية وتاريخهم المجيد بركونهم
 الى ما كتبه المستشرقون فى تاريخهم ومعارفهم حتى انك ترى مسلم اليوم لاشىء
 فى كل شىء.

وقديماً وقفت على رواية صادقة الموضوع من قلم غربى انسان فى نزعاته الفكرية
 وهو برناردين الكاتب الفرنسى الشهير المتولد سنة ١٧٢٧ للميلاد يعلمنا فيها طريقة
 الاستثمار و كيفية غزوه للناس بصورة عامة فتأثرت بذلك اكثر ما استطيع ان أتأثر
 فلخصت تعريبها الذى قام به المرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى تلخيصاً قرب الشقق
 بين مسافاتنا ثم نظمت التلخيص بصورة مكبرة المعانى شبيهة فيما احسب واننى أثبت
 هذا النظم فى هذا المكان من الكتاب لياخذ محله من موضعه اللائق به فأقول :

الفضيلة

او : بول وفرجينى

رواية من اطرف الروايات لم اتصل بها فيما قرأت وطالعت الامن طريق بعض تلاميذى الذين يدرسون على "الادب واللغة فرأيت فيها من الاتجاهات ما يتفق مع رأى فى الحياة ولانها قصة صادقة حبرتها ريشة فنان بقلمه مئالى فى روحه آثرت أن اسكبها فى قالب شعري وأضيف اليها من شعورى ما يضمن لها البقاء لتكون من الدروس الثمينة عن الواقع الصريح وعن هذا الداعى المقدس انبعثت قريحتى فقلت

إذا أحببت أن تروى
عن الدنيا أو الدين
حديثاً صادق اللهجة
ممسول المضامين
هلم أقرأ حديث الدهر
عن بول وفرجينى
فتم الفضل موفور
لدى الولدان والعين

❖ ❖ ❖

كاتب القصة كما اسلفنا (برنادين) الكاتب الفرنسى الشهير وادسنة ١٧٢٧ للميلاد وشب على حب الفضيلة وتأثر لأول مرة جاس بها خلال الحياة بماتعانيه الطبقات المحرومة من حقوق الاجتماع البشرى ومن هنا اتجهت حياته لتشكّل بين حناياه حياة انسان لا كما يشب عليه النوع من ضراوة وشره لالتهام الدنيا من اى طريق اوفى بهم عليها : ومن حسن الصدق التى احتفت بحياته انه قارن فى مشاهداته العميقة بين ما عليه عائشوا الحضارة من حياة صناعية مزورة قد ألبسها الدجل والتدليس والتعلق والشره وسائر الخلال الدنيئة طاقات غرارة المظاهر معتمة البواطن وما عليه عائشوا البوادي من حياة فطرية ساذجة قد تحالف ظاهرها وباطنها على اراءه الواقع مكشوفاً للعيون من دون أن تمس يد تزوير وتدليس فمن وقوفه بين هاتين الحياتين عرف الشيء الكثير مما اغلقته الطبيعة المدلسة على غيره واتجهت روحه للتحدث عن الحقائق الراهنة الكامنة تحت اطباق من القشور المادية الشوهاء : ومن هذا وذاك جاء انتاجه لرواية بول و

فرجيني انتاجاً ماخوذاً عن صفحة الواقع نفسه وان يكن فيه مدّ شعري ففيه رصف عباراته
لاكثر وبالاخرة فما تقرأه في الفصول الآتية حق لادجل فيه ونعمة من المعرفة يجب
تقديرها والشكر عليها والتنعم بها جهد المستطاع فان انسانية اى انسان منوطة بالتمرن
على هذه المعارف الراقية فحسب : ابطال هذه الرواية : هيلين : مرغريت : بول :
فرجيني : دومينج : ماري : فيديل : الشيخ : والمتحدث عن ذلك : برناردين : كاتب
القصة المشار اليه : والمنظومة كما تقرأها فيما يلي :

موقف الانسان بين عقله وشهوته

والشهوة مولود	هو الانسان بين العقل
والمعروف والجود	وما الفطرة الا العقل
رياحين وتغريد	هي الروضة تجلوها
وفي الكرمه عنقود	هي الوردة في الحقل
لا الناي ولا العود	هي المزمار للبلبل
وفي الخدين توريد	هي البسمة للشعر
و للنعمة ترديد	هي اللقمة للجيد
رؤاها العيش مفقود	هي العيش ومن دون
و للفكرة تسديد	هي الراحة للروح
وللمعبود توحيد	هي الاخلاص للعبد



دوما اوجه سود	مجالى الشهوة العمياء
لا الولدان والغيد	تبناها غناء الناس
وعمتها التقاليد	خلت منها الصراحت
وظل البؤس ممدود	لديها العمر منقوص
بها العالم منكود	وما هذى الحضارات

فلا الشرق ولا الغرب به سعد و مسعود
سوى الشهوة يحدوها بعصر النور تجديد

✧ ✧ ✧

أ (برناز) عليك الحمد تتلوه الانا شيد
فقد كنت رحيم القلب فيك العدل مرصود
درست الكون فى القصر وما فى القصر موجود
وتابعت السرى فى الريف تطوى ركبك اليد
لنستلم هل فى الكوخ ومدوح و محمود
فكان القصر كالقفر وان ازهاء تشيد
وكان الكوخ كالجنة فيها العيش منشود
به الانس به القدس وكل الخير محشود
به الفيد عفيفات وفتيان الهوى صيد
كفى بول وفرجينى بلاغاً فيه تأييد

✧ ✧ ✧

جزيرة موريس

أ (برنار) لئن شطت بك الدار لموريس
ففيها متعة الانفس لا جنات باريس
بها الفطرة قد جمت بمعقول ومحسوس
بها الشمس تمد الكون فى سير و تعريس
ولا يحتجب البدر بأسفار وتغليس
وفيهما الروض مواج بالوان الطواويس
وفيهما الطل كالصبياء يسقى كل مقروس
بها كل البساطات بماكول وملبوس

بها ينحسر الهم
بها العبرة للكل
وفيهما كل تنقيس
بمشهود ومدروس

✧ ✧ ✧

وفي أكناف ذي الارض
يرى الرائي اذا جاء
يرى كوخين قد طوح
فلا دنياد يفنى الدار
ديار أجرم الدهر
بها آثار اقوام
وفوا للموت مذرا حوا
بلا زاد سوى التقوى
على ضفة ذا الوادى
مقيلاً هو كالنادى
فى أهليهما الحادى
فى لطف وامداد
عليها وعدا العادى
أباة الضيم أمجاد
الى الموت بميعاد
ونعمت هى من زاد



مركز تقيتكم في علوم رسول

أ (برنار) سل الشيخ
خير مارس الدهر
عن الوادى متى جف
عن الكوخ وقد كان
عن الروضة لم حالت
أهم قد أزمعوا الترحال
وطول ايها الشيخ
هنا : حزبه بالوضع :
أ (برنار) هو الدهر
مشى اعصاره يوماً
فعد الشيخ تفصيل
وفى الخبرة تعويل
وأهليه متى اغتيلوا
زماناً وهو مأهول
وعنها القوم لم حيلوا
ام غالتهم غول
ففى التطويل تليل
وأبكته التفاصيل
وهل بالدهر تأميل
فلم يثبت له جيل

✧ ✧ ✧

فذا الوادى الذى قد جف
 وذى الاكواخ مذعات
 وذى الدار التى كانت
 مناراً كان للفضل
 اولوا مجد أقاموه
 فما اروى لك الان
 حديث لم يكن فيه
 حديث قد تبناه
 وان كانوا عظام النفس
 و (برنار) يعير الشيخ
 رآه واسع الفكرة
 محباً للكرامات
 أفدينا ايها الشيخ
 فكلى اذن للقول

والروض الذى حالا
 لبعث الامل اطلالا
 تبيح الزاد والمالا
 وللمعروف تمثالا
 وكانوا فيه نزالا
 واسترعى له البالا
 اولوا الصولة ابطالا
 كرام زهدوا حالا
 احساناً وافضالا
 اكباراً واجبالا
 وصافاً وقوالا
 وللمعروف ميثالا
 فلن تبرح مفضالا
 ترتاح وان طالا

المسيودى لاتور و مدام هيلين

فساد الشيخ للقول
 ليروى قصة الكوخ
 فتى : قال : بياديس
 نبيل النفس عذب الروح
 تراه العين اخذاً
 المت عينه يوماً
 رأى فاتنة الدهر
 رأى مثرية الحسن

وقد حزت به الذكرى
 وما بالكوخ قد مراً
 على الفضل طوى الفقرا
 بسام الرؤى ثغرا
 فتستخذى له قهرا
 بهيلين فما قرأ
 وان لازمتم الطهرا
 وكانت فى التقى اثرى

رآها فتمنا لها
 وما يصنع والكف
 وأهلوها اولوا طول
 يرون العز مقصوراً
 طبيعياً اذا ردوه
 ولسكن الحبيبين
 فأجرى صيغة العقد
 أهيلين انا المهر
 وباريس اذا عزت
 اذا ضاقت بانسان
 هنا صوب (لاتور)
 طوى البر بلا زاد
 طفت فيه ليرتاد
 هو الحرف ما اقسى



مشى هذا الفنى المقدام
 فما حطاً بهذا السطح
 الأوجرى يختط
 فابتاع لها اختاً
 مضى يطلب أعواناً
 فيا بقيا لهيلين
 قضى من غير توديع
 قضى فى غربة الدار
 هنا حلت بهيلين

والسيدة العذدا
 واختال بهم فخرا
 للعيش به وكرا
 تواسيها اذا اسرى
 يقوى بهم الظهرا
 ويسالاتور واحراً
 ومات الموتة النكرا
 ولم يقض بها عمرا
 مآسى النكبة الكبرى

فما تصنع في ارض
ومن للحمل يدعو
من الحامي من الدهر
فتاة تفقد الاعوان
وماذاقت من الايام
ولكن ضاق منها الدهر
فثارت ثورة الليث
وراحت تحرث الارض
غدت من زوجها قفرا
اذا شب ابا برا
وفيها الدهر قداذرى
الا المقلة العبرا
الا السزمن المرأ
منذ اتست صدرا
اذا هيج او استضرى
وتستنبها برا

مرغريت

وقد حلت مرغريت
فتاة ذات ايمان
بريطانية الاصل
سرى من ذوى المال
أتى قرينها لصناً
رأها غضة الروضة
فأبدى وجهه الزين
وهل ينجو بسيط الروح
فناجاها على امر
اراه انه جاء
ويصفيها من الدنيا
وتقضى عمرها الواسع
فما كان سوى أن نال
بلا عقد ولا عهد
بنا من قبل هيلين
رماها الدهر بالهون
ومن قسم المساكين
صفيق الوجه والدين
لختل الخرد العين
في حسن وفي لين
وأخفى قلبه الدونى
من كيد الشياطين
فكانت شر مفنون
لها يخطب في الحين
معاشاً غير ممنون
في عزو تمكين
منها كل مكسون
وتأمين وتموين

وعنها فرّ في ليل
فأضحت بعده تفرع
وما أبقى لها الجلف
وحمل بين أحشاها
ففرّت قبل أن تروى

فراراً غير مضمون
منها سن مغبون
سوى خزي وتوهين
له هامت كهمجنون
حديثاً في الدواوين

❖ ❖ ❖

هو الاقلال والحاجه
على المرء ومنهاجه
وخلته وازعاجه
سوى البدره مواجّه
اذا لم تك محتاجه
وما في امس ادراجّه
عليه عاقداً تاجه
ولا في الهند من راجه
: من العادي : واتاجه
ولا تملك احراجّه
مذ طير أمواجه
وشعباً وادعاً واجه
ولا تفقد حجّاجه
سوى رمز له حاجه

هو الاعواز والبؤس
فكم ضيعت الرشد
وكم ازعجت الببال
ولم تخدع مر غريت
ولم يزن بها الجلف
يقولون مضى امس
وجاء العصر بالفصل
فلا قارون في مصر
هو العدل حمى الشعب
فلا الفاقة تشقيه
بهذا يصدح المذبايع
خداع كل ما قال
فلم نعدم اذى امس
وما وعد السياسي

❖ ❖ ❖

وما هذى القوانين
سوى فحّ تبنّاه
لديه مات من مات

ودور العدل في الدنيا
رجال الرتبة العليا
ويحیی فيه من يحيی

وما العدل سوى طيف
مر غريت لك الله
فما خصمك قد جار
هو القاضى الذى أفنى
يرى الافراد امواتاً
يراه المرء فى الرؤيا
اذا حولك قد أعى
عليك وجنى غيا
ملايين وما استجيبى
فيمشى بينهم حياً

❖ ❖ ❖

أ (برنار) استمع ياخير
مرغريت التى فرت
لمترتاد لها ارضاً
هنا اختطت لها داراً
وفىها ولدت بولا
وما كان يواسيها
سوى زنجية تسمى
لعيش وضعه أدون
وقد كنت ازور البيت
واقضى واجب الزورة
الى أن نزلت هيلين
رأت اختاً تقرّ النفس
وأوتها مر غريت

ضيف حلّ بالوادي
من الحاضر والبادى
تقيها صولة العادى
بلا مال ولا زاد
بوضع يؤسه بادى
بأسعاد و امداد
لاصلاح و اعداد
من عيش الورى العادى
عفنوا او لميعاد
من سعى وارشاد
وارتاح لها النادى
فى موطنها الهادى
بأسكبان و ارفاد

❖ ❖ ❖

ومذ حلت بها هيلين
أواسيها بما يسعد
رأيت الضيف انساناً
ولم يجن له الغربة
ضيفاً جئتها زائر
حالى حالها القاصر
عليه مجده ظاهر
الاحظه المعائر

ولمّا ان درست الوضع
أبت نفسي الأبدال
فأمّلت لما يأتى
وقلت الدهر قدسار
فطوراً يصدع الببال
وما الدنيا سوى جسر
وما العاقل الامن
هلمّا نشر الآتى
هلمّا نعيم الارض
فخططت لسكنى القوم
بكوخين ظريفين
وقسمت الذى سهل
فقال القوم بالقسمة
وجاء الطلق هيلين
الى ان سرّها الله
وسمّاها بفرجينى
لدى ميلادها العاطر



هو الريف واهلوه
يرى الجاربه الخير
يقومون مقام الاهل
على الفطرة يمشون
يجودون على الضيف
وهل يلقى رقيق الحال
ترى آهلهما رذلا
اولوا المعروف والفضل
ويلقى واسع البذل
ان شطّ عن الاهل
بالاغدر ولا خذل
ويزرون على البخل
فى البلدة من نبيل
على مال له جنل

الحياة الطبيعية والصداقة المتينة

ولما قد قضت هيلين
 مشت للعمل المثمر
 وجاراتها مرغريست
 ودومينج الذى كان
 فتى الزنج عميد البيت
 ومارى تسعد الجمع
 مشى الكل الى قصد
 فمن غزل الى نسج
 ومن زرع يعد الأكل
 ومن قطف لاثمار
 وهذا ديدن الجمع
 محيط يضمن العيش
 على القطرة قدسار
 لديه يجتلون البدر
 يعبتون عصير الورد
 يعيشون بسلامن
 ولما طابت الدار
 اتى دومينج ربه
 بمارى يطلب الوصل
 فسر القوم فى عرس

حق المرءة النفسا
 و ارتاحت له نفسا
 وزادت انفسها انسا
 يجيد الزرع والغرسا
 رمز العزة القعسا
 وعنهم تطرد البؤسا
 به كانوا لنا درسا
 يقيم الفرش واللبسا
 او ضرع به يحسى
 بهاداء الحشا يؤسى
 متى اصبح اوامسى
 فلا تلقى به نحسا
 وفى ساحلها ارسى
 تما وكذا الشمسا
 لاخمرأ ولا كأسا
 بعز يرفع الرأسا
 وفيها لم يروا بأسا
 وافضى لهما همسا
 ويهواها له عرسا
 لماضى حزنهم انسى



مرغريست لهيلينا

ومذا اخلصت الود

وتلقى اللطف واللينسا	رأت اختابها تحظى
وقلباً كان معزونا	فأطفت لاءج الهم
هوى بالروح مقرونا	وأصفت لمرغريت
بما تغذوه فرجينا	وتغذو ودّها بولا
للأمين تسكينسا	وكانت رؤية الطفلين
على مجديهما الهونسا	عن الماضي الذي صبّ
من اصبح مغبونسا	وللاتى الذى يرجوه
بازواج وأهلينسا	أذا أشقاها الدهر
ما يرضيهما حينسا	ففى مستقبل الطفلين

حياة الطفولة

من بول وفرجينى	وقد شاهدت فى الطفلين
عن ليلي ومجنون	من الخلطة ما نرويه
فى لطف وفى لين	علوق مازج القلبين
كعباق الرياحين	وودّ طيب النشر
بحب القلب مقرون	يعيشان على حبّ
ودين الحبّ من دين	هنيئاً لهما الدنيا



واشدداً على الشغل	ولما أيفع الطفلان
الى الزرع وفى المحقل	مشى بول لدومينج
ذات العقل والنبل	ومارى التزمت فرجين
وما واجبها الاهلى	لتدرى خدمة البيت
على المعروف والفضل	فشبّا خير عونين
بحسن جلّ عن مثل	وخصّ الله فرجينى

ذوات الاعين النجل
 فى لين وفى دل
 منسول بلا نسل
 فى الكل على الكل
 بل فى الخلق الجزل
 بل ما قيمة الشبل
 فى دنياه من خل
 هوى عن همها يسلى
 على قرب وفى وصل
 خليطين على الاكل
 على الجامع للشمل

بعينين سبت حسناً
 وممشوق كفن البان
 وشعر ذهبى اللنون
 لقد فازت بها الخلقه
 وبول مثلها فى الخلق
 هو الشبل اذا استصرخ
 ولم يعرف سوى فرجين
 كما فرجين تمواه
 فلا تلقاهما الا
 قريبين لسدى النسوم
 ليهف كل من تلقى



مرغريت وهيلين
 وزان الوضع تمكين
 به تشدو الدواوين
 وترتاح الرياحين
 وللبلبل تسلحين
 قدأح و نسرين
 وتخنال البساتين
 وتشدو خرْد عين
 بيض الناس والجون
 به بول و فرجين
 وفى الامال تسكين
 ليهف القلب محزون

وكم حدثت النفس
 اذا شب الصبيان
 يقومان على عرس
 به ينطف البان
 به الشحرور غريد
 به السوسن يستصبيه
 به يطرع الورد
 به ترقص ولدان
 به يستبق اللذات
 هو العرس الذى يحظى
 هى الامال للام
 امان كم لها ارتاح

فذاك الدهر مسكين

ومن ساوره اليأس

هيلين تفكر في مستقبل فرجينى

وتخطأ في طريق تفكيرها

ومذلاح لهيلين	شباب البنت لماعا
طفت فيها الخيالات	وعنها قصرت باعا
أبقى البنت فى ارض	بها تفقد أشياءعا
ولامال يقبها البؤس	ان خطب لها راعا
كفاها بؤسها الماحق	آلاماً وأوجاعا
وفى باريس أهلوها	غنوا مالا وامناعا
حووا كل المسرات	ونالوا الخير انواعا
لئن سوت بهم حظاً	وحقى بينهم ضاعا
فبنتى ماجنت ذنباً	ولا عافت لهم قاعا

فلم يبرح بها التفكير	حتى صممت جنماً
على ارسال مكنسوب	الى عمته العظمى
به تشكو لها حزناً	ومن جارى القضا همماً
وان كانت جنت ذنباً	فلم تقصد لها هضمماً
وان طاوعت الرغبة	فالجهل لها أعمى
على ان ابافرجين	كان الماجد الشهما
فلم يجن بها جرماً	ولا فى اهلها ظلماً
وفى صالحها مات	بسم قلبها أدمى
قضى فى طلب العزّة	لانكساً ولا فدماً
فلا عار اذا خابت	مساغيه ولا ذمماً

ولا أرجو من الايام
 ولكنى على فرجين
 اذا جاءت ولاوالد
 بأرض قد غدت قفراء
 مضى المكتوب للعممة
 تلتنه أعين عمسى
 ولما لم تمل هيلين
 ولم تدر عن العممة
 رأته أن تتبع الخط
 بها كم ظننت الخير
 ومن أعجزها الناس
 أتى من جانب العممة
 فقد ضاقت له ذرعاً
 رأته غماً به جمماً
 رأته ألكم مخلوق
 أبى الا المجافاة
 فالقت يدها المكتوب
 وطاحت للثرى شلواً
 فجاءتها مرغريت
 رأته هيلين قد حمت
 فضممتها الى صدر
 وقالت ما دهاك اليوم
 فدومينج غدا نضواً
 وبول يضرب الارض
 عقبى لى او نعمى
 اخشى البؤس واليتما
 يرهاها ولا أمماً
 من اهل لهم تمنى
 لكن لم يشرغماً
 وأصفت اذن صماً
 من مكتوبها علماً
 ما يشبعها فهماً
 بما يوقظها عزماً
 فأضحى ظننها رجماً
 وطاشت فى المنى سهماً
 مكتوب لها أصمى
 بما اوسعها شتما
 وكانت ترتجى الغنماً
 اليها ينسب اللؤماً
 فلا عطف ولا رحمى
 من خزى به جمماً
 كأن قد سقيت سمماً
 وصكت وجهها لطماً
 ولكن ما بها حمى
 على نار الغضا انضماً
 من خطب لنا عمماً
 ومارى تشتكى سقمماً
 ويوهى رأسه لدمماً

وفر جيني براها الخطب حتى شخصت عظمها



هناك انتفضت كالطير
ومرت تقرأ المكتوب
ففاظ القوم ما فيه
له تنزعج النفس
به كل الدنات
ولم تقو مرغريت
ولم ترض على هيلين
سفاهاً يوسع الانسان
متى كنت ولا عطف
وللساعة كم عشنا
نعيماً وافرأ حزناً
تصافينا على الايام
فقرتي واهدئي روعاً
فلا تلقين غير العز
ولا تحند فرجيني
فطابت نفس هيلين
رأت في القوم اخلاصاً

قد أوهنه الضعف
والقلب بها يهفو
من السخف به يطفو
وعنه يحسر الطرف
وفيه الشتم والقذف
على ما وصف الجلف
ما كانت له تقفو
وداً من له يجفو
به نرعاك او لطيف
ولا مسن ولا عنف
على واجيننا يصفو
حيث الناس لا تصفو
باخوان بك احنفتوا
ماداموا ولم يعفوا
وهم في حفظها صف
بصيد حولها التفتوا
به هادئة تغفو

الانتهاز الاوربي

ان من يسبر اغوار الحياة
يجد الانسان في افعاله
يسأل النفس عن السر فتعبي

ليري اطوار هذي الكائنات
أحرز السبق ما بين الجناة
عن جواب فيه حل المشكلات

الأحرار معاش يتجنى
 أحرز المال مع الجاه فلم
 ما الذي يدعوهم يمشى عابثاً
 قيل جهل قد تولاه قديماً
 قطع الدرب على غير احتياج
 وترقى والياً في أمة
 وعلا شأنه فاضحى أهلاً
 فعلام استردت أخلاقه
 دع حديثاً عن عصور دثرت
 عن عصور غلب العلم بها
 ملك الناس بها حرية
 أجرى القانون فيها عادلاً
 وعلى الأمل يحكم سواها
 كلما يمضه الناس جزافاً
 هكذا قالوا ولـكن عبثاً
 ان مضى امس بما فيه فخيراً
 هو ما خور وما أهلوه فيه
 كاسف الطلعة باستهتاره
 لا يرى الانسان الاساءة
 ليس في الكون صحيح وقيح
 وشتات الناس كالحيوان وضماً
 ليس في العالم تدبير وما
 عاش من عاش على حنكته
 واستذل الدهر اخلاف النقي

ام لتحصيل مقام وسمات
 جاء مجنوناً بكل الحركات
 في شتات الخلق من غادو آتى
 فعنى بل جاء في رأس العناة
 بل ليدعى طاغياً بين الطفافة
 فلماذا كان من اقصى الولاية
 امره ينفذ في كل الجهات
 فعدا يبعث حتى في العفاة
 وتحدث عن عصور الجامعات
 وفشى الفضل بكل الطبقات
 مارآها احد طول الحياة
 وتولى الحكم أثبات القضاة
 من طفاة وعناة وبنائة
 هو حكم الرأي لا حكم الكماة
 حاولوا تمويهه مكشوف الهنات
 كان من عصر الخنا والترهات
 غير اشقات بغايا وذنائة
 فاسد النزعة في كل الصفات
 يرتعى في جنبهذى السائمات
 انها الدنيا ونبيل الشهوات
 درجوا في الكون من ذمبوشاة
 هو الافلنة من فلتات
 وتولى الحكم فيه كل عاتى
 واتي يشكو الوجا كل الثقة

ما طغى الغرب على كل الورى
انه المكر به استولى على
انها القوة اجراها بعنف
واتى يخلق للناس الرزايا
قبل ان الرق ألغاه واجرى
حفظ الصحة والعلم معاً
أغدى الخير على كل الورى
كلذا فحج به اصطاد شعوباً
فعل الافعال فى تسخيرهم
سل عن السود فهل جاؤا بذنب
وعن الشرق عموماً هل به
هو كالبركان يرغو مزبداً

بدعاء وصيام وصلاة
سذج الناس ورضخ الشهوات
وطلاها باراجيف الدعاء
كل يوم بدواه مهلكاة
الانتخابات لحفظ الحرمات
بصوف الدرس والمستشفيات
كم له بين الورى من خدمات
وغدا يحكم فى هذا الثقات
وبهم انزل كل الموبقات
فى الورى صاروا به اشقى الشقاء
راحقمن مزعج او مؤلمات
وسيبقى هكذا حتى الممات

مرکز تحقیقاتی و فرهنگی اسلامی

الزواج فى افريقية

وجاءت تشتكى التبريح
فتاة من بنى الزنج
جرت تخدم فى البيت
ولا تلقى من العيش
وان زلت لها رجل
وفى يوم تولاهما
فقرت تطلب الغوث
فلم تلق سوى فرجين
فابدت جسمها الشاحب

والجوع لفرجينسى
حواها ابيض دونسى
وفى غرس البساتين
سوى الجوع مع الهون
غدت أتعى مسكين
بتبريح وتوهين
وتستطف ذادين
ذات العطف واللين
من تعذيب مجنون

به للسوط آثار
ومرت تشنكى جوعاً
فأنتها من المأكول
وقالت انسى اشفع
عسى سعى بهذا الشأن
ولما لم يكن فى الدار
اتسته تسأل الاذن
توافى السيد المولع
فأمضى رأبها لكن

كآثار السكاكين
على حالة محزون
مايكفى لتموين
فيك جهد تمكينسى
يجديك ويجدينسى
الابول فى الحين
على اسعاف مقبون
فى زجر المساكين
بسير فيه مقرون

❖ ❖ ❖

مشى بول وفرجينسى
يجوبون الثرى الوعر
فكم غاصوا بغابات
وكم قد صدوا نجداً
وكم قد قطعوا ارضاً
فما وافوا حمى السيد
راوا التسم مخلوق
رأوه كاسف الوجه
رأوا جمأ من السود
ولولاهم لىما ساد
وما حكمه فيهم
وهل ينصر ذوالعقل
رموز قدر أينهاها
نرى الحاكم مبفوضاً

وقدامهما العبد
بسالزاد ولا عد
على هول وفى شدة
ومروا هابطى وهذه
بها يحسر ذواللبده
حتى واجهوا صده
وان جم الغنى عنده
وفى اخلاقه حده
وقد اعجزهم و حده
ولاشاد بهم مجده
سوى ان قد غدوا جنده
على اذلاله ضده
ولم نحلل لها عقده
وكل يتقى حده

وما سواه ذاحكم
بغيب كل العيش
وكل يدعى الدين
سوى من ذمه جهده
ولكن نشرى وده
مجيئاً داعى الرده

✧ ✧ ✧

جنى بول وفرجينى
و رامانه ان يفتو
فما أولا هما بدوا
ولكن منذأى فرجين
أحد النظر الفاجر
ومناها بما رامت
و لما وجد الطفلان
أغذا السير للرجعة
على جوع و اعياء
و سارا يجهلان الدرب
يفوصان بأحراش
الى أن سقطا جهداً
و جاءت وحشة الليل
هناك استسلما للموت

امام الابيض الجانى
عن مملوكه العانى
سوى نظرة غضبان
فى الحسن بلا ثانى
من طرف له زانى
على تبه و طغيان
فيه روح شيطان
فى جد و امعان
و آلام و اشجان
والليل غدا دانى
و غابات و وديان
و اعيى كل امكان
بأخطار و أحزان
من أسد و ذؤبان

✧ ✧ ✧

ولكن سمعا و هنا
فظنا انه و هم
فمن علم فيديل
و من أخيره عنا
و هل قد جاءه الوحي

نباح الكلب فيديل
عرا السمع بتخييل
بماوى الفيل و الغول
بمكتوم و مجهول
عن الصادق جبريل

فماتم حديث النفس
الا و أتى دو مينج
من قال و من قيل
يقفو اثر فيديل

✧ ✧ ✧

فسر القوم من يسر
اذا هم أحسنوا فالدهر
فقد كساد يبيد الجمع
طريق الخير - مذ كان -
و فعل الشر ميسور
هو العقل به يشقى
فكم انكى بفرجينى
لهم قد جمع الشمال
قد ساء بهم فعلا
طفلا كان ام كمال
طريق لم يكن سهلا
لمن يختاره شغلا
من اغتر به جهلا
و أشقى معها بولا

✧ ✧ ✧

و لما أنس الجمع
و نالوا من شى الزاد
غدا دو مينج مما حل
يرى الدرب غدا و غرا
و طفليه من الاعياء
و قد أنهكه السير
و من فى البيت قدامسى
فكم ضاق به الذرع
و قد كان يعير الحال
جماعات من السود
فقروا فى شعاب الارض
فأمثوا جانب القوم
وقالوا نحن أعدوان
بشمل لهم التما
ما قواهم جسما
بالطفلين مهتما
و أمسى ليلهم أعمى
و التبريح قد جما
و أوهاه الحفاعز ما
لجهل الحال مفتما
وان كان فنى شهما
و العلم بها فهما
جنى البيض بهم ظلما
يخفون لهم علما
وألخوا لهم السلما
على بلواكم العظمى

فقد اسديتم اليوم
 فحفنوا بالصيين
 الى أن وصلوا المنزل
 وماذاقوا من النوم
 وقد ذابت مرغريت
 صيان ارادا اللطف
 فكس جابها له وعرا
 وكم قلب اذا باه
 هو المعروف محفوف
 وكم تسخو المقادير
 طلسم ما عرفناه

الى اخت لنا نفى
 الى أعناقهم ضمًا
 والجهد لهم عمًا
 على طول السرى طعما
 وهلين لهم سقما
 بالعانى وماتما
 وشخصاً ساقطاً أمًا
 وعين بالأسى تدمى
 بما يعقبه ذمًا
 لمن يوسعها لؤمًا
 ولا آباؤنا قدمًا



التجاذب الطبيعي

على الفطرة منشب
 وعاشا عيشة الورد
 على الحقل وفي الزرع
 ولم تشهد لهم عين
 يغنيهم هزار الروض
 يعبون زلال الماء
 ويحسون الطلا الطاهر
 وما النقل سوى التفاح
 ويقتاتون بالسالم
 وما خانوا الوري يوماً

الصيان النبيلان
 لدى روض وبستان
 وقرب السرو والبان
 سوى ورد وريحان
 فى شدو والحنان
 من أظهر غدران
 من كرم وألبان
 محفوفاً برمان
 من لحم وأدهان
 بكذب اوبيهتان

قضوا ايامهم طراً
ولم يتبعوا حيناً
وما شاؤوا لهم حياً
وعاشوا خير اخوان
على قدس وايمان
خطى رجس وشيطان
بأكدار وأحزان
على بر واحسان

* * *

ولما بلغنا الرشد
غدا كل وراء الحب
يرى في نفسه حالا
ولا يعرف ما الداعي
فقد كانا أليفين
ولكن يجدان الآن
هوى يعث بالقلب
هيام قد تشاء
به من الجن
وتمت فيهما الخلقه
يطوى في الحشا عشقه
وراء العطف والرقه
لهذا الشوق والعلقه
ولم تفصلهما فرقه
غير الحب ما فوقه
ويدعو دائماً شوقه
غرام واسع الشقة
فلا يصحو ولا يثقه

* * *

و منطال بفرجينى
مرغريت أنت هيلين
وقالت ان داعى الحب
و للصبوة اعنات
ألا ترضين ان نمضى
ونجلو عن صبيتنا
ونجبرى لهما عرساً
و بول كلف الحب
عن وضعهما تنبى
يسبى حينما يصبى
متى تطفو على القلب
لما فيه رضا الرب
اذى البأساء والكرب
على ما املا يربى

* * *

فقال يا مرغريت
لقد أسمعنى حقاً

ولكنى ارى الفقير
وبعد العرس مايشقى
فمن للفرخ ان صار
وكهذقنا اذى الدهر
وهما نحن تقاربنا
ودو مينج غدا شيخاً
ومارى ضعفت جسماً
كفانا ما لقبناه

بنا مذحل ما أبقى
الصيين كما نشقى
ومن للعيش ان شقنا
مذالدهر لنا عقاً
من القبر فهل نبقى
ومنه العظم قد دقاً
وبعد اليوم هل ترقى
من الضر وما نلقى



فما الحيلة ياهيلين
فقالتمادعا الشوق
فمن رأى ان ينشأ
الى الهند فكم منها
فيغدو هاء البال
هناك العرس مطلوب
به يزد هر العيش

والشوق غدا عارم
سوى وصلهما السدائم
بول سفرأ حازم
اتى كاسبها غانم
على عيش له ناعم
ولا تلقى له لائم
ويغدو ثغره باسم



ولماتم هذا الرأى
الى الشيخات هيلين
بان يرضى لها بولا
فأمضى رأياها فى بول

للأمين تصويرا
تدعوه الى الشورى
بما تلقاه مسرورا
مذلم يرمحنورا



دعاه لينا حيه
وكم فى الكسب من خير

عن الكسب وما فيه
منى جمت مساعيه

على ما فيه من جهد
 به كم راش مكدود
 خض البحرالى الهند
 هناك المال موفور
 ومذاًنهي الى بول
 رأى منه اخارأى
 فإصغى ليعى منه
 الا يا ايها الشيخ
 وفى كل المهمات
 نزلنا هذه الارض
 فقمنا نغرس الحقل
 وكم درلنا الضرع
 وبالزرع كم ارتشنا
 وكم عشنا على العرة
 وما المال سوى البؤس
 به يهدم ما قام
 كدود القز عقاء
 من العقل اقتصاد المرء
 وهل يعذره البحر
 دع المال لاهليه

✧ ✧ ✧

الرسالة.

اتى هيلين مكتوب

وفى هدى الاحاين

به صدق واخلاص
 واغماض عن الماضي
 من العمة تشكوفيه
 وعمراً آذن الترحال
 وتهوى أن ترى هيلين
 واما بعث فرجيني
 فقى موريس ان جم
 فباريس بها العيش
 و عندى نعمة عظمى
 قصور شادها الفن
 حوت من كل تجهيز
 فملبوس به قد راق
 شهى الطير مأكول
 بها من كل مطلوب
 فحشى نحونا السير



و لما قرأت هيلين
 تلته بين اهل البيت
 فكم من لوعة حاجت
 رأوا أن اجتماع الشمل
 فأنت مثلهم هيلين
 فقالت هو نوا الخطب
 ثقوا انى و اياكم
 ففيكم لم يخن ودا

هذا الشرح بالدقه
 و استوفت لهم نطقه
 وكم فى القلب من حرقه
 قد آل الى الفرقة
 بل ذابت من الرقه
 فقد اكبرتم طرقه
 صديق ثابت العلقه
 و عنكم ما زوى صدقه

الى الآخر لا يفعل
فمنكم لأرى بعداً
ولما شاهدوا منها
بها طافوا بأرواح
من محبوبه حقه
ولا أطوى له شقه
جميل الخلق والخلقه
من الريحان مشتقه



فينا هم على ذلك
و دو مينج اتى يسرع
لكم قد جاء معنياً
فلا قسوه بأعزاز
ومد وقاهم حقاً
دعاهلين للنجوى
فلا تدرى بما ينوى
رأته يؤثر السير
ولا يرضى لها مكاناً
واما اخذ فرجيني
و ذى باخرة النقل
فبنتى محكم الراى

اذا جلبت أقدام
للبيت بأعلام
بكم حاكمنا السامى
وحيوه بأكرام
من السامى الى الحامى
فأهوى قلبها الدامى
وما قصد له رامى
لباريس بأبرام
بدار ما بها حامى
على السير فالزامى
استعدت منذ ايام
لأمضى فيه أحكامى



و مذفارقها الحاكم
و ناجتها على سر
أبتسأه قضينا العمر
بميسدين عن الأهل
وما نحن من الناس
قضت إيماننا منا
مالت نحو فرجيني
لها فى الصدر مكنون
فى عيش لنا دونى
قريبين من الهون
سوى جمع مساكين
وما الموت بمأمون

وذا بول بلا حول
وما انت سوى انى
وان جئت بافراخ
فهذا ما يزيد الهم
فقومى استوثقى بالله
وأمنى قصدباريس
وان أغضبنى البين



ولما استثقلت فرجين
وتهوى أن تراها الام
أجابتها بمعروف
وقالت كم رأيت عيناى
تعدّين لنا البارى
واما العمل الحر
ومنصرت الى اليوم
ومن احبابنا الفر
مر غريت لنا ام
ودو مينج اب بر
ولا اعرف باريس
اخاف البحر يا ام

هذا الرأى والا مرا
دوماً ولداً برأ
وأبديت رأياها الحرا
منك الصبر والشكرا
على طول المدى ذخرا
فكم شدت له ذكرا
لديك لم أذق مرأ
كسبنا مغنماً وفرا
ومارى امنا الاخرى
وبول فوق مايطرا
ولا هوى لها المسرى
فمكثى عندكم احرى



وقد كان بهذا الصقع
تبنته السياسات
فكم اغوى لها غراً
لص اسمه راهب
ليقضى حقها الواجب
وعمى شارعاً لاحب

وفى الجهر له صاحب
 فى ظاهره الجالب
 من واديه فى جانب
 ويأتى دارهم راغب
 كالعادة والراتب
 ليبدى رأيه الصائب
 وللحاكم كالنائب
 لزاماً والسرى لازب
 سيلقى ربه غاضب
 وابتدت لونها الشاحب
 لرأى الراهب الكاذب

عدو الله فى السر
 فقد كان يصيد الناس
 ولما حل هذا الجمع
 غدا دوماً يواسيهم
 وفى البين اتى هيلين
 فناجته على الامر
 ومذ كان على رمز
 رأى تلبية الامر
 ومن يلو عن الرب
 فخافت منه فرجيني
 ومنها جم تصديق



لا يعلم ما المعجى
 فلم يعرف له سرًا
 هاض الهيضة الكبرى
 له كم از عجت فكرا
 بما يوسعه صبيرا
 عليها طبق مامرا
 بماضقت به ذكرا
 اذا كانت جنت نكرا
 به ان حملت عهرا
 بها قد أوقع الشرا
 أحاطت سالفاً خبرا
 ترى منك لها صهرا

وبول طول المعجى الامر
 سوى ظن له لاح
 فلما أيقن الواقع
 وقامت فيه الآم
 فلم تدر مرغريت
 سوى أن تشرح الماضى
 فسأنته و نأجته
 و منه طلبت عفواً
 و لم تقصد به سوء
 و لكن غرها باغ
 و هيلين بحالى قد
 فظنى انها عساراً

فدع ذل الهوى فيها
 فراضت منه ذاشوق
 و ظننت انه يسلو
 و لكن الهوى العذرى
 تراه طائش الفكر
 هو الحب فكم ريع
 و لما شاهدت فرجين
 عليه شبكت عشرا
 و شبت فيه أحزان
 و نادى ليتنى مت
 فصاحت مثله فرجين
 و ضمته الى الصدر
 فأولاها من الرشف
 و ناغاها على البين
 أفرجين غذاء الروح
 متى حال بك الدهر
 و من علمك الصد
 تريدون ركوب البحر
 فكم حاجبه الموج
 و ما انت وباريس
 و ان كان ولا بد
 فمنى اتخذى عونياً

و عش فينافتى حراً
 و انساناً بها برأ
 من الحب و ماجراً
 لم يبق له عذرا
 متى حاجت به الذكري
 به ذو الكبد الحرى
 فيه البؤس و الضراً
 فسالت عينه العبرى
 ذكت فى قلبه جمراً
 فبى هو تى هو الاخرى
 يا قلبى واحراً
 و منه لثمت نحراً
 بما اثلجه صدرا
 عتاباً فى الهوى مرأ
 فى الدنيا و فى الاخرى
 و كنا اخوة دهرا
 و أغراك بنا هجراً
 من أطراك البحر
 فاردى اهل طراً
 و ما عشت بها شهراً
 من الترحال و المسرى
 اخأ لا يتغى أجراً

السفر

هنا قد انصت الشيخ
 لما استقبله بالسرد
 فايها ايها الشيخ
 تحدث عن سري فرجين
 و عن بول وماعب
 هو الدهر على الاحرار
 و ابدى جزعا جمعا
 عن حادثة عظمى
 فما في الدهر من نعمى
 مذ فيها السرى زما
 لها من بينها سقمنا
 كم أنكى بهم هضمنا

* * *

فلما اصبح الصبح
 رأى ماري ترعى البحر
 فنادى اين فرجيني
 فاحنت رأسها ماري
 فلم يملك له قلباً
 و فيه عبث البنين
 ولم يلبث سوى أن هام
 فلم يلق لها عيناً
 فلم يهدأ له بال
 قالوى راجماً ركضاً
 فما لاح على البحر
 غدايرعاه كالحائر
 ومذغاب عن العين
 فجنناه وأنزلناه
 رأيناها و هي روحاً
 و بول كوخه أمّا
 و الحزن لها عمّا
 و هل عنانوت عزما
 و لكن عينها تدعى
 به شك السرى سهما
 فلا بقيا و لا رحمى
 للشاطىء مفتما
 على البحر ولا وهما
 بل ازداد بهما همّا
 ليعلو الجبل الاسمى
 سوى الوهم له رسما
 يرعى النجم فى الظلما
 تولى وجهه لطمنا
 كالمختبل المغمى
 وبالوجد ذوى جسمنا

فأنحى لائما هيلين
 جنت كفاك بي اثما
 لقد خنت بنا الحب
 و قد كنا اخلاء
 و لم أجن بفرجينى
 ولم ابغ لدى التوديع
 أتبعين لى الفيض
 ثقى انى اصبحت
 ولست اليوم كالامس
 فلا الدار لكم تبقى
 و لكننا اخذناه
 ورضناه على الشغل

و بي قد كان ذاانس
 فايدى رغبة الطالب
 فوسعت له بالالا
 فكم درس له امليت
 وكم غذيته علماً
 وكم اجرى لذهنا
 وكم أبصر من علم
 و كم جاد بمنثور
 على عزم به لنورام
 و لم يتعب له نفسا
 الا لترى فرجين

و استغربها امنا
 و أوسعت الوفا لؤما
 و أوقعت بنا ظلما
 فلا لوما و لا ذمنا
 على طول المدى اثما
 الا الشم و اللثما
 فما اقوى له كظمنا
 حليف السهد والحمى
 لكم ذاك الفنى الشهما
 ولا هذا الحمى يحمى
 على سلوانها رغبنا
 فايدى همة شمسنا

و فيه كدت مهتما
 يبغى جهده علما
 و حاولت له غمنا
 فاستقبله فهما
 فاوفى مضغه هضمنا
 به قد ادرك المرمى
 و قد كان به اعمى
 و معنى زانه نظما
 نجما ادرك النجمنا
 و يشر الجهد و الغرما
 منه السيد القرما

ثراء يطرد العدماء
و من بين الورى سهما
لا تعرى ولا تظما

قد امتار من العلم
لترضاه لها بعسلا
على نعماء تقضى العمر

اوربا

على غيبة فرجينى
عمن الوضع لهيلين
من العز او الهون
شماعاً غير مضمون
وتأمين وتمكين
كثير العطف واللين
من حين الى حين
من بيض ومن جون
هب الشوق يؤذيني
فى البلوى يواسينى
بقلب فيسك محزون
وللساعة يرينى
لهم عم الهنادونى
سوى معشرها الدونى
ووكرى فى البساتين
والزيتون والئين
على حالة مسجون
على ليلى ومجنون

مصنت عدة اعوام
ولم تبعث بمكتوب
ولم تدر بمسالات
سوى مسا كان يأتيا
بان البنت فى عز
الى ان جائها شرح
شكت فيهماج الشوق
الى الام الى الاحباب
وقالت منذجد السير
غدا كل غريب الدار
فلى دمعة مقروح
برانى فيكم الحب
ارى سكان باريس
على انى لاشكو
مكتى فى المقاصير
واختال لدى الرمان
ولكنى ارى قلبى
غرامى فيكم اربى

ولمّا جئت للعمّة
 ابت الأتحيينسى
 ومرّت تستين الحال
 فألفتنى على الفطرة
 فدينى كلّهُ صدق
 كتابى عالم الآفاق
 وان لم اعرف الفن
 وحسنى قام بالطبع
 وما يوماً من الايام
 ولكن عمى استانت
 رأّت انى على جهل
 لانى لم ار السدير
 ولم أقرأ من الفن
 ترى انى اصبحت
 فلا دناى دنا الناس
 ودينى عندها دين
 كانى عندها وحش
 فأعطنى الى السدير
 لأحظى فيه بالعلم
 فلم اتقن سوى الخط
 فان البعد أقصانى
 به اقضى صباباتى
 و لم احفل بغير الخط
 حتى عاد استاذى

فى بزة مسكين
 بقول فيه تسكينى
 عن وضعى وتكوينى
 فى الدنيا وفى الدين
 وعيشى غير ممنون
 فيه كان تعرينى
 فعلم النفس يكفينى
 بلا صنع وتلوين
 راح الجهل يفرينى
 وابتدت كل مكنون
 عريق بسى مقرون
 وفيه القس يهدينى
 علموما لتربينى
 لتقى شرمديون
 فى طرز وتزيين
 جزاف غير موزون
 من الهند اوالصين
 لتحصيلى و تموينى
 وألقى فيه تحبينى
 بتحرير و تدوين
 و خطى صاد يدنينى
 اليك و مضامينى
 فى درس و تلقين
 بسوء الفهم يرمينى

و لكنى لم اعبأ
فكم حررت ما يفنيك
و لكن لم يجرى منك
فكان الشوق يصيبنى
حتى انكشف الحال
فكتبى كانت العمسة
وكانت تمنع القصاد
ولا ترضى بما يدريك
ولم اذ كرك بين القوم
بغير (الكونت فرجيني)
على انى (بدي لا تدور)
أبى من دون كل الناس
لهيلين فسدى التمس

وقد اصبحت يا اماء
بلاد كلها عهر
بها جم اذى نفسى
ولا أختار لى داراً
بها صرت وفيها جم
بها اهلى و أحببى

ختاماً بلغى عنى
لمارى ومر غريست
وللشيخ الجليل القسدر
تحياتى وأشواقى
و دومينج أبى الباقي
فى نفس و أخلاق

و فيديل الذي طساب
وأطبارى و اشجارى
سلامى و هداياى
باخلاق و أعراق
وأشائى وأعلاقسى
الى زمرة عشاقسى

❖ ❖ ❖

و كل القوم ييكون
به شوق و تهيج
و لكن أقلق الحضار
يرون الشرح لم يذكر
فهل غالت هوى فرجين
و هل بول جنى ذنبا
و هل يوماً سلت ليلي
رموز ما عرفناها
لما تتلوه هيلين
و تذكير و تحزين
سر فيه مكنون
لبول فيه مضمون
غول وأحايين
فأنكى فيه توهين
وعاف الحب مجنون
و علم الغيب مخزون



و ما اسرع ما لاح
على حاشية الاصل
بها خصت حبيب القلب
فحيثه على بعد
وأهدته وراء الشوق
بذوراً غضة الاوراد
ليختار لها حقلاً
لتستاف لها طبيباً
وقالت يا هوى النفس
تيقن انك الروح
وانى سوف ألقاك
لهيلين و ارعاها
فصول جل معناها
بولا فى قضاياها
كما قد كان حياها
من أغلا هداياها
كيانت تتمناها
به تنمو و يرعاها
متى عادت لمأواها
و يامنبة احشاها
و هل روى أنساها
كما هيلين ألقاها

و احظى بأحبابى و دارى ومزايدها

عزم فرجينى على الرجوع : السفينة

والكارثة : موت بول : نهاية الجميع : تهاقت الشيخ وجميعته

واما حال فرجينى	وباريس مع العمه
فقد رامت لها وضعا	و فرجين ابت هضمه
أرادتها كباقي الفيسد	فى الفاسمة والسهمه
على المسرح مذترقص	أو فى السينمانجمه
وحضتها على التزويج	ممن صغرت جرمة
تراه وافر النعمه	لكن ليس ذا حرمه
و ليس الفخر بالمال	ولا الرفعة بالنعمه
وما العز سوى المعروف	يوليه اولوا الهمة
و ما الزوج سوى الشهم	قربىن الغادة الشهمه
على هذا ارتقت فرجين	نبلا و سمت عزمه
وفاقت اهل باريس	و كانت وحدها أمه
فلم ترض لها العمه	خلقا أشعرت و سمه
و عنها زوت الفضل	و اموالا لها جمه
ولم ترع لها يتما	ولا قربى ولا ذمه
فعادت لأترى بدأ	من العود على حشمه
ففررت تركب البحر	لموريس و من أمه
ترى موريس كالنور	و أوردية كالظلمه
و ما العيش بباريس	مع الذل سوى تقمه

و بول ظل لا ينفك
 ويستكشف عنها البحر
 الى أن طلع البحر
 به باخرة تنساب
 فلم يملك له شوقاً
 فأهوى يطلب الشاطئ
 فهل فرجين قد عادت
 كعباق الرياحين
 فلم يظفر بما حاول
 وقالوا صاحب المرفأ
 مضى يستكشف الحال
 فلم يلبث سوى أن عاد
 وقال القوم في امن
 غداً يأتون في طقس
 وهذي كتب القوم
 لكم يعلن ان الكل
 ومن بين المكاتب
 على عنوان مكتوب
 به بول مضى عدواً
 فما فضته هيلين
 حتى اسبلت دعماً
 وواساها جميع الصحب
 وقاموا يتسفنون
 افرجين غذاء الروح

يرعى و عد فرجيني
 من حين الى حين
 بسوجه منه ميمون
 في الماء كتشين
 تنزى نزو مجنون
 كى يحظى بتسكين
 لتز هو في الدواوين
 واوراد البساتين
 من علم و تأمين
 لاستطلاع مكنون
 ويأتينا بمضمون
 في عز و تمكين
 و روح و رياحين
 من الازعاج مأمون
 بشير غير مظنون
 في طيب و في لين
 بدا اسم لهيلين
 لها بالخير مقرون
 لا هليه المساكين
 لتتلوه بشيبين
 جرى عن قلب محزون
 من بيض و من جون
 بنطريب و تلحين
 للدينيا و للدين

و بول لم يطبق مكثاً
 اتى فى وحشة الليل
 يرى استقبالها حتماً
 ففغت النوم اكراماً
 فسرنا و الدجى ذاج
 و للريح تباريح
 واذذاك سمعنا الموج
 و للمدفع اصوات
 سألنا ما جرى فى الكون
 فقالوا ساء وضع البحر
 و اهل البحر فى حاجة

الى الصبح لياتنى
 بفرجيينى يهنيينى
 و لا يرضى به دونى
 لمن قد جاء يرجونى
 بغيم فيه مشجون
 باطراف الا فانين
 يرغو كالـمجانين
 كاصوات البراكين
 من سوء و من هون
 من عصف الطوافين
 تأمين و تموين

و لم تمض سويعات
 و فى صحبته الجند
 لانجاد اسارى البحر
 و لكن المقادير
 فزاد العصف ازعاجاً
 و هب البحر يرميهم
 عن القرب من الشاطئ
 و بول صار مجنوناً
 على نجدة فرجينى
 فالقى نفسه فى اليم
 عسى ينقذها مما
 فمنها تارة يدنو

اتى فى اثرها الحاكم
 و من كان له لازم
 من خطب لهم داهم
 طغت كالثائر الناقم
 له كم قعد القائم
 بموج كالح عارم
 غدا الموج لهم لا طم
 امام الخطر الغاشم
 غدا كالثائر الحاسم
 و الموت به جاثم
 قضاء القدر الحاسم
 بنغر للقا باسم

وأخرى يرتمي عنها
 به كم عبث الموج
 فلم يحظ بفرجيني
 جثى فى شاطئ البحر
 ولما اعصوب الامر
 غذا كل من السفر
 فحاضوا لبحر البحر
 ولكن احرزوا الارواح
 ولم يبق لفرجيني
 فما انصفها البحر
 ذوت كالفنن الفض
 فكم لوعة حران
 وكم ناح عليها الناس
 وكم أبنتها الفضل
 وليست وحدها فرجين
 قضى الوادى ومن فيه
 وصاح الموت بالكل



واما العمّة الرعاء
 بما مر على فرجين
 وما لاقه هيلين
 وان الكل قدماتوا
 غدت مكدودة خاطر
 وان جم لها مال
 لما أوعبت علما
 من نكبتها العظمى
 من سوء الذى عمّا
 بلون يبعث السقمسا
 لا تلتذ بالنعسى
 فقد لاقت اذى جمبا

ببيلين جنت ذنباً
 على لاشيء الا الشح
 ولم تلق من الاحرار
 وماتت ميتة البائس
 وفي اموالها قد عاث
 هو اللؤم فكم اخزى
 وفي فرختها جرماً
 قد أوعبها لؤماً
 الا اللعن والشتماً
 لا بقيا ولا رحمى
 من أوسعها نغماً
 أذا المال كما اعمى

❖ ❖ ❖

وما تم حديث الشيخ
 الا أسبلت عيناه
 وجمت فيه أحزان
 قست فيه مقادير
 قضى نجياً فواريشاه
 وعدنا و الأسى جم
 هي الدنيا وما فيها
 على مجتمع الاحباب
 فمن حزن على أهل
 و من زفرة حران
 فما أضيقت دنيانا
 عما مر من خطب
 مثل اللؤلؤ الرطب
 لمكلوم الحشا تسبى
 على مقدوره ترى
 محزونين فى التراب
 على الاحشاء والقلب
 سوى الحسرة والندب
 يغدو طعمة النهب
 ومن دمع على صعب
 على الهضم به تنبى
 وان كانت على رجب

❖ ❖ ❖

ونحنم الكتاب بكلمات تلخص البحث عن المبدأ والدين : فنقول .

الدين الفطرى

قال تعالى : فأقم وجهك للدين حنيفاً فطرة الله التى فطر الناس عليها : كل
 انسان اذا انزل بنفسه آناًما عن تقاليد اهله الذين درج بينهم وبينته التى اختصته

والمبلفين نافين ومثبتين ونظرالى ما هو واجد له ولو بالنظر السطحى من قوى ظاهرة وباطنة وما يحيط به من فضاء متسع الارحاء وشموس واقمار وبحار وانهار وسهول وجبال ونباتات مائة لارحاء البسيط شتى الصور والالوان والروائح والخصوصيات من حلوى ومر وقابض وملين ومهلك ومنعش بما لا يدلاى مخلوق فى غرسه وزرعه وسقيه وتنميته وحيوانات تشرع من الذرة والنملة الى الاسود والقبيلة وتتوزع ما بين الزواحف على بطونها والدارجة على ارجلها والقافزة قفزا والمائمة عوما والطائرة باجنحة الى المأكول منها والأكل الاهلى والوحشى الى غير ذلك من صنوفه وانواعه : فلا شك ولا ريب : انه فى نظرائه الخاطفة هذه يبقى مبهوتاً متحيراً ويرى نفسه من الحقارة وعدم الاهمية امام هذه المجموعة الكونية ما يورثه الخوف والرعب فى مقابل هذا الكون المتلاطم والتيار المزعج و يعتقد اعتقاداً بسيطاً خالياً من كل شوب ان لهذا المحيط الهائل .

- موجدأ - هو فوقه فى كل شىء لقدرته على ايجاد المتضادات القائمة عن حد الاحصاء من حيوان لاتحصى صنوفه والوانه ونبات لاتحصر انواعه واقسامه وجماد متفاوت الهوية من تراب السبخة الى المعادن الذهب والفضة وانسان مترامى الاطراف فى سحناته ولهجاته وتصوراته وتفكيراته بل فى كل شىء تجوز نسبته اليه بما لا يأتى عليه حساب ولادفتا كتاب .

- حياً .. لان نوع هذه الموجودات التى يراها ومن جعلتها نفسه واجدة لخصائص النشوء والنماء والحس وهى آثار الحياة فلا بد ان يكون من اوجدها بهذه الخصائص واجداً المنبعها وهو الحياة اذ لا يعقل بالعقل الفطرى ان يكون الواهب فاقداً له ايبيه .

- عالماً .. لانه يدرك الحكمة فى كثير مما يرى خلقته وحد الاقل خلقته نفسه الواجدة لسنوف القوى القائمة بانواع الاحتياجات اللازمة وهذه حكمة عظيمة تدل فضلاً عن علم موجدها على عظيم دقته و جليل معرفته واحتوائه على كمال عجيب لا يوجد بعض من كماله عند اعظم اختصاصى .

مقتدراً بالقدر الواسع - فان خلقه واحد من هذه المخوقات كافية في اثبات قدرته الواسع التي يعجز عن اقل قليل من آثارها اعظم عظيم في الفن و الاكتشاف مختاراً تمام الاختيار في فعله . اذ لا يتصور قاهر فوقه .

مباشراً لخلق كل مخلوق بالمباشرة التامة : حيث لادخاله لغيره في خلقته حتى الوراثة وحتى التلقيح اما الوراثة فلو كان لها قانون او بعض قانون لما تفاوتت افراد البشر و الحيوانات تفاوتاً عظيماً بحيث ربما لا يوجد اقل تشابه بين الاصل و الفرع في اقل الاشياء و كذلك الشأن في النباتات فانه بلغ من كلى تفاوتها انه لا ورقة من غصن تشابه الورقة المعلقة قريباً منها في تحاطبها وهندستها فضلاً عن الجذور والغصون وهذا من اقوى الادلة الفطرية على ان الخالق باشر وراء خلق الشجرة خلق الورقة وهذا الاصل مما يجعل الحاجة الى الخالق مستمرة في كل شيء و ان انقطاع مباشرة الخالق عنه موجب لانهار العالم كله : واما التلقيح فانه لو كان بنفسه مجدداً لجاء من كل تلقيح نتيجة في حال ان الامر ليس كذلك لكثرة العقم في الذكر ان و الاناث ولكانت النتيجة واحدة في حال انها ليست كذلك فربما تكون النتيجة ذكراً مرة واثى اخرى و توأمن مختلفين و منفقين و اكثر من ذلك و اقل تام الخلقة و ناقصها وهذا كالسابق من الادلة الواضحة على اعمال الخالق ارادته المحجوبة السبب علينا في كل مخلوق مخلوق الفرد و التوأم الذكر و الاثى التام و الناقص : و ليست هذه النظرة التي شرحنا طرفاً منها في كل ناظر مما تحتاج الى قراءة درس سابقة على النظر بل هي نظرة وجدانية يجدها الناظر من نفسه لادنى تأمل يكون منه في محتويات الكون و من جعلتها نفسه مضافاً الى ان الفلسفة بدروسها العالية انما تكونت من هذه النظرات فان معناها البحث عن حقائق الكونيات و البحث مبدؤ النظر و هذا الامر الوجداني هو الفطرة التي اشار اليها تعالى بقوله فطرة الله التي فطر الناس عليها : و معنى أقم وجهك للدين حنيفاً انك ايها الانسان يلزم ان تجعل اتجاهك في كل امورك لهذا المبدأ الذي شخصته بفطرتك و عرفت انه المستولى على كل شيء في الوجود مباشرة بلا ان يكون لغيره دخالة معوان لا تميل عنه مقدار شعرة في كل شأن من

شؤنك فان غيره لا يتعمك اذ ليس به قدرة على نعمك.



-الدين-

يعطى المتدين فائدتين صون حياته في الدنيا من كل مزعج وتأمين حياته في النشأة الثانية وهاتان الفائدتان مفقودتان من نفاة الاديان بالادلة التالية : قال تعالى : من عمل صالحا من ذكر او اثنى وهو مؤمن فلنجيبه حياة طيبة ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون .

روح الانسان اذا تجردت عن الدين والخضوع له تعود روحاً بهيمية تتضارب فيها الاندفاعات المتناقضة الى حد لا يوصف بل لا يحيط به حتى المجرد عن الدين نفسه فان روح الانسان المتجرد عن الدين اذا اتجهت صوب المآكل وتفرزت الى مافى كـل طعام من لذة للذائقة واخدمتها هذا التصور مأخذه من الدماغ اندفعت بكل صلافة و وقاحة حتى الى السرقة بل حتى الى التكدى والتطفل فضلا عما بينهما من مراتب : و اذا اتجهت صوب الملابس و الازياء و اطوارها في شتى انواعها و الوانها و صفاتها و تفرزت احساساتها الظاهرية نحو هذه الجهة كذلك غامرت بنفسها الى تهيئة ما اتجهت له كل المغامرة فلا تدع طريقاً لاستحصاله الاوسلكته كائناً ما كان ذلك الطريق و اذا اتجهت صوب المساكن والعمارات وتجهيزاتها من فرش ملونة وستائر رقيقة و مناضد ومقاعد ومرافق وتفرز حسه الظاهر لذلك اندفع بحوله وطوله لتأمين ماتسعه هذه القوى من ذلك : و اذا اتجهت صوب الشهوات الجنسية وتفرزت حواسه المربوطة لذلك لا تعود تفيده الزوجة والزوجتان ولا الاكثر من ذلك بل تراه فضلا عن مطاردته لاعراض الناس وما يلاقى في هذا السبيل من محن و كوارث وسقوط و امتهان ومتابعته خطى الفواحش وما يلقى من جرائعها من توهين ربما طارد الحيوانات ومع ذلك لا تهدأ فورته ولا تنكسر شهوته بل بنحو عام نقول انه اذا صادف مغنياً مطرباً تمنى ان يكون مغنياً و اذا اشتهر اسم لشعناذ و سمعة للهن وصيت لمشعوذ تمنى ان يكون شعناذاً

لصاً مشعوذاً و اذانبه اسم لمتمول احب ان يكون متمولاً واذا رأى زعيماً من
 زعماء الدنيا قد حاظته الخيول والالوية احب ان يكون كذلك كما انه اذا رأى
 عالماً كبيراً لأراءه تناقل في المجالس ولشخصه احترام بين الناس احب ان يصير عالماً
 و اذا رأى امام جماعة وقد تراصفت و ترابطت وراءه الصفوف احب ان يكون امام
 جماعة واذ رأى خطيباً مصقاً يهز الجالس والمجالس بخطابه وبيانه احب ان يكون
 خطيباً و اذا رأى ناسكاً مكثفاً من دنياه بقرصيه و من لباسه بطمريه مأنوساً بذلك
 خفيف الحاجة غير مؤاخذ على ما هو عليه احب ان يكون ناسكاً وهلم دو اليك : فهو في
 نزاعاته و نفسياته متناقض متضاد موجب متقى قلق مضطرب لاقرار له متقسم بين
 اندفاعاته و نفسياته تقسماً يوجب له جنون الوضع و خفقان الحركات و يؤس الحالة حقاً
 و كل المتجردين عن الدين مرتبكون منزعجون سلاطين كانوا ام مكدين وهو لا مع
 كدحهم في دنياهم و اصرارهم على التمتع لآثارهم الاقصار الاعداد سيئى الاخلاق ناقلين
 على وضعهم يتمنون حياة الرهبان و عيشة الضعاف من المتدينين و يحسدونهم على ما
 هم فيه من الانشراح و الرضا بما قسم لهم و قد اطل عبد الملك بن مروان قبل موته على
 قصاروهو يعمل بكل نشاط تظهر عليه سيما الراضى عن وضعه فتمنى ان يكون قصاراً
 منذولته امه خلاصاً من تبعات الدنيا التى تأسر من القى بنفسه بين احضانها : هذه
 نواحي المتجرد عن الدين من جهة اندفاعاته النفسية : واما انزعاجه من المصائب
 والحوادث والكوارث و تألمه حتى من تصور الفقر اذا اعطى من ماله لرحم او مستحق
 اوذى حاجة و تخيل عدوى المرض اذا عاد رِحماً او جاراً او اخأله و توهم العطب اذا
 سافر الى جهة من الجهات و هزال ولده اذا و بئحه و اديه و الوقوع فى مخالب المنية اذا
 بارز عن عرضه او عن حق من حقوقه و التدهور فى الحياة اذا لم يتملق فحدث عنده
 حرج فى ارتبائه و اضطرابه لا يدري ماذا يصنع فى جلب تلك الشهوات لنفسه و دفع
 هذه المخاطر الجارحة عنها و من يكن بهذه الحالة يرثى له حقاً و ان تزوقت ظواهره
 بالترف احياناً : و اشد من كل هذا و ذاك الوقوعاً و تبريحاً فى نفسه انه لا يعرف وراء دنياه
 هذه دنياه تحتضنه قد خلصت من كل هاته الشوائب و جمت من كل اللذائذ : اما المحتضن

للدين المعتقد به السائر ولو على لمعة من نوره المشرق ولو بعبرة من عبيره فهو بفضل الدين ورجاله العاملين في كمين وأمن من تيك المزعجات والاضطرابات سواء نشأت من الاندفاعات النفسية الشهوية-أمن تصور المحزنات و المزعجات الدنيوية مضافاً الى ما يعتقد من حياة ثانية سعيدة غاية السعادة .

اما كونه في كمين وأمن من تيك المزعجات الهائلة الدنيوية فهو ان الدين في طرف من تعاليمه التي وجهها للانسان ألزمه بأن يحترم ذاته ومن بعض الشواهد عليه قولهم رباني فيه

اتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الاكبر

وليس المراد باحترام الذات هو التكبر والتعظيم والانانية وعجرفة الاخلاق واعتزاز الانسان بما كوله وملبوسه وحاله وما له وآباءه وامهاته بل هذه الصفقة من اردل صفات النفس لانها تقود الى الضعف والاعتزاز بالتواضع وبالعظام الاباء ورفات الامهات وتصرفها عن الالتفات الى اكتساب الفضل الذي يعود بعد اكتسابه جزء من وجود الانسان لامتنعلا عنه كالمال والمنازل وما اليهما - لا - كل ذلك ليس بمراد من الصفة المومناً اليها بل المراد ان الانسان يجب ان يعنى بنفسه و بعقله و بالملكات الثمينة التي ديفت في طينة وجوده و ذلك بان لا يكذب لان الكذب فضلا عن كونه ربما يوقع المكذوب عليه في ضرر انه اذا انكشف للناس اسقط صاحبه عن القيمة فلم يعودوا يحترمونه من قلوبهم ولو كان شخصاً ذا مقدرة : وان لا يطارد الشهوات لانها توجب خفته قطعاً ومهما حاول الاتزان : وان لا يخون فانه يفتضح ومهما راوغ : وان لا يسرق فان السرقة تظهر عليه ولو تستر بما شاء ان يتستر : وان لا يعد فيخلف او يستدين ولا يفي فان كل ذلك حتى لو صدر من سلطان انزل قدره : وان لا يتملق فان المتملق بطبيعة نهوض عرق التملق في باطنه يوجب خفضه معنى و ظاهراً فلا تراه الادائم التقبيل للايدي تجاه منوى تافه فاذا احترم المتدين ذاته فقد ترك كبل تيك الرذائل فلم يزن اذن و لم يغش و لم يداس و لم يسرق و لم يتملق و لم يكذب و اذا كان بهذه الروح لم تندفع نفسه تلك الاندفاعات التي صدرت وتصدر من المجرى عن الدين

فى سبيل تأمين المأكل والملبس والمنزل والشهوة الجنسية وما إليها كما لا يتحدث بالأمانيات المتناقضة المجردة بل تراه يرضى من كل ذلك بالميسور الذى يؤمن قطعاً شهوة الذائقة واللامسة والشامة والسامعة والباصرة وشهوة القوى الباطنية ويستدل فضلاً عن رضاء نفسه بما تنهياً لها بما يراه أو يتلقنه من ضرورات التاريخ ان المثاليين من البشر والمهذبين فى بنى آدم اكنفوا من هذه الحياة بما تيسر منها ولم تندفع انفسهم الى قليل من تلك المزعجات ومع قناعتهم التامة بالنسبة الى ما عليه هواة الدنيا المجردون عن الدين او البعيدون عنه فقد كانوا اصح امزجة واعمر ابداناً واقوى صراعاً واشجع قلوباً وأبعد صينا ووسع شهرة واطول اعماراً من اعظم مترف فى الدنيا يرى ذلك مشاهدة احياناً ويتلقنه عن التاريخ الصحيح احياناً اخرى :

هذا ويزعه دائماً عن ان يعير طرفه للتصورات المزعجة ما تلقنه عن الدين بتواتر وآه فى التجريبات كثيراً ان لاعدوى فى كل مرض ولا فقر مع كل عطاء ولا عطب فى كل سفر ولا موت فى كل مبارزة ولا هزال مع كل ضرب مضافاً الى ان مستند ذلك هو ارادة الله الغالبة فما لم يقدره لا يكون وما قدره لا بدوان يحصل: وعلى فرض ان صلته لارحامه وعطفه على المحاويع وبذله فى سبيل الله ربما أفقره وعبادته للمريض ربما عدته وتأديبه لولده ربما أهزله ودفاعه عن عرضه ربما أماته واعتزازه بنفسه ربما ضره فهو انما فعل ذلك انقياداً لاوامر الله الذى وعده وعداً صادقاً لاخلف فيه انه سوف يجزيه عن ذلك فى نشأته الثانية احسن الجزاء ويسعده باحسن سعادة ويعطيه فوق آمال الراغبين فهذه بعض فوائد الدين للفرد .

من فوائد الدين للجامعة

فوائد الدين للجامعة بوصف الاجتماع كثيرة لا تحصى ونحن فى هذا الدرس نتكلم على بعضها - الاول: الاتحاد والائتلاف - وقد قام به الاسلام قولاً وعملاً اما القول فهو فى الكتاب والسنة كثير من بعضه قوله تعالى واعتصموا بحبل الله جميعاً : فقد دعى الله جامعة البشر ان يأتلفوا فيه وان يكون هو تعالى نقطة الائتلاف ومحور الاتحاد بينهم ذلك

لانه هو خالقهم ومدبر شؤونهم ومصرف امورهم ولانه بعيد عن التحيز الى جانب دون آخر ولانه يحب خير العموم وسعادة الجميع وليس في العالم على اطلاقه من يكون بهذا الوصف فلاحد اذن اولى منه في كونه مطافاً للجميع ومحوراً يدور عليه الكل : واما العمل فانه الغي العنصرية واللون فلم ير لعنصر على عنصر اقل تفاوت في حال ان الناس انما تميزوا وبقوا لجهلهم متميزين لاعتزاز كل ذي عنصر بعنصره فالعربي لا يرى الفارسي والرومي والزنجي وما الى ذلك الا دونه ويأبى ان يتزوج منهم ويزوجهم من نفسه وبالعكس وهكذا يترفع الابيض على الاسود وحتى اليوم والاسلام لا يرى رفعة لاحدهما على الاخر الا بالفضل ولا يرب ان هذه الحواجز اذا ارتفعت تقارب الناس الى هدف غير بعيد على الجميع واستدل الله سبحانه على رفع الحواجز العنصرية بأسد دليل وأقربه حيث قال يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكروا نثى : فكلكم من عنصر واحد ومن لون واحد ومهما تسلسلت انسابكم وتكثرت الوانكم فانكم بالمال ذائبون في حقيقة واحدة وراجعون الى ابواب متحدية وهذا الدليل وحده كاف في تزييف كل قول يقال في التمايز من حيث العناصر والالوان وان كل ما قيل او يقال في هذا الموضوع فهو جزاف لا وزن له وان سردت فيه القوائد وكررت في المقالات والفت في الكتب واطال خطبته في الخطيب وان كل حرب قامت على هذا الاساس وكل حزب دعى الى تفكيك العناصر وان شمار كل عنصر الى ناحية تبعد عن العنصر الاخر ومهما بلغ من التجدد والتقدم والثقافة فانه باطل وموجب لتفكيك الاواصر وتخريب الاجتماع وملقح للعداوة : والغى الرفعة والضعفة من حيث المقامات الدنيوية فلم يجز لاحد ان يترفع على آخر ولو كان المترفع اميراً او وزيراً او منمولا او ذا رجال ومنال مستدلاً على كل ذلك بانه اجنبي عن الانسان من حيث ذاته وانما هو عرض زائل وعارية تسترد وتمويه لاحقيقة له والحقيقة صرفاً مقرونة بالكسب للفضيلة والجد في طريق تحصيل الكمال لان هذه الامور المعنوية قائمة بالنفس وتزيد على مرور الزمان نمواً ونتاج نتيجة فهي دخيلة في مقام الذات قريبة من النفس ملكة لا عارية وحقيقة لا تمويه وبما انها لا تحصل عفواً ولا تتأتى جزافاً وتصل النفس وترفع صاحبها الى مقامات

عالية في الجوهر كانت الرفعة والضعفة واختلاف المقامات مربوطة بها فقط :
 ويستدل على ذلك من المدارك الاسلامية بادلة منها ان اهل تلك المقامات
 العرضية الزائلة من زعيم و متمول و امير و وزيران اقتصروا في سيرهم كما هو الغالب
 على تأمين زعامتهم و زيادة تمولهم و احراز رياستهم كانوا ذؤباناً ضارية بعيدين عن
 الرحمة و الانسانية و ان اتخذوا هذه الوسائل معبراً لاحقاق الحقوق و تحكيم العدل
 و السلام بين الناس و تركيز الرفاه للضعفاء فبطبيعة حالهم لا تراهم مترفعين
 لانهم اناس مناليون يندرجون في اهل الفضائل و الكمالات التي بها تتفاوت الناس
 حقاً و يكون فيهم الرفيع و الوضيع و هذا ما يشير اليه قوله تعالى : و العصران الانسان لفي
 خسر الا الذين آمنوا و عملوا الصالحات و تواصلوا بالحق و تواصلوا بالصبر : فحكم
 تعالى بخسر كل انسان لم يكن مؤمناً بالمبدء الصادق و لا عاملاً للصالحات و لا قائماً
 بالحق و لا موصياً بالصبر في طريق اية طاعة تفرض و على اية كارثة تكون : و منها قول
 الرسول ﷺ في فتح مكة حيث عظم من اجله مقامه بين اهل الجزيرة لانسان شاهده
 بين اصحابه الكثيرين فاضطرب رعباً و خوفاً : لا تخف اني لست بسطان انما انا ابن
 امرأة كانت تأكل القديد : و هكذا قوله لاصحابه : انا واحد منكم الا فيما يوحي
 الي : و غير ذلك و هو كثير .

وألغى الامتياز الطبقاتي الفاحش من حيث المعاش و الوسائل و الزم الناس
 لخطبة قريبة التفاوت بما هو ضروري في العقول و دحر بخطته الوزينة هذه كلا من خطني
 الاستبداد و الاشتراك حيث لا يوجد اليوم الا الافراط و التفريط المزعجان و كلاهما
 بعيدان عن الحق و المنطق و لو ان طريقة الاسلام في هذا البحث أجريت في الناس عملاً
 لساد العدل العمومي حقاً .

اما الاستبداديون الذين لهم وجود شائع اليوم في الشرق و الغرب و ان ادعوا
 التنوير لانفسهم و ازروا على اوضاع العوالم السابقة عليهم فهم اخس الناس وضعاً و
 طبعاً دجالون منافقون يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم و يأمرون الناس بالبر و
 ينسون انفسهم فلا تراهم في داخلاتهم و بين اصحابهم الا لوصواً و ذئاباً يفترسون كل شيء

تنحيه رغباتهم في كمين من حجاب واسع ضربوه على انفسهم حتى لا تطلع عليهم العامة من الناس نعم قصارى ما عندهم تزويق الظواهر بظاهر التمدن الزائف من تعبيد الشوارع وتعميم الانارة ومالي ذلك.

واما دعاة الشيوعية فهم كهؤلاء الاستبداديين في اعمالهم الداخلية المربوطة بهم حذو النعل بالنعل دجالون مناققون يختزنون احسن الاشياء لا تقسم ويعمون بكلماتهم وظاهر مدعياتهم على السذج البسطاء الان الكلام في تحليل منطقتهم فان له في ظاهره روعة وطلاوة والعنوان العام لطريقتهم ودعوتهم هو ايجاد المساواة بين الناس جميعاً و تحريرهم اياهم من كل قيد يفرض سوى قيود النظام العام.

جماع ما قاله الاشتراكيون في نقد الوضع الرائج

قالوا ان الحرية مادامت مطلقة للافراد في وضع ايديهم بحق الملكية على ما يختارون من الاراضى والمباني فمن اللازم ان تخضع الامة لناموس المزااحمات و المنافسات وتستحيل الجمعية البشرية الى معمة قاسية يتنازع فيها الافراد حق الحياة ويتسلط نفوذ الاقوياء على الضعفاء ويفوز المحنثلون على المستقيمين الصادقين وتنتهى الحال بأن تكون الثروة بيد افراد يعدون بالاصابع والسواد الاعظم من الشعوب في ايديهم وطوع ارادتهم يسخرونهم في معاملهم طول اعمارهم ثم لا ينال الواحد منهم ما يكفيه حاجة اهله فيضطر لتشغيل امرئه واطفاله معه فينهدم بناء الاسرة وتصبح الحياة عبأ ثقيلاً على الجزء الاعظم من النوع الانسانى وما سبب ذلك الا ترك الحرية للافراد في الملكية فلو ابطل هذا النظام المؤدى للفساد وجمعت الثروة العامة الى بيت مال مشترك ووزع على كل فرد منهم من ذلك المال بقدر عمله وكفايته لتوزعاً عادلاً مكفولاً بسطوة الرأى العام لبطلت المزااحمات والمنافسات واصبحت الجمعية البشرية سعيدة باخص معانى الكلمة.

فأجاب المشترعون عن هذه النقطة بقولهم قذف بالانسان الى هذا العالم عارى الجسد مجرداً من السلاح فجد واجتهد وحصل قوته بشق الانفس ثم آلمته الآلام

ووخزته المتاعب ففكر ونظر وتأمل وتدبر فهداه باده الى ضروب من الاعمال وانواع
 من المحاولات فحرث وزرع وبنى وشيد وأسر الحيوانات ودجنها وبذل أقصى مجهوداته
 في تذليل صعوبات العيش ولم يكن كل افراده على هذا الحال من الهمة بل كان فيهم
 الكسلان الذي يسهل عليه ان يموت مكانه من ان يكد لنجاته والمصرف الذي يذّر
 ما يقع له في اعقاب شهواته فهل من العدل ان يتقاسم هذان الرجلان الكسلان و
 المصرف مع حصول ذلك العامل الذي افضى فيه قواه وانضى له جسمه : هذا الرجل العامل
 كان يستطيع ان لا يعمل فلا ينتج شيئاً فكيف لا يكون ما أنتجته خالصاً له دون غيره
 انه لم يؤذ احداً باستثماره كده وقواه بل هو الذي يؤذى لو حكم عليه باشتراك غيره
 معه في نتيجة جهاده نعم الانسان لا يخلق شيئاً ولكنه يحول ما يجده بواسطة الصناعة الى
 شيء له قيمة ومنفعة فيجد حجراً ملقى على الارض لا قيمة له فينحته ويصقله ويبرز منه
 شكلاً صناعياً بديعاً يساوي قدراً من المال فلا شك ان ذلك المال ثمن عمله لان
 الحجر كان ملقى لا يلفت نظراً احد فاذا استثمر هذا الانسان وكل من كان على شاكلة
 كده وجمع منه مالا صدق في حقه قطعاً انه ماله وانه مسلط عليه وانه لا يجوز اكله
 منه بغير رضاه وانه مختار في جهة بذله الى اى احد شاء ومن جملة موارد تخليفه
 للوارث او القاؤه في البحر فانه لا يجوز لاحد ان يعترض عليه ذلك و ان يدعى فيه
 حقاً لنفسه نعم يجوز له ان يلوحه اذا القاه في البحر او صرفه في المفاسد والتوافه ،
 وعلى هذا بنى الاسلام احكامه واعتبر كل ثروة تكون من طريق الفس و التدليس
 والاحتيال والربا والرشوة والسرقة والشعوذة والغبن والتفوذ و القدرة اكل مال
 بالباطل كما هو صريح الفقه الاسلامي ومضافاً على كل هذا فقد اوجب في الاموال
 الحقنة الزكوة والخمس والكفارات وغيرها ودعى المسلمين بدعوة عامة طالما شاد بها
 وكررها الى استحباب التصدق ووقوف الاوقاف في سبيل المصلحة العامة وبناء القناطر
 والمدارس والاحسان الى الضعفاء والارحام والجيران و اهل العلم و المؤمنين
 المعوزين وفي سبيل الجهاد وحفظ ثغور المسلمين الى ما شاء الله مما لا يعد في هذه
 الفرصة ولا يحصى فلا يجوز للطاعن من المتجددين ان يحكم على الاسلام بانه يحمي

عن الممولين الذين باجموعوا نوع اموالهم الامن طرق الغش والتدليس و التزوير والاحتكار والربا والغبن والتفوذ والافتقار و لامتقذ للمشروع الا في طرق ضعيف من اموالهم .

ومن فوائد الدين في الاجتماع انه قاطع لتعديت بعض على بعض او انه حد الاقل مقلل من ذلك لان الدين لما كان وازعاً من طريق العقيدة نافذاً الى اعماق القلوب كان تأثيره في نظام الجامعة اكثر بالمائة مائة من تأثير القوى الظاهرية لناحيتين (الناحية الاولى) ان البشر اذا لم يراقبوا الا الظواهر وما يحذرونه من ناحيتها وتعلق مطامعهم واغراضهم الشخصية بما منعوا عنه من طريق القوة تراهم يخترعون الحركات العجيبة لتأمين منوياتهم بالحيلة والشعوذة واذا اتمتهم المحاكم في ذلك رأيتهم اقاموا الايمان الكاذبة واقعدوها في تهرير موقفهم وتذرعوا بالانكار القوى وتوسيط الوسائط المؤثرة ونحو ذلك وهانحن نرى باعيننا جهاراً ومباشرة ان الحكومات تنهى عن القتل والسرقة واكل اموال الناس من غير طريق القانون وتناول الا فيون و زرعه وبيعه وشراءه ومع ذلك نرى وقوع هذه القضايا بكثرة على مرور الساعات فضلا عن الايام والسنين وداعى وقوعها هو التذرع اليها بوسائل مرموزة وكم جدت الحكومات جداً بليفاً في مقابل تهريب الاجناس او الاشخاص فلم تنجح من مقاومتها الا في طرف من ذلك : اما الدين فلما كان ارتباطه بالقلوب و تأثيره على القوى الباطنية والظاهرية كانت هيمنته على الافراد في الخلوات والجلوات على حد سواء فترى المتدين فضلا عن أنه لا يسرق اذا وجد مالا ضائعاً اخذ يعرف به في الملاء العام حتى يتعرف بصاحبه ويسلمه اليه و غير المتدين فضلا عن انه يلتهم الضوائع التهاماً لأول مرة يحاول الفرصة حتى يسرق واذا ساعدته الفرص على النهب من يد الانسان المتحذر نهب وترى المتدين ايضا فضلا عن انه لا يهاجم نوايس الناس علناً لا يزاحمها وحتى سراً مع تمكنه من ذلك اما غير المتدين فمزاحمته مع المكنة فضلا عن كونها خفيفة المؤنة عليه تراه يزاحم حتى في العلن وان لقي في سبيل ذلك ما يلقي و ترى المتدين فضلا عن انه لا يأكل اموال الناس بالباطل يفهم حقوقهم ويزيدهم عليها

بالهدايا وحد الاقل برفع الت شكرات تصديقاً لقول نبيه ﷺ المؤمن حسن القضاء والاقضاء اما غير المتدين ففضلاً عن انه لا يفي الناس قروضهم اذا تمكن سرق اموالهم وخانها واكلها بلا خوف ولا حذر ولو بارزته القوى الناحية الثانية : ان القوى مهما تفرض في محدوددة وليس باستطاعتها ان توكل بكل انسان شرطياً وعلى فرض ذلك فان الشرطى نظير غيره اذا لم تكن للدين حكومة ولهذا نرى اليوم اهم الدول المتمدنة في العالم عاجزة عن ان تصون نظامها صيانة تامة فما اكثر القتل والسرقة والنهب و التعمدى فى اعظم مدينة من مدنها مع قدرتها الكافية وما ذلك الا لضعف الدين فيها وان الدين فقد منها بالمرة الواحدة - اى دين فرضناه - لو وجدت الولايات فيها بلا حساب ولا كتاب .

ومن فوائد الدين فى الجامعة : حثه للافراد على التعاون واحقاق الحقوق و الرفق والمواساة وان يحب الانسان المتدين ل اخيه المتدين ما يحب لنفسه ويكره لهما يكره لهما وان يشايه اذا سافر ويستقبله اذا قدم ويعوده اذا مرض ويقرضه اذا احتاج و يعطيه اذا اعوز ويشاركه فى الافراح والاحزان ويتفقده اذا غاب عن وجهه ويعطف على اهله اذا بعد عنهم وان يحضر جنازته اذ مات ويشيعه حتى يدفن ويعزى اهله ويسلمهم ويكون لهم فى رفع الوحشة عنهم كما كان فقيدهم لهم وفى ذلك من الاثار قضايا واخبار حجة وآيات مهمة منها قوله : ان الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذى القربى حقه : وقوله تعالى : لاتنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون : وقوله تعالى : وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان : الى عشرات سوى ذلك .

وعن ابي جعفر الفزارى (فروع الكافى : كتاب المعيشة) قال دعا ابو عبد الله ع مولى انه يقال له مصادف فاعطاه الف دينار وقال له تجهز حتى تخرج الى مصر فان عيالى قد كثروا قال فتجهز بمتاع وخرج مع التجار الى مصر فلما دنوا من مضر استقبلتهم قافلة خارجة من مصر فسألوهم عن المتاع الذى معهم ما حاله فى المدينة و كان متاع العامة فاخبروهم انه ليس بمصر منه شىء فتحالفوا وتماقدوا على ان لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً فلما قبضوا اموالهم وانصرفوا الى المدينة دخل مصادف على ابي

عبدالله ﷺ ومعه كيسان في كل واحد الفدينار فقال جعلت فداك هذا رأس المال
 هذا الاخر ربح فقال ان هذا الربح كثير ولكن ما صنعتم بالمتاع فحدثه كيف صنعوا وكيف
 تحالفوا فقال سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين الا تبيعوهم الا بربح الدينار ديناراً
 ثم اخذ احد الكيسين فقال هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في هذا الربح ثم قال يا مصادف
 مجالدة السيوف اهون من طلب الحلال: وفي الكافي عقيب ذلك: عن حماد بن عثمان
 قال أصاب اهل المدينة غلاء وقحط حتى اقبل الرجل المؤسر يخلط الحنطة بالشعير و
 يأكله ويشترى ببعض الطعام وكان عند ابي عبدالله طعام جيد قد اشتراه اول السنة فقال
 لبعض مواليه اشتر لنا شعيراً فاخلطه بهذا الطعام او بغيره فانكره ان نأكل جيداً ويا كل
 الناس ردياً: الى غير ذلك .

ولاريب ان هذه العواطف اذا عملت كما يريد الشرع أصبحت الدنيا هي المدينة
 الفاضلة التي يتمثل بها لان كل ذي بضاعة لا يعود يحتكرها او يمتزبها فتكثر المدارس
 على نفقات اهل الخير وهكذا المساجد والتكايا والمستشفيات وتعقد القناطر والجسور
 وترتفع الشد من اهلها والفقير من اهل الحاجة كما يرتفع الجهل والمرض والصعوبات
 ولا يعود الانسان بحاجة: اما لو حولت كل هذه المطالب بعائق الدول فضلاً عن عجزها
 عن القيام بكل هذه الواجبات الفردية والاجتماعية مادة ومعنى لقصور دخلها عن كل
 هذه اللوازم وعدم استطاعتها البحث والتفتيش عن حال الاطراف البعيدة وعن مجارى
 الافراد المنشعبين الضعفاء والبؤساء انها اذا ارادت ان تتعدى المشروع فتجمع الاموال
 بالقهر والغلبة ادنى بهاذلك الى مصارعة العواطف من ناحية وانخذالها احياناً من ناحية
 ثانية وتعدىها في جمع المال اذ لا تعود تفحص الفحص اللازم في كيفية اخذها من تاخذوكم
 تاخذ وكيف تضبط ما تاخذ من ناحية ثالثة على سوء في السمعة وتنفر القلوب منها
 حينئذ والذي أعان دول الاسلام على البقاء والاستمرار هو مجرد نفس المسلمين للقيام
 بمصالحهم من بناء مستشفيات ومدارس ورباطات ومساجد وتكايا وسقايات واحداث
 سواقى وجداول ومؤسسات خيرية وفضلا عن قيامهم بذلك فقد وقفوا مشاريعهم اوقافاً
 ضخمة اكلها الفساق الذين لازمة لهم .



نسبة احتياج الانسان الى الدين

الانسان في حياته الضرورية محتاج الى عدة اشياء لازمة لا يتيسر له العيش من دونها وهي الماء والغذاء واللباس والمسكن وما يؤمن الشهوة الجنسية هذا من ناحية الماديات الاولى التي تقوم بها شخصيته الفردية ومن ناحيته الاجتماعية فهو في حاجة ماسة الى النظام العام و كل ذلك وهذا موقوف على وجود الدين بين الافراد شخصياً ونوعياً وبسوى الدين لا يتيسر الحياة الابمشقة وارتباك هائل.

وتشريع الاحكام العامة للعموم انما يكون من الشرع الذي لا يتحيز لجانب دون جانب ولا يراعى جيلادون جيل ولا يقع تحت العوامل المؤثرة ولا يكشف الواقع له فهو اقرب الطرق اليه بل ادق الكواشف عنه : ثم الشرع لم يوظف من ناحية الله تعالى لاجل العبادات الفردية الواصلة للعبد بربه كالصلاة والصوم والحج ونظير ذلك فقط بل ما استهدفه من تحصيل الرفاه للناس مادياً ومعنوياً ونظاماً لضبط حركاتهم وسكناتهم اكثر بكثير مما استهدفه من القيام بواجب العبادات الفردية فالدين اذن هو معنى القانون المدني والجزائي وما يكفل اقتصاد الناس واجتماعهم .

وذلك لان الشرائع العامة بملاحظة وضع الاجيال ومراعاة قابلياتها تضع من القوانين ارقى ما يمكن ان يقرره المشرعون في ذلك الجيل لان المشرع الاعظم بعراءه عن كل نخوة وعصبية قومية ولونية واحاطته بالمصالح والمفاسد يتمكن ان يصيب بتشريعهم محز الواقع في الجميع من دون ان يكون له تحيز لجانب دون جانب بخلاف المشرعين من بنى الانسان فانهم ومهما كانوا كاملين فلا بد ان تنحاز بهم الدوافع النفسية ولومع الفعلة عنها الى جانب دون آخر ومصصلحة فريق اكثر من فريق خصوصاً ماراعته الشريعة العامة الاسلامية في اجيالها المترامية على طول الزمان فان الطرح الذي طرحته الشريعة الاسلامية الغراء لسكان المعمور لاحظت فيه كافة المزايا التي تقدر في حياة البشر فعندما اقتضت المصلحة الربانية العامة ارسال محمد ﷺ الى الناس كافة وان نبوته تكون ختام النبوات شرع الله في علمه قانوناً واسعاً

لل بشرية يكفيها ان تزود منه مادام لها بقاء في الوجود فكانت احكامه على انحاء اربعة .
 (الاول) مرحلة الاقتضاء ومعناه ان مقتضيات تشريع الحكم موجودة ولكن
 الوضع بحسب ملبساته وظروفه واحتياجاته يأبى عن اعمال هذه المقتضيات لان الملبسات
 الزمنية لا ترى مجالا لذلك .

(الثاني) مرحلة الانشاء وهي تكون بعد حصول المقتضى عند مقارنة الوضع
 الذى يستشمنه سnoch فرصة الوقوع ومعنى الانشاء هو خروج المقتضى بما اقتضاء الى
 منصة الظهور والقرار الخارجى نظير تدوين القانون الذى كان صرف خواطر نفسية وارادات
 قلبية لم تخرج من الخاطر والقلب الى عالم الكتابة والتحرير .

(الثالث) مرحلة الفعلية وهي تكون بعد مرحلة الانشاء كمن دون قانونا فيرمله
 الى الوزارات المربوبة لتبثه بين اداراتها التابعة :

(الرابع) مرحلة التنفيذ وهي تكون بعد مرحلة الفعلية كمن ابلغ قانونه لعامة
 الادارات فبلغته ايضا لل افراد بواسطة الاعلانات وغيرها فهنا تكون المؤاخذة والاثابة
 المؤاخذة على التمرد والاثابة على الطاعة

وفى كل آن من آفات الشريعة حسب الملبسات الوقتية للمراحل الاربعة
 الاحكامية وجود فجملته من الاحكام قد تكون لحد الآن فى مرحلة الاقتضاء ولا تبرز
 الى منصة الظهور الا بعد تهيئة محققاتها كما كانت جملة من الاحكام فى اوائل البعثة
 اقتضائية صرفة لان الملبسات الوقتية ما كانت تجيزا اكثر من الدعوة الى التوحيد
 والايان بالله وطرد عقيدة الالحاد وعبادة الاصنام كما ان جملة منها تبقى انشائية لصدما
 هواهم منها عن فعليتها وجملة منها فعلية غير منجزة كعدم اتصال الحجة بالمكلف والاخرى
 منجزة لبلوغها اليه .

ثم الاحكام العامة التى تشرع للاحوال العامة : ومن لازمها مراعاة النوع
 بما هو نوع : تسمى احكاماً اولية كالامر بالوضوء والايفاء بالعقود وتسمى الاحكام
 المشرعة للطوارىء احكاماً ثانوية كالحرج والضرر وما اليهما .

والاحكام الشرعية المحررة اعم من ان تكون بالعناوين الاولى او الثانوية

في كافة ارباع الفقه من العبادات والعقود والايقات والاحكام تقوم بجميع احتياجات
الجامعة في كافة ادوارها بما لا نقصان معه اصلا .



من هو نبي الاسلام

هو محمد بن عبدالله ابا وابن آمنة بنت وهب امها شمي الاب زهري الام قوى
الينية سالم الخلقة متزن التركيب بريء من كل عيب جاء هذا العنصر الى وجود
منشئت الجنبات من حيث الروحيات والاخلاق و كل ام عصره فاقدة للخلق الصحيح
وان تفاوتت في النقص شدة كجزيرة العرب وخفة كالرومان وجامع نقائصها اعزاز كل
قبيل بنسبه و ترفعه على غيره ترفعا لامقيل له من اقل نسب الصحة فضلا عن اكثرها
وتفاوت الطبقات حتى في العنصر الواحد بل وحتى في التوافه و عدم اعتناهم بالقانون
امام منوياته ولو شخص سقوطها وانهارها وحسابه للحياة حسابا ماديا صرفا و فشو الجهل
الواسع في عموم الطبقات واعراض النوع عن المبدء الصحيح واطباقهم نوعا على عبادة
الاهام والاصنام جاء هذا العنصر ليحول الطقس البشري الى طقس آخر والى مستوى
لم يعهده معاصروه بالفترة و كانت الدواعي التي تهيب به الى تحقيق دعوتته في المعمور
من الكرة الارضية حينذاك عدة امور -

(الاول) انه كان شديدا لايمان بمبدهه كما نطق القرآن في حقه : آمن الرسول
بما انزل اليه من ربه؛ والايمان بالمبدء مما يخلق في المؤمن به روح المفاداة والتفاني
في حقه و كما يقدمه في الحياة ولو بعد معاناة الشدائد يقدم دعوته تقديما محسوبا و
اذا استشهد في طريق مبدءه اتخذ منارا يستضاء به ويعد ابا الاحرار في نوعه والفشل نوعا
انما يرافق الكاذب المدلس الذي يستهدف بالدعوة الصالحة في ظاهرها منويات ذائفة
واهدافا مرموزة كما هو شارة الكثيرين و أقصر الدلائل على توثق النبي من نفسه و
مبدهه ان العالم المحيط به بارزه بانواع المبارزات وقاومه اشدا المقاومة على فقدته للناس
ومع ذلك لم يشن عن مرامه .

(الثانى) انه كان شجاعاً قوى الارادة والقلب وما كانت الحوادث والخطوب ترعبه وان ازعجته وكان فى مكة يمشى وحده ويسافر وحده مع شدة الرقابة فى وجهه وكان فى حروبه كالجبل الثابت تزول الصفوف عنه وتضايقه الأعداء ولا يزول عن مكانه وكل من يملك مثل هذه الروح يتقدم باذن الله .

(الثالث) الثبات والاستقامة : يوجد فى الدعوة الى اى مبدء يفرض حس الثبات والاستقامة ولكن على مرور الزمان ومواجهة الحرمان يبرده هذا الحس ونبى الاسلام طالما أودى وحوصروا وشرّوا وواجه من المؤلّمات الشىء الكثير ومع ذلك لم يزد الاثباتاً واقداماً حتى ركز دعوته فى حال حياته وفرض وجودها على الجزيرة العربية قبل كل شىء ومن بعده التهمت الخافقين.

(الرابع) تحليه بكل الاخلاق الفاضلة من الصدق والامانة والزهد والعبادة والتواضع وحب الخير وفعله مع الناس كافقوا كان فى كل خلق من هذه الاخلاق المثل البارز بما حير العقول وملك الالباب ويكفيه فخراً انه كان يعيش بين منافقين خارجين عن حدود الاحصاء ومع ذلك كان يوسعهم من نفسه كل البشر والطلاقه مع قدرته على الايقاع بهم بشئى صور الايقاع لكنه لم يفعل

(الخامس) ان دعوته كانت خالية من كل عيب وشين لائقة لان تفرض على الجامعة البشرية ولو بالقهر لزمانها السعادة للانسان من جميع نواحيه.



وظائف المسلمين

وهى اربع وظائف : وظيفة المسلم بالنسبة الى ربه : ووظيفته بالنسبة الى الاسلام : ووظيفة بالنسبة الى نفسه : ووظيفة بعضهم مع بعض : اما وظيفة المسلم بالنسبة الى ربه فهو ان يتقى ربه كما قال تعالى يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته : ومعنى اتقاه لربه ان يكون الله منظوراً له فى كل حر كاته وسكناته وافعاله وتروكه فلا يفعل فعلاً الا وهو مستحضر قبل ان يفعله ان الله ناظر اليه ومطلع عليه ولا يترك تركاً الا كذلك ولا ريب ان من نتيجة هذه الوظيفة طلوع الانسان باكمل الفضائل وبعده حتى عن احقر

الردائل فلا يعود يفعل الا الخير ولا يترك الا الشر ومتى تحققت هذه الوظيفة بين الافراد وجدت الدنيا باحسن ما يمكن ان تكون في كل اشياؤها .

واما وظيفته بالنسبة الى الاسلام فهي ان يعتمز به اعتمزازه بنفسه لانه بعد ان يسبق بنظامه وقوانينه وانه خير ميزان لضبط حياة الاشخاص في قبال الله وفي قبال بعضهم من بعض يجدان وجوده المرفه المأمون من الاخطاء والافات المنزه من الشوائب والادران الواحد لكمال الاستقلال والحرية بل لكل ما يضبط سعادة الفرد من جميع نواحيها موقوف على وجود الاسلام وحياة نظمه وحكومة قوانينه وان الاستسلام اذا تقلص عن افق الجامعة ضربتها الحوادث والمشتبهات ضربات متعاكسة ما بين افراط و تفريط : واما وظيفته بالنسبة الى نفسه فهي ان يرى الانسان نفسه مسؤولا بدينه ومهما كان حقيراً في الجامعة ولا يجوز له ان ينزع هذه العهدة عن نفسه مجيلاً بها على اهل المال والرجال و النفوذ والقوة والشخصيات والعلماء قائلين اننا حتى اتكلف بالدين وما قيمتي حتى اكون مسؤولاً به وما نتيجة قيامي حتى اقوم به فان حس المسؤولية اذا ابعده عن نفسه ضعف من حينه ضعفاً فوق ضعفه وصار انساناً متردداً متألباً به الالهواء والحالات المتبادلة فتراه مستسلماً لكل حاله ومحكوماً لكل حاكمه وخاضعاً لكل من يريد التسلط اما اذا اعتمز بنفسه وبما هو مسؤول به من عهدة دينه لم يصير متردداً ولا يكون مطعماً لكل طالع ولا اكلة لكل آكل و كما ان حس هذه المسؤولية لا بد منه في الضعفاء لا بد منه ايضا في الاغنيا ، واهل النفوذ والعلماء وايّة شخصية تفرض كلاً بحسب ما يتمكن الغنى ببذل ماله في الخدمات الاجتماعية العامة و النافذ باعمال نفوذه في جلب الخير و طرد الشر والعالم بافشاء علمه و تدريب الجامعة و تهذيبها .

واما وظيفة المسلمين بعضهم مع بعض : فهي الالفة و المحبة و الاتحاد و غض النظر عن صغار الجرائم والتعاون والارفاق وحمل كل انسان اخاه على اصلاح الوجوه فقد تواتر في الآثار الاسلامية ان المسلمين بمنزلة جسد واحد اذا تآثر عضو منه تأثرت له بقية الاعضاء وانه لا يؤمن المسلم حتى يحب لآخيه ما يحب لنفسه ويكره له ما يكره لها ولا يجوز للمسلم ان يهجر اخاه اكثر من ثلاثة ايام وابتداء المسلم بالسلام من يعرف ومن

لا يعرف والمسلم من سلم الناس من يده ولسانه وسأل رسول الله ص سائل فقال ما حال المسلمين اذا شهر كل منهم ما سيفه على الاخر فقال ص كلاهما في النار القاتل والمقتول فقال يا رسول الله اما دخول القاتل النار فواضح لكن ما بال المقتول فقال لانه اراد قتل صاحبه وهم به وقال لا تؤمنون حتى تتحابوا الي غير ذلك مما هو كثير وكثير ولام يتدهور المسلمون ويتقهقر دين الاسلام الا لانعدام القيام بهذه الوظائف من المسلمين فلم يتق المسلم ربه ولم يحتفظ بدينه ونزع مسؤولية الدين عن نفسه ولم يتعاون المسلمون بعضهم مع بعض ولذلك وهذا تصفرت دائرة الاسلام عن بقعتها الوسيعة .



في المزايا التي تقدم الاجتماع

ان المزايا التي تقدم المجتمع وتؤهله لان يكون ارقى مجتمع في عالم الانسانية ثلاثة امور (الاول) الايمان بالله ومعنى ذلك ان يعرف الانسان ان مبدئه محض الخير والكمال تيار علم بحر فضل ثروة هائلة من الخير لا يعرف الشر وينهى عنه كله رحمة و لطف وتدبير و قداسة و طهارة و نزاهة و حكمة و معروف و معرفة و ان هذا المبدء غامر له في كل انشائية لا يستطيع الانقلابات منه غايته انه في دنياه اذا عرض عنه و تجافى عن التمسك به ضرب بينه وبينه حجاباً يكون حائلاً عن استمداد فيوضاته و من هذه الجهة تراه الساقط الجلف و اما اذا جعل هذا المبدء الفياض نصب عينيه يستضيء من نوره و يهتدى بهداه و يمشى على طريقته فلا تراه الا الرؤف العطوف الصادق الطاهر الذي لا يأتي منه الا الخير حتى لو أسى اليه ولا يعرف الشر ولو كان من اسباب ترقيه يبر بالوالدين و يحنب على الارحام و يتحجب للاجانب و لا يسرق و لا يخون و لا يزنى و لا يرتكب اي فحشاء و لا يستخف و لا يتملق و لا يخضع للباطل و تتكون فيه همة الشجعان المغاوير لعلمه ان احدى الحسينيين نصيبه لا محالة فهو ان توفق في مغاورته امام الباطل فذاك والافنصيه من الله جد و فير و بهذه الروح عاش المهاجرون و الانصار في دنياهم سعداء اقوياء اعزاء ايديهم فوق الايدي و مرامهم فوق كل مرام فان من يطالع سيرتهم زمن نبينهم و يراهم بارزين الي بدر بابدان عارية و سلاح ضعيف امام عدو قوى كثير و مع ذلك يد كونه

ويغلبونه يعرف ان الذي دفع بهم بشوق وافرا الى مغامرة تيك الاوضاع الشائكة هو ايمانهم الصادق وهكذا من يطالع سيرة الحسين واصحابه يقف على لب الايمان وانه كيف يدفع بصاحبه الى السعادة دنيا و آخرة ولا يرب ان هذه الروح العالية لما تحللت في الناس وانكبوا على الاخذ بالسبب الظاهر وان الدنيا بيد النافذين وان مخالفتهم توجب الحرمان جاءتهم الذلة من كل جوانبهم .

(الامر الثاني الامر بالمعروف) المعروف هو الفعل الحسن شرعا وعقلا ومما لا شك فيه ان جامعة البشر يستحيل عليها النظام الصحيح اذا فقدت الافعال الحسنة في جريها فان النظام الصحيح هو الفعل الحسن ليس غير فلا بد او لا من تشخيص الفعل الحسن من السوء وذلك موقوف على الاحتكاك بالعقول الصحيحة وتحليل الافعال والتروك على ضوء العلم بما يميز الحسن منها عن السوء فالامر بالمعروف لا يكون من الجهال فهو اذن قبل كل شيء يدعو الى العلم ومن هنا كانت وتكون الجوامع الجاهلة احط مجتمعات الدنيا لاقرار فيها والاراحة ولا موت بسعادة: كما لا آخرة لها اصلا ولمحة من النظر الى ما عليه اهل البوادي من الانحطاط الكثير كافية في التدليل على ان الجهل اعظم من الموت واشد نكابة من القتل فاذا وجب العلم ولزم التنوير والتثقف وتعلم الناس وتثقفوا ارتفع منهم كثير من موجبات الانحطاط نعم سعادة الانسان في دنياه واخراه غير مربوطة بأى علم يكون بل ببعض العلوم دون بعض فمثلا توجه الجامعة الى التعرف بالعلوم الطبيعية واستكناه الطبيعة وما تحتويه من ذخائر لا يعطيها السعادة الواقعية في الدنيا الامن طرف ضعيف مثلا خلق لنا استخدام الطبيعة النور والانسار والبرق والبخار وما يمت الى ذلك فلم تستفد منها الجامعة الا الخلاعة والاستهتار في الاعم الاغلب والعلم الذي يناط به صلاح الجامعة ويتكفل سعادتها هو علم الأخلاق الذي يقوم بتطهير القلوب وتهذيب النفوس و تعديل خركات الانسان و وزن افعاله وتروكه بميزان صحيح .

(الامر الثالث النهي عن المنكر) المنكر هو الفعل السيء شرعا وعقلا كالكذب والنميمة والفش والتدليس وما الى ذلك وما قدمناه في الامر بالمعروف آت هنا لان النهي

عن المنكر في قبال الامر بالمعروف من باب الاضداد ثم ان الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس المنظور بهما الوقوف على الوعظ والارشاد لساناً بل الهم في الباب اعمال ذلك بالعمل فالناقد امره بالمعروف ونهيه عن المنكر منعه عن المنكرات من طريق نفوذه ورب المنزل امره بالمعروف ونهيه عن المنكر ان لا يخول زوجته وبنته وولده وكل من تحت سيطرته وعيولته . ووجبات رغبتهم الفاسدة فلا يبذل لهم المال ولا الوقت ولا غض النظر بما يوجب خلاعنهم واستهتارهم وخفتهم وارتكابهم للمبطل فانه اذا فعل ذلك صار شريك جرم قطعاً واذا تمرد عليه احد هؤلاء وجب عليه ان يقطع عنه المادة و يقطع في المعشرو بما ان النافذ لم يقم بواجبه ورب المنزل لم يؤد وظيفته انتشر الفساد في البر والبحر فكل امة جمعت الخلال الثلاث الايمان بالله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر كانت ارقى امة تفرض و كل امة فقدت ذلك كانت احط امة .

الى هنا تمت الحلقة الاولى من شرحنا على نهج البلاغة

بقلم محمد بن محمد طه بن نصر الله بن الحسين

الجويزي الكرمي

مركز تحقيقات عن علوم اسلامی

دليل مطالب الكتاب

الصفحة	العنوان
٣	على في مجارى التاريخ
٤	اللغة العربية وانتشارها من طريق الاسلام
٦	مقدمة الورود في البحث
٨	الشكوك حول نهج البلاغة
٢٦	نهج البلاغة والتوحيد وتحليل العقائد
٣٠	كون العالم ووجوده
٥٠	صفة خلق آدم
٦٠	ما الداعي الى لزوم عصمة الانبياء
٦٣	لزوم بعثة الرسل لاصلاح الجوامع
٦٨	جزيرة العرب وبعثة النبي محمد ﷺ
٨١	شكوك الماديين في حكمة الصانع
١٠٥	البراهين في دحض شبه الماديين
١٦٩	نهج البلاغة وتعريفه للاسلام
١٧٢	كليات اصول الاسلام
١٩٢	قالوا ونقول في شبه حول الاسلام ودفعتها
٢٠٣	روحانية اليوم وامس وكيف يجب ان تكون غدا
٢١٧	المقارنة بين الاسلام وسائر الاديان
٢٢٤	تعريف امير المؤمنين للاسلام
٢٤٢	حجية ظواهر الكتاب

الصفحة	العنوان
٢٤٨	خدمات على في سبيل الدعوة الاسلامية
٢٧١	علل تقدم الاسلام في اوله وانحطاط المسلمين في آخرهم
٢٧٤	الفضيلة : عرض عام للحياة البسيطة والحياة المركبة
٣١٦	الدين الفطرى
٣١٩	الدين
٣٣٠	نسبة احتياج الانسان الى الدين
٣٣٢	من هو نبى الاسلام
٣٣٣	وظائف المسلمين
٣٣٥	المزايا التي تقدم الاجتماع



مركز تحقيقات الكمبيوتر علوم إسلامي

انتظروا

صدور الحلقة الثانية من هذه السلسلة بعنوان

نهج البلاغة في المواقف والزواجر

وانتظروا

صدور الحلقة الثالثة من هذه السلسلة ايضا بعنوان

نهج البلاغة في العلوم والفنون